

الزيتونة

صاحب المجلة
ومديرها ورئيس
تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

مدير الإدارة
محمود الحفيف

بدل الاشتراك

عن سنة

١٢٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
٥ ثمن العدد

الإدارة

٨١ شارع السلطان
حسين بعبدين
تليفون ٢٧٤٩٠

مجلة أسبوعية للقصص والسير

تصدر في أول كل شهر وفي نصف

العدد الأول ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ - أول ديسمبر سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة



فهرس العدد

صفحة	
٢	في سبيل الأرض الطيبة أقصوصة مصرية للاستاذ أحمد حسن الزيات
١٦	المظلة للقصصى الفرنسى جى دى موباسان بقلم الأستاذ على أدهم ...
٢٤	كل شىء على ما يرام أقصوصة مصرية للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله
٣٩	خياة للقصصى الفرنسى جى دى موباسان بقلم الأستاذ لبيب السعيد
٤٢	لعنة أقصوصة مصرية للاستاذ يوسف جوهر
٤٦	الحفافيش للقصصى الإنجليزى هارى جرام بقلم الأستاذ أحمد حلمى
٦١	حريق القرية أقصوصة مصرية للاستاذ السيد حسن قرون
٦٦	الحمامة الثالثة للكاتب النموى ستيفان زفايج .. بقلم الأديب حسن فتحى خليل
٦٩	سوما للقصصى السرندىي حونداسا بقلم الأستاذ محمود الحفيف
... أمارا سكير
٧٦	بنته الصغيرة للقصصية النموية مارى تشافتر ...
٨٠	فكر فى الحل

فَسَبِيلُ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ

لِلْإِسْتِزَادِ إِحْدَ حَيْثُنَ الرِّبَايَاتِ

— ١ —

صبرا ، ولا يدركون في غيرها لذة : تلك
هى الرغبة فى التمتع على أخبار القانون
السعيد الذى سيملا القرى غنى كما ملأها
الإقطاع فقرا ، وفى التعليق على خطب الزعيم
الجديد الذى سيملا البلاد عدلا كما ملأها فاروق
جورا . ولكنهم كانوا يحكم أميتهم يتفاوتون
فى فهم ما يذيعه الراديو باللغة الفصحى ؛
فالقلة القليلة وهم المتعلمون وأنصافهم يفهمون
كله ، والكثرة الكاثرة وهم الأميون
وأشباههم يفهمون بعضه . لذلك كانوا إذا
مأسكتوا المذيع يمدون أعناقهم إلى المصطبة
الطويلة التى يجلس عليها كبار القوم ،
وينشرون آذانهم إلى ما يقول الشيخ محمود
بلغة العامة ، ترجمة عما قال المذيع بلغة
الخاصة . حتى إذا فرغ الشيخ من التلخيص ،
وأعانه الشيوخ الآخرون على الشرح ،
اثالت الأسئلة على المصطبة ، وانهاالت الأجوبة
على الساحة ، وأخذت الناس حال من
الجماسة تكاد تخرجهم من جلودهم الغليظة ،
وتغلبهم على عقولهم الرزينة . هذا يزهوة

لم يكد البصاؤون يفرغون من صلاة العشاء
فى مسجد القرية حتى ابتدروا الباب يريدون
الخروج . لم ينتظروا ختام الصلاة المفروضة
مع الإمام ، ولا أداء الصلاة السنونة بعد
الختام ؛ وإنما خرجوا وعلى وجوههم اهتمام ،
وفى حركاتهم نشاط . لقد كان موعد
النشرة الإخبارية الثالثة التى تذاع فى منتصف
الساعة التاسعة قد قرب . والفلاحون منذ
سنت حكومة الثورة قانون تحديد الملكية ،
حراس على أن يجتمعوا كل ليلة فى ساحة
العمدة يستمعون إلى الراديو وهو يذيع أخبار
هذا القانون ، من تفصيل مجمل ، أو تفسير
غامض ، أو تعديل نص ، أو تنفيذ قرار .
فإذا فرغ مذيع المحطة من خبره ، أو مندوب
الحكومة من حديثه ، لم يجدوا فى أنفسهم
ما كانوا يجدون قبل اليوم من الرغبة
الشديدة فى الاستماع إلى قصائد أم كلثوم ،
أو إلى أغانى عبد الوهاب ؛ وإنما وجدوا
مكانها رغبة أخرى لا يملكون عن قضائها

الشموخ الحادث فيعلن الاحتقار للمالك الأرض . وذاك يملكه الحق القديم فيسر الانتقام من ناظر الزراعة . وهؤلاء يرجون أن يقع ما يملكون في الأحواض الخصبية . وأولئك يخشون أن يقل ما يأخذون عن الفدادين الخمسة . ثم ينصرفون جميعا إلى دورهم مثنى أو ثلاث أو رباع ، وهم يملكون ما تبادلوا من الأحاديث ، ويتمثلون ما تخيلوا من المنى ، ويرسلون أعينهم في ضياء القمر الزاهر إلى الحقول الكاسية بسيقان الرز وأعواد الذرة ، فتملكهم هزة الطرب فيصيحون وهم يرقصون ويصفقون : أحقا ستصبح هذه الأراضى لنا ؟

— ٢ —

وفي تلك الليلة التي رأيناهم فيها ينصرفون سراعا من بيت الله إلى بيت العمدة ، كان الراديو يذيع أن اللجنة العليا لتنفيذ قانون الإصلاح الزراعى قد استولت على مافوق المائتى فدان من أراضى الملك الخليع المخلوع وآل بيته ومن استار سيرتهم في الترف والسرف والطغيان والجور . وكان من بين هؤلاء مالك الأرض التى خلق الله أجسادهم وأرواحهم منها ، وأعاد أجدادهم وآباءهم فيها ، وجعلها لهم ولأبنائهم مستودع الذكريات والتراث ، ومستقر الحياة والرزق ، ومستراح الهوى والأمل ، قبل أن يغتصبها

أبناء (قولة) فيما اغتصبوا ببضعة قرون . فلما انتقل المذيع إلى أحداث الحرب فى كوريا ، وأنباء الثورة فى كينيا ، أقفلوا الراديو وأقبلوا بأبصارهم وأسماعهم على أهل المصطبة . ولم تكذ العيون تتلاقى حتى سرى منها إلى القلوب سيال من الشعور المتجدد المتحد حرك الألسنة بالهتاف ، وشغل الأيدي بالتصفيق ، وأخرج الشباب عن طورهم فأخذوا يتبادلون الكلمات والركلات على عاداتهم حين يستخفهم الفرح . أما الكهول فظلوا فى مقاعدهم هادئين هائنين يتمتعون بما أشعرهم هذا النبأ العظيم من برد السرور وحلاوة الغبطة ؛ لأن انقضاء أكثر العمر فى عبودية المالك وذلة الفقر طبع نفوسهم على التسليم بالواقع والرضا بالمكروه ؛ فخافهم أشبه بحال السجناء حين يثلقون أمر الإفراج ، أو الأرقاء حين يسمعون ضيعة العتق ، لا يزيطون ولا يعيطون ؛ وإنما يقابلون الأمر ببشاشة المطمئن وابتسامة الشاكر . ذهب أكثر الشباب إلى الحقول القريبة ينفسون فيها بالريح الصاخب عن الفرح المكظوم ، ويتلذذون برأى الأرض وهى ملك كما كانوا يتألمون برآها وهى سخرة . وبقى أقلهم أمام المصطبة مع الكهول ، يتذكرون ما كانوا عليه ، ويتفكرون فيما صاروا إليه . وكان الحاج إبراهيم خولى التفتيش القديم يتصدر المصطبة فى غياب العمدة ؛ لأنه أكبر

أو أكثر . فالتفت إليه الحاج يقول وعلى وجهه مسحة الأسى ، وفي صوته رنة الأسف ليت جذك يا محمد كان حيا اليوم فيسمع بأذنيه الراديو وهو ينقل إلينا هذه البشرى ، ويرى بعينه الحكومة وهي توزع علينا هذه الأرض ! إذن مات ميتة السعيد الذي صبر فنال ، وسعى فأدرك ، واستغنى فشكر ! فقال له الشيخ محمود : ولماذا تخص المرحوم المهدي بهذا الثمن وأهل البلد كانوا جميعا في مثل حاله ؟

فقال الحاج للشيخ وقد وقف مغزله وترزن في لهجته وأقبل عليه بوجهه : لأن المهدي يا أستاذ مات شهيدا في سبيل هذه الأرض الطيبة . فقال الذين لم يعاصروا المهدي ويريدون أن يعلموا أمره ، والذين عاصروه ويحبون أن يستعيدوا ذكره : قص علينا يا حاج ماذا كان من حديث البهلول واستشهاده في سبيل هذه الأرض ؟ فقال الخولي القديم وهو ينزع الصوف المندوف من يمنه ، ويضع المغزل كله في يسراه :

كانت هذه الأراضى لنا منذ أنشأنا الله منها ، وجعل حظنا من الرزق فيها ، حتى اغتصبها محمد علي فيما اغتصب ، ثم ردها إلينا سعيد صديق الفلاح فيما رد . فلما تولى الخديو إسماعيل وفسق في البلاد فسوقه الفاجر ،

القوم سنا ، وأكثرهم بالزراعة علما ، وأطولهم لموظفي الدائرة صحبة . وكان قد هدف إلى الثمانين ، ولكنه لا يزال سليم البدن صحيح العقل ذكي الفهم طلي الحديث مهيب الطلعة ؛ تحسب وجهه الأسمر ، بين كلبوشه الأدكن العالي ولحيته الشهباء المرسله ، وجه درويش من دراويش الفرس بدت عليه سمات الصلاح ومخايل السكينة . وكان منذ علاه المشيب وخفت عنه أعباء العمل قد قسم يومه بين المسجد والمجلس ، فلساته لا يفتر عن الذكر أو الحديث ، ويده لا تفارق المسبحة أو المغزل . وكان أحب الأحاديث إلى نفسه ما اتصل بالقرية ومن عاش فيها من الأخيار والصالحين ، أو بالأرض ومن تعاقب عليها من الملاك والموظفين . فحافظته سجل واعي لما وقع في البلدة من أحداث وما طرأ عليها من تغير في خلال قرن من الزمان ، إن لم يكن فيه شاهد عيان فقد كان راوى خبر . لذلك تراه إذا تشقق السمر وتشاجن الحديث يعقب على كل نادرة بنادرة ، ويعلق على كل حكاية بحكاية

— ٣ —

كان الحاج إبراهيم يخوض مع الخائضين في حديث التملك والتوزيع حين سمع محمدا حفيد المهدي البهلول يظهر الغبطة ويحمد الله على أن سيكون له في ثرى قريته الحبيبة فدنان

ويعمل الفلاحون فيها (تملية) بالأجر .
وكانت أجرة العامل سبعة مليات في اليوم ،
وفدانا من الأرض يستغله أهله في السنة .
ثم تنقلت ملكية القرية وأهلها من آل
شريف إلى أجناس شتى من الملاك ، فيهم التركي
واليوناني والمصري ، حتى انتهى بعضها إلى
وحيديسرى ، وبعضها إلى البدرأوى .

فأنتم ترون أننا فقدنا السلطان على أرضنا
وأمرنا قرابة قرن من الزمان نسينا فيه طعم
الملكية ولذة الحرية وعزة الاستقلال .
فأصبحنا كلما رأينا المالكين يبيعوننا بيع
البيهم ، ويشتروننا اشتراء العبد ، ويستغلوننا
استغلال الآلة ؛ وكلما سمعنا أن فلاحين في
المرآكز الأخرى لهم أرض يملكونها ،
وثروة يدبرونها ، وغلة يخزنونها في دورهم ،
ويتصرفون فيها بأنفسهم ؛ أقول كلما رأينا
ذلك وسمعنا هذا استشعرنا البؤسة ، وأحسنا
الحرمان ، وأدركنا أننا بعداء عن الشعب
ونحن منه ، وغرباء عن الوطن ونحن فيه .
وكان المهدي عليه رحمة الله أشدنا ألاماً من
هذه الحال ، وأكثرنا هماً بهذا الأمر ؛ لأنه
كان عبداً من عباد الأرض المخلصين ، يكاد لا
يرفع يديه منها ، ولا يمل الجولان فيها ، ولا يسأم
الحديث عنها . يعرف أحواضها قطعة قطعة ،
ويميز قطعها سهماً سهماً ، ولا يخفى عليه من
قويها وضعيفها شيء في غيط ولا ساحل .

وأسرف في أموال الدولة إسرافه الفاحش ،
ركبه الدين الفادح ، وأعجزه الاقتراض
المسعف ، وأعوزه المورد الفياض ، كان
يفرض الضرائب الباهظة على الأراضي
خصيبها وجديها ، ويكلف عماله في الأقاليم
أن يجبوها مراراً في السنة الواحدة . وكانوا
إذا لم تف غلات الأرض بمطالب الخديو
المرهقة ساموا أصحابها سوء العذاب ، فجلدوا
بالسوط ، وحبسوا في الدوار ، وهجموا على
الحظيرة والدار ، فلا يعصم ملاك الأرض
من كل أولئك إلا الفرار منها أو النزول
عنها . وأجدادنا رحمهم الله قد فضلوا أن
ينزلوا عن أراضيهم للحكومة على أن
يخرجوا من ديارهم ، وهي كما تعلمون ملاعب
الصبا ، ومسارح الشبيبة ، ومجالى الأحبة
ومدافن الأهل . وكان يوم استيلاء الحكم
عليها يوم فرح في القرية دوت فيه الطبول ،
وصدحت المزامير ، وجلجلت الزغاريد ،
وأصبح الناس بعده آمنين لا تفزعهم جياة
ولا زوعهم جنود . وجعل إسماعيل هذه
القرية وست قرى أخرى بمركز طلخا
قطيعة لشريف باشا ورثها عنه ابنه على
شريف . فلما توفي الوارث اقتسمها أولاده بينهم
فكانت قرينتنا من نصيب ابنه عز الدين .
وكانت الأرض في عهد شريف وذريته تزرع
(وسية) يدير الأرناؤود شؤونها بالكرباج ،

وكنا إذا فك المالك الأرض ليعبدتوزيعها
على المستأجرين تركنا له أمر القسمة، فيوازن
الحوض بالحوض ، ويقارن القطعة بالقطعة ،
ويعادل الفدان بالفدان ، ويقضى في
ذلك الشهر أو الشهرين ، ينتقل من مصطبة
إلى مصطبة، ويتقلب من جرن إلى جرن ،
لا يحف له ريق ، ولا يخفت له صوت ، حتى
يستولى كل مستأجر على أرضه .

كانت أمنية المهدي على الله أن يملك قطعة
من ترى النيل يقصر عليها جهده وخبرته ،
ويقوت منها ماشيته وأسرته ، ويطفى بها
شوقه الملح إلى أن يكون إنسانا له كرامة ،
ومالسا له نفوذ ، وزارعا له رأى .

ولم يقنع المهدي بوساوس الأطلاع وأحاديث
المنى ، وإنما كان يبتغى الوسائل إلى تصديق
أحلامه وتحقيق أمانيه . كان يسأل كل طارىء
على البلدة عن ثمن الأراضى في جهته ، وعن
مقدار المعجل والمؤجل من هذا الثمن ،
فكانت الأجوبة كلها تتفق على أن ما عنده
من المال لا يبلغه بعض ما في نفسه . وماذا
كان عنده ؟ إسورة من الذهب لامرأته ثمنها
عشرة جنيهاً ، وعجلة من بنات جاموسته ثمنها
عشرة أخرى . أما النقد فمن أين يأتيه
وكيف يستقر عنده ؟ لم يدخل بيته قطن

فبيعه ، ولم يفضل من أجرته شئ فيدخره .
إن القطن وأكثر محصول الحقل للمالك أرضه ؛
وأجرته والقروش التي تمر على يده من أثمان
البيض أو السمن لنفقة بيته ، والدين الذي عليه
لتاجر القماش من جلايب العيد يوفيه من ثمن
كيلات من القمح يقطعها من قوت أولاده .
إذن لم يبق له من وسيلة لشراء الأرض إلا
معجزة من الله تدركه ، أو كنز من المال
يصيبه .

وكان المهدي ينتظر هذه المعجزة في ليلة
القدر من شهر رمضان ، ومن بغلة العشر
في شهر المحرم ؛ ولكنه وا أسفاه بعد طول
الانتظار ودوام الترقب لم تنفتح له (الطاقة)
في السماء ، ولم تفكر فيه (البغلة) في
الأرض !

وفي عصر يوم من أيام الربيع ، والربيع
فصل الآمال والوعود ، عاد البهلول من
المنصورة يطفح وجهه بشرا ويفيض صدره
بهجة . ولم يكذب ينزل عن حماره حتى دعا
إليه عشيرته وجيرته . فلما اجتمعوا لديه قال
لهم بصوت البشير إذا حمل الخير ، وبلهجة
الرائد إذا حمد النجعة : إني سمعت اليوم في
المنصورة أفندية يقولون إن الحكومة قررت

— ٤ —

وعاد الحاج يقول :

بات أهل القرية تلك الليلة ولا حديث لهم إلا خبر المهدي ووادي الريان . وكان كل رجل في كل منزل يدير الرأي في هذا الأمر فما بينه وبين أهله : كيف يتركون بيئته عرفوها ومعيشة ألقوها إلى بلد بعيد ليس لهم فيه قريب ولا عندهم به علم ؟ وكيف ينصرفون عن حياة مملومة مستقرة فرارا من عسر قد يهون ، إلى حياة مجهولة قلقة طمعا في يسر قد لا يكون ؟

ومن الذي قدر الأرزاق وقسم الحظوظ ؟ أليس هو الله جل شأنه ؟ ورب هنارب هناك . وإذا كان الرزاق الكريم قد شاء أن يبدلنا غني من فاقة ، وملكا من إجارة ، فإنه قادر أن يهيئ الأسباب إلى ذلك من غير حاجة إلى احتيال ، أو ضرورة إلى هجرة . ومن العجيب أن القوم كانوا في هذه الاعتراضات لسانا واحدا كأنما لقنهم إياها ملقن واحد !

والواقع أن في صدر كل مصري شيطانا يلقي في أمنيته كلما تمنى ألا يفترق عن أسرته ، وألا يبتعد عن قريته ، وألا يغترب عن وطنه . فالفلاح يرضى في بلدته المعيشة الضنك ولا يلتمس العيش الرغيد في إقليم مجاور . والتاجر يفتن في مدينته بالربح اليسير ولا يطمح في مدينته

أن تباع الفلاحين (وادي الريان) ^(١) بثمان مقسط على آجال بعيدة ؛ ولهم عليها أن تدبر الماء ، وتبنى الدور ، وتعطي البذور ، وتقرض المال ، وتهب الماشية .

فصاح القوم أجمعون بلسان واحد : وأين وادي الريان هذا يا بهلول ؟ فقال : سألتهم هذا السؤال فأجابوا إنه في جهة الفيوم .

وهنا سكت الحاج إبراهيم ليقول لصاحب المصطبة في شئ من الإنكار : أين الشاي يا شيخ عبد العزيز ؟

فقال شيخ البلد وهو يسعى إلى داره ليهيئ الشراب المطلوب : إي والله يا حاج ! إنك لتستحق أكثر من الشاي على هذا الحديث ومرت برهة تبادل فيها الجلوس السكائر وعقبوا على بعض نواحي الحديث ، حتى جاء الخفير يحمل النقيع الأسود في قدر كبيرة ، فارتشف القوم أقداحه في التذاذ ونهم ؛ ثم عادوا يرهفون المسامع للقاص الوقور ويقولون له : هيه ، هيه ، يا حاج !

(١) كان مصدر هذه الشائعة الكاذبة مانشرته الصحف يومئذ عن التقرير الذي قدمته لجنة المهندسين الدوليين سنة ١٨٩٤ إلى الحكومة المصرية ، عن استخدام وادي الريان في خزن ماء النيل زمن الفيضان بترعة تمتد من النهر إلى الوادي ، حتى إذا غاض النيل وأدرك فرعيه الجفاف أطلقوا فيه ذلك الماء المخزون فيساعده على أن يروى مليون فدان من الأرض البور

إلى الثراء الضخم . والموظف يحزنه أن ينقل إلى عمل بعيد عن قريته إذا كان في الريف ، أو عن مسكنه إذا كان في الحضر . والساكن يشق عليه أن ينتقل من بيت متهدم في حي قدر طالت سكناه فيه ، إلى بيت جديد في حي نظيف استجذبت صلته به . فإذا تسايرت أهواء القوم على رفض الزوج إلى صحراء اليوم كان ذلك استجابة لهذا الشيطان الذي صدنا عن حواضر السودان وهي حبيبة ، وصرفنا عن بوادي النيل وهي قريبة !

كانت هذه الوسوس تنقل من فم إلى فم ، ومن دار إلى دار ، حتى تصل إلى أذن المهدي في منزله بطرف القرية ، فكان يفندھا مستعينا بما سمع من آيات الله ، وبما حفظ من أمثال الماضين ، وبما روى من أشعار الهلالين . ولكن القوم لم يلقوا أسماعهم إليه وفضلوا أن يترثوا حتى يذهب غيرهم إلى هناك ، فيروضوا الأمور ، ويدلوا الصعاب ، ويحتملوا مكاره البدء .

ولم يرد المهدي أن يُسمع غير سميع ولا أن يقنع غير مستعد ، فأثر السكوت وصمم في نفسه على أن يكون هو (أبوزيد الهلالي) بطل (الريادة)

والحق أن المهدي كان لا يختلف عن

بطل الهلالين إلا في السواد والفروسية . أما في صفات الرجولة الأخرى فقد كان يشابهه أو يقاربه . كان أسمر اللون في ملاحظة وجهه ؛ وكان شجاع القلب في سماحة خلقه ؛ وكان خشن المراس في دماثة طبعه ؛ وكان على الجملة أشبه بفارسان قصة عنتره الذين تسمعون بهم ، يجمع بين قسوة الجوارح ورقة المشاعر . فهو من جهة يشارك عند الضرورة في السطو بالليل ، ويبالغ يوم الحصومة في الحق على العدو ، ويجيد الضرب بالنبوت والخبط بالفأس ؛ وهو من جهة أخرى يعشق الطرب ، ويهوى الغناء ، ويحسن النقر على الطبل والزمر بالأرغول والصفير بالناي . ومن أجل ذلك كان موضع الإعجاب من الرجال في المركز ، ومهوى أفئدة النساء في القرية

ولعل الزهو الذي كان يملأه من احترام الفتیان له ، وافتتان الحسان به ، كان بعد طبيعته الطموح الحافز الثاني الذي كان يدفعه إلى العمل ليغني ، ويغريه بالغنى ليملك ، ويطمعه في الملك ليكون أعلى مكانة في أعين الناس ، وأجل كرامة في رأى نفسه .

ولقد سنحت له الفرصة في الهجرة إلى وادي الريان لبوغ غايته ، ونيل مراده ، فكيف يدعها تفلت ؟ وهل يليق بأهل الفتوة أن يستكينوا لخفاف تخلفها الأوهام ، ووسوس تبعثها الظنون ؟ إن أرض الله

واسمة فلم يرضى بالضيق ؟ وإن رزق الله
كثير فلم يقنع بالقلة ؟ وإن البؤس الذى يعيش
هو وقومه فيه قد بلغ الحد الذى لا سوء بعده ،
فكل تحول عنه لا بد أن يكون إلى أحسن .
وماذا يضره إذا انتجع هذا المكان المجهول ،
فإن أصابه الخير اطمأن به ، وإن أخطأه
التوفيق انقلب إلى أهله ؟

— ٥ —

كنا فى أواخر شهر مايو والفلاحون
قد أوشكوا أن يفرغوا من حصاد القمح ، فلم
يبق فى حقوله الجرد إلا جماعات مبعثرة هنا
وهناك قد أخرجها سعة الأرض أوضيق ذات
اليوم . وكان المهدي قد حصده أول الناس ؛
ولكنه كان مدينا بزمال فى الحصد لبعض
جيرانه ، وأراد أن يوفيهما هذا الدين قبل
أن تحول الأحداث دون الوفاء به ، فخرج مع
الحصادين فى المزيح الأول من الليل ، فى يده
متجمله ، وعلى كتفه رداؤه . وكان قبل أن
يخرج من داره قد لبس أحسن ثيابه ، وقبل
يدأمة ، وعانق إخوته ، وودع زوجته وابنته .
ثم أمر أخاه الأصغر أن ينتظره بالحمار والخرج
فى مدخل سكة السوق بعد صلاة الفجر .
لقد كان مجلس العائلة قرر أن يرحل
المهدي وحده إلى وادى الريان ، فيملك
الأرض ، ويختار البيت ، ويتسلم الجاموسة ؛
ثم يرسل إليهم فيلحقون به

وبات المهدي ليلته الأخيرة فى القرية
يحصد ، ويتغنى ، ويغازل ، و(ليلاه) من ورائه
تلم الحصيد وتكومه أكواما صغيرة ؛ ثم
تلمس عمدا كعبه الخشن بيدها الناعمة من حين
إلى حين ، تريد أن تنبهه إلى وجودها من
خلفه . ولكن المهدي كان مصروف الفكر
عن حوله . كان يتغنى لسامع بعيد ، ويتغزل
بجبيب مجهول ، ويتفكر فى دنيا جديدة ،
وينظر من آفة إلى أخرى فى نجوم الشرق
يبحث بينها عن نجمة الصباح .
وأخيرا هتكت يد الفجر أستاره
الوردية ، فانبثق النور ، وهلت الديكة ،
ولعل صوت (أبو عامر) على سطح المسجد
الصغير يقول الله أكبر ! الله أكبر !
فترك المهدي منجمله ورداءه إلى ليلى وذهب
ليتوضأ ويؤدى ركعتى الصبح .
وبعد قليل كان على حماره فى الطريق
إلى طلخا ، تحته خرجه ، ووراءه أخوه .
فلما بلغ المحطة كان قطار الساعة السادسة
على وشك القدوم ، فاشتري تذكرة
إلى الفيوم ، ثم اتخذ مقعده بين الركاب .
ولم يكده يستقر فيه حتى استغرق فى نوم
عميق ما كان يوقظه منه إلا صوت مأمور
القطار يطلب منه التذكرة من محطة إلى
محطة . وفى طنطا نهوه أن ينتقل إلى قطار
القاهرة فانتقل . وكان قد أحس الجوع

يعتسف الأزقة والشوارع لا يعرف مكانا يأوى إليه ، ولا يقصد إنسانا يسأل عنه، حتى دفع إلى بحر يوسف، وهو النهر الذى يخترق المدينة، واتخذ سبيله فى الشارع الواقع على شاطئه الأيمن حتى بلغ ساحة فسيحة تظللها الأشجار، ويكثر فيها التجار، ويتطرح فى جنباتها العمال والباعة يسترفهون من الإعياء، ويستروحون طراوة المساء، ويناقش بعضهم بعضا أحاديث الناس وأخبار المدينة .

ألقى المسافر الغريب خروجه بجانب سور التربة الآخذة من البحر فى شرق الساحة ، وأطلع قبل أن يقعد فرأى ساقية عظيمة تدور فترفع الماء من غير بكرة ولا مكينة . فعجب كل العجب ، وحاول أن يعرف سرها فلم يستطع ؛ فاستبشر بذلك ، وأيقن أن سواقى وادى الريان كلها من هذا الطراز ؛ وتمنى أن تكون النوارج والمحاريث كذلك ؛ فإن فى هذا الطراز اقتصادا فى جهد البهيمة يكثر الشحم ويدر اللبن . ثم وجد فى نفسه الحاجة إلى الطعام فأخرج من الخرج فطيرا وجبنا وأكل حتى شبع . ثم أشعل سيكارة وأخذ يفكر فى الغد المجهول ويقول لنفسه :

ليت شعرى إذا أسفرت هذه الريادة عن صدق ذلك الخبر ، أتلحق بى أسرتى وحدها ، أم تهاجر معها قيتى كلها ؟

فأدخل يده فى الخرج وأخرجها بقرصة من الفطير وقطعة من الجبن فأفطر . ثم تحلل به التعب والسهر فوضع رأسه على رأس المسند ونام

ولما وقف القطار فى محطة القاهرة نزل جميع المسافرين ولم يبق فى العربى غيره . فسأل أحد الجمالين : أهذه هى الفيوم ؟ فأجابه : هذه هى القاهرة . فإذا كنت تقصد الفيوم فاسأل عن رصيف الوجه القبلى وامكث هناك حتى يقف عليه قطار الصعيد فاركب فيه

حمل المهدى خروجه ونزل من العربى ، ومضى يسأل الناس عن رصيف الصعيد ، فبعضهم يمشى ولا يجيب ، وبعضهم يشير ولا يتكلم ، حتى وجد رجلا يحمل زكينة وكريكا، فسأله فقال له : تعال معى . فمشى معه المهدى واضعا بين عينيه غرضه ، فلا ينظر ذات اليمين ولا ذات الشمال ، ولا يذكر أنه الآن يتنفس هواء القاهرة التى يسمع أن فيها آل البيت وحديقة الحيوان وأهرام الفراعنة ، حتى دخل هو وزميلة فى زحمة المسافرين الصاعدين ، فخط كل منهما حملا وقعد بجانبه حتى جاء القطار

دخل المهدى مدينة الفيوم فى الليل وليس له بها معرفة، ولأله فيها صديق ؛ فمشى

فتوضاً ثم عاد فصلى وأفطر . وانتظر
حتى هبت الفيوم من الرقاد ، ودبت في
مسالكها الحياة ، ثم دنا من رجل وقور
توسم في وجهه الخير وسأله :

كيف الوصول إلى وادي الريان ياسيدي ؟
فأجاب الرجل مبهوراً وهو يفكر :

وما وادي الريان هذا ؟ ليس في إقليم
الفيوم كله مدينة ولا قرية بهذا الاسم . لعلك
تقصد بركة قارون ؟

فقال له المهدي مستفهما : وما بركة
قارون هذه ؟ لم يرد في الخبر الذي سمعته في
المنصورة مكان بهذا الاسم . أريد
وادي الريان الذي توزع الحكومة أرضه
على الفلاحين ، وقد قالوا إنه في مديرية الفيوم .
فقال له الرجل آسفاً : سل غيري يا أخي
فربما كان يعلم .

ولم يسترب البهلول في شيء إلا في
علم الرجل . فتركه ومضى منحدراً
مع بحر يوسف يسأل الهابط والصاعد عن
وادي الريان فلم يجد علمه عند أحد ، حتى بلغ
قرية (الفديمين) فجلس ليستريح ويتغدى .
وكان يختار لسؤاله التكرار ذوى العمام
والبدو والطواق من أهل طبقته لأنه عليهم أجراً
وبهم آنس . فلما لم يجد عندهم الجواب المقنع بداله
أن يستفهم أحد الأفندية . وقادته المصادفة
إلى موظف مثقف سأله فأجاب :

وإذا بقي أهل القرية هناك ، وظلت أنا
وأسرتي هنا ، فلماذا الأرض الملك إذا لم يرها
الصديق فيفرح ، أو العدو فيحزن ؟

وهل يبلغ المرء من الهوان والضعفة أن
يفضل العيش في بلدته وهو عبد ، على العيش
في غيرها وهو سيد ؟

صحيح أن قيراطاً في أرض بلدك ،
خير من فدان في بلد غيرك ؛ ولكن كيف
السبيل إلى امتلاك هذا القيراط وأرضنا بين
(باشا) يستحيل عليه أن يكف عن الشراء ،
و (أمير) يستحيل عليه أن يفكر في البيع ؟
على أنني متى أرجع إلى القرية زائراً وراياً
الناس أمشي في الحذاء المفصل ، وأخب
في الصوف الفاخر ، وأتلفع بالحرير الأصيل ،
وأعامل بأوراق النقد ذوات المأذنة ، لا يلبثوا
أن يقطعوا عزهم على الهجرة .

وأشرق الأمل في صدر البهلول
وتشوقت نفسه إلى تحقيقه ؛ وتحقيقه
لا يبدأ قبل الصباح ، وبينه وبين
الصباح هذا الليل الثقيل الطويل ، فرأى أن
يقصره بالنوم . فاستلقى على الأرض ، خرج
تحت رأسه ، ولفاعته حول عنقه ، وهراوته
في يده ، ثم نام ملء عينيه .

وفي مطلع الفجر استيقظ على عادته ،
فوجد الشوارع ساكنة والمنازل ساكنة
والخوانيت مغلقة ؛ فقام إلى التربة

ونزلت في أوسع مكان من قلبي ؟
ولكن لماذا أياأس من الأمر لدى أول

سؤال ؟

لم لا يكون هذا الأفندي من الذين يلذهم
أن يجيبوا عن كل سؤال بأي كلام ،
فيفتوا من غير علم ، ويشيروا من غير خبرة ؟
وبعث فيه هذا الشك روحا من
النشاط فحمل خرجه وسار يتنقل من
قرية إلى قرية ، ويسأل رجلا بعد رجل ،
وكلهم كانوا يجيبونه إجابة الشيخ الذي سأله
في الفيوم ، أو إجابة الأفندي الذي سأله في
القديمين . فلم يبق لديه شك في أن خبر
المنصورة كان أفيكة أفاك وفرية مفتر .

وتعاقبت على خاطره الحقائق والأحلام ،
فتارة كان يرى العودة إلى قريته ليستأنف
حياة الشقاء ، وتارة كان يرى التجوال في
هذه البلاد الكثيرة الأطيان القليلة
السكان ، طلبا للغنى وطمعا في الملك ؛
حتى إذا اغتنى أو امتلك رجع إليهم بالمال
أو أقدمهم عليه للملك .

وكان الخرج قد خلا من الزاد ،
والكيس قد صفر من النقود ، فاضطر
المهدي إلى أن يؤجر نفسه يوما بعد يوم
لأعمال الفلاحة ليعيش

واتفق ذات يوم أن كان عمله عند رجل
من الفلاحين واسع الخبرة بالزراعة ،

وماشأنك بوادي الريان ؟ فقال : علمت
أن به أرضا للحكومة تريد أن تبيعها
الفلاحين بثمن قليل . فقال له الرجل
وملامح وجهه تترجم عن عجبه :

إن وادي الريان يقع في الجنوب الغربي
من الفيوم ، وهو واد منخفض مجذب
لا ينبت به زرع ، ولا يعيش فيه حي ، ولا
يسافر إليه أحد . وكل ماأعلمه من أمره أن
وزارة الأشغال تريد أن تجعله خزانة للنيل ،
تملاؤه منه وهو يفيض ، ثم تفرغه فيه وهو
يفيض ، فيظل ماء النهر طاميا طول السنة .
فبهت المهدي وشخص يبصره وأقام لا
يطرف . ثم انصرف عن الأفندي دون أن
يعقب على جوابه ورجلاه لا تكادان
تحملانه من هول الصدمة ؛ ومشى
متساقطا من الهم حتى بلغ جدارا فجلس في
ظله وأخذ يتحدث نفسه بصوت يكاد يسمعه
السائر يقول :

يا خيبة المسمى ويا ضيعة الأمل ! ماذا
أقول لقومي وقد وعدتهم الوعود ، ومنيتهم
المنى ، وجعلت لهم البر عسلا والبحر
طحينة ؟

أأعود ثانية إلى المالك يبيع في ويشترى ،
وإلى الناظر يفتات على ويفترى ! أينقطع
الرجاء الأخير في أن أملك قطعة من
الأرض الطيبة التي استأثرت بحبي ،

طويل التجربة للزراع ، فأعجبه من المهدي متانة عضله ، وقوة جلده ، وضربة فأسه ، وقبضة محراثه ، فعرض عليه أن يشتغل عنده مشاهرة بثلاثة جنيهاً غير الطعام والملبس والسكن . فقبل البهلول العرض إلى أن يستبين له الأمر ، وينكشف أمامه المستقبل

— ٧ —

دخل المهدي دار حمدان كما دخل موسى دار شعيب . كان حمدان رجلاً كبير السن ، رقيق البدن ، حسن الحال ، يملك اثني عشر فدانا من أجود الأرض يعتمد في زرعها على الناس ؛ لأنه كان أباً لثلاث بنات ، تزوجت كبراهن ووسطاهن وبقيت الصغرى تطرد الوحشة عن البيت ، وتشيع البهجة في الغيط . ولم يكن حمدان يعمل بيده ، وإنما كان يكتري العمال ويقف وراءهم ، يرشدهم إلى ما يزيد ، ويكرههم على ما يجب . أما فكيهة فقد كان عملها أن تذهب إلى أبيها بالغداء أو الماء أو الشاي ، وأن ترجع إلى أمها بالخضر أو الفاكهة أو العلف . وكانت في ذهابها أو إيابها محط الأنظار ومطمح القلوب . وفتاة كفكيهة تحوم عليها نفوس الشباب لثروة أبيها ، فكيف إذا كانت مع ذلك وسيمة الوجه ، خفيفة الظل ، رفاة البشرة ؟ كان الخطاب يتهافون عليها تهافت الذباب على العسل ؛

ولكن أباهما كان يرفض أويوسف ، لأن نيته كانت أن يزوجه من فتى كريم مستقيم ينزله منه منزلة الابن ، فيساكنه في البيت ، ويعاونه في الغيط ، ويعاضده في القرية . ولكن علوان أحد الخطاب كان طامحاً ملحاحاً لم يئس من خطبته تسويق حمدان ولا إعراض فكيهة . كان يبتغي الوسيلة إلى حب البنية بالهدايا في كل مناسبة ، ويلتمس السبل إلى رضا الأب بالمساعدة في كل عمل ؛ ولكن فكيهة لم تجد في علوان الزوج الذي تحبه ، وحمدان لم ير فيه الصهر الذي يرضاه . ومضت الأيام على هذه الحال حتى دخل المهدي عضواً جديداً في هذه العائلة الصغيرة . وكان من طبيعة المهدي كما علمتم أو سمعتم الجد في العمل والصدق في النية والإخلاص في العشرة . فدير أمور الزراعة تدبير ابن الأرض الذي يجد لذته في خدمتها ، وسعادته بين تربتها . فوقع ذلك من نفس حمدان موقع المسرة والغبطة ؛ واستبشر أن يكون المهدي هو الابن الذي ينتظره والصهر الذي يرجوه . وسرى إعجاب المالك بأجيرته ، إلى زوجته وابنته ، فبالغت الزوجة في العناية به ، ورغبت البنت في التودد إليه . ورخص الوالدان لفكيهة أن تقوم على شؤونها الخاصة ، فتغسل ثيابه ، وتنظف فراشه ، وتهيئ طعامه ، وترفه عنه بالحديث إذا مراح متعباً من أعمال اليوم .

وكان المهدي لا يزال مشغول البال
بأمسه الخائب ويومه القلق وغده المبهم ،
فلم يفتن إلى ما ينعم به في هذه العائلة
الرفيقة من رعاية الأب وعناية الأم وودادة
البنات . ولكنه لم يكد يقطع عزمه على
انتجاع هذا الإقليم سعياً وراء الغنى حتى
تنبه فجأة إلى أن بجانبه أجمل فتاة تنشد
الزوج ، وأن تحت يديه أخصب أرض
تطلب الفلاح ، وأن أمام عينيه أكرم
زوجين يخطوان إلى الموت خطى سريعة
فقال في نفسه وهو يردد فنجان الشاي فارغاً
إلى فكيه: أليست هذه هي الفرصة التي طالما
ارتبتها بعين لا تغفل ، وانتظرتها بصبر
لا ينفد؟ زوجة جميلة تكون أختاً لزوجتي ،
ودار واسعة تكون مأوى لأمي وإخوتي ،
وأرض خصيبة تكون عما قريب نواة للملكي
وثروتي !

ولم لا يكون الحظ السعيد هو الذي
ألقى إلى "خبر وادي الريان في المنصورة
لأنتقل من بؤس محض إلى نعيم خالص ؟
وتفتح قلب المهدي للحب ، واشتد شعوره
بالجمال ، فرأى في فكيه منية نفسه وقرّة عينه
وبهجة فؤاده ؛ ووجد في الفيوم ما لم يجده
في إقليم آخر من تبرز الطبيعة في مروج
الفيح ، وأوديته الخضراء ، وحدائق الغنّ ،
فتحرّكت فيه غريزة الفنان فتغنى بالمواويل

الحمر ، واستعان على ترجمة عواطفه المشبوبة
بأنغام الناي . وتمكنت الألفة بينه وبين
شباب القرية فكانوا يخالسونه الود ،
ويقاسمونهم الأنا ، ويتمنون لو يتزوج من
فكيه لتستقر به النوى عندهم ، ويطيب
له العيش فيهم .

وتوثقت بينه وبين فكيه عرى
الحب ، فكان لا يسعى إلا معها ، ولا يتحدث
إلا عنها ، ولا يفكر إلا فيها ، حتى أجمع الناس
على أنه الخاطب المختار والحبيب المفضل .
وبارك الشيخ حمدان وزوجه وأهله هذه
الخطبة ، وافترخت فكيه على أترابها بهذا
الخاطب ، واغتبطت القرية بجماع هذا المواطن ؛
فلم يبق في القوم من ينظر إلى هذا القران
نظرة الحقد إلا علوان .

كان علوان الشقي يطمع في أن تصبح
فكيه زوجته ، ويتوقع أن تصير فداديها
ملكه ، ويؤمن إيمان المغرور بأنه كان
أقرب الخطاب إلى الظفر بفكيه قبل
أن يجيء هذا المنافس الغريب فيقلب أمله
يأساً ونعيمه بؤساً وفوزه خيبة . كان يرى
أنه الفتى الأول في القرية ، لأنه كان مرهوب
العداوة لشدة بطشه ، مرغوب الصداقة
لكثرة لهوه . ولكن هذا البهلول المرهوب
المرغوب جاء فغض من قدره ، وطأطأ من
تعالیه ؛ ثم أصبح بعد خطبته لفكيه العقبة

التي تصده عن غايته ، والهوة التي
تجزئه عن سعادته . لذلك صمم على أن يزيل
من طريقه كل حائل يحول من دون مرامه .
وطوى صدره على أمر

— ٨ —

قال الحاج إبراهيم وقد تغرغرت عينه
وتهدج صوته :

وانقطعت عنا أخبار المهدي ستة أشهر
فلم نعرف له مكانا ولم نتلق منه رسالة .

وفي عصر يوم من أيام الخريف ،
والخريف فصل الهمود والزوابع ، عاد خفير
الأحوال من المركز ومعه إشارة من المأمور
إلى العمدة يقول فيها : « أخطرنا بوليس
الفيوم أن رجلا يدعى المهدي البهلول من
بلدكم قد أطلق عليه الرصاص ، وقد نقل إلى
المستشفى الأميرى بين الحياة والموت »

وماهى إلا دقائق معدودات حتى شاع النبأ
في القرية فاستولى عليها حال من الجزع لا
يتصورها إلا من رآها . ولم نضع الوقت في
عتاب القدر ، فسافرنا إلى الفيوم ، ودخلنا على
البأس الصريع فوجدناه لا يتقار على الفراش
من مض الألم ومن حوله جماعة من الرجال
والنساء يكون

فدنا منه العمدة ونحن وقوف تغالب الدمع

ونسكتم العويل ، وكشف عن وجهه الغطاء .
فلما رآه المهدي ورآنا ، هم بالنهوض فردته
المرضة . وانصرف الآخرون وجلسنا في
مقاعدهم على جانبي سريره . وكان حضورنا قد

قوى من روحه وزاد في تجلده ، فخياعواده ،
وسأل أخاه عن أمه وابنته . ثم سأله العمدة
عما جرى له من يوم فارقنا إلى يوم لقيناه .

فقص علينا ما سمعتموه الليلة على فترات كان
يقطع بينها شدة الوجع أو غيبوبة الحمى

وفي المساء عاود الجريح زف الرثة
فانقطع أمل الجراح من نجاحه . وشاء الله أن
تنجح عملية الموت وأن تحقق عملية الحياة ،
فعدنا بجثة الشهيد إلى الأرض التي خلق
منها وعاش فيها ، فاستقبلته القرية كلها
بالنحيب والعويل ، وحزنت عليه حزنا
لم تجد العزاء عنه حقبة طويلة

ثم أمسك الحاج عن الكلام بعد أن عبر
بشفتيه وكفيه عن معنى سبقه إليه القائل :

وا رحمتا للغريب بالبلد النازح

ماذا بنفسه صنما

فارق أحبابه فما انتفعوا

بالعيش من بعده ولا انتفعا

عمرين والزيات

المظلة

لِلْقِصَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ دِي مِيَا

بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ عَلِيٍّ أَرْهَمَ

وكان ردها الدائم عليه قولها « خير لنا أن نأخذ بالأحوط ، فنحن لا نعرف ماتأني به الأيام »

وكانت امرأة ضمرة أنيقة ذات غضون في الأربعين من عمرها غريبة الأطوار ، وكان زوجها ماينفك غاضبا من المتاعب التي تفرضها عليه وبخاصة من بعض الحوادث التي جرحت فيها كبرياؤه

وكان يشغل وظيفة رئيس الكتبة في وزارة الحربية ، وقد احتفظ بهذه الوظيفة نزولا على رغبات زوجته ، وكان ذلك يزيد في الفائض من دخلهما ، وقد ظل يذهب إلى ديوان الوزارة في السنتين الأخيرتين حاملا مظلة قديمة مرقعة كانت مشار سخرية زملائه من الكتبة وهدف تندرهم ، ولم يستطع في النهاية الثبات لمزاجهم ، وأصر على أن تشتري له مدام أوريل مظلة جديدة فوظفت ثمانية فرنكات ونصف فرنك في شراء

كانت مدام أوريل مطبوعة على الاقتصاد عارفة بالقيمة الحقيقية للسنتيم ، وقد حفلت جمعيتها بالحكم الصارمة التي تحض على مضاعفة النقود ، وكانت خادماتها لا تجد من السهل الهين أن تزيد في دخلها كما كان المسيو أوريل يلقي صعوبة شديدة في انتزاع مصروفه الخاص من زوجته ، وبالرغم من أن الزوج والزوجة كانا ميسورين وليس لهما أولاد فقد كان يشق على مدام أوريل ويحز في نفسها أن تفارق فضتها اللامعة ، وكأما كانت كل قطعة من النقود تعتمر من صميم قلبها ، وكانت كلما استلزمت الظروف بعض التوسع في الإنفاق باتت مسهدة الجفن مساوبة الرقاد

وكان المسيو أوريل كثيراً ما يقول لها « إنك في الواقع تستطيعين أن تبسطي كفك بعض البسط فنحن لا نعيش العيشة المناسبة لدخلنا »

مظلة كان قد عرضها للبيع أحد المحال الكبيرة من قبيل الإعلان ، وقد تناثرت في باريس ألوف من هذه المظلات وسرعان ما عرف ذلك الكتبة حين رأوا المظلة الجديدة فازداد ضحكهم علوا وعانى أوريل الآلام والفصص ، وظهر أن شراء المظلة كان صفقة خاسرة فقد عاث فيها البلى بعد ثلاثة أشهر ، وكان ذلك موضع دهشة موظفي الوزارة جميعا ، وقد نظمت فيها الأغاني التي كانت تسمع في شتى أرجاء الديوان من الصباح إلى المساء

وفي نوبة من نوبات الغضب أمر أوريل زوجته أن تنفق عشرين فرنكا في شراء مظلة جديدة مصنوعة من أحسن أنواع الحرير وأن تستحضر الإيصال الذي يثبت ذلك ، فساومت على مظلة بثمانية عشر فرنكا وناولتها زوجها وقد لاح في أساريرها الهم والكمد

وصاحت به قائلة « لا بد أن تبقى معك هذه المظلة على الأقل مدة خمس سنوات »

ونجح صاحب المظلة الفرح الجذلان نجاحا باهرا في ديوان الوزارة ، ولما عاد إلى المنزل في المساء رمت زوجته المظلة بنظرة قلقة وقالت له « من الخير أن تحافظ على مظلتك فإنك لن تراني مسرعة إلى شراء

مظلة أخرى لك »

وتناولت المظلة من يده وفكت زرارها ونشرت ثناياها وحينذاك استولى عليها الفزع فوقفت وأخذت تبحث في المظلة ، فقد كان في منتصف المظلة خرق مستدير صغير الحجم يبدو أنه من أثر حرق طرف سيجارة

وقالت له وقد كادت أنفاسها تتقطع « أنظر إلى هذا الحرق ! » فسألها زوجها قائلا في هدوء « ما الخبر ؟ وماذا تقولين ؟ »

وكان الغيظ يخنقها فقالت متعثرة « أنت ... أنت ... لقد حرقت ... وأوجدت ثوبا في ... في مظلتك ... أنت .. لا بد أنك مجنون ... أتريد خراب بيتنا ؟ » فشعر زوجها بالدم يغلي ويفور في خديه واستدار وقال متعجبا « ماذا تقولين ؟ » « أقول لك إنك قد أحدثت ثوبا في

مظلتك الجديدة ، أنظر إليها » واندفعت نحوه كأنها همت بصفعه وألقت الثقب الصغير المستدير تحت أنفه ، فنظر إليه خائفا وجلا وتمتم قائلا « كيف حدث هذا ؟ إني لا أعلم عنه شيئا ، وإني أقسم أنه ليس من صنعى ، ولا أستطيع أن أفهم جلية الأمر »

فأجابته زوجته قائلة « إني أعرف !

وإني أراهن على أنك كنت تبحث بها في الديوان وتفتحها وتعرضها للأنظار» فقال لها: — «الواقع أنني فتحتها مرة واحدة وكان ذلك لأريهم جمالها ، وأؤكد لك أن هذا هو كل ما في الأمر»

فضربت الأرض برجليها غاضبة ، وعاملته تلك العاملة التي تجعل الرجل المسلم يرى موقده المنزل أمنع من ساحة قتال يتساقط فيها الرصاص

وأصلحت الثقب بأن وضعت فيه قطعة من الحرير من مظلة قديمة كان لونها يختلف عن لون المظلة الجديدة

وفي صباح اليوم التالي خرج أوريل قاصدا الديوان حاملا كنزه المرقع وهو في صورة من أدبته العقوبة ، ووضع المظلة في صوانه وأخفاها

ولما عاد إلى منزله في المساء انتزعت زوجته المظلة من يده . وما كان أشد رعبها من النظر المحزن الذي رآته عيناها ! فقد كان غطاؤها ممتلئا بالثقب الصغيرة ، وكان من الواضح أن هذه الثقب من أثر الحرق ، وكأنما أفرغ فوق الغطاء الحريري رماد ملتهب من غليون ، وكانت المظلة قد فسدت فساداً لا يرجى إصلاحه ، فنظرت زوجته إليه وقد عقد الغضب لسانها ، وأخذ زوجها يفحص المظلة وقد أزاغ بصره الخوف

والفرع ، وتلاقت نظراتهما ، فغض طرفه ، وصاحت به زوجته قائلة — وقد أعادت إليها نوبة الغضب القدرة على الكلام — «أيها التعس ! أيها الشقي النكوب ! لقد تعمدت أن تفعل هذا ، ولكنني سأعاقبك ، ولن تكون لك بعد اليوم مظلة»

ومثلت معه فصلا جديدا . وبعد ساعة من هدوء العاصفة سمحت له بالإصغاء فأقسم لها أنه لا يعرف كيف وقع هذا ، ولا بد أنه من أثر الغيرة أو حب الانتقام . ودق جرس الباب فأنقذ الموقف ، وكان القادم صديقاً قد دعى لتناول العشاء ، وعرضت مدام أوريل الأمر عليه ، وذكرت له أن شراء مظلة أخرى أمر خارج عن الموضوع ، وأن زوجها لن يكون له بعد اليوم مظلة ولكن الضيف وجه إليها اعتراضاً حكيماً قائلاً «في هذه الحالة يسرع البلى إلى ثيابه ويكون ذلك أخطر وأدعى للخسارة» فأجابت الزوجة الصغيرة الجرم وهي لا تزال غاضبة حائرة «حسن ، يستطيع أن يحمل مظلة الخادم ، ولن أحضر له مظلة من الحرير»

فأثار ذلك ثائرة أوريل فقال «في هذه الحالة أنذرك بأنني سأقدم استقالتي ، وليس هناك ما يدفعني إلى الذهاب للديوان حاملا مظلة خادم»

قتال الضيف » ولم لا تصلح المظلة ؟
إنها لا تكلف كثيرا »

فأجابت مدام أوريل في عنف وحدة
« إن ذلك يقتضى دفع ثمانية فرنكات على الأقل ، فإذا أضفنا ذلك إلى الفرنكات الثمانية عشرة كان المجموع ستة وعشرين فرنكا من أجل مظلة ، وهذا شئ لا يحتمل ، إنه جنون »

وكان صديقها رجلا فقيرا ، فألهم فكرة جعلته يقول « يمكن الحصول على المبلغ من شركة التأمين ، فالشركة تدفع تعويضا لكل ما يحرق على شريطة أن يكون الحريق قد أصاب ما تملكه »

وكان هذا الإيحاء مثل السحر ، فبعد تفكير لم يستغرق أكثر من دقيقة خاطبت مدام أوريل زوجها قائلة « غدا في طريقك إلى الديوان تأخذ معك المظلة إلى شركة التأمين وتريهم هناك ما أصاب المظلة وتطلب التعويض »

فوثب السيو أوريل وقال « لن أجتري على مثل هذا العمل ، والمسألة لم تتجاوز ثمانية عشر فرنكا وهو مبلغ لا يحملنا خسارة متلفة »

ولحسن حظه كان الطقس معتدلا في اليوم التالي فذهب إلى الديوان حاملا عصاه ولم تنقطع مدام أوريل وهي منفردة في

المنزل عن التفكير في الفرنكات الثمانية عشرة التي فقدتها ، وكانت المظلة ملقاة على الخوان في حجرة الطعام وظلت تحوم حولها دون أن تقطع برأى في الموضوع ، وقد تملكها فكرة شركة التأمين ، ولكنها كانت تخشى نظرات كتبة الشركة الساخرة وكانت ممن يستولى عليهم الخجل في المجتمعات . وكان من عادتها أن أتفه شئ يجعل وجنتيها تحمران ، ولم تكن ترتاح إلى محادثة الأجانب ، ولكن حزنها من أجل الفرنكات الثمانية عشر كان يحز في قلبها كحز الموسيقى ، وعبثا حاولت أن تبعده عن فكرها ، وكانت ذكرى هذه الخسارة ما تنفك تلذعها فاذا تفعل ؟ وتتأبعت الساعات وهي لا تزال في تردد ؛ وفجأة عقدت العزم على العمل مثل الجبان الذي استجمع شجاعته وقالت :

« سأذهب إلى الشركة وأرى ما يحدث »
وكان لا بد من تناول المظلة قبل كل

شئ حتى تبدو السكارثة غير قابلة للإصلاح وتقتنع الشركة ، فأحضرت من رف الموقد عود ثقاب وحرقت ثقبا واسعا كحجم كفها بين جانبين من جوانب المظلة ولفت بقايا الحبر وشدت حولها رباطا مرنا وتلفعت بالشال ووضعت القبعة على رأسها وهزولت إلى شارع دي ريفولي ، وكانت إدارة شركة

بالبثانية والعشرين فرنكا ، ولكنها استمدت
الشجاعة من تفكيرها في المبلغ كله ،
وصعدت السلم وهي تلهث وتقف عند كل
درجة ودقت الباب في الطابق الأول ،
فأمرها بالدخول صوت رنان ، فدخلت إلى
حجرة واسعة كان بها ثلاثة رجال مجتمعين
ومستغرقين في مناقشة خطيرة

والتفت أحدهم إليها وقال « مالذي
أستطيع عمله من أجلك يا سيدتي ؟ »
فوجدت صعوبة في استحضار الكلمات
وتلتمست قائلة « لقد جئت . . . بسبب
حادثة »

فأوماً الرجل في أدب إلى كرسي وقال
« تفضلي بالجلوس يا سيدتي ، سأكون
طوع أمرك بعد دقيقة أو دقيقتين »
واستؤنفت المناقشة التي اعترضها
دخول السيدة

وقال المدير « في الحالة الخاصة بكم أيها
السادة لا تعد الشركة نفسها مسؤولة عن
دفع مبلغ يتجاوز أربعمائة ألف فرنك ، ولا
نستطيع أن نقر طلبكم دفع مائة ألف
فرنك علاوة على ذلك ، وفضلا عن ذلك
فإن هناك التقدير » ...

فقال أحد الرجلين الآخرين « هذا
يكفي ، والقضاء سيفصل في الموضوع وليس
هناك حاجة إلى إطالة المناقشة »

التأمين بهذا الشارع ، وكما اقتربت مدام
أوريل من إدارة الشركة كانت خطواتها
تتقاصر فماذا تقول في الشركة ؟ وما الرد
الذي تتلقاه ؟ وأخذت تنظر الأرقام الموضوعة
على الأبواب ، وكان لا يزال بينها وبين
إدارة الشركة ثمانية وعشرون منزلا ، وقد
أتاح لها ذلك فرصة للتفكير فتجهلت في
السير حتى فاجأها باب كتب عليه بحروف
كبيرة « شركة التأمين ضد الحريق » فاختلط
عليها الأمر ، واعتاقها الخجل ، وترددت
لحظة ، وتقدمت إلى الأمام ثم عادت
أدراجها

ولكنها قالت لنفسها « لا بد مما ليس
منه بد ، وكما كان الأمر أسرع كان
ذلك أحسن »

ولما اجتازت المدخل ودخلت الإدارة
شعرت بأن قلبها ينبض نبضا عاليا وتقدمت
من رجل كان يمر من الحجرة الرحبة حاملا
بعض الأوراق

وقالت له في صوت خفيض مضطرب :
« معذرة يا سيدى ! هل تستطيع أن تدلنى لمن
أقدم طلب التعويض عن الحريق ؟ »

فأجابها بصوت رنان « الدور الأول
إلى اليسار ، فهناك القسم الخاص بالحوادث »
وزادها جوابه اضطرابا حتى ودت أن
تنطلق دون أن تنطق بكلمة واحدة وتضحى

الشركة تعويضات لمثل هذه الخسائر الطفيفة؟
وقالت للمدير وهي تتعثر في الحديث
« أنظر ، لقد حرقت »

فأجاب المدير دون أن يحاول أن
ينقض كلامها « هذا واضح »

وهنا خذلتها الألفاظ ، فقعدت وهي
لا تكف عن التحديق فيه حتى أدركت
فجأة أنها لم تذكر له اسمها .

فبادرت إلى إخباره أنها مدام أوريل
وقالت « لقد أخذنا منكم صك تأمين وأريد
أن أطلب بتمويض »

ولما كانت تتوقع الرفض البسات
استدركت قائلة « إنني لا أريد سوى عمل غطاء
جديد للمظلة »

فعارض المدير قائلاً وقد حار في أمره
« إننا يا سيدتي لا شأن لنا بالمظلات ، ولسنا
نقوم بإصلاحات من هذا القبيل » .

فشعرت المرأة القميئة بأن حب
الكفاح الكامن في نفسها ينبعث ويتجدد
وكان لابد من وقوع معركة ، ولقد كانت
متأهبة لخوض غمار هذه المعركة ، فقد أفرخ
روعها وسرى عنها

« إنني لا أطلب إلا بدفع تكاليف
الإصلاح ، وإنني أستطيع أن أضع لها بنفسى
الغطاء الجديد »

فبدت على المدير الحيرة والدهشة

وبعد تبادل التحيات انصرف الرجالان ،
ولو كانت واثها الشجاعة لتبعتهما
وضحت مسرورة بكل شئ ، ولكن
الفرصة أفلتت منها ، فقد أتجه إليها
المدير وقال لها بعد الانحناء « إنى فى
خدمتك يا سيدتى »

فبدت جهداً لتتنفس وقالت فى صعوبة
« لقد جئت ... جئت من أجل هذا »

فنظر المدير فى دهشة إلى الشئ الذى
عرضته لنظره ، وأخذت أصابعها المرتعشة
تتحسس الرباط المرن ، ونجحت بعد
محاولات فى فك عقده وأخرجت بقايا
المظلة الممزقة

وقال المدير فى عطف وإشفاق « يبدو
أنها فى حالة سيئة »

فقالت وهي تحاول جس النبض « لقد
كلفتنى عشرين فرنكا »

فبدت على المدير علامات الدهشة
والاستغراب

« حقيقة ؟ هذا المبلغ كله ؟ »

« نعم ، لقد كانت مظلة ممتازة ، وأريد
أن ترى بنفسك حالتها »

فقال المدير « لا شك فى ذلك ، ولكنى
لم أستطع أن أتبين بعد ما علاقة ذلك
يعمل ؟ »

فوجف قلبها وساءت نفسها هل تدفع

وأدرك المدير أنه لن يتخلص من إلحاحها دون أن يضيع اليوم كله فقال مستسلماً « تفضلى واذكرى لى أيضا كيف وقعت الحادثة ؟ »

فبدأت تروى القصة وقد وثقت من النصر

« لقد وقعت الحادثة على النمط الآتى ياسيدى ، ففي قاعة المنزل حامل برزى للمظلات ، وقد عدت أمس ووضعت المظلة على الركيزة ، وفوق هذه الركيزة رف صغير للشمع والثقاب ، ومددت يدي وأخذت أربعة عيدان ثقاب ، ولم يشتعل العود الأول ، ولمع العود الثانى وانطفأ وكذلك العود الثالث »

فقال المدير مازحا « أظنها من عيدان الثقاب التى تصنعها الحكومة ؟ »

فأجابت دون أن تلقى بالها لفكاهته « يمكن أن يكون ذلك. والأمر المهم أن عود الثقاب الرابع أشعل الشمعة ، وآويت إلى حجرتى ونمت فى فراشى وبعد انقضاء ثلث ساعة ظننت أننى أشم رائحة حريق ، وأنا دائماً أخشى النار ، فإذا وقع فى منزلنا حريق لا يكون الخطأ منى ، ومنذ احتراق المدخنة الذى حدثتكَ عنه وأنا أعيش فى خوف شديد ، ولذلك قمت من الفراش وغادرت الغرفة وبحث فى كل مكان، وكنت

« إنها فى الواقع ياسيدتى مسألة هينة ، ونحن لا يطلب منا تعويض عن مثل هذه الحوادث النافية ، وأظنك تسلمين بأننا لا ينتظر منا أن نقدم تعويضات عن الناديل والقفازات والمكانس والخفاف القديمة وما إلى ذلك من الأشياء الصغيرة المعرضة للحريق فى أى وقت »

فشعرت بتدفق الدم فى وجنتيها لاشتداد غضبها وقالت :

« فى ديسمبر الماضى حرقت ياسيدى مدخنتنا وكلفنا إصلاحها خمسمائة فرنك ولم يطلب المسيو أوريل من الشركة ملياً واحداً فمن العدل أن تدفع الشركة نفقات إصلاح المظلة »

فابتسم المدير عند سماعه القصة المحترقة وقال : « أظنك ياسيدتى لاتنكرين أنه مما يشير إلى العجب أن المسيو أوريل بعد أن أمسك عن المطالبة بدفع نفقات إصلاح المدخنة التى بلغت خمسمائة فرنك يطلب تعويضاً قدره خمسة فرنكات أو ستة لأجل مظنته »

ف قالت له فى غير مبالاة « أستميحك المعذرة ، إن الخمسمائة فرنك كانت تخص أوريل ، أما الثمانية عشر فرنكاً فإنها من جيب مدام أوريل وهو أمر يختلف كل الاختلاف »

الغطاء من الحرير الجيد المتين وأحضر لكم
قائمة بالنفقات ، أيكفى هذا ؟
فقال : «حسن جدا ، لقد سويت المسألة
وهالك مذكرة للصراف الذى سيدفع لك
مصاريف الإصلاح»

وأعطاه بطاقة فقبضت عليها بيدها ،
وقامت من مقعدها ، وتمتت كلمات الشكر
وأسرعت بالخروج من الحجرة خشية أن
يغير المدير رأيه

وبعد هذا الانتصار أخذت تهادى
فى الشارع فرحة مبتهجة باحثة عن حانوت
نخم ، ولما عثرت على الحانوت الذى يبدو
أنه يطلب مصروفات باهظة لإصلاح المظلة
دخلت فى جراءة وشموخ وقالت بصوت الأمر :
« أريد أن تصنعوا غطاء لهذه المظلة
من أحسن أنواع الحرير ، واستعملوا أرقى
صنف عندكم فأنى لا أبالى بالتكاليف »
على أرهم

أشم مثل كلب الصيد ، وأخيراً كشفت
أن مظلتى كانت مشتعلة ، ولا شك فى أن
أحد عيدان الثقاب قد سقط بين ثناياها ،
وأنت ترى حال المظلة ..

فأحنى المدير رأسه لما ليس منه بد وقال
« وما مقدار المبلغ الذى تطالبين به
ياسيدتى ؟ »

فلم تجترى على ذكر المبلغ الذى تريده
وظلت صامتة

وأخيراً قالت وهى تحاول الظهور
بمظهر الكريمة المتسامحة « إنى أترك ذلك
لك ، وتستطيع أن تصلحها لى »

فقال : « إننا لانتطيع أن نفعل ذلك ياسيدتى .

تفضلى فاذكرى المبلغ الذى تريدينه »
قالت « ولم ذلك . . . إنى أظن . . . لا
ياسيدى ، إسمع لى ، إنى لا أريد الكسب
على حسابكم ، إنها أعدل الطرق ، سأحمل
المظلة إلى أحد الحوانيت ، وهناك أطلب عمل



كل شيء على ما برأه

للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

الخاوية مصباح بلا زجاجة ، مخنوق الأنفاس .
كأنه محتضر ، يحتم بينه وبين الحائط وعاء
من النحاس مهيب الظاهر ، وكوز من
الصفائح : ويرعى ظلها على الحائط القديم
كالخا قبيحا يرتجف بارئجاف الذبالة . وحصير
مفروش اقترشه صبيان كنت أحدها ،
ومن فوقنا غطاء غليظ من صوف الغنم
تخرق في عدة مواضع ، وكانت رجل أخى
النائم خارجة من أحد هذه الخروق . وجمالة
للثياب عليها بعض خلقان . وأشياء أخرى
لست أذكرها الآن . وشئ آخر لم أنسه
لأنه أهم من كل ما رأيته . . ذلك هو شبح
أمي !

كانت متربعة في جلستها كالتي فرغت
من الصلاة ، رافعة وجهها إلى السماء
وكفاها مبسوطتان . كانت تدعو وتبتهل
وكان دعاؤها متهدجا غامضا معظمه همس ،
لكنه يبعث في القلب رهبة ومخاوف .
ولعل أقوى سبب لما أحسسته من دعاها
أننى تلفت فرأيت مكان أبى من الحجرة

رأيت الذين تجتنبهم الأخطاء إليها
نومهم راغمون يحرصون كل الحرص على أن
يجنبوها سواهم من الأحباب ما استطاعوا
إلى ذلك سبيلا . .

وكانت هذه هى قصتى مع أبوى . .
قصتى التى جعلت أستعيد أحداثها حلقة
حلقة حتى قطعها على انفجار أعقبته طلاقات
مدافع رجفت بها الأرض وقعت السماء ،
ثم تأهبت الإسكندرية بعدها لتقاسى ليلة
من ليالى الهول ، فى تلكم الحرب الأخيرة

أما نقطة البدء فى القصة فإنها ترجع
إلى خمسة عشر عاما . ليلة أرقنى شئ لست
أذكر كنهه . وكنت إذ ذاك غلاما فى
العاشرة لأبوين ريفيين يجرى بهما مركب
الفقر فى خضم الوجود ، فلا تكاد شبكتها
تخرج بما يحفظ علينا الحياة . ووقعت عيناى
اللذان أثقلهما النوم على منظر جاشت له
نفسى فى تلك الليلة :

كان هناك على قبة الفرن فى الحجرة

خاليا ، وعرفت أن الليل قد تقدم نحو الصباح من تصايح الديكة على سطحنا وسطوح الجبران

وكان دعاؤها ينقطع بين الحين والحين حتى إذا ما استأنفته بدا أنه مخنوق بالدموع ، وكان منديل رأسها متأخرا إلى الوراء ، فهو على وشك السقوط لولا أن الضفائر ممسكة به ، فبدت حاسرة الرأس كأنها جزعة أو كأنها موشكة على الصراخ

وفي دعاؤها عبارة تتردد كثيرا كانت تطلب بها من الله الستر . ثم كفت برهة وخرجت إلى باحة الدار كأنما لتفتش عن شيء ، فأتاحت لي فتحة الباب أن أسمع هواء الخريف الأرعن وهو يعاين أعواد الحطب على أعالي الجدران

ثم عادت أمي واستأنفت ما كانت فيه وعدت أنا إلى التأمل والاستغراق والتفكير في الموقف ومراقبة الظلال الداكنة على الجدار القديم وهي تتراقص بتراقص الذبالة وأنظر إلى رجل أخي الخارجة من الغطاء المخروق ، فأكتم ضحكة تراودني رأيتها غير منسجمة مع كآبة ما تقع عليه عيناى وسمعت طرقة على الباب الخارجى أيقنت معها أن الموقف في طريقه إلى الوضوح وأن النعمة قاربت أن تنكشف . وخرجت أمي تتعثر في أذيالها لتفتح ، وانفرج باب

القاعة مرة أخرى ، فتناهى إلى سمى أزيز الحطب . ثم دخل الشيخان من باب القاعة ثم أغلق الباب . . ثم ارتجت الأرض من رمى شيء ثقيل كأنه حمل ، ثم سمعت أنفاس الرجل مضطربة مبهورة . . ولم أستطع بعد ذلك أن أتبين ما حولى بتفاصيله ، لأن المصباح انطفأ عند دخول أبوى وانفتاح الباب فتحة كاملة سمحت لنسيم الليل أن يتدفق نحو الداخل

وجعلت أمي تفتش عن علبة الثقاب فلم تهتد إلى مكانها فسمعتها تهمس لأبى قائلة : لا داعى للعناء ، ما عدنا بحاجة إلى النور . . هل سننظم عقدا ؟ .. لا . . ولا نحن سنفرز ذهبنا من فضة . ولم يرد عليها أبى بكلمة لأن أنفاسه لم تعد سيرتها الأولى . وسعل مرتين أو ثلاثا ثم اطمأن . وخيم علينا سكون كأنه قطعة من الأبدية ، وصاح ديك في الخارج ومد صيحته في تألق وإصرار كأنما يؤكّد للناس أنه رأى وجه النهار ، فسمعت عندئذ أبى يتهد ويقول : الحمد لله . . وصلنا في الوقت المناسب . قالت أمي : وهل وجعك ظهرك ؟ فأجاب : قليلا بالنسبة إلى ثقل الغرارة . . لم أكن آمل أن أعود بهذه السرعة لأن الروماتزم قسا على في الشهر الأخير ! قالت أمي لم أفتر لحظة واحدة منذ خروجك عن أن

سجن لأنه سرق وكبنا نعيم ابنه به إذا
ما شرس علينا أو تكبر أو اعتدى .. ثم ...
لفنى النوم كما يلف كل الأحياء

وفي ضحى اليوم التالى رأيت أمى تقبشر
الذرة بوجه باسر وأعصاب هائجة . كانت
كأنها تجهز ميتا لا تجهز طعاما . وكنت
أدنو منها وأنظر فى عينها فلا أرى فيهما
إلا نقمة وثورة وتوقعا لمكروه
على أن ذلك كله لم يمنعنا عن الطحن
والخبز وأكل الحرام لأن البطون لا تعترف
بمعجز الأيدى كما قلت لك . ولم أستيقظ فى
الليل مرة أخرى ولكننى رأيت فى النهار
ذرة تقشر فأيقنت أن أبى عاود السطو لأنه
لا يزال عاجزا عن حمل الفأس ولم يستدعه
أحد . فمن أين تأتينا النقود؟! وأخى صغير
وأنا لا أساعد أبى لأننى فى المدرسة ويتمنى
أبى أن أحفظ القرآن

وتشاجرت مع مبارك بن شعبان ليلة
من الليالى فضربنى لأنه أقوى منى ثم فر إلى
دارهم حتى لا يدركه الثأر ، فدخلت على
أبوى صاخبا يا كيا فلما سألنى ما خطبى
قلت لهم إن ابن (الحرامى) ضربنى وجرى
فأحسست أن أبى يسترضينى بالنيابة عنه
كأنما يريد أن ينهى الموضوع . لكن
ثورتى كانت لا تزال حادة مشبوبة فقلت

أطلب من الله الستر ، وأحمد الله فلتقد
استجاب . قال أبى وهو يغالب ضحكة :
هذا هو نفس ما فعلته فى الحقل وأنا أخلع
(كيزان) الذرة من الأعواد لأضعها فى
الغرارة ، كنت أطلب منه الستر أولا
والعفو ثانيا ، غير أنى كنت أخشى شيئا
واحدا وأنا أطلب الستر ، وذلك هو أن
يكون صاحب الحقل قد طلب من الله
نفس الطلب ، وأن يكون الله قد استجاب
فتقع الكارثة وأضبط متلبسا بجريمة السرقة
وأخذت الأمور تتضح أمام بصيرتى
وأنا مستلق على ظهري تحت الغطاء القديم
فرجعت إلى المسألة من أولها :

إن أبى عاجز منذ شهرين عن أن يحمل
الفأس لذلك فإن أحدا من الناس لا يستدعيه
ليعمل فى حقله بالأحر . الرومازم الزمن
سيطر على ظهره ... فى موضع الحزام تماما
فأقعدته عن الكسب . ولما كانت البطون
لا تعترف بمعجز الأيدى عن تحصيل القوت
فلا تكف عن الطلب فإن الرجل لجأ آخر
الأمر إلى أن يسطو على حقل غيره فى ظلمة
الليل ، ولم يستطع الرومازم أن يقعدده عن
حمل غرارة ثقيلة والسير بها مسافة طويلة

قلت بينى وبين نفسى : كان أبى يسرق!
أجل . كان يسرق مع أن السرقة (عيب)
بدليل أن (شعبان) والد زميلى (مبارك)

صارخا : أليس أبوه لصا ؟ ... ألم يسرق
خروف على المنوانى ؟! له يوم !

ولطمتني أمي على خدي فحملت
مستغربا ... لكنني أققت !! وسرعان
ما ذكرت أن دارنا من زجاج وإن غاب ذلك
عني . ثم ذكرت ليلة الأرق وما حدث فيها
فأمسكت أنفاسي وكظمت غيظا يخالطه
خزي حتى سمعت أبي يقول وهو واضع كفه
على ظهره : لا تعير أحدا يا بني فربما عيرت
معذورا !

لكن الحوادث شاءت أن تلقى على
درسا جديدا فلقد التمت أنا ومبارك بن
شعبان في ملعب الصبيان بعد أسبوع واحد
فما وقعت على عيناه حتى ابتدرني قائلا :
« أهلا بابن أبو غرارة » وضحك الصبيان
وفررت أنا أجرى إلى الدار

أما معنى ذلك فإن أبي ضبط متليسا
بالسرقة وكان منظره في تلك الليلة يثير
الضحك والدموع . فقد أبي صاحب الحقل
إلا أن يسوقه إلى الخفر وهو يحمل المسروق
فراى الناس رجلا متألما خزيان باكيا يمسك
الغرارة بيد ويمسك موضع الألم من ظهره
باليد الأخرى ، ويتلقى اللطمات والركلات
والشتمات صامتا صابرا !

ثم لقي النهاية الطبيعية التي يلتهاها كل
خارج على القوانين الموضوعية . لكن إقامتنا

في القرية أضت عسيرة لأننا أحسنا أنا
فقدنا شيئا تتمذر الحياة بدونه ، وذلك هو
الشرف

وأقدمت أمي على عمل حاسم فإنها
رحلت بنا إلى الإسكندرية حيث بعض
أقاربها هناك ونجح مسعاها فاشتغلت خادما
في أحد المستشفيات ، وودعنا القرية في
غياب أبي حتى إذا ما قضى مدة الحبس لحق
بنا . وألفيناه متعبا مكدودا وبقي كذلك
فترة من الزمن ثم زاول في المدينة عملا
لا يحتاج إلى تعلم . . . عملا قريبا من خفر
الأرض أو حمل الفأس وإن كان وظيفة
« مدير » . . . يدير معصرة قصب في أحد
الدكاكين ويلبس « مريلة » على الجلباب
ويرفعه عن الأرض قبتاب عال ويستعمل
المكنسة بين آن وآن وينقل الأعواد قبل
المصر وبعده إلى الداخل والخارج

وجعل أبواي بعد هذه الحادثة يلقتنا
في كل مناسبة أن الجوع خير من السرقة
وأن الشرف أعلى من الذهب . وتعرضت
حياتنا بعد ذلك لأزمات عولجت طورا
بالصبر ، وطورا بالاقتراض وطورا بالفرار
من الأزمة بتأجيل حلها حتى تعرضت أنا
لنفس التجربة فأخذت أستعيد كل
ماقصصته عليك ...

حتى قطع على أفكاري انفجار أعقبته

واستولت على الفكرة فعجبت لنفسى إذ
رأيت فيها شابا يحرس المال من غيره ثم
لا يدفع عنه عدوان يده ، تفجّلت

وغابت عني كل الصور إلا صورة
واحدة ... صورة رجل يمسك غرارة بيد
ويمسك موضع الألم من ظهره باليد الأخرى
وهو مسوق إلى مخفر الشرطة . ثم صورة
أسرة هاجرت من القرية لأنها فقدت شيئاً
تعذرت عليها الحياة بدونه . فتنهدت .
وكانت الفرقة قد كفت منذ مدة وأطلقت
صفارة الأمان فأضيئت الأنوار

ودخلت إلى المحل وجعلت أتلفت في
كل صوب لأطمئن على مافيه ، ومضت برهة
رأيت بعدها صاحب المال واقفاً على العتبة
وهو يسأل مخلصاً آمناً : هل كل شئ على
مايرام يا صديقي ؟ فأجبت باعتزاز الشرفاء :
أجل ... أجل ... كل شئ على مايرام !

محمد عبد الحليم عبد الله

طلقات مدافع ، ثم تاهبت الإسكندرية
بعدها لتقاسى ليلة من ليالى الهول ...

وكان أبى طريح الفراش والأسرة في
حاجة إلى أشياء كثيرة ، وكنت وحدي
في المحل التجارى الذى أعمل فيه بعد أن
تركنى صاحبه أول الليل لثقتة بى ، ولحاجة
عرضت له . وكل شئ أمامى ... حتى
المال !!

واستبد بى الأمر وضيق الحاجة على
الحناق ، وبدأت أقنع أن البطون لا تعترف
بمعجز الأيدى وأنه لا بد من الإقدام .
وهمت وأنا أطلب من الله الستر ! لكن
المدافع أطلقت وأصبح من الحتم أن أطفى
الأنوار ، فساد الظلام !

ولشد ما تغيرت بعد ذلك فكرتى عن
الموضوع . أنزلت نصف الباب ووقفت في
بقية الفتحة أرعى الأمانة وقد خيل إلى أن
لصوصاً عسديدين سيهاجمون المحل وأن من
حق صاحبه على أن يدفع عنه أيدي الواعلين



حياة

للمصطفى الفرسى محمد بن موسى

بقلم الأستاذ لبّ السعيد

إن « جان » لا تعرف إلى الآن ماذا تأخذ من الأمتعة وماذا تدع ، فبيتها الجديد بالغ الصغر ، ولهذا فأمر النقل يستغرق تفكيرها ... يحمل إليها مشغلة كاربة في حياتها الحزينة الخالية من الأمل تجولت « جان » من حجرة إلى حجرة تنشد قطع الأثاث التي تستثير المنسى من الأحداث . هذه القطع هي شطر من حياتنا بل هي بعض كيانتنا . لقد عرفناها منذ روق الشبية ؛ وقد ارتبطت في أيام من تاربخنا بذكرياتنا البهيجة أو الحزينة . هي من خلصائنا الصامتين في الساعات العذاب وفي الساعات الخالكة الإهاب . هذه القطع التي تطلبها « جان » قدمت واعتراها البلى : مخرق نسيجها ، وتمزقت بطاؤها ، وتهللت مشابكها ، وامحت ألوانها كانت « جان » تتخير القطع التي تريد اصطحابها واحدة واحدة ، وكان التردد

« جان » ابنة نبيل نورمندی ترى تزوجت عن حب من « الكونت دى لامار » ؛ غير أن حسها المفرط الرهافة لم يلبث أن أشعرها عثرة النصيب وضلة الأمل في زوج أنانى فظ ؛ ومن ثم فهي تسوق حنوها كله إلى « بول » وكأنما خلقت « جان » المسكينة للشقاء فهذا الابن العزيز « بوليه » كما تدعوه ، وقد بلغ مبلغ الرجال ، لا يألوها عذابا ألما ، فهو لا يكتب إليها من باريس حيث يعيش مع عشيقته إلا ليطلب مبالغ كبيرة من المال وإذا أشفت « جان » على الإفلاس فقد باعت كرها « لو بوبل » قصرها المنيف القريب من البحر ، حيث أمضت كل أيامها الذواهب . وها هي ذى بسبيلها إلى سكنى الريف في بيت أكثر تواضعا ، وها هو ذا القروى ابن خادمته « روزالى » قادم لينقل أمتعة البيت

يسيطر عليها ، وكانت مضطربة اضطراب
المقبل على اتخاذ قرار حاسم ، فهي تراجع
رأيها في كل لحظة ، مفاضلة مثلاً بين مزايا
كرسيين أو مكتب ذهب روائه وبين مزايا
نضيد للشغل غبرت عليه سنون . وكانت
تفتح الأدراج تلتمس ما يذكرها وقائع
مضت لسبيلها ، ثم تنشئ إلى نفسها قائلة :
« نعم ، سأخذ هذا » ، وعندئذ ينقل هذا
الشيء إلى حجرة المائدة

إنها جد راغبة في ألا تدع شيئاً من
أثاث مخدعها : سريرها .. الأبسطة التي
تكسو الجدران .. الساعة .. وكل شيء .
ومن حجرة الاستقبال جمعت « جان »
بعض المقاعد التي أحبت رسومها منذ صباها
الباكر ، هي رسوم تمثل قصص الثعلب
واللقلق ، والثعلب والغراب ، والصرصور
والنملة ، ومالك الحزين ...

وذات صباح ، بينما « جان » تطوف
بأركان هذا السكن الذي لن تلبث أيامها
فيه أن تؤذن بوداع صعدت إلى المخزن ،
وهناك امتلكها الروع ؛ هذى
أكداس من الأشياء من كل جنس ،
بعضها محطوم وبعضها محتفظ بجذته لولا
خبرة تكسوه ، وبعضها لا يدري أخذ فيم
جى به إلى هذه الحجرة . لعله لم يعد يسر
أحداً أو لعله استبدل به ...

وشهدت « جان » أشتاتا من دعى الزينة
الصغيرة التي جمعتها بها قديماً آصرة المعرفة ،
ومع ذلك فإنها لما اختفت فجأة لم تفكر
« جان » في اختفائها ولا فيما كانت تؤديه .
هذه الأسقاط التي طوى النسيان مساحبه
على ذكرها خمسة عشر عاماً ، والتي كانت
« جان » تراها كل يوم ولا تلاحظ أنها
تراها ، تظهر اليوم بغتة في المخزن
إلى جوار زميلات لها فتوقظ في قلب
« جان » ذكريات الأماكن التي تلقت هذه
الأشياء للمرة الأولى ...

وفجأة ، أخذت هذه الأشياء أهمية
شهود منسيين أو أخلاء عادوا بعدما ظن
ألا تلاقى ، وأضحى لهذه الأشياء الأثر
الذى يكون لأناس اصطفاهم المرء زماناً
طويلاً ، ثم ضربت الليالي بينه وبينهم ، ثم
على حين غفلة وعلى غير توقع عادوا يتحدثون
مسترسلين في الحديث كاشفين عما يملأ
جوانحهم من ود غير متهم

مضت « جان » تنتقل النظر من شيء
إلى شيء وفي القلب أوجاع ، وكانت تناجي
نفسها : « صه ! إنه أنا التي كسرت هذا
الفنجان الصيني ذات مساء قبل زواجي
بأيام قليلة » ، « آه .. هذا مصباح أمي
الصغير ، وهذى هي العصا التي كسرهما
أبي الشاب عندما أراد فتح باب الحديقة

الذي شقق المطر أخشابها «

وثمة أشياء كثيرة لم تكن « جان » عرقها ولا حفظت لها ذكرى ، أشياء تناورتها عن أجدادها الأدينين أو الأبعدين ، وأشياء علاها التراب نبذت هنالك في زمن غير زمانها ، وكأنها شجيرة لما تلقى من هجران ، أشياء لا يدري أحد تاريخها ولا النمايرات التي صاحبها ، ولم ير أحد هؤلاء الذين اخناروها واشتروها وملكوها وأحبوها ، ولم يعرف أحد الأيدي التي استعملتها في ألفة والعيون التي طالما ارتادتها واستطانتها

لست « جان » الكراسي ، ثم أعادتها ، فتركت سيقان الكراسي أثناء تحريكها خطوطاً . إن « جان » تحت ضوء النهار الباهت المنبعث من مربعات الزجاج المركبة في السقف تبحث عما إذا كانت هذه الأشياء تنشر ذكريات مطوية

وأقبلت « جان » على أشياء عتيقة تفحصها رجاء أن تجد لديها ذكريات ، فحفت حوضاً نحاسياً ومدفئة منزوعة القاع تمتد أن لها بها معرفة سالفة ، وكومة من المواعين التي لم تعد تستعمل . وفي آخر الأمر ، كانت « جان » قد جمعت قدراً من الأشياء التي ترغب في اصطحابها ، فلما نزلت من المخزن أمرت « روزالي »

بإحضارها ، وأبت الخادم ساخطة إحضار هذه « الأوساخ » ، ولكن « جان » التي لم تكن لها غالباً أية إرادة أصرت هذه المرة على رأيها ، وأوجبت الطاعة على خادمتها وفي أحد الأصباح ، حضر الفلاح الصغير بعربته لنقل الدفعة الأولى من الأثاث ، وصحبته « روزالي » تهيمن على النمل وتضع كل شيء موضعه . أما « جان » التي بقيت وحيدة ، فقد جمعت تنقل الخطى في أرجاء القصر ، وقد تسلطت عليها نوبة فظيعة من اليأس . وفي حرارة الحب المشبوب بين جوانحها كانت تقبل كل ما تعجز عن استصحابه : قبلت الطيور البيضاء في السجاجيد المزينة لجدران حجرة الاستقبال ... قبلت المصابيح القديمة ... قبلت كل ما صادفها ... وكانت في سيرها من حجرة إلى حجرة كالذي خولط في عقله ، وكانت عينها غارقتين في الدمع

وأخيراً ، توجهت تلقاء البحر لتقول له : « أستودعك الله »

كان ذلك في أديار سبتمبر ، والسماء الغائمة تحكي ثقلاً مطبقاً على الدنيا ، والأمواج الممولة الضاربة إلى الصخرة تمتد على مدى البصر ، و « جان » قائمة على الشاطئ الصخري تدير في رأسها أفكاراً ممضة وجن الليل على « جان » فأبت إلى

وبعد ساعة ، ظهرت العربية عند السور
ولم يكن مناص من تفرغها تحت المطر
ولما سجا الليل ، كانت الدار مضطربة
النظام تماما ، فقطع الأثاث التي تملؤها
ملقاة كيفما اتفق . أما « جان » التي أصابها
الإعياء فلم تأو إلى مضجعها حتى غشيها
النعاس

وفي الأيام التالية ، كانت « جان »
مثقلة بالسواعير والمشاكل ، فلم يكن لديها
وقت تمن فيه إلى ولدها المحب ، هذا إلى
أن تجميلها بيتها الجديد كان يشعرها بعض
السعادة ويطامن من شجائها ، وكان الأمل
في أوبة ابنها الغائب يراوحها ويغاديرها في غير
انقطاع . ولقد بسطت « جان » السجاد في
حجرة الطعام التي اتخذت منها حجرة استقبال
أيضا . أما الغرفتان الأخريان في الشقة
الأولى فقد نسقت إحداها بعناية . وسيطرت
على « جان » في ذات صدرها فكرة أن
تسمى هذه الشقة « شقة بوليه » ، وقد
احتفظت لنفسها بالغرفة الثانية ، وخصت
« روزالي » بغرفة أخرى في جوار
المخزن

كانت الدار الجديدة شائعة بعد إذ
نظمت بعناية ، وقد وجدت فيها « جان »
الراحة في الأيام الأولى ولو أنها كانت تحس
شيئا ينقصها ، شيئا مبهما لم تعرفه ولم تتبينه

قصرها وقد برحت بها الآلام أكثر مما
فعلت بها أي أحزان وجيعة
وحان يوم الرحيل ...

وفصلت العربية ، ثم وقفت بعد ساعتين
على جانب الطريق الفسيحة تجاه بيت صغير
مبني بالآجر ويتوسط بستانا زرعت فيه
الكثيرى بغير نظام ، وأقيمت في أركانه
تعاريش من الشجيرات والزروع المتسلقة ،
ومن حولها أحواض مربعة مزروعة
بالخضر ، تشقها مسالك ضيقة تحفها أشجار
الفاكهة ، ويطيف بالدار وما حولها سياج
عال بينه وبين المزرعة المجاورة حقل . وهناك
على بعد مئة متر دكان حداد ، وعلى بعد
لا يقل عن كيل تقوم الساكن . فأما
المناظر المجاور فمنظر سهل زاحف في أرض
« جو » تناثرت عليه الضياع وقد لفتها
أربعة صفوف مزدوجة من أشجار التفاح
وإذ بلغت « جان » البيت أرادت
للتستريح ، ولكن « روزالي » أبت عليها
ذلك مخافة أن تسترسل في أحلامها

وكان في « جودرفيل » نجار ، وها قد
أقبل لتنظيم الأثاث ، وشرع يعمل غير
منتظر ورود العربية الأخيرة التي يجب
الانتظار

كان الأمر مهما ويقتضى التروية
والتدبير

كتاب يقول فيه شاكرا : « لقد أسديت
إلى فضلا كبيرا يا أمي المزبزة ، فقد كنا
في بؤس بئيس »

ومع هذا ، فإن « جان » لم تطمئن إلى
« بانفيل » ولم تألفها قط . ويا طالما بدا لها
أنها لن تستروح النسيم كما كانت تفعل ،
وأنها بالقياس إلى ذى قبل تعاني وحدة
أحر وتسقى من هجران أمر

واعتادت « جان » أن تخرج كل يوم
للتروض حتى تبلغ ضيعة « فرنيه » ثم
تعبود ، ولكنها لا تعود إلا لنهض
ثانية وقد تملكها رغبة مستجدة في الخروج
كأنما نسيت الذهاب إلى حيث تحب أن
تذهب

كان هذا الشعور يعاودها مصبحة
ومسية ، وكانت لا تدرك سبب ما تحسه من
نقص عجيب ، ولكنها في إحدى الأمسي
وهي تهم بالجلوس إلى مائدة العشاء ندت
عنها عفواً عبارة كشفت سر الاضطراب
الذي يعتلج في دخيلتها ، قالت : « كم تهفو
نفسى إلى رؤية البحر ! »

إذن هو البحر . . . هو الشئ الذى
يعوزها ، إذن هو هذا الجار القديم منذ
خمس وعشرين سنة ؛ هو البحر بهوائه
الملج ، بغضباته ، بأصواته المزججة ، بنسماته
القوية ؛ هو البحر الذى كانت ترنو إليه

و ذات ضحى ، جاء كاتب المحامى
« فيكام » يحمل إليها ثلاثة آلاف وستمئة
فرنك ثمن الأثاث الذى خلفته في قصر
« لو بوبل » والذى قدر قيمته أحد
المتخصصين . وما إن تسلمت المبلغ حتى
تنفست تنفس الفرحه ، وما إن تركها
الرجل حتى أسرع فوضعت قبعتها منطلقة
إلى « جودرفيل » لتبعث إلى ولدها بهذا
المبلغ غير المرتقب . بيد أنها وهى تحت
الخطى في الطريق الكبير تقابل « روزالى »
قادمة من السوق . ومع أن الخادم لم تستيقن
الأمر فقد خامرها الشك . ولما أفضت إليها
بالحقيقة ، وكانت « جان » لا تحجب عنها
سرا ، وضعت سلتها على الأرض ليكنها
التعبير عن غضبها في يسر وكما تشاء ،
وضاحت الخادم وقبضتا يدها في خصرها ،
ثم أخذت بذراع « جان » حاملة السلة
يسراها ، وانكفأت بسيدتها إلى الدار
والغضب لا يسكت عنها ، حتى إذا دخلتا
الدار وأصرت الخادم على أخذ المبلغ أعطته
« جان » إياها محتفظة بستمئة فرنك .
وأدركت « روزالى » التى يراودها الشك
أن للمبلغ بقية ، واضطرت « جان » إلى
تسليم المبلغ عن آخره . على أن « روزالى »
أشارت بإرسال ستمئة الفرنك إلى
« بوليه » الذى ورد منه على أمه بعد أيام

مبهورة من دارها القديمة (لربوبل) . .
هو البحر الذى كانت تستنشى عبيره فى
الليل إذا يغشى ، وفى النهار إذا تجلى ،
والذى كانت تحسه قريبا منها ، والذى أنزلته
منزلة الحبيب كأنه إنسان ملؤه الحياة مافى
ذلك ريب

ومضت حياة « جان » وثبا . مضت
حزينة وعلى وتيرة واحدة . والسيدة فى
سكنها الجديد تنتظر أوبة « بوليه » قرة
عينها ، ولكنها لا ترى من « بوليه » إلا
طلبات النقود

وألقى إليها يوما كتاب منه يسألها فيه
أن تأذن له بالزواج من عشيقته . وهناك
قررت (جان) والهم يشغلها أن تستقل
القطار شاخصة إلى باريس

وانطلقت الصفارة الثانية إيذاناً بتحريك
القطار ، فانسابت العربات فى رفق أول
الأمر ، ثم فى سرعة أشد فيما بعد ، ثم فى
سرعة مزعجة أخيرا . وكان فى المقصورة التى
تتبعها فيها « جان » مقعدها رجلان اشتمل
عليهما النوم ، وقد أسندا رأسيهما إلى
ركنين فى المكان

وكانت جان ترسل نظرها فى الغيطان
والشجر والدساكر والقرى وهى مذعورة

من تلك السرعة ، شاعرة أنها مأخوذة إلى
حياة جديدة ، بل محمولة إلى عالم جديد لم
تبله فى شبابها الهادئ ولا فى عيشها الرتيب
وعندما بلغ القطار باريس كان المساء
قد أقبل ، وسار أحد الجمالين بحقيبة « جان » ،
وسارت هى فى أثره وجلة القلب متعثرة
الخطى قليلة الحيلة ، يعيها اختراق الجماهير
الماثجة ، وكانت من خلف الجمال تغذ السير
كأنما تهول مخافة أن يعزب عن ناظرها
حتى إذا بلغت إدارة الفندق ، بادرت
تقدم نفسها قائلة : « قدمت إليكم بتوصية من
السيد روسيل » ؛ وليكن مديرة الفندق ، وهى
سيدة ضخمة جافية ، سألت وهى جالسة
إلى مكتبها : « ومن هو السيد روسيل ؟ »
ومضت (جان) تقول وهى مستغربة : « إنه
موثق العنود بجو درفيل ، وهو ممتعود النزول
عندكم . » فأجابت السيدة الضخمة : « ربما ؛
ولكنى أجهله . أتريدن غرفة ؟ »

— نعم ياسيدتى

وأخذ النادل أمتعتها ، وصعد السلم

قدامها

كانت (جان) تحس انقباضاً موهلاً

فى قلبها . وحين جلست إلى نضد صغير دعت
إليها بحساء وجناح دجاجة ، فإنها منذ الفجر
لم تكن طعمت شيئا . وأكلت فى ضوء
شمعة . أكلت وهى تجمد الشجن فى قلبها ،

وتتناهى إليها أصوات غير مبينة كأنها
تنسل من جدران الفندق زحفاً ، وفي بعض
الحالات يتأدى إليها صوت أرضية تصر أو
باب يقفل أو جرس يدق

ولم يكد النعاس يدب في مفاصل
(جان) حوالى الساعة الثانية من الصباح
حتى رنت بغتة في حجرة مجاورة صرخة
من إحدى السيدات ، فاستوت (جان)
جالسة في سريرها . ولقد خالت بعدها أنها
تسمع ضحكات رجل . وكلما اقترب النهار
جمل التفكير في (بول) يأخذ عليها
أقطار فكرها ، حتى إذا تنفس الصبح
إرتدت ملابسها

كان (بول) يقطن في شارع
(سوقاج) بالمدينة ، وأرادت (جان)
أن يكون سعيها إلى هناك سيرا على القدم ،
أخذاً بتوجيهات (روزالى) الاقتصادية ،
وكان الجو صحو ، ولكن الهواء البارد كان
يقرص الجسد ، وكان الناس على الأفاريز
مهطعين ، وكانت (جان) تجدد السير
ماوسعها ذلك في شارع ، وكان عليها في
نهاية الطريق أن تنحرف عن يمين ثم
تنحرف ثانية عن شمال ، حتى إذا بلغت
ميداناً كان عليها أن تعاود السؤال عن
الطريق الذى تهجه ، ولكنها لم تهتد إلى
الميدان ، فاسترشدت خبازاً أدلى إليها بمعلومات

وكانت تهيج بها ذكريات كثيرة . إنها
تذكر مرورها بالمدينة نفسها وهى عائدة من
رحلة زواجها . . . نعم ، وقد بدت لها
يومئذ في باريس بالذات الشواهد الأولى
لطباع (جوليان) زوجها ؛ ولكنها آثت
كانت تلبس برد الصبا ؛ ولكنها آثت
كانت عامرة بالثمة وافرة بالحياة . فأما اليوم
فهي تحس أنقاض عمرها تتداعى ، وهى
تحس في نفسها اضطراباً وفزعاً ، وتحس في
قواها وهناً ، وتحس قلتما لا تعرف مأناه

ونفضت يدها من العشاء ، وجلست إلى
النافذة ، وأطلت على الطريق المكنت
بالخلائق ، وكان يشوقها أن تخرج ولكنها
لم تكن لتجرؤ على هذا ، فقد كانت تعتقد
أنها سوف تضل طريقها لا محالة . ولذلك
أطفأت النور ، وأسلمت جنبها إلى
المضجع ؛ بيد أنها لم تتم . نفى عنها الكرى
ضجيج الشارع ، والإحساس بالمجهول في
المدينة الكبيرة ، واللغوب الذى نالها من
الرحلة . ومرت الساعات ، وخشمت
الأصوات رويداً رويداً ؛ ولكن « جان »
لا تجد إلى النوم سبيلاً ، فيثير ذلك من
أعصابها . لقد ألفت في الريف الهدوء
الشامل والنوم العميق اللذين يخلو إليهما
هناك الإنسان والحيوان والنبات ، ولكنها
الآن تحس من حولها حركة غامضة ،

تخالف مألوسها . . واستأنفت السير وفق توجيهه فعميت عليها الطرق ، وتجولت وفق إرشادات جديدة فأنتهى بها هذا إلى أن ضلت سبيلها تماما

ومضت كالتي ألم بها طائف من جنون تمشى على غير هدى . ولا طالعها نهر السين كادت تدعو حوزيا ، ولكنها التزمت رضيف النهر . وبعد نحو ساعة أدركت شارع سوفاج ، وهو أشبه بحارة مظلمة ، ووقفت حيال أحد الأبواب ، وقد نال منها التأثير مبلغا لم يسعها معه إلا أن تقف لا تريم هنا ، في هذا المنزل كان « بوليه » . .

ومشت في جسدها رعدة هزت ركبتيها ويديها . . . وأخيراً دخلت ، وسلكت ممرا ، ورأت غرفة البواب ، فسألته وهي تمد إليه يدها بقطعة نقود : أيمكن أن تصعد إلى « السيد بول » لتبلغه أن سيدة عجوزا هي سديقة والدته تنتظره هنا ؟ فأجاب البواب : إنه لم يعد يسكن هنا ياسيدتي

وأخذتها رجفة عنيفة ، فقالت متممة « آه ! وأين يسكن الآن ؟ أين ؟ » — لست أدري

وشعرت « جان » بدوار ، كما لو كانت تستسقط إلى الأرض ، ومكثت بعض الوقت عاجزة عن النطق ، وأخيرا وبعد جهد

جهد استردت حواسها ، وقالت بصوت خفيض : ومنذ متى رحل ؟ وأعطاهما الرجل معلوماته في سخاء وقال : « إسمي يا سيدتي ، لقد رحلا ذات مساء من نحو خمسة عشر يوما ، رحلا ولم يؤوبا . ولقد كانا متدائنين للحى كله ، فكان طبيعيا كما لا يغيب عنك ألا يتركا عنوانهما »

كانت « جان » ترى أنوارا ... ترى لها دافقا ، تحسبه عينها طلقات منبعثة من بندقية ، ولكن فكرة عنيدة ملأت منها الجوانح ففتحها القدرة على الوقوف ، وأفاضت عليها سكينه ظاهرة ، وأمنت روعها شيئا ما ، ذلك أنها كانت تريد أن تعرف أين « بوليه » وكيف تبحث عن « بوليه »

— أهكذا لم يقل أبدا أين ذهب ؟ — ألبته ، ولقد هربا حتى لا يؤديا ديونهما

— ولكن لا مندوحة له عن إرسال من يتسلم بريده

— لم تعد ترد إليه رسائل ، ولو وردت إليه لأعطيتها إياه ، على أنه لم يكن يتلقى في العام بطوله أكثر من عشر رسائل . وقد سلمتها قبل رحيلها بيومين رسالة إنه رسالتها بلا شك ؛ وقالت للبواب

فجأة : « أصغ إلى ... إننى أمه ، وقد جئت
أبحث عنه . هاك عشرة فرنكات لك ،
وإن أتاك جديد عن « بوليه » أو جاءك
عنه أى نبأ فانقله إلى فى فندق نورماندى
بشارع الهافر ، وسوف أجزل لك العطاء »
وأجابها : اعتمدى على يا سيدتى .
وانطلقت ...

انطلقت « جان » لا تلوى على شىء ،
ولا يعينها أن تعرف أين وجهتها ، وكانت
تسرع السير كأنها موفضة إلى أمر مهم ،
وكانت تسير والجدران ، وكانت تصطدم
بالمارة وما يحملون من لفائف . وفى عبورها
للطريق لم تكن تلقى بالآ إلى العربات ،
فكان الحوذون يوسعونها شتما . وكانت
تعثر فى الأفاريز التى لم تكن تدير لها حسابا ،
كانت تهيم وروحها أمامها هيامة ..

ووجدت نفسها فجأة فى حديقة عامة ،
ولقيت من تجوالها نصبا ، فأتكت على
أريكة ، وظلت غير قليل متكئة وهى
مستخرطة فى البكاء ، غافلة عن نفسها لاهية
عن المارة الذين كان يستوقفهم منظرها . ثم
أحست وطأة البرد فنهضت لتعود إلى نزلها
وحملتها ساقاها حملا ، فقد كان التعب
والضعف يؤودانها

أرادت « جان » أن تعوج على أحد
المطاعم لتتال بعض الحساء ولكنها لم

تجسر على غشيان هذه الأماكن ، احتجزها
ضرب من الخجل والإشفاق ، ولون من
ألوان الاستحياء من الآلام التى تحس
« جان » آثارها بادية على صفحاتها . ووقفت
هنيهة أمام باب المطعم تنظر إلى داخله ،
وكانت ترى الناس جالسين يأكلون ، ففرت
خائفة وهى تقول : « سأدخل المطعم التالى »
ولكنها لم تدخله أيضا

واشتت آخر الأمر من أحد الخبازين
قطعة خبز قوراء كالقمر ، وأخذت تقضمها
وهى سائرة . ولقد كان العطش يذلها ،
ولكنها لم تكن تعرف من أين تشرب ،
ولذلك مضت عطشى

واجتازت قبوة ، فوجدت نفسها فى
حديقة أخرى تطيف بها مجموعة متتابعة من
العقود ، أدركت « جان » أنها القصر الملكى ،
وإذ كانت مرهقة من وهج الشمس وطول
السير فقد لبثت جالسة ساعة أو ساعتين .
ودخل الناس أرسالا ، وهم أناس يتسمون
بأناقة المظهر ، يقبل بعضهم على بعض
يتحدثون ويتبادلون التحايا ، فشهدت
« جان » جمعا سميدا نساؤه جميلات ورجاله
أثرياء ، جمعا لا يعيش إلا للحلى والباهج .
وتشفق « جان » من أن تكون بين هذا
الحشد البراق ، فتنهض لتفر ، ولكن
فكرة مفاجئة تساورها ، هى أن ولدها الأثير

« بول » لا يبعد أن تلقاه هنا ، لذلك أخذت تجوب المكان وهي تتصفح الوجوه ذهابا وجيئة في غير توقف ، وتجر خطاها الكسيرة السريعة من أول الحديقة إلى آخرها

وكان بعض الناس يلتفتون وراءهم لينظروا إليها ، وكان آخرون يضحكون وهم يشيرون إليها ، ولاحظت هي ذلك فولت الأدبار ممتقدة أنهم يتفكحون بمظهرها وبردائها ذي المربعات الخضراء الذي اختارته لها « روزالي » والذي خاطته خياطة « جودرفيل » وفق تعليمات « روزالي » أيضا

ولم تكن تجسر على أن تستهدي المارة الطريق ، فسارت تعتسفه اعتسافا ، وانتهت بأن وجدت فندقها . وأنفقت باقي يومها جالسة على مقعد بجوار سريرها ، ساكنة لا تبدي حراكا ، ثم تناولت عشاءها كما تناولته بالأمس : بعض الحساء وقليل من اللحم ، ثم ثابت إلى النوم . كانت تفعل ذلك كله آليا وبالعادة

واغتدت فتوجهت إلى مخفر البوليس رجاوة أن يبحث لها المسؤولين عن ولدها ، ولكنهم لم يمنوها بشيء سوى أنهم سوف يهتمون بالأمر . ومن ثم ، جعلت تطوف بالشوارع ، والأمل في أن تلقاه راودها دائما ،

وكانت تشعر أنها وسط هذا الزحام المائج أقسى وحشة وأشد ضيعة وأهول بؤسا مما لو كانت في خلاء مقفر

وعندما ضرب الليل سرادقه ، وجان في الفندق ، نبثت أن رجلا من لندن « السيد بول » سأل عنها ، وأنه سيعود إليها الغد ، فتمزقت موجة من الدم إلى قلبها ، ولم يطبق لها جفن طول الليل - لو كان إياه ! لا بد أنه هو

هذا مع أنها لم تتعرف إلى صفات ولدها مما ذكر لها عن السائل

وحوالي الساعة التاسعة صباحا دق بابها فصاحت : « أدخل » ، وتراجعت لتحسن التقدم ، وفتحت ذراعها ، ولكن المتقدم إليها كان شخصا لا تعرفه . وبينما كان يعتذر إليها عن إزعاجها ويشرح لها مقصده من الزيارة وهو مطالبتها بمبلغ في ذمة « بول » ، استبقت بالدمع عينها ، ولكنها كتمت بكاءها عن محدثها ، فقد كانت تمسح دموعها بطرف إصبعها كلما تجمعت في زوايا مقلتيها

لقد علم الدائن من بواب شارع سوقاج بمجيء الأم ، فلما لم يستطع لقاء الشاب قصد إليها ؛ ومد إليها يده بقرطاس تناولته وهي لا تفكر في شيء ، وقرأت في القرطاس رقما : (٩٠ فرنكا) فأخرجت

النقود وأدت الدين . ولم تبرح فندقها طول اليوم

وفي الغداة ، تقدم دائنون آخرون ، فأعطتهم جان كل ما كان متبقيا لديها من نقود ولم تبق لنفسها غير عشرين فرنكا ، وكتبت إلى « روزالى » تستنبئها الحال وقضت الأيام فى جوب الطرقات ، رقب رد خادمتها ، غير عارفة ماذا تصنع ، ولا كيف تقتل الساعات الفاجعة التى لا تنتهى ، وغير عارفة أحدا تفضى إليه بكلمة شافية ، أو أحدا يعرف شقوتها . . .

كانت تسير إلى غير غاية ، وكانت فى كبد ، وكانت تنازعها نفسها إلى الرحيل والاقبال إلى هناك . . . إلى بيتها الصغير على جانب الطريق المنعزل . إنها قبل أيام قليلة لم تكن تقوى على العيش فيه إذ كان الحزن يغلبها ، أما الآن فهى على النقيض تحس أنها لا تقوى على العيش إلا فيه ، حيث تمارس عاداتها الحزينة التى أخذت منها مأخذا عميقا وتلقت ذات مساء كتابا منظويا على

مائتى فرنك ، وفيه تقول لها « روزالى » : « سيدتى جان ، إرجعى بأسرع ما تستطيعين ، فليس بعد هذه المرة من نقود . فأمرأى فى شأن « السيد بول » فسوف أذهب بنفسى للبحث عنه عندما ترد علينا أخبار ، ولك التحية من خادمتك (روزالى) »

وعادت « جان » ذات صباح إلى بانفيل ، وكان الثلج يسقط والبرد يقرس

وبقلب يمزقه الأسى كانت (جان) تقضى أيامها . وكانت تتقدم إلى الشيخوخة ، وكانت تنتظر ، وعشا ما كان انتظارها . وأنبأها ابنها ذات يوم أن عشيقته قد دنا منها خفوق من بين ظهرانيه ، بعد أن وضعت وليدة ، وأنه يعانى الإفلاس

تهاوت « جان » إلى مقعدها ، وهى لاتكاد تقوى على دعاء « روزالى » . وما إن حضرت الخادم حتى أخذت المرأتان كلتاها تقرأن الرسالة ، ثم بقيتا طويلا الواحدة فى مواجهة الأخرى والصمت يلفهما . وأخيرا قالت « روزالى » : سأذهب بنفسى لإحضار الطفلة ياسيدتى ، فما ينبغى أن ندعها هكذا . وأجابت « جان » : « إذهبي يا بنتى »

وأغرقتا فى الصمت ، ثم قالت الخادم : « ضعى قبعتك ياسيدتى ، وهيا بنا إلى موثق العقود فى « جود رفيل » فلو كان هذا آخر عهد العشيق بالدنيا لكان لزاما على « السيد بول » أن يعقد عليها من أجل مستقبل الطفلة »

ووضعت « جان » قبعتها من غير أن تنبس ببنت شفة . وضعت قبعتها وقد فاضت على قلبها فرحة عميقة لا يجوز الجهر بها ، هي فرحة خبيثة ودت « جان » جاهدة إخفاءها تماما بأية وسيلة ، هي من الفرحات المردولة التي تخجل صاحبها ، ولو أنه في حقيقة الأمر يلتذها التذاذا في أطواء نفسه : إن عشيقته « بول » مشفية على الهلاك !

وزود موثق العقود الخادم بتماليم مفصلة ، وقد رددت « روزالى » هذه التماليم أمام الموثق مرات عدة ، حتى إذا استوثقت من أنها لن تقع في أى خطأ قالت : « لا تخشى شيئا ، فالآن آخذ الأمر على عاتق » . ثم مضت إلى باريس في الليلة نفسها وقضت « جان » يومين مضطربة الفكر حتى لتمعجز عن التفكير فى شىء ، وفى الصباح الثالث عن سفر « روزالى » تلقت منها كلمة واحدة تخبرها فيها بأمر واحد هو أنها عائدة بقطار المساء

وفى نحو الساعة الثالثة استقلت « جان » إلى المحطة عربية أحد جيرانها لتنتظر خادمها . وظلت واقفة على الرصيف ، وعينها معلقة بالخط المستقيم الذى رسمته القضبان ، وقد كانت هذه القضبان المتقاربة تلوح وكأنها تفر هاربة إلى الأفق . وبين لحظة وأخرى كانت

« جان » تتلفت إلى ساعة المحطة ... لم يبق إلا عشر دقائق ، بقيت خمس دقائق ... دقيقتان ... ها قد حان الوقت ولما يظهر فى الطريق الطويل شىء . ثم فجأة ، لاحظت نقطة بيضاء ، ثم لاحظت دخانا ، ثم من أسفلها نقطة سوداء بدأت تكبر وتكبر راكمة بكل سرعة . وأخيرا خففت القاطرة من سرعتها ، ومرت وهى تلهث أمام « جان » التى كانت ترقب الأبواب فى لهفة . وفتحت أبواب كثيرة ، وهبط منها الناس : فلاحون فى قمصانهم ، وفلاحات يحملن السلال ، وقليل من أهل الطبقة الوسطى بقمصانهم الناعمة . وأخيرا لحت « جان » روزالى وهى تحمل على ذراعها شيئا من طرود الأغذية

وودت التقدم نحوها ، ولكنها خشيت أن تخر إلى الأرض فإن ساقها كانتا واهنتين . ورأتها خادمتها فأقبلت عليها بروحها الهادئة المهدودة وهى تقول : أسعد الله يومك يا سيدتى ! ها قد عدت أدراجى ولكن بعد مشقة

وسألت « جان » فى تلثم : ما الأخبار ؟ قالت « روزالى » : « خيرا ، لقد ماتت الليلة ، وقد تزوجا ، وهما هى الطفلة » . وقدمت الطفلة التى لا ترى بين طيات ثيابها . وتناولت « جان » الطفلة آليا ،

في جسدها . إنها حرارة الكائن الصغير
الهاجع على ركبتيها

هنالك غمرها شعور ماله نهاية ،
وكشفت فجأة عن وجه الطفلة الذي لم تكن
شهدته بعد ، وجه حفيدتها ؛ وكان للضوء
القوى أثره على المخلوقة الضعيفة ففتحت
عينها الزرقاوين محرّكة فمها ، وأخذت
« جان » تقبلها بحرارة شديدة ، رافعة إياها
بين ذراعيها ، غامرة إياها بالقبل

ولكن « روزالي » وقفت سديتها
غير حافلة برضاها وسعادتها ، قائلة :
« حسبك ، حسبك يا سيدتي جان ، حسبك
فستجعلينها تبكي » ثم أضافت وهي بحبيب
على فكرة راودتها هي نفسها : « هذي
هي الحياة ، إنها ليست خيرا ولا شرا
مما نظن »

لييب السعير

وخرجت مع خادمتها ، واستقلتا المركبة
واسترسلت « روزالي » تقول :
« سيأتي السيد بول بعد الدفن غدا في نفس
الوقت على ما أعتقد » وتمتت جان : « بول » !
ولم ترد شيئا »

كانت الشمس قد مالت نحو الأفق ،
مفيضة النور على السهول السندسية التي
يتخللها هنا وهناك زهور الكولزا بلونها
الذهبي وزهور عرف الديك بلونها الدموي ،
وكان الهدوء الشامل ينشر فسطاطه على
الأرض الساكنة التي تنبت الزروع ، وكانت
العربة تعدو ماوسعها العدو ، وكان سائقها
القروي لا ينفك يحث الجواد على الإسراع
وكانت « جان » تنظر قدامها إلى
الهواء ، وكانت تتلفت إلى السماء التي ترفرف
تحت قبعتها الزرقاء بعض الأطيّار . وفجأة
أحست الدفء يدب فيها ، وأحست حرارة
الحياة تحترق ثيابها وتدرّك ساقها ، وتنفذ



لعن

للاستاذ يوسف جوهري

« المصلحة العامة » حتى ترى حاجات
الشعب النور وتأخذ طريقها إلى الظهور

وفيا مضى لم يكن أحنى من الحكومة
على المقاولين ولا أشد برا بهم . إن المقاول ليبدأ
عمله ، ثم يتوعك ، ثم يضطرب نبضه ،
ويحل موعد التسليم . . وتمضى شهور ،
وربما تمر أعوام ، والمقاول ينتقل من اضطراب
النبض إلى غيبوبة لطيفة لا يكثرث فيها
بشيء ، ولا تفكر عليه صفوه الحكومة
صاحبة الطريق ، لأن الحكومة سيدة بارة
طيبة يملأ قلبها الحنان

ولكن العمل هذه المرة بدأ بنشاط
ملحوظ ، ولم يضطرب نبضه ، ولم تأخذه
إغفاءة ولا إغماءة ، فإن طريق حلوان طريق
ملكي ، وليس أشد من الملوك غيرة على
الصالح العام . . ومن أجل الصالح العام بدأ
الإصلاح من نهاية الطريق المحيطة بركن
فاروق ، تيمنا بالمقام الملكي ، وقربي من
كرامات الأولياء ، وبركات القديسين

على النيل ، بين القاهرة وحلوان ،
طريق للسيارات ، ضيق ردى

ومنذ عامين تقرر توسيعه وإصلاحه ؛
وإنه لمشروع جليل

والمشروعات الجليلة في بلادنا كانت إلى
زمن قريب لا ترى النور إلا إذا تبركت بمقام
أحد الأولياء ، أو مستها كرامة قديس .
وكنت تسمع ، دون أن تدعو نفسك
للهشة والعجب ، أن هذا الجسر لم يكن
ليقام لولا نفوذ فلان بك ، ونفعه المحقق
لأرضه ، وأن ذلك الشارع ما كان ليهدلولا
أن لفلان باشا في هذا مأربا . . وعلى هذا
النسق كان طريق حلوان خليقا . أن يظل
« مزنوقا » بين النيل وأرض الله الواسعة
التي تحف به ، لو لم يكن للملك السابق فيه
مقام اسمه « ركن فاروق »

قد يكون هذا حقا ، وقد يكون بعض
ظن السافرين . . والسافرون كان لهم ، إلى عهد
قريب ، منطق ممرور ، ودعاء مرفوع : أن
يفرى الله أصحاب المصلحة الخاصة بخدمة

وانتشر العمال الذين جاء بهم المقاول
لإنجاز المشروع انتشار النمل
جاءوا .. ترحيلة

والترحيلة هي مجموعة من الفعلة الذين
يبتسم لهم الحظ ، ويجدون عملاً لأمد طويل
ويرحلون من قراهم في قطع كبير يستخفه
حلم جميل .. حافل بالخبز

وعلى جانب الطريق حطوا الرحال ،
وأقاموا الخيام .. وملأت المكان زكائب
الخبز ، والزلع والجرار

وكان الخبز من الذرة ، يفوح منه مع
رائحة الحلبة عطن خبيث .. والأواني
الفخارية كان بعضها مفعماً بسائل عفن
تسبح فيه قطع من اللفت أو ورق السكرنب
الذي تهرأ من القدم .. وبعضها الآخر كان
مغلماً على وجبات أشهى ، قوامها دود
كثير يعيش في جبن قليل

وكنت أراهم كل يوم وأنا أقطع
الطريق بسيارتي بين حلوان والقاهرة ،
يعملون في وقدة الشمس المجرقة ، وفي الليل
والصقيع ينهمر وهم أشباه عراة .. وراقبتهم
وهم يشربون الشاي الأسود في علب الأطعمة
المحفوطة ، ويدخنون التبغ المصمغ بالعسل
جماغات من قصبة واحدة ، وأغانيتهم تسيل
شاحبة منهوكة على تراب الطريق
رأيتهم عن قرب ، وتذكرت هواجس

الشعراء والحالمين وهم يتخيّلون ابن الحقول
يهسد الدنيا بعضله المفتول ، ويضحك
للسمس ملء فؤاده السعيد ، ويترك التعاسة
لهؤلاء الأغنياء الذين يتلفهم الترف ،
وتتقسمهم العلل ، ويحيط قلوبهم بالشحم
الوبيل دسم الطعام .. تذكرت هؤلاء
الحالمين وأنا أرى عن كذب أصحاب
العسل المفتول مهزولين يترنحون من التعب ،
صفحات وجوههم المكروبة كأنها ورق
قديم اصفر من فرط ما لذعته الشمس ..
وابتساماتهم دموع تجمدت على الشفاه ..
وشدوهم أنين يضمّدون به الجراح

وذات صباح رأيت واحدا منهم تقتله
الشمس .. سقطت الفأس من يده .. ووقع
على جنبه .. وتوسد خده الثرى الذي كان
ينبشه منذ لحظات

مات في لحظة ، وكأنه حشرة شخصها
فدم

أ كان مريضاً بالقلب وقتلته العلة ؟
من يدري وهو في بلد يعيش فيه
الناس ويموتون دون أن يصل إليهم الطبيب
مرة في العمر

هل ضربته الشمس ؟ من يدري وهو
ابن قوم لا يعنيه كم ساعة يعمل الأجير
في الشمس الشريرة الخائقة ..

يستوى من يسقط قلبه السقيم بمن
تضربه الشمس الشريرة ، ومن تصرعه
الحمل بمن ينهار عليه جرف الطريق ويدفن
حيا في التراب .. إنهم يذهبون جميعا
بلا دية ، فإن الحشرات لا تمن لها

ورأيت رفاقه يحيطون به ويكون ..
إنهم ليسوا أقوياء ولا قساة كما يتوهم الشعراء ..
إنهم يكسرون الأحجار ولكن ما أيسر
أن تنكسر قلوبهم وتنفطر .. إن أحدهم
يضع في فم الميت جرعة ماء ، ويرجع الماء
فيلقى الكوز من أصابعه المرتعشة ويلطم
وجهه .. وهذا الشيخ يسند الجثة إلى
صدره وينوح بصوت خشن مذبوح :
« ماذا تقول لأهلك .. وزوجتك .. يا حسن ..
كيف تعود و ترى أطفالك وأنت لست
معنا يا حسن ؟ » .. والباقون ينتحبون
مدعورين ، لا فرق بين نحيبهم وبين شدوهم
الذى كنت أسمعه يسيل محزونا شاحبا على
تراب الطريق

ونظرت من خلال الأجفان المغمضة
نصف إغماضة إلى عيني الميت الزجاجيتين ،
وتذكرت أن هذا الزجاج كان يبصر منذ
دقائق ، وكانت تنطبع عليه الصور

ولكن هل أبصر حقا ؟ ماذا رأى
من دنياه ، إنه نام وتقلب على التراب ..

ملا بطنه بورق الكرب ، والدود ،
والعطن .. وشرب من وحل القنوات ..
هل عاش أهنأ مما تعيش الدواب ؟ هل نظر
أفضل مما تنظر قطط صغيرة عمياء تأكلها
أمها قبل أن تتفتح عيونها

وابتعدت .. تركت الموتى ليكون
ميتهم .. وبعد خمسين مترا مررت « بركن
فاروق » . وافترس الغيظ قلبي .. وأحسست
أن أناقته .. تصفني

تذكرت أن (الملك) مر عشرات المرات
من هنا .. ولا بد أنه رأى الحفاة والعراة
والشمس تصهرهم .. وعندما كانت
سيارته تمر في ليل يناير هل كانت
كل نظرانه إلى محظياته ونسائه ..
ونسائه الناعمات ، الراويات من الفجور ؟
ألم تحن منه التفاتة إلى النائمين وتحت
جنوبهم الأرض الرطبة وفوقهم السماء
الباكية ! .. هل شغل نفسه مرة بأمر من
كان يسميهم في خطبه « شعبي العزيز » ..

هل فكر يوما في أواني الفخار المقلدة على
الدود .. وفي الخبز اليابس القاتم الشقي ..
ألم يرههم وهم يغترفون بأكفهم القذرة
المشقة الماء الأحمر من النيل ، فيندى
جبينه ويهتف كما كان يهتف في المذيع :
لا يا شعبي العزيز .. إن ركن فاروق على

وشدوهم الشاحب الحزين على تراب الطريق
فأرى مجموعة من الجثث لا تلبث أن تغيب
في المجهول كما تغيب الشرع الهائمة على
صفحة النيل

والآن وقد تبدل الحال غير الحال
ما أزال أرى عيني حسن كلما مرت في
طريق حلوان

ولكنها ليستا من الزجاج المعتم ..
إيهما تبرقان وتقولان لي : « أيها المتشائم
إنني لم أكن حشرة ، ولا قطة ، ولا
بهيمة .. إنني كنت روحا عظيما ..
والأرواح عندما تزهر ظمأ لا تذهب
سدى .. إنها تتحول إلى لعنات .. اللعنة
أخذت مكان الفأس في يدي .. صرت بعد
موتى فأسا غير منظورة تعمل في العرش
البغيض وتفترش طريق الملك المنكود ..
أنا لم أمت على مجرد طريق للحرية يرصف كما
تنوهم .. إن جثتي سقطت على طريق يمتد
ويتشعب في قلب مضر كلها .. إن الأرواح
عندما تزهر ظمأ لا تهمل الظالم .. إن الأرواح
البريئة .. لا تذهب سدى

يوسف جواهر

بعد خطوات .. ادخلوا واشربوا ماء نقيا ..
إن هذا لن يكفني شيئا .. ادخلوا
واستريحوا في ظل الأشجار .. واحتموا
بالأسوار من البرد .. هذا لن يكفني شيئا
يا شعبي العزيز »

وقال لي خاطر رحيم : ليتة يمر الآن ،
ويرى الجثة ، ويتحرك قلبه

وقاطعني خاطر ناغم .. إنك كنت
تضحك من الشعراء الواهمين الحالمين ..
هذه أفكار شاعرية .. لو مر الملك من هنا
لقال يكفي هذا الصعلوك فخرا أنه مات في
طريق ملكي . وهذه السكالب يكفيها أن
يهش مولاها لها .. ولا يسوقها بالسوط
والكرباج .. إن أجدادي كانوا يسمون
هؤلاء المصريين الأذلاء « عبيد إحساناتنا »
أما يكفيهم أنني أمعن في الرقة والتواضع
وأدعوهم « شعبي العزيز »

وكنت كلما مرت بسيارتني قرب ركن
فاروق أرى بقلبي المهين وبكبريائي الجريح
جثة حسن وعيني الزاجيتين .

كنت أرى رفاقه يواصلون عملهم
المنكود ، ويسكبون أعمارهم ، وقواهم ،

الحفّاف فيش

للفقيهي الإنجليزي هاري هيرام

بقلم الأستاذ أحمد حلي

فأجاب « أنتظر بعض الأصدقاء .
تواعدنا على اللقاء بعد الصلاة في الكنيسة »
وانتفت إلى بيت علي طراز شبيه بالقوطي
خصص لسكنى الحيوانات الثديية الصغيرة ،
وقال لم لا ندخل ونلقى نظرة على الحفافيش
قبل أن تستيقظ ؟

فأجبت (أما أنا فلا ! إني أمقت
الحفافيش ، ويقشعر بدني لرؤيتها) ولست
أدرى لم هذا ، ولكن الحق أن ذلك
الحيوان الوديع يثير في نفسي نفورا لا يعقله
إلا نفور الفيلة — وأقل منه نفور النساء
— من الفيران المسالة التي لا تضر ولا
تؤذي . وكراهية الفيل لصحبة الفيران
معروفة مشهورة تبلغ منه مبلغ العقدة
النفسية ، فإذا هبط إلى عرينه فأر انتابته
نوبة هستيرية من الخوف وارتجى في أحضان
أقرب حارس والدموع تساقط من عينيه
ولا يهدأ له روع حتى يتم طرد الدخيل في

انتخبت منذ حوالي خمس سنوات
عضوا في الجمعية الملكية للحيوان ، ومن
ذلك الوقت وأنا أعتبر حديقة الحيوان مكانا
يصلح لأن يسرى فيه الإنسان عن نفسه ،
ويفيد منه ، إذا قضى به ساعة من صباح
الأحد حينما يكون الجو صحو ، ففي صحبة
الحيوان المنقرض ترويح وترفيه لطيف ،
أو كما يقول مترلنك بحق إن الإنسان كلما
زاد اختلاطه بأبناء عشيرته زاد إقباله على
سباع البحر

وفي صبيحة الأحد الماضي لم يكن ثمة
شيء ما يشغلني ، فأخذت أجول في حديقة
الحيوان ، أستمتع بالنسيم العليل ، وأناجي
أصدقائي البكم ، إلى أن وقعت فجأة على
صديق قديم — برسي بيغن — لم أصادفه
منذ عهد الدراسة

« فقلت مرحبا : برسي ! ماذا تصنع

هنا ؟ »

غير رحمة ولا شفقة

ويخيل إلى أن الذي حدث منذ آلاف السنين أن فأرا مرتاعا ضل طريقه إلى جحره المعتاد ، ودخل خرطوم فيل ، وأوغل فيه ، وأسرف في إيدائه . وتناقلت الفيلة القصة المزعجة جيلا بعد جيل ، حتى صار احتمال وقوع مثل هذا الحادث أمرا يؤرقهم ويقض مضاجعهم آناء الليل ، ويزعجهم ويشغل بالهم أطراف النهار . وتعلم الأطفال منهم في أحضان أمهاتهم هذا الدرس فتأصل في غرائزهم وجعلوا ينظرون إلى الفيزان نظرات مليئة بالخوف والفرع وإني أقرأني لا أخشى أن تتسرب الخفافيش إلى خرطومي ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أراها دون أن أحس بمثل نفور الفيلة . ثم إنها تستثير إحساسا بسوء الطالع ، فعادة النوم والرأس متجه إلى أسفل والجسم يتدلى من السقف شيء لم أستطع قط أن أستيسغه . وهناك عادة أخرى عرفت عنها وهي عادة الاشتباك بشعر الإنسان ، وإني أعترف أنني لم أصادف أحدا شكيا من خفافيش تكمن في شعره . وفيما يتعلق بشخصي فإني أستمتع منذ عهد بعيد بحصانة كاملة تقيني مثل هذه الكارثة ، فقد عبثت به السنون ولم تترك فيه مكانا يصلح عشا لخفاش

مسرف في القناعة والزهد ، وصار أشبه الأشياء بفناء مصغر للانزلاق وعلى الرغم من ذلك كله فالخفافيش تثير في نفسي اشتزازا لا أقوى على إخفائه مهما فعلت ، كما أوضحت لصديقي بيفن فقال وأنا أحاول أن أستدرجه في رفق إلى بيت الزواحف: جدا أنت مخطئ ثم استطرد يقول (فلاريب أن الخفافيش والعناكب والبعوض قد خلقت لحكمة إلهية تقصر أفهامنا المحدودة عن إدراكها . والله في خلقه شؤون)

فقلت (نعم)

فقلت: برسي (لقد كان لخفاش في حياتي شأن كبير ، وأظنني أخبرتك بقصته)

فقال (إن كنت قد فعلت فقد نسيتها ، خبرني بها مرة أخرى)

فقال (حسن جدا . سأقصها عليك) وأخذ يسرد القصة فقال :

من ست سنوات خلت حينما كان عمري أصغر مما هو عليه الآن بست سنوات دعيت في شهر يوليو إلى أن أقضي عطلة الأسبوع في بالسام فرياري ، ذلك القصر الإنجليزي المنيف الذي ينهض مثالا رائعا لفن المعمار في عهد إليزابت ، والذي لا يعد له في نخامته إلا القليل من القصور على هذا الجانب من المحيط الأطلسي . استأجر سير بورويك

حرصا يحملها على استبعاد فكرة الزواج مني،
ولذلك ينبغي أن أعتبرها من تلك اللحظة
أختي العزيزة

تفطر قلبي للصدمة الأليمة ، فانطويت
على نفسي ، وواريت أحزاني في غمرة اللهو
والعبث ، وظللت زهاء ثلاثة شهور أتوخى
تجنب الحفلات التي يحتمل أن تحضرها
حببتي القاسية جوليا . وفجأة وصلتني
الدعوة لزيارة بالسام فرياري فأدهشتني
وأقلقت بالي . خفت أن أعرض قلبي الجريح
لطعنة أخرى ، ولكني كنت كالفراشة التي
طلما ألهمت الشغراء ، لا أقوى على البقاء
بعيدا عن اللهب الجذاب طويلا ؛ ولذلك
وجدتني منساقا إلى الكتابة إلى السيدة
تراوت أعبر عن سروري لقبول دعوتها . ولعل
بارقة أمل في أحشاء قلبي جاشت في صدري
بلغت بالسام فرياري حوالى الساعة
السابعة من مساء السبت ، فوجدت جمعا
زاخرا قد التأم في قاعة فسيحة مغطاة الجدر
بمخشب البلوط . وكان واضحا أن بعضهم
قد حضر في موعد تناول الشاي ، إذ ران
على الحديث شيء من الفتور ، وأحاط
بالمضيف بعض زملائي الضيوف يرمقون
بعين الملل صحفة كبيرة مليئة بالجمارين
يعرضها هو في حماسه المعتادة التي لا تعرف
الكل

تراوت عالم الآثار المصرية المشهور هذا
القصر في تلك السنة التي أحدث عنها لمدة
الصيف ، واعتاد هو وزوجته وابنته
جوليا استضافة جمع كبير من الأصدقاء من
السبت إلى الاثنين من كل أسبوع

وكان سير بورويك قد اعتاد أن يقضى
الشتاء في مصر ، ينقب عن آثار الفراغة
الذين بالغوا جهدهم في الاحتياط لمنع مثل هذا
السطو على كنوزهم ، وأمكنه بالتوفر على
نهب عدد لا حصر له من القبور جمع مجموعة
فريدة من الجمارين يصر دوما على أن
يعرضها على ضيوفه . ولم يكن يمنعني من
قبول الدعوة إلى بالسام فرياري سوى
أمرين ؛ أن أرغم على مشاهدة مجموعة
الجمارين ، وأن أظل يومين في القصر متهيئا
لقاء ابنته جوليا

وكانت جوليا تراوت فتاة رائعة الجمال
تفيض رقة وعدوبة ، ثم إنها كانت فوق
ذلك الوارثة الوحيدة ، وهذه حقيقة أقرر
في إخلاص أنها كثيرا ما أخرجتني . وقد
أخذت مدى عام أنتهز كل فرصة لأدلى إلى
جوليا برأيي فيها فلا تقابل مديحي إلا
بالابتسام الساخر . وفي آخر لقاء كاشفتها بحبي
وصارحتها أنني لا أستطيع العيش بدونها ،
فطلبت إلى ألا أكون أبله وقالت إنها تكن
لي أخلص الود ، وتحرص على صداقتي

رأسك» حين رأى رأسى يصطدم فى عنف بحلية خشبية متدلية فى الباب ، وهى حلية من تلك الزخارف التى تجعل بيوت التيودوز غير صالحة للسكنى .

فسأله مشيراً إلى تابوت كبير مغطى بقمش من التيل المشجر فى ركن من أركان الغرفة . . ما هذا بالله عليك ؟

— « لا شىء ، إنه خزانة ليس إلا »

قال ذلك وأخرج من جيبه مفتاحاً وفتحها — خزانة ؟

— نعم خزانة ، أضع فيها جمارينى كل ليلة

ونحب القول بالفعل « وتحفظ فيها زوجتى حليها وبعض الآنية الذهبية . لا تقلق ، ولا تخش اللصوص ، فسينام بونتو معك » ثم أشار إلى جبل يتدلى بجوار المدفأة وقال « هذا نذير الحريق ، والجرس فوق السطح ، فإذا جذبت هذا الحبل جاءك أهل القرية جميعاً فى دقيقتين . »

فقلت ضاحكاً « إذن لن أفعل »

فقال « حسن . هاءنذا قد عرفتكَ . غرفتك . والعشاء فى الساعة الثامنة والنصف والملابس بطبيعة الحال السترة السوداء »

وغادرت الغرفة وأخذت أرتدى ثيابى

تأهباً للعشاء

ولم يحدث فى ذلك المساء شىء ذو بال

وانتخذ الجمع وصولى ذريعة للخلاص من هذا الواجب المضى . ورحبوا فى نشوة بالغة باقتراح المضيف أن يرشد كلا منهم إلى حجراته . وتولت السيدة تراوت وابنتها جوليا إرشاد السيدات إلى حجراتهن ، وكانت جوليا قد رحبت بى فى رقة ودلال كمادتها ، دون أن تنم عينها عما فى قلبها ، مما أذهلنى وأقلق بالى

أما سير بورويك فقد جمع جمارينه وطلب إلى ضيوفه أن يتبعوه . وحينما اطمأن إلى أن كل واحد منهم قد استقر فى حجراته التفت إلى وقال « أرجو المذرة يا عزيزى بيفن ، فقد اضطرت فى آخر لحظة إلى أن أقدم حجرتك لشقيق زوجتى — الكرنل وثرسبون العجوز — الذى حضر على غير انتظار »

فتمتت بكلام عن قبول عذره

فاستمر يقول « لقد خصصت لك حجرة نوم رئيس الخدم ، أما متنجز فى إمكانه أن يدبر لنفسه مكاناً فوق حظيرة السيارات . إنى على يقين من أنك سوف تستريح »

« أنا واثق من ذلك »

ثم تقدمنى إلى حجرة صغيرة فى الطابق الأرضى تكاد تكون خلوا من الأثاث وقال « هنا » وأضاف « حاذر أن تصدم

الابتسامة الغامضة التي طالما شغلت فكري
وأقلقت بالي

ولم يكن مضيفنا من أولئك الذين
يطيلون السهر ، ففي منتصف الليل رأى أن
نلجأ إلى فراشنا

وفي طريقى إلى غرفتى صرت أسائل
نفسى هل سأجد فى بونتو رفيقا وديما حلو
الشماثل كما تنبأت مضيفتى ، وأخذت
أتصوره كلبا صغيرا مدلا يمت بصلة إلى فصيلة
أجنبية وتمنيت ألا يكون من تلك المخلوقات
الضئيلة المادية التى تشبه البعوض ولا تكف
عن النباح المديم الجدوى

وشد ما عجبت حينما دخلت غرفتى —
بعد أن تعثرت فى درجتين غير ظاهرتين
وصدمت رأسى مرة أخرى بالباب —
وشاهدت كلبا ضخما ألزاسيا من نوع
الولف ممددا فوق السجادة ورأسه بين
مخالبه وفى عينه نظرة توجس رارتيا ب
ليست غير طبيعية إذا ذكرنا أننا لم نكن قد
تعارفنا بعد

فبدأت أدله بقولى : « هيه يا بونتو ! أيها
الرجل العجوز ! » ولكن بونتو ظل مصما
أذنيه ، فلما اقتربت منه فى حذر هدر فجأة ،
ورفع طرفا من شفقه ليكشف عن أسنانه
الحادة العجيبة . على أنه فى الوقت نفسه
أدهشنى كثيرا بأن هز ذيله فى هودة ،

سوى أننى أجلسيت إلى جوار جوليا فبلغ
من اضطرابى أنى لم أجد ما أقول . وإلى
الجانب الآخر منها جلس شاب من ضباط
الحرس هولورد مولا ربردج ، ظل ينازلها
فى تبذل أحقنى عليه . وبعد العشاء لعبنا
البردج فتكرر خطئى . ولم يكن فى وسعنى
أن أركز انتباهى فى اللعب . وهكذا
قضيت سهرة ثقيلة تعسة لم أعف منها إلا
حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف حين
أخذ السيدات ينصرفن إلى فراشهن .
وحينما بلغت السيدة تراوت أول الدرج
التفتت إلى وقالت « سوف تجد بونتو فى
غرفتك . إنه كلب وديع . إنه صديق جوليا
وستحبه »

فأجبت « شكرا . ولكن لا داعى
للتعب »

فقلت « لاتعب بالمرّة . إنه ينام هناك
دأما »

ثم التفتت إلى رئيس الخدم وقالت
« منجز ، هل ذهبتم بالسيد بونتو إلى
الخارج ؟ »

— نعم ياسيدتى . قام بجولته بعد العشاء
— إذن فسيكون على خير ما يرام . ليلة
سعيدة يا مستر بيغن ونوما هنيئا

— « ليلة سعيدة وأحلاما بهيجة »
كذلك قالت جوليا ، وعلى فيها تلك

بازدراء ، ثم أدركت من تخبط في الماء أنه يشرب من إناء موضوع بجوار حوض غسل الأيدي ، وتابع طوافه الصامت حتى بلغ الفراش ، وبعد لحظة سكون - كتمت فيها أنفاسي متسائلا ماذا تكون الخطوة التالية - قفز فجأة في الهواء واستقر بكل ثقله على ساق

ولست مبالغا إذا قلت إن قلبي قد توقفت دقاته ، فقد ملكني الرعب ، وذكرت القصص المتواترة عن وحشية الكلاب الألاسكية ، وتوقعت بين لحظة وأخرى أن تنهال أنفاسه الدافئة على وجهي وأن ينشب أنيابه الحادة في عنقي

على أني تبينت أن مخاوفي كانت أوهاما ، وظهرت نيات بونتو الطيبة ، وأخذ يتقلب بعض الوقت دافعا بي تدريجا إلى الحائط ، ورقد في جوار ركبتي ، وتهد في رضا ، وتأهب للاستغراق في النوم

وكانت ليلة من ليالي يوليه الدافئة ، أضيفت إليها هذه الزجاجة الطبيعية من الماء الساخن ، فانقطع كل أمل في النوم ، وبلغ من ثقل بونتو على الأغشية أن صار من المستحيل على أن أبدى حراكا ، فأمنت بأنني سأقضي ليلة مزعجة غاية الإزعاج ، وتمنيت أكثر من أي وقت مضى لو أني بقيت بعيدا عن السام فرياري

وتلك حركة لم تبد متفقة تماما مع مقتضيات الموقف ، فقد كنت أعلم أن الكلب الذي يهدد يكشف عن سخطه والذي يهز ذيله يعبر عن غبطته ، أما أن يجمع بونتو بين الحركتين فذلك أمر شاذ يشير الحيرة والارتباك

وتذكرت المثل القديم عن ترك الكلاب النائمة وشأنها ، ورأيت عين الصواب في أن أترك الكلب النائم وشأنه ولو أن الكلب بالذات في تمام اليقظة

وانسحبت إلى ركن حصين من الغرفة وراء الخزانة ، وأخذت أغير ثيابي في سرعة وهدوء قدر الإمكان ، ولاحظت في أثناء ذلك أن بونتو ينظر إلى بعين الاحتقار الطرد ، وحينما مسحت أسناني بالفرشة وتمضمضت بدت في عينيه نظرة اندهاش دلت على أن منجز الوفي لم يكن من عاداته أداء هذه الزاجبات الليلية الضرورية . وأخيرا استلقيت على فراشي وأطفأت النور ، وتأهب للنوم

وتنهدت في الحال إلى أن بونتو قد نهض واقفا وأخذ يجول في الغرفة في غير ماجلية ، فقاومت كل رغبة طبيعية في النهوض والفتك بالمدو الزاحف ، وقنعت بتتبع حركاته المختلفة قدر ما وسعني في الظلام الخيم وخيل إلى أني أسمع بفحص حذائي

ظننت ممنجز يخلصني منه . آسف أن
أيقظتك . »

— لا تأسفي أرجوك . إني أحب
أن أوقظ . ومع ذلك فما يستطيعه ممنجز
أستطيع أن أفعله

— يكون لك فضل عظيم

والتفتت إلى كلبها وقالت « إليك عنى
يا بوتو ! إليك عنى ! » وكان الحيوان
الذي يحبها بشغف بالغ أثار إعجابي وعطفي
عليه

وأسرعت بارتداء ثوبي وخفي وتبعته
إلى الطابق العلوي وبوتو في أثرى واجتزنا
ممرات معتمة حتى بلغنا غرفها في الطرف
الآخر من القصر

ودخلنا الحجرة في غير ما جلبة ،
وأغلقتنا الباب خلفنا ، وبحشنا عن الخفاش
بحنا دقيقا دون أن نعثر له على أثر . فقالت
جوليا

— ربما كان مختبئا . ولعله أحس
بقدومنا .

— سوف يجده بوتو حالا

قلت ذلك آملا أن يعاوننا ولكنه لم
يحفل بنا ، وانشغل عنا بإناء فيه ماء ، وما
أظنني شاهدت في حياتي كلبا دائم الظم
مثل بوتو

فقالت جوليا « أظنه قد جثم فوق

وبعد مضي ساعة أحسست فجأة وأنا
فيما يشبه الغيبوبة أن بوتو قد استيقظ ،
وتحرك في قلق وسمعت يروم في صوت
خافت ، وفي نفس اللحظة سمعت طرقا
خفيفا على الباب ، جلست وأضأت الغرفة
وقلت للطارق : « أدخل »

وفتح الباب ووقفت على عتبة جوليا ،
وفي يدها مصباح ، وعليها ثوب من الحرير
الصيني المزركش ، وفي قدميها حذاء من
الفراء ، يعاوه سروال من الحرير القرنفل
اللون . وللمرة الثانية هذه الليلة توقفت دقائق
قلبي ، غير أنها توقفت من فرط السرور
المتزوج بالدهشة

قالت « أو ممنجز » ولحنتي فجأة
قصدت عنها صرخة دعر خفيفة

فسألت « هل حدث شيء ؟ »

— برسى ! أنت ! معذرة . ظننت ..
— أردت ممنجز

— إنه ينام فوق حظيرة السيارات .
هل لي أن أفعل شيئا ؟

— الأمر وما فيه خفاش .

— خفاش ؟

— في حجرتي .

— يا إلهي ! وماذا يصنع هناك ؟

— « يتخبط . ولكنك ترى أنني

لن تغفل لي عين والخفاش في الحجرة .

وقالت جوليا « لا بأس . إنه الحارس الليلي » وأضافت في بشاشة « مساء الخير يا باربر . الجو جميل . جميل الليلة . أليس كذلك ؟ »

فقال باربر في صوت أجش « ليلة سعيدة ياسيدتى » متجاهلا تعليقها على حالة الجو

فقلت جوليا « كان مستر يفن يعاوننى على طرد خفاش من حجرتى »
— « خفاش ؟ أجل ياسيدتى »

قال ذلك في لهجة لا تبعث على الاطمئنان فسأله « هل صادته فى الردهة ؟ »
— لا سيدتى . لم أصادف خفاشا الليلة .

— إذن فلا بد أنه أفلت من النافذة :
— أجل . سيدتى
— لا يهمهم والتفتت إلى وقالت « آسف أن أزعجتك . سيرافقك باربر إلى غرفتك . تسمح يا باربر ؟ »
— نعم سيدتى
— ليلة سعيدة إذن !

« ليلة سعيدة » وأضفت « وأظن الأفضل أن تحتفظى بيوتى . وسيكون أسعد حالاً . » وعدت فى أثر باربر إلى غرفتى ملتزما الهدوء . والظاهر أن الرجل كان يميل بطبيعته إلى العبوس والانتقباض فلم يجارنى

الصوان ، حتى إذا ما لجأت إلى فراشى جعل يتخبط من حولى . »

— إنى أعرف خير طريقة للتخلص من الخفافيش . لقد قرأتها فى كتاب .
— أى كتاب ؟

— لا أذكر ، ولكنه يقول إذا أطفأت الصباح ومكثت ساكنا لحظات حتى يسترجع الخفاش ثقته بنفسه وفتحت الباب فجأة فإنه يخرج إلى الردهة
— وهل يليق ذلك ؟
— يليق .

— أقصد هل يرضى والدى أن تتطلق الخفافيش فى أرجاء البيت ؟
— ومن يدرىه ؟
— حسن . فلنحاول .

قالت ذلك فى شئ من التردد . فأطفأت النور ووقفت إلى جانب الباب فى ظلام حالك وسكون شامل نحو نصف دقيقة ، حتى خيل إلى أن الخفاش قد أمهل بما فيه الكفاية ليخرج من مخبأه ، ثم تلمست أكرة الباب وأدريتها بسرعة ، وفتحته على مصراعيه ، وإذا برجل بدين متوسط السن ذى لحية يقف فى الردهة ، حاملا مصباحا فى يده ، وقد بدت على وجهه أمارات الدهشة ، فتولانى الارتباك وأحسست أن الموقف يتطلب شيئا من الإيضاح

في حديث ولذلك كرهت مفاتيحه في شيء
وأدركت من مسلكه أنه يميل إلى
إساءة الظن بتصرفاتي ، فسألت نفسي هل
من الكياسة أن أهبه نصف جنيه مثلاً لعل
أضمن سكوته ؟ غير أن إحساساً داخلياً
حفزني إلى الإحجام عن التورط في هذه
الخطورة الطائشة ، وعدلت عن محاولة رشو
الرجل الموقر . ولما تركني عدت إلى فراشي
مؤملاً خيراً ومرتاحاً لغياب بوتو ، وأطفأت
النور مرة أخرى

واستغرقت لتوى في سبات عميق . وبينما
كنت في وسط حلم شائق زاخر بالحياة أتقذفه
بخيابة جوليا من هجمة حيوان ضار ضخم ،
إذ حدث ما أيقظني فجأة ، فأهبط من نومي
على طرق الباب

فقلت للطارق : « ادخل » بصوت ينم عن
شيء من الضجر لأنني كنت قد بلغت في
حلمي غاية الانفعال إذ ألفت في الحلم جوليا
بنفسها في غير ما تحفظ بين أحضاني
وفتح الباب وقد أفتت ، ووقعت عيني على
الجمال الحبيب ، فانبعثت من قلبي صيحة فرح لم
يكن في وسعي أن أكتمها

وقلت جوليا في خفر وقد ارتسمت على
فمها ابتسامة رقيقة تحمل أبلغ آيات الاعتذار
« آسف أن أوقظك مرة أخرى ، ولكن
الخفافيش نفسه قد عاد إلى حجرتي »

فسألت « وأنت أنت ؟ »
— « واثقة ؟ » وكررت الكلمة في
كثير من الحلق

فسارعت إلى الإيضاح قائلاً « أقصد
هل أنت واثقة من أنه الخفافيش نفسه وليس
آخر يشبهه ؟ ربما كان توأماً له أو زميلاً
على شاكلة ، فما أشد الشبه بين الخفافيش
كما تعلمين ، وإذا لم تفحصها جيداً .. »
فقاطعتني قائلة : « لست أدري شيئاً
عنها ، وكل ما أعلمه أن خفافيشاً في حجرتي
وأكون ممتنة جداً إذا ... »

فقلت : « طبعاً . أمهليني لحظة حتى
أرتدى ثوبي »

وبلغنا حجرة جوليا للمرة الثانية في
تلك الليلة فلم نعثراً على شيء . وكان بوتو قد
انتهز فرصة غياب سيده فقفز إلى فراشها
وأسند رأسه إلى المخدة متظاهراً بالنوم

فزجرته جوليا قائلة « انزل فوراً يا بوتو
فأنت تعلم جيداً أن هذا الفراش ليس لك »
فزل بوتو متثاقلاً كأنما قد جرحته
كبرياؤه ، وشغل نفسه بارتشاف قطرات
من الماء

قالت جوليا « غريب أمر هذا الخفافيش
لا بد أنه هنا في مكان ما »

« إن خطتنا القديمة أفلحت كثيراً . فلم
لا نعيدها ؟ »

— لم لا ؟

ومرة أخرى أطفأت النور وكتمت
نفسى وأصغيت . ولا أدري أهو مجرد وهم
أم أنى سمعت حفيف أجنحة ؟ وفى لمح
البصر تلمست أكرة الباب واتزمتها
بعنف شديد ، فوجدتني ملقى على الأرض
والمقبض فى يدي والباب مغلقا كما كان

فسألت جوليا « ماذا تفعل ؟ »

قلت : « انخلت الأكرة »

فقلت فى ضجر : « أعدها إلى مكانها
.. أرجوك »

فممت إلى القفل أحاول أن أعيد
الأكرة إلى حيث كانت ، وقلت أطمئنها :
« لحظة واحدة ! إنى أبذل قصارى جهدى »
والظاهر أن ارتبا كى كان قد بلغ حده
فذهبت جهودى عبثا ، ولما أذأت الحجرة
عرفت أنى دفعت قضيب الأكرة أكثر
من اللازم بحيث صار من المستحيل تحريكها
وسألت جوليا « كيف الحال ؟ »

فأجبت « ليست على ما يرام . فإنى

لا أستطيع مطلقا فتح الباب »

— ولكن يجب أن تفتحه

— آسف . فذلك مستحيل

— ولكن ألا تدرك أنك لا تستطيع

أن تقضى الليل هنا ؟

— بطبيعة الحال لا أريد ذلك

وأدركت فورا ما فى هذه العبارة من
جفاء ، فقلت أصحح هفوتى « أقصد أنى
أعلم أنى لا أستطيع ، ولكنى لا أرى
مخرجا »

وأخذنا نعالج الباب بكل ما وقع فى
أيدينا من أدوات ، ولكننا لم نوفق ، وصار
حما أن نستسلم لصيرنا

فقلت « أرجو أن تلجئى إلى فراشك
قبل أن تصابى يرد . يمكننى أن أستريح
على هذا الكرسي حتى يأتى من يخرجنى »
وحاولت أن أتظاهر بشىء من المرح وعدم
الاكتراث ، وأنا أبعد الناس عن المرح
وعدم الاكتراث

ولابد أن الساعة كانت حوالى الثالثة
صباحا ، إذ كان البرد قارسا ، فأصرت
جوليا على أن أتدثر وعادت مضطرة إلى
فراشها وأطفأت النور

وكان الموقف حرجا ، ولكنى شرعت
أسرى عن نفسى ، وأتشبه بفارس من
فرسان البطولة ، تضطره ظروفه إلى السهر
طول الليل . وكلما تحركت أحدث الكرسي
صريرا ، فالتزمت السكون كى لا أوقظ
مرافقتى . على أنها لم تنم ، إذ سمعتها تقول
« أوه ! دعنى أرجوك ! » ثم أردفت « أوه !
أهو أنت يابونتو ! » والظاهر أن الكلب
كان قد قفز ثانية إلى فراشها

وتتسلل إلى الخارج حينما يديرون ظهورهم إليك»

— ظهورهم؟

— جرت العادة أن تأتي الخادم ومعهما وصيفتي حاملة كوب الشاي «

— أوه ! « ففت بها في غير مرح لأن الفكرة لم تبد سهلة. ميسرة ، والفرار دونه مختلف العقبات

على أن الخطة نجحت نجاحا فاق ما كنت أوئل ، وألفت نفسي أتسلل في خفة إلى الردهة وأسرع إلى حجري مرتاح البال

ولكن هذا الارتياح وا أسفاه ! لم يدم إلا لحظات . فلما أن فتحت باب غرفتي حتى شاهدت منظرا أشاع الرعب في أوصالي . فقد كانت أشبه الأشياء بغرفة من غرف فرنسا احتلها الألمان ثم جلوا عنها . فالأثاث متناثر ومحتويات الأدراج مبعثرة ، وفي استطاعتك أن تتصور شغوري وقتئذ حين رأيت باب الخزانة مفتوحا والخزانة نفسها خاوية

ولم يكن الأمر في حاجة إلى بوليس سرى يكشف عما حدث . فقد اقتحم اللصوص النافذة ، وأحدثوا بالديناميت ثغرة في الخزانة . وهذا يفسر الانفجار الذي عزته جوليا إلى سارق الصبي المتطفلين ،

واستدارت ، وأنت أنه خافتة ، ثم انتظم تنفسها فحسبتها أغفت ، وحاولت أنا الآخر أن أغفو قدر ما يسمح حالي ، غير أني سمعت صوت انفجار مكتوم ، فتنبهت وصحبت برغمي : « ما هذا يا إلهي ! » وأمكنني أن أرى على ضوء الفجر جوليا مفتوحة العينين

فسألت : « هل وقع شيء ؟ » فأجبت : « أظني سمعت طلعا ناريا » فقالت : « سارقو الصيد على ما أظن . لا تحفل بهم »

فاستلقيت على كرسي ، ولكن سرعان ما أدركت أن النعاس قد بات أمرا لا محل له ، فالطيور قد أخذت تستيقظ وتقفز على البساط الأخضر ، والسماء الرمادية للون قد أخذت تشوبها حمرة ، وبنظرة إلى الساعة الصغيرة الموضوعة على المائدة بجوار قراش جوليا ، تبينت أننا في الساعة الخامسة وعشرين دقيقة

فقالت وكأنني بها تقرأ أفكارى « بقيت ساعتان . فهم يوظفونني عادة في منتصف الساعة الثامنة »

فتساءلت : « وكيف الخلاص من هذا المخرج ؟ »

فأجابت : « لقد فكرت في الأمر . وأرى أن تختبئ خلف الباب حينما يدخلون

واغتتم اللصوص فرصة غيابة وسرقوا حلى
مضيفتي ومجموعة الجعارين المشهورة التي
قضى سير بورويك زهرة حياته في جمعها
والحق أنى لم أقع طول حياتي في مثل
هذا الموقف المعقد . وكيف الخلاص من
هذا المأزق بطريقة تحفظ على كرامتي
وشرفي ؟ إذا قلت الحق ، فمن يصدقني ؟
وإذا ادعيت أنى كنت غارقا في سبات عميق
في فراشي فمن يصدق أن الدنياسيت
لا يوقظني ؟ وفكرت في أن أقيد نفسي بجبل
وأضرب رأسي بآلة حادة كما يجذني أول
قادم ملق على الأرض بلا حراك . ولكن
هذه الخطة لم تكن ميسورة التنفيذ ، فلو
قيدت نفسي بجبل الجرس فكيف أدق
رأسي ؟ ولو بدأت بدق رأسي وأغمي على
فكيف أقيد نفسي ؟

وبعد استعراض الموقف من جميع
وجوهه لم أجد بدا من الالتجاء إلى مضيفي
وإخطاره بالقصة كلها والاستسلام له يتصرف
في أمري كما يشاء

واستجملت ما بقي من شجاعتي ،
واجترت الدهاليز إلى حجرة سير بورويك ،
وطرقت الباب . ولما لم يجب أحد فتحت
الباب ودخلت

وكان مضيفي واقفا أمام المرأة يخلق ذقنه
والصابون قد غطى أذنيه فلم يشعر بوجودي

فبدأت « عفوا سير بورويك ... »
فصاح « يا للشيطان ! من هنا » واستدار
فجأة فانزلق الموصى من يده وأحدث جرحا
طويلا في ذقنه

فقلت آسفا « أخشى أن تكون قد
جرحت نفسك »

فسأل غاضبا « ومن يكون المخطئ في
هذا ؟ ألا تستطيع أن تطرق الباب قبل أن
تدخل ؟ ماريا ! » وقصد إلى باب حجرة
زوجته وصاح « ماريا ! ماذا صنعت بعصا
الجبس الملعونة ؟ »

— لحظة يا عزيزي : سأحضرها

لك

وجاءت السيدة تراوت فادهشها وجودي
وسألت

« ماذا حدث ؟ هل أصاب مستر بينن

شيء ؟ »

فقال زوجها « كلا . قبحه الله . كاد
أن يجعلني أذبح نفسي . هذا كل ما في
الأمر ! »

فعدت أقول « معذرة . ولكن ... »

— ماذا ؟

— إني آسف . ولكن ينبغي لي

أن أخبرك ...

— تخبرني بماذا ؟

— حدثت سرقة بسيطة

هذا السيد أن يثبتنا بشيء « وأشار إلى .

قتلت متلعثما « أكيد . بطبيعة الحال . . »

فقال مضيق موجه الكلام إلى « ماذا ؟

لقد نمت هنا ليلة أمس على ما أعتقد ؟ »

— لم تنفل عيني لحظة

— لقد شغلت هذه الحجرة

— أجل ! شغلتها من الناحية

النظرية

— إذن فخبّرنا ! كيف اقتحمها

للصوص ؟

— من النافذة على ما أظن

— ألم تسمعهم ؟

— لا . لا أستطيع أن أقول إنى

سمعتهم

فقال السيدة تروات « ربما هجموا

عليه وضربوه ضربة أطارت صوابه »

فقال سير بورويك « كلام فارغ .

لا يستطيع شيء أن يطير صوابه . والآن

يا ييفن خبرنا ، لقد كنت هنا فماذا حدث ؟

وماذا فعلت حينما أقبل اللصوص ؟ »

— الواقع أنى لم أكن هنا

— لم تكن هنا ؟

وسألت السيدة تروات « وأين كان

بونتو ؟ »

فأجبت « كان هو الآخر نائما فى

الخارج »

— سرقة ؟

— أجل .

— سرقة ؟ أين ؟ ومتى ؟ وماذا

تقصد !

— فى حجرة نومي

— يا إلهى ! أتقصد الخزانة ؟

— أجل

— وجواهرى !

— وجمارينى !

واندفع سير بورويك إلى الدهليز وهو

يصيح

« جمارينى ! جمارينى ! »

وتبعته أنا وزوجته حتى بلغنا الغرفة

الخربة وكان مننجز وباربر واثنان من الخدم

قد تجمعوا فى المدخل . فآزاحهم سير بورويك

من طريقه وهول إلى الخزانة المفتوحة

وألقي عليها نظرة سريعة ثم التفت إلى

مننجز وسأله

— هل أخطرت البوليس ؟

— كنت على وشك أن أفعل

— إذن ، أخطرهم فى الحال .

— أمرك يا سيدى

واختفى مننجز والتفت مضيق إلى

الحارس الليلي وسأله « كيف حدث هذا

يا باربر ؟ »

— « لا أدري يا سيدى . وربما يستطيع

فنظر إلى سير بورويك نظرة قاسية
وقال « هل لي أن أستنتج أنك لم تقض
الليلة في حجرتك ؟ »

فقلت « لا . أقصد نعم .. أى أنى ... »
فالتفت مضيفي إلى الخدم وأمرهم
بالخروج وقال في لهجة ما كنت أطيعها في
أى ظرف آخر « والآن يا سيدى ! يا صديق
الصغير ! أكون ممتنا لو أخبرتنى كيف
قضيت الليل »

فأجبت في بساطة « كنت أصيد
الخفافيش »

— لا تحاول أن تسخر منى
يا سيدى !

— ما بي من حاجة إلى ذلك .
أقصد أنى لا أسخر

— هل أفهم من ذلك أنك لم تشغل
حجرتك ؟

— أجل ! لك أن تفهم الأمر على
هذا الوضع

— وأنت قضيت الليل في حجرة
أخرى ؟

— أجل ! أظن ذلك

فالتفت إلى زوجته وقال « ماريا ! أرى
الأوفق أن تتركينا »

فمالت وقد غلب عليها الحياء « أفضل
أن أبقى . »

— كما تشائين « ووجه الخطاب إلى
قائلا « لن أضيع وقتي في وصفك بالصفات
التي تستحقها . والقطار إلى لندن يقوم في
الساعة ١٠ و ٣٥ . ولكن قبل أن تذهب ،
هناك شئ واحد أصر على معرفته . في
غرفة من كنت ؟ »

فقاطعته قائلا « أرفض أن أخبرك .
فأنا رجل شريف »

« رجل شريف ! » ثم أزاح
زوجته جانبا وصاح بأعلى صوته « خبرنى
باسم المخلوقة التعسة فورا ، وأقسم أنى
سأطردها من البيت في الحال . »

فتدخلت زوجته قائلة « من المؤكد
أنها ليست السيدة إيرثنول ولا السيدة
تشيبي المسكينة ولا أليس جالوم »

وقال هو « والمعجوز وندلشام
مستبعدة »

فمالت السيدة تروات « إذن لم يبق
إلا الأوانس »

فهجم سير بورويك على كالنمر صائحا
« لا أظنك تزعم ! إذا جاز أن يحدث ذلك
في هذا البيت ! فأنى أقسم أن أزوجهك من
الفتاة غدا ! »

فقلت « وليكن ! فلا مانع عندي ! »
وبينما كان يفن يقص على هذه القصة
الطويلة إذا به يتوقف فجأة ، وينظر في نحر

إلى سيدة بارعة الجمال تقود طفلتين توأمتين
تبلغ كل منهما الرابعة من عمرها فألححت
عليه أن يتم قصته ، ولكنه أعرض عني ،
وأسرع يستقبل السيدة وطفلتها وقال
« تعالى يا جوليا ! هل أدت الطفلتان
الصلاة ؟ » ثم التفت إلى وقال « ألا تعرف
زوجتي ؟ جوليا ! هذا صديق قديم »
وتصافحنا وقالت جوليا « ما أظننا
تقابلنا قبل اليوم »
فأجبت « ولكن أعرف عنك كل
شيء »
فسألت زوجها ضاحكة « ماذا كنت
تقص عليه ؟ »
— لا شيء يا حبيبتي
ثم التفت إلى الطفلتين وقال « هيا بنا
نطعم الخفافيش »
فقلت جوليا « كم يحب برسي
الخفافيش ! »
فقلت « لا عجب »
أحمد مامي

ابتداء من العدد القادم

تقرأ في كل عدد قصة من أروع
القصص البوليسية الحديثة

حريق القرية

للاستاذ السيد حسن قرون

ولكنه لم يفعل ، فقلت في نفسي : الشيخ
خواجة انتهى من قصصه ، وأن له أن
يستريح ، وعلى حين غفلة علا صوت استغاثة
وصراخ في ناحية من نواحي القرية ، فهرب
الناس مذعورين متجهين نحو الصوت ،
وهممت بالقيام لأرى ما حدث ولكنه
تثبت بي قائلاً في سخرية : الأمر لا يعدو
أن يكون الولد (مهني) قد أتاه الصرع ،
وسياتيك بالأخبار من لم تزود ، وسكت
قليلاً ، ثم رجع بعض الذين خفوا لإغاثة
المستغيث ، فسمعهم يتندرون ويضحكون ،
لأن مهني جاءه عفريته . فلما سمع حديثهم
صاح : « الله يقصر أجله ، ربنا يرحمنا منه
مصيبة والله على البلد هذا الولد » فقلت له :
ما هذا يا شيخ خواجة ، أتدعو على الناس
بالموت ؟

ونظر إلى نظرة طويلة تبينتها على ضوء
الذبالة الخافت ، وأردت أن أداعبه ، فقلت :
كأن بينك وبين مهني عداوة . وكأني بهذا
الكلام لست منه جانباً موجعاً ، فصاح

كانت الندوة عامرة بأصحاب الآراء
الحرّة ، وكان الجدل شديداً حول تحديد
النسل ، وضيق وادي النيل عن تهيئة العيش
الكريم لسكانه حين قص علينا أحد
الأصدقاء هذه القصة التي أقم أنها وقعت
في إحدى قرى الصعيد ، ولا يزال كثيرون
جداً من الفلاحين يذكرونها ولا ينسونها ؛
لغرابتها ولما تركت في النفوس من أثر
أليم . قال :

كنت فيما مضى أحب القرية حباً يجذبني
إلى الرحيل إليها من حين إلى حين ، وكنت
أحب مجالسة الشيوخ ولا سيما الشيخ
خواجة الذي عرفت فيه الطيبة والفكاهة ،
وكان يطرفني بقصص مضحكة ، وكنت
أصغى إليه إصغاء تاماً ، وإن كانت قصصه
كلها تدور حول الغنى والفقر ، والشجاعة
والكرم إلا أنني كنت أجدها ما يروقني
ويشوقني .

وذات ليلة جلست معه ، وانتظرت منه
حديثاً أو قصة أو خبراً من أخبار القرية ،

وانطلق يروي قصة العداوة بكل ما يملك من أدوات البيان ، يتحدث بلسانه وعينه ويديه ، ويهز رأسه ، ويقف أحيانا مما جعلني أعطيه سمى ونظري وقلبي أيضا ، وابتدا حديثه هكذا :

عداوتي معه من قبل أن تلده أمه ؛ لا تعترض ؛ نعم عداوتي معه من قبل أن يرى الدنيا ، فقد كان مولده نذير شرى ولأهلى ، وفقدت ثروتى وشقيقى فى سبيله . لقد كانت أمه شيطانة خربت الديار ، ويتمت الأطفال ، وروعت الناس من أجل سواد عينيه .

لقد شهدت ليلة زواج أبيه بأمه ، كانت ليلة عظيمة ، وكان أبوه - الله يرحمه - رجلا صالحا كريما شجاعا انتخبناه شيخا لخصتنا ، وكانت زوجته المشئومة فتاة سمراء جميلة ، ويقول أهلها إنها مؤدبة ! وتدير أحسن بيت ، وكان شيخ البلد فرحا بها يتحدث عنها أمامنا ولا يرى فى ذلك عيبا ، وكنا نجامله فلا نقاطعه ، وحين يمضى نقول عنه إنه عظيم فى كل شئ إلا ذكر امرأته .

ولكن هذه السمراء المحبوبة لم يرزقها الله ولدا يسر شيخ البلد ، وشعرت المرأة بخرج مركزها وشعرت بمعاذاة الأيام لها ، وأحست بزعة حياتها عند الشيخ ، وكما كرت الأيام ازدادت أرقا وقلقا ، حتى نحل

جسمها ، وغاص ماء الجمال من وجهها ، وملت العمل فى بيتها وكرهت الدنيا . . . كانت فى أول أمرها محجوبة لا يراها إنسان ، ولكنها على مر الأيام أصبحت لا تحفل بالناس ، وزاها فى شجار مع النساء . وكان يغيظها ويهيجها أن تسمع من آتائها الدعاء لها بالولد الصالح ، والذرية النافعة ، وتظن - وبعض الظن إثم - أنهم يعيثن بها ، ويضحكن منها ، وتمنت لو أن الله باعد بينها وبينهن ، وحفظها من مكرهن ، ولكن من أين لها هذا والبيت مزدحم بقريبات زوجها وقريباتها ، فكانت فى معارك حامية معهن ، حتى جعلت البيت جحима ، والشيخ راض بما قسم الله له .

والرجل فى القرية كما تعلم لا يهتم من الزواج إلا « الخلافة » ، وقبل أن تمضى شهور على زواجه يفكر فى الوارث ولا يرى المرأة إلا معملا للتفريخ ، فإن خانها الحظ ، ولم تنجب طلة غير آسف ولا نادم ، أو زوج أخرى لهذا الغرض . وأخذ أصدقاء شيخ البلد يغرونه بالبناء على غيرها ، والرجل يتمنع آملا فى الولد منها .

وتسمع أم مهني همسا يدور حولها ، فتعثرها الأوهام ، وتعصف بها الأحزان ، وتبكي ليلا ونهارها . وكثيرا ما تنخلو إلى نفسها فتحدث معها حديثا فيه من الحبيب

أكثر مما فيه من التعبير ، ولولا فرحة الشامتين لأعلنت زوجها بحته في الزواج عليها ، ولكنها ترد مجفلة عند هذا الخاطر الأسود .

وأخيرا لجأت إلى ما تلجأ إليه نساء القرية ، فزارت قبور الصالحين تخطيها سبع مرات من جهة إلى أخرى وتذهب إلى جبل اشهر بالكرامة لتتدحرج عليه ، وتعالجها الداية علاجا عتيقا ، وتضرب الرمل ، وتقرأ النكف ، وتقيم حفلات الزار ، وتعاني من كل هذا ألما مبرحا ، وتعيا مضنيا ، وأمراضا كثيرا ولا تفيد من وراء ذلك شيئا ، وضافت عليها الأرض بما رحبت ، وعمت الموت لترتاح من الأشجان والأسقام ، ورائت عليها كآبة لا تستطيع دفعها ولو تكلفت ؛ فلا تراها تبسم لأحد ، ولا تهش لشيء . وكانت يجوارها امرأة — هي أمها — لم تعرف دواءها ، وإن عرفت داءها ، وكم لهما الليل بردائه الغدافي ، وباتتا تعدان النجوم ، وترقبان الصبح ، والدموع تسيل من عيونهما منهمة . ولكن الإنسان لا ييأس ما دام يحس بالأمل ، ويشعر بالحياة ، وانتظرت الفرج ...

قلت : أذهبت إلى الطبيب ؟ فزم الشيخ خواجة شفتيه ، ثم أرخاها وقد تنفس الصعداء واضطجع إلى الوراء ،

وأخرج علبة الدخان ، وصنع دخينة أشعلها وألقى عود الثقاب على الأرض قائلا والدخان يتصاعد مع الهواء في تراقص : «أى طبيب ؟ صدقنى أنى لا أحب الأطباء ولا الطب ولو جلب الشفاء ، وعلى فكرة لم يكن الطب معروفا على عهدنا ، ولو كان معروفا لنجوت أنا من النحس ومن مصائب أم مهني ، لقد كان طبيبها جيسارا هبط من السماء فجأة ليشفيها ، ويبتلينا»

قلت كما يقول كتاب كليله ودمنة وكيف كان ذلك ؟ ولم يقل زعموا ، ولو عرفها ما قالها ، لأنه يحكى قصة شاهدها وذاق مرارها ، ولا تزال آثارها الوخيمة تلاحقه وتضنيه . ولكنه قال وهو يلث من شدة الغيظ

«لا أدري كيف ظهر هذا الرجل ، إنه ساحر من بلاد الكروور نسميه الشيخ الكروورى ، أعرفه من بعيد . أعرفه شيطانا يغلب الشياطين ، يستخدمهم ، ويوحى إليهم ، وفوق ذلك فهو ساحر قدير ، ما أن سمعت به أم مهني حتى ركبها ألف عفريت ، وانطلقت إليه نشوى كأنه سيعطيها الولد بمجرد السلام عليه .. مسكينة تستحق الرثاء ، وإن كنت أبغضها من قلبي ، وأعاديها إلى يوم الدين . ماذا تصنع ؟ لقد عرفت عنه أنه يشفى المرضى . ويطرد

المرأتين والرجل ، وأخذ الساحر يعسر
الأمور وييسرها ، ويبعدها ويقربها ويجعلها
رابع المستحيلات ، وأقرب من جبل الوريد
والمرأتان يزيدان له في الأجر ، وجعلت له
البشرى أيضا

أتدري ما العلاج ؟

لا حول ولا قوة إلا بالله ما رأيت
علاجاً مثله في حياتي ، ولا سمع غيري بذلك
العلاج المدمر ، مصيبة والله . العلاج
ياسيدى : إحراق القرية وقت صلاة الجمعة
في النصف الأول من الشهر العربي . ومن
ذلك اليوم أخذت أم مهني تعمل على تنفيذ
العلاج ، وتعد العدة وتكتم سرها .
ودبرت الخطة ، وأقدمت على فعلتها من غير
وازع من ضمير ، ولا زاجر من دين

واضطرب جسم الشيخ خواجة عند
ذلك ، وجحظت عيناه ، وتقلصت شفتاه ،
وأشار بيديه كليهما ، وصاح في عصبية :
« الله يلعنها ! لقد اختارت يوما غاصفا ، وقد
كان الصيف قائظا يصهر الرؤوس ، وقد
أقبل الناس زرافات إلى المساجد حتى إذا
خلت الدور من الرجال وسكنت الطرق من
الحركة خرجت الجريمة تسمى ، وكان منزله
شمال القرية ، ومنزلها خارجها وأشعلت النار
فيه وولت هاربة

ارتفعت النار مرة واحدة ، وامتد

الجن الخبيث ، ويصلح بين المرء وزوجه ،
وهو يستطيع - لقدرة - أن يكتب كلمة
على اليد اليسرى فيلحقها الإنسان فيراها على اليد
اليمنى ، وله في علاج العقيم شهرة واسعة .
لقد أشرقت الدنيا في حياتها على حين غفلة ،
وخيل إليها أن كلمة منه تترك في أحشائها
جنينا يعيد إليها قلب زوجها قبل أن
يتحول ، ويعيد إليها جمالها وشبابها ،
وسينذهب عنها المرض إلى غير رجعة ،
وفكرت في الولد المأمول ، فأنجابت عنها
سحب الماضي ؛ وبدا لها نجلها يسمى بين
يديها ويخرج صباحا إلى مكتب القرية ،
وبعد الظهر يسوق البقر والجاموس إلى
أحواض الماء ، ويذهب مع أبيه إلى الحقل ،
ويقدم إليها بيده الكريمة باكورة القمح ،
ولها أن تباهى أترابها بكل ذلك

جالت كل هذه الخواطر في نفس تلك
المرأة المشؤومة ، فانتفضت من مكانها فتاة
صلبة قوية ، ناضرة فتية ، ودفعت الباب
بقوة ، وهرولت إلى أمها في ابتسامة الزهرة
الأرجة تهمس في أذنها أنه قد حضر الشيخ
الذكرورى ، وارتعشت يد العجوز وهي
تضعها على فمها المفتوح ، وصاحت : أحقا
حضر ؟ لقد بسمت لك الدنيا يابنيتي ، وآن
لنا أن نستريح ، اكتمى أمرك عن جميع
الناس حتى زوجك وتم الاتصال بين

دائرة حمراء وانجلى الكارثة بعد أيام عصبية
عن خسائر في الأرواح والأموال ، وخرجت
أنا منها صفر اليدين لا أملك زرعاً ولا ضرعاً ،
وفقدت شقيقى وبعض أقاربى .

أفتريد منى أن أحنو على هذا المعتوه
المشتوم ؟ الله يرحمنا منه ! فقلت : أحملت به
بعد هذه الحادثة ؟ فأجابنى وهو يعضغ
الألفاظ مضغاً عنيفاً : نعم وليتها ماتت فى
حملها به !

قال ذلك الصديق : وتركته وأويت إلى
فراشى ، فوقعت فى ديمومة من الأحلام
المزعجة ما أنقذنى منها إلا صياح الديكة
وصوت المؤذن .

السير هس فرونه

الصراخ إلى أذنى عنيفا خفيفا وأنا فى الركعة
الأخيرة ودارت بى الأرض الفضاء .
وانفلت من صلاتى ، فرأيت وياشر مارأيت ..
لقد صار منزلى شعلة من نار ، وهبت
النيران على المنازل المجاورة تؤزها أزا ،
واكتست النخيل ثياباً قانية ، ولعبت الريح
العاتية لعبتها ، فتطار الشرر ، واختلط
صوت الرجال بعويل النساء وصراخ
الأطفال ، ففقدت وعي ، فرأيت الناس
أشباحاً تذهب وتجيء فى أيديهم الجرار
وأوعية الماء ، والماء لا يكفى ، ولم نكن
نعرف رجال الحريق

وتنقلت النار من الشمال إلى الجنوب
فى سعار ونهم ، وخلعت فى وسط القرية

أعلام القصة الروسية

تولستوى

قة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه

للاستاذ محمود الخفيف

كتاب فى نيف وأربعمائة صفحة من القطع الكبير محلى بالصور

أوفى دراسة فى العربية لحياة هذا الفنان العظيم

ثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

الحمامة الثالثة

للأب النعوى سيفان قليم

بقلم الأديب حسن فتحي خليل

تركت الحمامة السفين في الفجر وعادت في
الغروب تحمل في منقارها غصن الزيتون ؛
فأدرك نوح أن الماء لم ينحسر إلا عن قم
الأشجار فحسب

وبعد سبعة أيام آخر أرسل حمامته
الثالثة فطارت تجوس خلال الدنيا. غادرت
السفين فجرا وانتظر عودتها في الغروب ثم
في اليوم التالي واليوم الذي يليه ، ولكنها لم
تعد . فأدرك نوح أن السلام قد عم الأرض
وأن الماء قد انحسر عن وجهها تماما ، وأما
الحمامة نفسها فلم يعد يسمع لطيرانها حفيفا
ولم يعرف أحد قصتها حتى هذه الأيام
ولكني أسوق الآن — في هذه
الحكمة التالية — رحلة تلك الحمامة وما
كتب لها في لوح القدر

حين بسطت جناحيها في الهواء الذي
غدا هادئا عطرا بعد هطول الأمطار شعرت
بالحرية في ذلك الفضاء المتسع حولها ،
فطارت محلقة في الأجواء ، مارة باليابسة

نتحدث الكتب المقدسة عن قصة
الحمامتين اللتين أرسلهما نوح من الفلك
لكشف الأرض ، بعد أن أقلت السماء
وغطى الماء كل اليابسة

ولكن ... هل يدري أحدنا الرحلة
التي قامت بها الحمامة الثالثة ؟

كانت سفينة النجاة قد ألقت مراسيها
على الجودي ووقف نوح يسرح الطرف فيما حوله
فلم يقابل سوى الماء ، فاضطر إلى أن يرسل حمامته
الأولى لتبحث عن اليابسة خلف ذلك
الضباب الكثيف

حلقت الحمامة ، ونشرت جناحيها
حول الشرق ثم الغرب ، ولما نال منها
النصب عادت إلى السفين لتخبر سيدها أن
الماء ما زال يفيض على جميع جوانب
الأرض

انتظر نوح سبعة أيام كان المطر قد انقطع
خلالها وأعاد الاستطلاع فأرسل حمامته
الثانية

والماء ، منتشية بالسعادة وكأنها في حلم بهيج .. ثم رأت الأرض وكأنها خلقت من جديد ، فنسيت السفين والمهمة التي طارت من أجلها ولم تفكر في العودة؛ لأن الأرض أصبحت الآن فرنسها والسماء عرشها

جعلت تحلق فوق ذلك العالم الخرب ، وتقدم وهي لا تشعر بنفسها من فرط سرورها ، حتى إذا ما أحست أخيرا بالتعب جذبتها الأرض نحوها شيئا فشيئا . وما أن أقبل المساء حتى كانت في أعماق غابة لا تعرف لها اسما ، واختفت بين غصون أشجارها تستريح من عناء الهجرة الطويلة ، فخرستها الأوراق كما هدهدها النسيم الهادي ، وظللها الأشجار بظلالها الوارفة ، وتلاشى كل ما تذكره عن السماء السابعة ورحلتها الطويلة الساحرة ، ولم تعد تشعر بمرور الزمن بعد أن التحفت تلك القبة الخضراء

كانت الغابة التي اختارها مأوى لها ركنًا من أركان عالمنا الذي نعيش فيه ، ولم يكن أحد من البشر قد طرقها بعد أو جاس في مجاهلها ، فعاشت في وحدتها تلك وكأنها تنسج حلما لذيذا ، وبنت عشاها ، وتوالت الأعوام عليها ، حتى أن الموت نفسه لم يكن يذكر عنها شيئا ، إذ أن تلك المخلوقات الفريدة المتنوعة التي رأت العالم قبل الطوفان لا يمكن أن يفزعها الموت ولا يتسنى

لأى شخص قنصها

دارت الأيام دورتها وشمرت حمامتنا باقتراب الإنسان منها ، فها هي ذى الأشجار وقد قطعها الرجال فأمست والظلام ينتشر حولها من كل جانب . وها هي ذى ضحكات العاشقين الرقيقة وهم يمرون بقربها وقد اشتبكت أذرعتهم . وأناشيد الصبية وهم يجمعون الزهور تطرق سمعها من بعيد . كانت تصل إليها تلك الأصوات المنبعثة من عالمنا وهي كامنة في مخبئها ، ومع ذلك لم يتطرق الخوف أو الفزع إلى قلبها

ولكن جاء ذلك اليوم الذي أنت فيه الغابة أنينا مؤلما ، وقصف الرعد وكان الأرض ستنشطر شطرين ؛ ورأت الكتل المعدنية الكبيرة تتطاير أجزاءها مع الريح حتى إذا ما هوت إلى الأرض انفجرت في دوى مروع فتحطمت الأشجار . ولاحظت هؤلاء الرجال بملابسهم الرسمية المختلفة الألوان وكل منهم يرصد الموت للآخر بآلاتهم المخيفة التي تشعل النيران وتجلب الدمار .. فيامع البرق في السماء ثم يعقبه انفجار هائل مفزع في الأرض

استيقظت الحمامة من سباتها . كان الموت والفناء يحدقان بها فنشرت جناحيها وطارَت في الهواء فزعة وجلة خائفة تبحث عن مأوى جديد بعيد عن تلك الغابة

اللعينة .. تبحت عن مأوى السلام
حامت حول العالم ، ولكنها أنى
ذهبت لا تجد سوى رعود تلك الحروب
البشرية المتوالية وبروقها ؛ لقد عاد الطوفان .
ولكنه ليس طوفان الماء إنما هو طوفان
الاهب والدماء

جعلت تطير حول أجزاء البسيطة عليها
تجد مكانا تستريح فيه وتستجم ثم تعود
بعدها إلى نوح حاملة غصن الزيتون
بمنقارها ، ولكنها لم تهبط ذلك المكان
المقصود ، فطوفان الخراب الآدمى يعاود
رويدا رويدا ، وتلك الجثث الممزقة المحترقة
تتطاير أشلاؤها في كل مكان

ولا تزال الحمامة المسكينة تبحث عما تصبو
إليه فلا تستطيع ؛ فالسلام والوثام لم يعد لهما
مكان بيننا في عالمنا هذا ، وستظل طائفة
محقة لن تجد لها مأوى حتى يتم الزمان
دورته

كما أنه لم يتسن لأحد منذ بدء الخليقة

حتى الآن رؤية تلك الحمامة المفقودة ، الباحثة
عن السلام ، والتي تتحدث عنها القصص
الدينية ، ولكنها ترفرف بجناحها فوق
رؤوسنا ، غاضبة مزجرة وقد أضناها
النصب . فإذا ما استيقظ الناس في جوف
الليل فغالبا ما يسمعون ذلك الحفيف الغريب
ثم صوت اندفاع سريع في الظلام وهممة
مخلوق قلق يكاد يشرف على الجنون في سكون
الليل . . وأخيرا يسمعون صوت الجناحين
يخفقان ويتبع الخفقان طيران مفاجئ

إن خواطرننا المظلمة تحوم حول
أجنحتها ، وآمالنا تذوى في مخاوفها .. تلك
التي ترتجف بين الأرض والسماء ، تلك
الحمامة الحائرة التي ستحمل أخبارنا إلى
اللا الأعلى

وها هو ذا العالم اليوم ، وبعد أن انصرفت
تلك الآلاف من الأعوام مازال ينتظر من يمد
يده إليها فتنتهى بذلك تلك المحنة

حسن فتحى خليل

اقرأ الرواية في أول كل شهر وفي منتصفه ،

والرسالة في صباح كل أحد من كل أسبوع

بندل اشتراك الرواية في السنة ١٢٠ قرشا وبندل اشتراك

الرسالة ١٠٠ قرش وبندل اشتراكهما معا ١٨٠ قرشا

سيرة

للقصص السريبي صوناردا اما اسكير

بقلم الأستاذ محمد محمود الخفيف

الابتسامة جاءت وليدة جهد ، فقد أحسست فيها شيئاً من الصدق ؛ وكانت زوجته رقيقة هزيلة وبدت لعيني لأول وهلة ذات حسن . وإن الصورة التي مدت بها يدها ، مترددة أو تكاد تتردد ، حين قدمني إليها زوجها ، ثم استردادها نظرتها إلى في سرعة ، قد أوحى إلى أنها ذات دعة وحياء

وكان لقائي ببياداسا مرة ثانية حين غيرت مسكني فوجدتني جاره الملاصق ؛ وكان لا يفصل بين الحديقتين إلا سياج من الأغصان الكثيفة المزهرة ، ولم يمض زمن طويل منذ مقدي إلى منزلي الجديد ، حتى اعتدت أن أقضي العشيات معه . وكان بياداسا طيب القلب ، ولكنه كان فيما يبدو لا يحب المرح والمجون . ولست في الواقع حتى اليوم أعرف ما يحب وما لا يحب ، وكان من عاداته أن يظل يقرأ الصحف منذ عودته من عمله حتى ساعة الطقل

عرفت (بياداسا) منذ زمن طويل . لقد كنا نذهب إلى مدرسة واحدة ، ولكني أذكر أنه كان في فرقة أعلى ؛ وكان يومئذ يقطن مع عمته ، وكانت عمته جارتنا . وما زلت حتى اليوم أذكر تلك الشجرة العظيمة الممتدة الأغصان ، شجرة التمر الهندي التي كانت تقوم وسط الفناء قوية فينانة ؛ ولقد كنت في الأمسيات ألعب مع لدائي تحت هاتيك الشجرة ، وكان بياداسا أحد هؤلاء

ولقد علمت منذ سنوات أربع أو نحو ذلك ، أن بياداسا أصبح زوجاً ؛ ثم إنى لقيته وزوجته في دكان بمدينة كولومبو . ولقد ظلت على وجهه تلك النظرة الشاحبة الفاترة التي كانت تتراءى عليه وهو طفل ؛ ولقد أحسست أنها اليوم أكثر ظهوراً ؛ وإن النظرة إلى وجهه لا تنبئ أنه من أولئك الذين صاروا أزواجاً وآباء . ولما لقيني كانت ابتسامته لي في جهد ؛ ومع أن تلك

وأنه وإن لم يكن يحس ميلا إلى الزواج ؛
قد استجاب إلى إغراء والديه فتزوج سوما .
وكانت سوما من أسرة ميسورة الحال من
إقليم التلال . ولقد أتيح لها قدر كبير من
التربية والثقافة . ولقد أنجبت سوما غلاما
بعد زواجهما ، ولكنه مات بغتة وهو في
الثالثة من عمره

وبعد أن أصغيت لحظة إلى هذا الحديث
عجبت ماذا جعل بياداسا يبحث عن عمل
مثل هذا كاتبا تابعا للحكومة ؛ ولو أنه كان لي
مثل ماله من ثراء مارضيت أن أخدم تحت
إمرة سيد ؛ وإني أشعر الآن أن عدم قدرته
على أن يظهر شخصيته في أية صورة أخرى
هو الذي جعله يبحث عن مثل هذه الوظيفة
وحل الفصل الذي أزهرت فيه
الأشجار كل الإزهار ؛ وازدادت الأماسي
بهجة ، وباتت الشجيرات في حديقته وفي
حديقتي محملة بالأزهار ؛ وأحسست يومئذ
أني إلى صحبة سوما في زهاتها أكثر
ميلا مني إلى استماع صوت بياداسا ؛
وأحسست كذلك أن سوما تحب أن تقضي
الأماسي معي

وكنت بدأت أشعر منذ وقت طويل
أنها لم تكن حسناء فحسب ، وإنما كان حولها
نوع من السحر خاص بها . إنك لو فحصتها
جملة فلا أظن أنك واجد فيها شيئا فائق

ولقد كنت أعجب ماذا عسى أن يكون
في جريدة من مثل هذا الإمتاع ! ومهما
يكن في الأمسيات من جمال وإغراء ، فلست
أذكر أمسية خرج فيها من داره . ولقد كنت
أدعوه في مثل هاتيك الأماسي إلى قليل من
المشي ، ولكنه كان يرغب أبدا عن ذلك
ولما توثقت المعرفة بيني وبين بياداسا
وزوجته ، أخذت ألاحظ أن سوما لم تكن
كما ظننت حين رأيتهما أول مرة ذات حياء .
ولقد وجدت من المسير أن أوفق بين
ما أراه منها وبين ما وقع في نفسي من أثر أول
مرة حين رأيتهما

كانت على خلاف بياداسا قد تعودت
أن تبرح المنزل أكثر الأمسيات . ولقد
علمت بعد أيام قلائل أنها كانت أحيانا ترجع
إلى بيتها متأخرة . ثم إني رأيتهما مرة أو
مرتين حين كنت أقرأ كتابا إلى جوار
نافذتي عائدة مع بعض صاحبات لها أظهن
من جاراتها . ولقد سمعت كلامهن
وضحكتهن ، وما صادفتني مرة إلا لوحت
لي بيدها مبتسمة ابتسامة صادقة

وبعد ثلاثة أشهر منذ أن تطورت
صداقتنا إلى درجة من الألفة ، قص علي
بياداسا كيف قضى حياته منذ أن ترك
المدرسة . وجاء في معرض قصته أنه استؤجر
في عمل بكونومبو بمجرد أن غادر المدرسة ،

هو الحق فإنى لا أكاد أذكر أنى أحببت امرأة . لقد اتجهت نفسى فى المدرسة إلى فتاة كانت معى فى حجرة الدراسة ، ولكنى أشعر الآن أن ذلك لم يكن مثل ما يكون من حب بين الرجال والنساء

ولما كنا فى زمن الزهر ، وكانت خمائل الورد فى حديقتهم تتفتح كأمها ، فقد اعتدت كل صباح وأنا إلى جوار نافذتى أنتظر حتى يحين موعد ذهابى إلى عملى ، أن أرى سوما بين خمائل الزهر تقطف تلك الورد ؛ وكانت ترسل إلى كل صاح باقة من الزهر ؛ وكانت إذا وجدتني لأزال فى نافذتى تسعى إلى بشى من الزهور التى جمعتها

وكنت ذات مساء أقرأ كتابا فى حجرتى ، ولم يكن بى ميل إلى مبارحة البيت لأنى عدت متأخرا من عملى ؛ وماهى إلا لحظة حتى سمعت شخصا يطرق الباب طرقا خفيفا ، ولما فتحتة ألفت سوما واقفة وحدها !

وسألتنى قائلة « ألا تخرج الليلة لتمشى قليلا يا نيمال ؟ إنى أستشعر الوحدة اليوم جدا » وأجبتها « لقد كنت اعترمت البقاء ولكن إذا كنت تريدن فسآتى معك » ثم أغلقت من خلفى باب حجرتى ومشينا مسافة قصيرة فى صمت ؛ وكان

الجمال وإن عينيها كانتا من السعة بحيث لاتعدان مناسبتين ، ولكنى وجدت فيهما شيئا شديدا الجاذبية ؛ وكأنا تبدوان كما لو أن الدموع تريد أن تتسائل منهما فى أية لحظة . وإنى لأحس أن النساء حتى أكثرهن جمالا يلحن أكثر حسنا حين تفتر الدموع أعينهن . ولم يكن أنفها كذلك أشم أو سريا ؛ ولم تك شفتاها رقيقتين ولا حمراوين كزهرة اللوتس ؛ وكانت أصابعها الدقيقة الأنامل تبدو رقيقة لطيفة ، ولكنها كانت من الدقة بحيث لا يمكن أن تعد حسنة التكوين أو جميلة . وكان حديثها كحديث طفلة بريئة ، وكان ينساب طبيعيا لا تكلف فيه حتى لقد كنت أنسى ما يتصرم من الوقت حين كنت أجادبها أطراف الحديث ؛ ولم تتناول فى حديثها ما يتناول أكثر النسوة عادة من مسائل ، وإنما كان يدور حديثها حول أمور ذات صبغة فلسفية أو أدبية ؛ وكثيرا ما أثر فى نفسى أنها ذات خبرة بأمور لا يهتم بها إلا ذوو العقول الرزينة على أننى أذكر أنها سألتنى ذات مرة عما إذا كنت أحببت امرأة قط ؛ ولقد ربكنى سؤالها لحظة ، وذلك لأنى رأيت أنه مما لا يليق بسيدة صغيرة مثلها أن تسأل سؤالا كهذا ؛ ثم أجبتها فى حالة تكاد تكون عصبية « كلا » ، وإنى أعتقد أن ماذكرته

ولما اقتربنا من منزلها شممت رائحة أزهار الحديقة ؛ وخطت سوما إلى الفناء قائلة « أدخل يا نبال » وراعتني دعوتها إذ وجدتني غير لائقة ، وأحسست كما لو كنت أريد أن أنطلق عدوا ولكني لم أجد لدى القوة لأفعل ، فتبعته .

ونفذت أشعة القمر من خلال الأغصان فأغرقتني وأغرقت سوما ؛ وكنا وحيدتين في الشرفة المكشوفة ؛ وكان باب غرفة بياداسا مغلقا ؛ وجلست سوما صامتا ساكنة كقطعة من الحجر ؛ واستطعت أن أرى وجهها يضيئه نور القمر . وكان ما يرتسم من معان على محياها عجبيا جنيا يكاد يخيفني ؛ وجلست صامتا على كرسي في طرف الشرفة ولم أعد أقوى على النظر إلى عينيها . وكان يتنزل قلبي بين انفعالات متصارعة . ثم إن ضعفا لم أتبين كنهه قد قضى على ما في من قوة .

ودلفت في بطاء نحو مقعدي ، ورأيتها وهي تقترب مني كما لو كنت في حلم ، وجلست على متكأ مقعدي ؛ وكنت أحس تنفسها ؛ واستجمعت كل ما وسعني من بقايا شجاعتي ونظرت نظرة إلى وجهها ؛ ورأيت محياها قد توقد احمرارا ، وكانت في عينيها نظرة غريبة واختلجت شفتاها ؛ ودق قلبي دقات سريعة ؛ ولم أحس من النوازع إلا أن

ذلك قبيل الغروب ؛ وكانت تقع غير بعيد من منزلنا بقعة خضراء أشبه بالحديقة لما كان ينمو فيها من وحشي الشجر ؛ ورأينا القبر بازغا يسكب شعاعاته الفاترة الفضية على رؤوس الشجر ! وأحدثت نسمة خفيفة باردة حفيفا بين الأغصان ؛ وأحسست أن سوما تقبض يدها على أصابعي ، ورأيت أنه يجب على أن أجذب يدي من يدها ، ولكني لم أجد لدى من الإرادة ما يعينني على ذلك . ولقد سرى في بدني شعور عجيب بالنشوة نتيجة لهذه اللمسة ، ومشت إلى جانبي دون أن تتكلم ، واستطعت أن أرى نور القمر الهادي على وجهها وعلى رداؤها الأبيض . ولقد أضاء وجهها في نور القمر ، وأبصرت خصلات من شعرها تتألق وتراقص بفعل النسيم . ثم قطعت الصمت بعد أن مشينا ساعة طويلة بقولها :

— ألا نعود أدراجنا ؟ فأومأت برأسي

موافقا إياها

ولما استدرنا راجعين كنت أرى ما يواجهنا من ظلال طويلة معتمة ، وكان بالي فارغا أتم فراغ . ولم أكن أسمع إلا نفسها وحفيف ثوبها كلما خطت . ومس النسيم البارد صفحة وجهي ؛ وازدادت سوما اقترابا مني ؛ وأحسست خيفة في نفسي من لمس جسمها النحيل اللطيف

أنهض فأعدو بعيدا عنها ؛ ولكنى قبل أن أفعل ذلك أحسست بيديها تشتبكان خلف عنقي . ثم إنها أقبلت بوجهها على حتى داعبت خصلة من شعرها جبهتي

وامتلأت عيناى فجأة بالدمع ، ولم يكن فى وسعى أن أدفع ذلك ، ثم إنى غطيت وجهى براحتى .

ولست أدري لماذا جاء مسلكى وقتئذ على هذه الصورة ؛ ومايساك أحد غيرى هذا المسلك فيما أظن . ربما كان مرد ذلك إلى مزيج من الفرح العظيم والأسف . ولقد يكون مرده إلى أن ذلك كان أول موقف وقعت لى فيه تجربة ما مع امرأة . .

لقد ابتعدت فى بطاء عنى ووقفت دون أن تنطق بكلمة عند مدخل الشرفة ؛ ولبثت مستغرقة فى تفكير عميق ، وقد استندت إلى الباب وأسندت ذقنها براحتها . وظلت على تلك الحال لحظة ، ثم رأيته تدخل الحجرة وتجذب الباب من خلفها جذبة قوية .

وغادرت أنا منزلها وآويت مسرعا إلى منزلى . ولما ذهبت إلى مضجعى أحسست كأن عقلى قد اختلط . لقد ملأنى مسلكها عجباً ، وكان أعجب منه مسلكى حيالها ؛ وحين فكرت فى مسلكى أحسست أن الحمرة صبغت وجهى ؛ ولهكنى لست أنكر أن ثمة شعورا من الغبطة كان يكمن فى زاوية

من زوايا عقلى . إن ما بعثه ملمس خديها ويديها من نشوة فى نفسى قد أتاح لى تجربة لم أذقها من قبل .

وخيل إلى أن وجهها لا يزال يحدق فى وجهى ، وأن ما ارتسم على عيها مما لا يمكن اكتناه سره لا يزال ماثلا فى عينيها . لقد ابتعثتا شكا فى نفسى لا يزال يلزمنى ؛ ذلك أنى أخذت أتساءل : هل تسلك هذا المسلك كذلك مع غيرى ؟ لقد رأيته واقفة لدى عتبة الباب تحملق فى غير معنى . ولم أستطع حتى أن أنخيل ماذا كانت تعبر عنه ملامحها فى تلك اللحظة .

واستيقظت فى الصباح على نحيب خادمتى ، ولست أذكر أنها أيقظتنى قط على مثل هذه الصورة من قبل

« سيدى لقد ماتت السيدة جارتنا ليلة أمس » .

وأذهلنى الخبر فوثبت من سرى سائلا فى لهفة « من ؟ »

« جارتنا السيدة يا سيدى »

« ومتى كان ذلك ؟ »

« لست أدرى فى أى وقت : لقد

وجدها السيد ميتة هذا الصباح »

ولم أسأل أكثر من هذا إذ لم أجد لى شجاعة لذلك . لقد قهرنى الخوف والحزن وانتهيت إلى أنها قتلت نفسها نتيجة للقائنا

ليلة أمس ؛ وأظن أن بياداسا رآنا وأنه سألها عن ذلك ؛ وكان ذلك ماجعلني أخشى لقاء زوجها .

وبعد لحظة جاءني بياداسا ليراني ؛ وإن محرد مرآه قد قذف في نفسي الرعب ؛ وفكرت في أنه سوف يلاحظ عيني تفقدان بريقهما ووجنتي تصبغهما الحمرة ، على أنني تجرأت فحدثته واستفهمته

قال بياداسا إنه حينما ذهب إلى حجرتها في الصباح وجدها ميتة في سريرها وإنه ليس يدرى سبب موتها . لقد آوت إلى فراشها متأخرة عن مواعدها كل ليلة ؛ ولقد سطرت كتابا أعطته للخادم ليلقى به في البريد لساعته ، وكان ذلك كل ما استطاع بياداسا أن يجمعه من نبأ حول موتها ...

وألقى إلى البريد كتابا في اليوم التالي ففتحته فإذا هو من سوما وإذا بها تقول ، « يجب أن أوضح لك بادي الأمر أنني أكتب هذا بدافع الشفقة عليك ، فأني على يقين من أنك حين تسمع نبأ موتي سوف تعود بالتبعة على نفسك . ولكن يجب ألا تعتقد ذلك فلقد قتلت نفسي لأنني لم أعد أجدي الحياة فائدة . وإنك لو علمت ماضي فلسوف تواقفني على ما فعلت

قد تكون علمت أنني كنت امرأة فاضلة ؛ لقد تزوجت منذ سنوات ست ، وإني أشعر

أن الواجب يقتضي أن أبين لك مبلغ ما اتفق لزوجي من فضل كرجل ، وإنه ليصعب أن يوجد زوج له مثل صبره ورأفته . ولكنني أشك في أنه أحبني .

كذلك أرتاب في أن من لهم مثل طبيعته من الرجال يقدرون على أن يدركوا حقيقة ما يكون في قلب المرأة من مشاعر وأظنك كذلك أدركت هذا مما عرفت من سلوكه . وعلى الرغم من ذلك عشنا في وئام ؛ ولكنني لن أغفل ذكر أمر واحد : ذلك أنني إذا تدبرت في ماضي لا أستطيع أن أقول إنني عشت عيشة سعيدة . إنني أدرك أنني لم أحرم قط شيئا ؛ ومع ذلك فأني لم أذق ما كنت أنتظره من الحياة الزوجية من سعادة كاملة . وبعد أن انقضى عام ولد لنا غلام أحببته بكل ما في نفسي ؛ وشعرت أن هذا الحب قد عوض ما كنت أحس في عمق أنه فاتني من حياتي . لقد كان الطفل محور حياتي وبه شعرت بما للحياة من معنى ومن حقيقة ؛ ولكنه مات بعد ذلك بثلاثة أعوام . وكان فقده مما لا يستطيع حمله . وليت شعري هل أحس بياداسا مثل ما أحسست لفقده ؟ لقد بكيت مصابي بضعة أشهر ؛ وإن ما أمدني به طفلي من معنى لحياتي ومن حقيقة لها قد ذهب بذهابه ؛ وبات عقلي مشردا كما لو أنه انتزع

مما يسكه إلى مرفأه ؛ وازداد في نفسى ما كنت أشعر به من خيبة قبل مولد الطفل . وأحسست كذلك أنى أفقد فى سرعة إحساسى بالخوف والعار وذلك بسبب هذا الحزن الذى يغتالىنى ؛ وبدأ لى أن شعور القداسة نحو الحياة ونحو الزواج قد ذهب بددا

وأخذ يتقاذفى التيار ، وأخذت أبحث عن اللذة أينما وجدتها ؛ ولم تعد تضايقنى أفكار ولائى نحو بياداسا ، وإنى أذكر ذلك الآن فقط فى غضب وفى شعور بالعار . صارت الشهوة عماد حياتى ؛ وإذ ذاك لقيتك وعرفتك

ولست أظن أن بياداسا قد فطن إلى شىء مما طرأ من هذه التغيرات على حياتى ؛ إنه لم يفرق بين ما كنت أظهره له وأنا زوجة أمينة وبين ما كان منى حين أصبحت له خائنة . ولو أنه فطن إلى ذلك ، أجل لو أنه فطن إلى حقيقة أمرى لأمكن تجنب هذه الخاتمة ... هذه المأساة !

لقد اتخذتك صديقا لى بدافع الرغبة أن أحقق معك ما تنزع إليه نفسى ، ولكن

ردك غير المنتظر قد أحدث فى عقلى تغيرا تاما . إن مسلكك حيالى قد بين لى مبلغ خطأى ؛ وإنى لأتبين ذلك الآن فقط ، وما أظن إلا أنى كنت عمياء طيلة هاتيك الأيام إنى أشعر كما لو كنت أعترف بذلك كله لبياداسا ، وكما لو كنت أفتتح صحيفة جديدة فى حياتى ؛ ولكن كيف أنتظر منه أن يفهمنى وهو الذى لا يدرى شيئا حول هذه الأمور ؟ حتى لو أنه غفر لى خطيئتى أترانى أرتاح إلى هذا ؟ ولئن كان مستعدا أن يتقبلنى الآن بجميع أوزارى ، فلقد كان يجب عليه أن يهمنى حين كنت خائنة له . ألا ترى ذلك معى ؟ ولئن قدر أن يشعر الآن بالشفقة على ، فلقد كان عليه أن يغضب على الأقل من مسلكى حينذاك وإذا كان بحيث لم يهتز قلبه وقتئذ ، أتراه يتحرك الآن ؟ إن الموت يبدو لى الحل الوحيد ... المخرج الوحيد مما أنا فيه وإنى آمل الآن أن تكون قد اقتنعت بأنك برىء

محمود الخفيف

بنت الصغيرة

للقصة لفرقة ماى بنافه

التي اعتادت مناظر القسوة
وأخيرا أجابت وهي تسح دموعها
بيديها وتلمح وجوههم خائفة « إسمي
إلفريدى شنيدر وعمرى ست سنووات »
ويمد لها مدير المحفر منديلا خلقا وهو
يسألها « ومن أبواك يا صغيرتى العزيزة ؟ »
وتقول الصغيرة « لست أدري ... حقا
لست أدري »

وصاح بها قائلا « بنت كبيرة مثلك
لا تعرف من أبواها ؟ ... هذا كلام فارغ »
وتهز البنية كتفيها يائسة ، وينظر
إليها المدير يائسا كذلك ؟ ثم تملى عليه تجاربه
أن ليس أفضل لها من أن تنام
ويسط رجال البوليس بأيديهم الغليظة
القبیحة فراشا للصغيرة الباكية فترتمى عليه
ولا تزال تجهش حتى يلفها النوم

وفي الصباح الباكر يقبل على فراش
الصغيرة مدير البوليس الذى وخط الشيب
رأسه وقد عول على المفاجأة وسيلة إلى
غرضه ، وينظر إلى الصغيرة إذ تفتح عينيها

كانت القارة ملأى بصفوف الجند تمتد
في طولها وعرضها كأنما ترحف إلى غير نهاية
وكانت تتجلى قسوة العصر وآثامه في تلك
الخطوط البشرية التي تدفع ذات اليمين وذات
الشمال كأنها سلع تافهة . وكان ذلك الإعصار
الدامى يمزق في أوربا عبرى كان يظن ألا
انفصام لها

« أماه ! » بهذا النداء كان يرتفع صوت
الصغيرة الضالة فيذهب بددا في كآبة الليل
وظلمته ...

وبينما كان أحد رجال الشرطة يجرجر جليبه
جرا إلى داره مثقل البدن والنفس بالنصب
والهم ، إذ وقعت عيناه فجأة على بنية تبكي
في زاوية الطريق ؛ ولم تجد حيلة في حملها
على الكلام ، ولم ينفعه شيئا ما أبداه نحوها
من تلطف وعطف

وحار من أحاطوا في المحفر بتلك الصغيرة
ماذا يفعلون كي تتكلم ، وهي تنظر إليهم
فرقة تجهش إجهاشات تهتز لها حتى قلوبهم

وتطرف ، قائلا وقد تكلف من الصرامة والعبوس ما أشعره أنها أكثر من طبيعته « أنت إلفريدى شنيدر فقولي أين تسكنين ؟ »

وتجيب الطفلة في غير تردد « رقم ٢٦ شارع مويهلجاس » ثم تنظر حولها حائرة. لم تدرك بعد أين هي . وقال مدير البوليس وهو يفرك يديه في ارتياح « حسن ! ها أنت ذى تعرفين ، فهل يقطن أبواك أيضا هناك ؟ »

وأجابت الطفلة وقد أفادت « أوه ... لا ، من فضلك ، لا يقيم هناك أبواي ، ولست أعرف أين هما وماذا حدث لهما ... إنه وحده يقطن هناك ... فرانز شنيدر وحده » وسألها الرجل متعجبا « أليس هو أباك ؟ »

وقالت الطفلة « نعم ... لا ... إنه ليس أبي » ثم عادت الدموع تنسكب من عينيها ، وقد اختنقت بالبكاء ألفاظها فكان لها نبرة حزن لن يصفها كلام

وعرض رجل البوليس الذى وجدها بالأمس أن يذهب بها إلى ذلك المسكن ، فأجابه رئيسه بقوله : « إن الساعة لم تتجاوز السابعة بعد . وها هو ذا فرانز فيما أظن قادما يبحث عنها فإني أسمع تساؤلا »

وفتح الباب ودخل الحجرة رجل في وجهه لفحة شديدة ، ولكن ما تكاد تقع عيناه على الطفلة حتى تنفرج أساريره . وتجري الصغيرة فتتعلق به باكية ، وهو

يصيح « إني ! ها أنت ذى بين يدي » ثم يضمها إلى صدره ، ويتجالد رجال البوليس كيما يحافظوا على ما ينبغي لهم من ثبات وقوة ، ثم يقول المدير « هكذا تصر هذه البنت العنيدة على زعمها أنها لا تعرف أبويها » ويقول ذلك الرجل الذى يهددها بيديه « حقا إنها لا تعرفهما ولا تدرى أين هما ؛ بل إنها لم تكن تعرف مأساتها هي حتى أمس فحسب »

كان فرانز شنيدر قد عاد من الميدان في إجازة قصيرة سنة ١٩٤٤ ، وكانت قد ولدت له طفلة ولم يستمتع بطفلته إلا ساعتين ثم دعاه داعى الواجب فعاد إلى القتال

وعصفت العاصفة ، فكم فصمت من عرى وثيقة ، وكم شئت من شمل جميع ! وأسر فرانز شنيدر ثم أطلق سراحه بعد عام . وأخذ الرجل يبحث عن زوجته وابنته ، فلم يدع سبيلا إلا سلكها ، ولا مكتبا للاستعلامات إلا طرقه ، حتى كلت قدماء . وكان يقرأ في لفحة ما يعلن في الصحف من أسماء المشردين ، ويستمع إلى الإذاعة وقلبه يثب في صدره ، ولكنه لم يرجع من ذلك بطائل وأحاط به اليأس ، وكره الحياة ثم وافته السعادة فجأة ذات يوم في صورة طفلة تدعى إلفريدى شنيدر ، وجدت ضالة في إحدى محطات سكك الحديد ، وكان حول عنقها قلادة تحمل اسمها . وراح الرجل

يضم ابنته إلى صدره ، وملء جوانحه الفرح ، وملء عينيه الدموع ، وعبثا حاول أن يعرف منها أين أمها ؛ وكان لا يظفر منها كلما سألها إلا بكلمتين « كانت أمى مريضة ثم تركتني ولم أعد أراها »

وآثر الرجل ألا يسألها بعد ذلك ، فإن ما كان يرتسم على وجهها الصغير من رعب كلما سألها كان يشيع في نفسه الألم والرغبة ؛ وإنه يجب أن تحيا ابنته حياة سعيدة ، وأن تنسى ماضيها المحزن المؤلم كل النسيان

وانقضى عامان كانت فيهما إلى الصغيرة عزاء فرانز عن زوجته التي لا يدرى أحيى هي أم ميتة . وكانت تؤنس ابنته وحشته ، وكان يرى فيها أمله ورجاءه في أن يحيا ... وكان أمس عيد ميلادها الخامس ؛ وقد اشترى لها أبوها من ألوان الحلوى ومن أشكال اللعب ما أبهج نفسها . ولشد ما ابتهجت بعروسها التي تغمض عينيها وتفتحهما والرجل فرح بفرحة ابنته . ولقد قضى أكثر نهاره معها في حديقة الحيوان وفي المساء أحاط سريرها بالزهر والورق البهيج الألوان

وفي مساء عيدها وبهجتها يأبى القدر إلا أن تذوق الصغيرة من الحزن ما لن تنساه أبدا وإن بلغت أرذل العمر

بينما كانت الرجل وابنته يتناولان عشاءهما في حجرة الطعام إذ دق جرس

الباب ، ففتحت إلى فإذا بها حبال سيدة لا تعرفها وكانت معها بنت صغيرة . وسألت السيدة « أقيم هنا السيد فرانز شنيدر؟ » ؛ ولما أومأت إلى بالإيجاب ، دخلت السيدة ، ومشت إلى حجرة الطعام فدقت الباب ، ودخلت ، وتركت الباب مفتوحا فاستطاعت إلى أن ترى ما كان بينها وبين أبيها

وصاحت السيدة قائلة « فرانز! » وألقت بنفسها على صدره باكية ، بينما كان ينهض الرجل وقد شملته دهشة عظيمة ؛ وصاح زوجها قائلا « ماري؟ أشكر الله ! ها أنت ذى حية » ثم نادى الرجل قائلا « إلى » وكان هذا النداء موجه لآلى الواقعة خارج الحجرة ، ولكنها لم تتحرك ، كأنما ساخت في الأرض قدماها . لم تستطع إلى أن تتقدم حينما رأت البنت الصغيرة الغريبة تتدلى من عنق أبيها وهو يقبلها مرتعدا من فرط سروره ثم يضمها إلى صدره

وأسندت إلى الواقعة خارج الحجرة رأسها إلى الحائط وبكت في صمت ، ولم تبين بعد على وجه اليقين ماذا يعنى هذا الذى ترى وأشارت السيدة إلى اللعب المتناثرة ،

وإلى الزهر والحلوى وقالت لزوجها : « هكذا أنت لم تنس عيد ميلاد ابنتك . ما أجمل ذلك منك » ثم التفتت إلى ابنتها قائلة : « انظري يا إلى ! إن هذه الهدايا كلها لك » وراحت السيدة ترى ابنتها تلك الهدايا التي

أغدقها زوجها على إلفى الأخرى التي لم تكن تعرف السيدة بعد شيئاً عنها عندئذ أدركت الطفلة كل شيء ، فهذه السيدة زوجته ، وهذه الصغيرة التي تدعى إلفى كذلك ابنته الحقيقية.. أما هي فلم تكن إلا غلطة فحسب !

وأحست الصغيرة فقد أبيها كما أحست فقد أمها ، ونظرت إلى ذلك الرجل الذي كان أباهما منذ لحظات ، ومشيت في جسدها رعدة شديدة ، وشعرت بذل الغربة في البيت كله وجرت إلى المطبخ وقبعت في ركن منه ونهض الرجل فجاء بها يكفكف دموعها وقدها إلى زوجته وابنته ؛ ولم يكن يعلم منذ لحظات أن لا رابطة تربطه بهذه اليتيمة البائسة

وجلست إلفى الغريسة صامتة دامعة تنظر من خلال دموعها إلى إلفى صاحبة البيت واللعب والزهرة والحلوى ؛ ولبثت في مكانها تستمع إلى ما كانت تقصه تلك الأم من أنباء عذابها وحزنها أيام كانت هي وابنتها شريدين ، تعبت بهما يد القدر . وانتفضت الصغيرة في رعب ، وقد أوحى لها ما تسمع عذاب أمها وأبيها

وكانت تنظر الصغيرة المحزونة نظرات الشكر والمحبة إلى ذلك الذي كان أباهما منذ لحظات وكانت في حزنها تستشعر الراحة — كما تظن الرجل حين نظر إليها — لما كانت

ترى من سعادته ببقاء زوجته وابنته ... ولما أووا إلى مضاجعهم جميعاً رأتها إلفى وقد نزلت من سريرها ، ومشيت نحو العروس التي لم تعد لها ، وربت بكفها الصغيرة على صدر العروس ومسحت شعرها في رفق ، ثم تسالت في سكون إلى خارج المنزل !

ولم تدرك أين تذهب ، وراحت تنتقل من شارع إلى شارع حتى أضناها الجهد . ولما جن عليها الليل وأخافها الظلمة أخذت تصيح « أماء ! » حتى وقع عليها رجل البوليس فأخذها إلى المخفر . وهناك كانت إلفريدى شنيدر عاجزة عن أن تذكر من أبواها

وكان مدير البوليس ورفقاؤه ينصتون في صمت وتفكر إلى الرجل وهو يقص عليهم قصة الصغيرة الضالة . ولقد كان يضمها أثناء حديثه إلى صدره ، وكانت يداها الصغيرتان في قبضته ؛ ولما فرغ خاطبها قائلاً « والآن يا صغيرتي العزيزة هيا بنا إلى المنزل فإن أمك قد أعدت طعام الفطور ، ولا بد أن أختك قد استيقظت الساعة »

وقال مدير البوليس : « هذا جميل منك ياسيد شنيدر » ثم جهد في تخليص حنجرتة ، وأمسك دمه في جهد ، فليس مما يليق برجل في مثل منصبه أن يظهر بمظهر لا يكون مخفر البوليس مجالا له على أي حال

فكر في الحل

قطاً فطيع

أتم رجل البوليس السرى فحص الحجرة ، فوجد كل شئ كما ينبغي أن يكون ، إلا الجثة والدم على أرض الحجرة وعلى حافة النافذة . والتفت رجل البوليس إلى ذلك الشخص الذى يجلس كأنه أبكم أصم على أحد المقاعد وأخذ يستجوبه

وراح ذلك الشخص يذكر نبأ المأساة قال : « لقد فزعت زوجتى مرات هذه الليلة من أصوات خارج المنزل ، وكانت تسألنى كل مرة أن أتبين ماهذه الأصوات. وفعلت كما طلبت. ولما لم أجد ما يريب عزوت تلك الأصوات إلى عابث همه أن يخوفنا . .

» وأوينا إلى فراشنا كل فى سريره فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . وبعد ذلك بزمان قصير استيقظت على صوت زحف وهمس . وبعد ثوان ألفت عيناى الظلمة فاستطعت أن أتبين شبها فى الحجرة أمام النافذة. فتحسست موضع مسدسى وكان تحت المخدة ، وتناولته وأطلقت رصاصتين. ثم

وثبت من فراشى ، وضغطت على زر النور . وما كان أشد فزعى أن أرى زوجتى هناك ميتة ! فأسرعت إلى التليفون واستدعيت الدكتور ولارد ثم ... »

فقاطعه رجل البوليس قائلاً : « لحظة من فضلك » واتجه إلى الطبيب سائلاً إياه « ماذا دل عليه فحصك ياسيدى الطبيب ؟ »

فأجاب الطبيب « نفذت رصاصة من الكتف ، ودخلت أخرى من الظهر واخرقت القلب ونفذت من الناحية اليسرى للمصدر ، وحدثت الوفاة فى الحال »

ثم سأل « ألم تمس يداك أى شئ فى الحجرة غير الجثة أيها الطبيب ؟ »

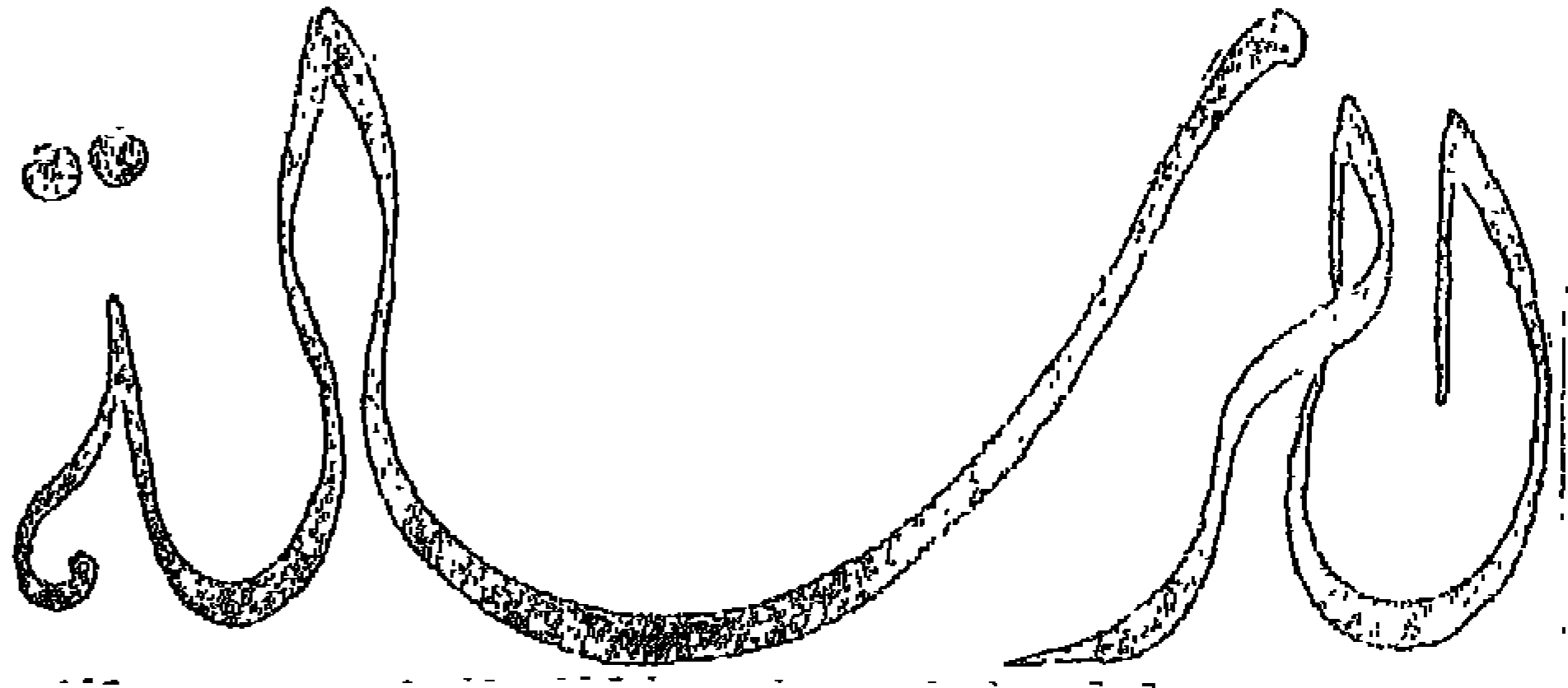
فأجاب الطبيب « لم أمس شيئاً » وسأل الزوج قائلاً « وأنت يادانلى ؟ » فأجاب « لم أمس إلا التليفون ، وكان البرد قارساً . فذهبت إلى الخزن وأوقدت ناراً »

فقاطعه رجل البوليس قائلاً وهو يفتح النافذة ليدع شيئاً من النور يدخل الحجرة : « لقد أوقدتها ناراً حامية حقاً ... ألا إنها جريمة دبرتها فى كثير من الغباء يادانلى .. اقبط عليه أيها الشاويش »

ماذا جعل رئيس البوليس يرفض حصة الزوج ويجزم أن الحادث جريمة مدبرة ؟

فكر فى الحل ياسيدى القارىء ، فإذا أعياك فاقرأه فى العدد القادم

(الرواية)



مجلة الأدب الرفيع والأسلوب العالي

تدخل سنتها الحادية والعشرين في أول يناير المقبل وهي بأقوى
في التحرير ، وأجمل في الأسلوب ، وأبلغ في التنويع
وأكبر في الحجم ، وأغزر في المائدة

سبوتها : وصل الحديد بالتقديم ، وربط الشرق بالغرب على هدى ودميرة
اقرأها : تردد قمتها في دينك ، وعلمها بلغتك ، وفيها لأدبات ، وسعة في ثقافتك

نظروا كل أحد من كل أسوع



العدد الثاني - السنة الرابعة



الأليزية، إيل القاهر

بالفرنسية روبرت
بفلم الأستاذ أحمد حنين الزيات

يمر الهابط من طاحونتي إلى القرية
بمنزل ريفي أقيم على جانب الطريق في صدر
فناء كبير يظله الشجر . وهذا المنزل
هو المنزل الحق لب الأسرة البروفنسي
«آجره الأحمر» وواجهته العريضة، ونوافذه
المتنافرة ، ودوارته الهوائية التي تدور على
سنتمه ، ورافعة القش التي تقف على
جداره ، وحزم الدريس التي تتناثر على سطحه
لماذا كان هذا المنزل يروع قلبي ؟ ولماذا
كانت بوابته المغلقة تقبض صدري ؟
لم أكن أستطيع تعليل ذلك ؛ ولكن
المنزل مع هذا كان يبعث الرهبة في نفسي .
كان حوله نطاق من السكون العميق
الرهيب الشامل ؛ فالكلاب تنظر ولا تنبح ،
والدجاج تنفر ولا تصيح !
أما في الداخل فلا تسمع صوتا ولا
حركة ؛ لا صوت إنسان ولا حركة حيوان !
فلولا الستائر المضروبة على الشبابيك ،
والدخان المتصاعد من الأسطح ، لحسبت
(١) الأليزية الفتاة المنسوبة إلى (أرل)
إحدى مدن فرنسا الجنوبية . وقد كتب قصتها ألفونس
دوديه بهذا الإيجاز ثم جعل منها مسرحية من نوع
الميلودرام في ثلاثة فصول وخمسة مناظر

المكان غير مأهول
كنت بالأمس عائدا من القرية ساعة الهاجرة؛
وكانت شمس الظهيرة تخرج القميص فيائع الوجوه ؛
فكسنت أتق وقعتها بالسير في ظلال الجدر
وفي أفياء الشجر . فلما صرت أمام هذا
المنزل وجدت عمالا يحملون عربة بالدريس
وهم سكوت . وكانت البوابة مفتوحة ،
فصوبت في المكان نظر العابر فوجدت في
آخر الفناء شيخا جلاله الشيب وأوهنه الكبر .
قد ارتدى سترة أقصر مما ينبغي ، وسراويل
مزقتها يد البلي من كل جانب ، وقد اتكأ
على منضدة عريضة من الحجر ، ووسد رأسه
على راحتيه ، فوقفت . وحينئذ دنا مني أحد
العمال وقال بصوت خافض :
ششت ! إنه السيد ! وهو على هذه
الحال التي تراها منذ وقع لابنه ذلك
الحادث الأليم
وفي هذه اللحظة مرت بنا امرأة وغلّام
صغير يلبسان السواد ويحمل كل منهما
كتاب صلوات ضخيم مذهب . فأتبعتهما
بصرى حتى دخلا المنزل . فقال الرجل :
وهذه هي السيدة ! والغلّام الذي معها هو

بفتاته مهما يكلفه هذا الظفر ؛ حتى أعلن أنه
سيموت إذا لم ينلها .

فلم يسمع أبويه إلا أن يفضيا على ما يقال في
الفتاة وقبل أن يزوجاه منها بعد الحصاد

وفي مساء يوم من أيام الآحاد أدبت
العائلة مائدة أشبه بوليمة العرس . نعم لم

تحضرها الخطيبة ، ولكنهم تقارعوا على ذكرها
وشرفها الكؤوس نجبا بعد نخب . وإيهم

لنى شهوة الطعام ونشوة المدام إذ وقف
بالباب رجل يطلب فى صوت مضطرب أن

يحدث إلى السيد إستيف نفسه . فقام
إستيف عن المائدة وخرج يلقاه على مدرجة

الطريق . فلما دنا منه قال له الرجل :

« سيدى ! إنك تزوج ابنك من ساقطة
خالاتها سنتين كاملتين . وما أدعيه سائبته .

اقرأ هذه الرسائل . ولقد كان أبواها يعلمان
ما كان بيني وبينها من أمر ، فوعدانى الزواج

منها ؛ ولكنهم أخلفوا الوعد وخاسوا به يوم
تقدم ابنك إلى الفتاة . فلا هم ولا هى يريدون

اليوم أن يصلنى بهم سبب . ولقد كان الظن
ألا تصلح هذه الحسنة لغيرى بعد أن حدث

بيننا ما حدث »
فقال السيد إستيف بعد أن سمع من
الرجل ما سمع ، وقرأ من الرسائل ما قرأ :

حسن ! ألا تدخل فتشرب قدجا
من المسكات ؟

ابنها الأصغر . وهما عائدان من القداس ،
فإنهما لا ينقطعان عن شهوده كل يوم منذ

انتحر ابنها الأكبر . آه ! ياسيدى ! لشد
مآلامهم الحزن وأرمض جوانحهم الألم !

ولقد أصر الأب على أن يرتدى ثياب الميت
ساره وليه ، ولم يستطع أحد أن يحمله على

خلعها . ثم حرك الرجل العنان فى يديه وقال
لجسمانه : شئ ! فاهتزت العربة تريد أن تسير ،

فقلت للسائق : أركبنى معك فأنى أريد
استقصاء هذا الحديث . ومن فوق العربة

وعلى حمل الدريس أخذ الرجل يروى لى
هذه القصة المحزنة :

كان يسمى جان . وكان فلاحا فى
العشرين من عمره ، بارع الفتوة ، صلب

الفضل ، حيي الطبع ، طلق الحيا . وكان
على حظ عظيم من الجمال والرونق فامتدت

إليه عيون النساء . ولكنه كان فارغ القلب
منهن إلا من واحدة : أرليزية صغيرة

رآها مرة فى ميدان (أرل) ترفل فى القظيفة
والخرم ، فشغفت قلبه حبا . وبلغ أبويه

الخبر فلم ينظرا أول الأمر إلى هذه العلاقة
بنظرة الرضا ؛ لأن الفتاة قد انتشرت لها فى

الناس سمعة بكثرة الدلال وقلة الحشمة ؛
ولأن أهلها لم يكونوا من أهل هذه البلاد

ولا من ذوى المثالة .
إلا أن جان قد أمضى عزمه على أن يظفر

فقال الرجل : شكرا ! إن ما بي من النعم
أضعاف ما بي من الظما . وانصرف
وعاد الأب إلى مكانه من المائدة ووجهه
وصوته لا ينان على شيء مما يكظمه .
واستأنف القوم طعامهم وشرابهم حتى
انتهت المائدة كما بدأت في سرور وبهجة .
فلما تقدم الليل خرج إستيف وابنه إلى
الحقول قلبا فيها طويلا ثم عادا . وكانت
الأم لا تزال تنتظرهما على قلق . فلم يكادوا
يحتممون حتى قال رب الأسرة لزوجته وهو
يقدم إليها ابنه : عانقيه يا امرأة . إنه بائس !

لم يمر بعد ذلك ذكر الأريزية على لسان
جان ، ولكن قلبه لا يزال كلفا بها . وقد
لج به هذا الكلف منذ أروه إياها وذراعها
في ذراع آخر . إلا أن كبرياءه كانت
تأبى عليه أن يبوح بمكنون حبه ، وهذا هو
الذي قتله . كان كثيرا ما يقضى أياما
بأسرها منعزلا في ركن من الأركان لا يتكلم
ولا يتحرك . وكان في أيام آخر ترتد حاله
إلى الضد ، فيقبل على الأرض حاسرا عن ساقه
ويده ، فيعمل ثم يعمل حتى ينجز وحده
ملا ينجزه إلا عشرة . فإذا أمسى المساء
اتخذ السبيل إلى (أرل) فيمشي قدما حتى
يرى في سمرة الشفق قساب الأجراس
الدقيقة صاعدة في سماء المدينة ؛ فيعود عندئذ

أدراجيه ولا يذهب إلى أبعد من ذلك .
فلما رآه أهله على هذه الحال ، أليفه
الحزن وأنيسه الوحدة ، لم يدروا ماذا
يصنعون ؛ وأشفقوا عليه أن يصيبه مما
يعانيه سوء . ففي ذات عشاء قالت له أمه
وهي ترمقه بعين عبرى : « اسمع يا جان !
إذا كنت تريدنا على علتها أنلناك إياها »
فأطرق الأب رأسه ، وضرّج الخجل وجهه
أما الابن فقدم أومأ إلى أمه أن لا ، وخرج
ومنذ تلك الليلة غير جان أسلوب حياته
كان يتصنع المرح ويتكلف السرور ليطمئن
والديه على حاله . وكان إذا أقبل الموسم
الذي يسمون فيه العجول والحيول بالسبات
المميزة ، أقبل هو أيضا على الرقص بخاصر ،
وعلى الحانة يشرب ؛ حتى قال الأب :
« الحمد لله ! أبل المريض وسلا العاشق »
ولكن الأم كانت على خلاف زوجها ،
نوجس في نفسها خيفة ، وتتوقع لابنها
شرا . فتعقبت خطواته ، وراقبت سكناته
وحركاته ، وأيقظت لتعقبها ومراقبتها العين
الكلاء والقلب الشاهد

وكان جان ينام مع أخيه الأصغر في
غرفة مجاورة لبית دود القز . فجاءت الأم
المسكينة بسريرها فأقامته بجانب هذه الغرفة ،
بحجة أن الدود ربما احتاج إليها أثناء الليل !
وبعد قليل أقبل عيد القديس (إيلوا)

شيخ أرباب الأسر ، فكان عيده في العزبة
يوم متاع وقصف : كانت صنوف الحلوى
تقدم إلى كل إنسان ، ودنان الخمر تسيل
في كل مكان ، والصواريخ تتفجر في الأرض ،
والقذائف تفرقع في السماء ، والمصابيح ذات
الألوان تكلل أغصان الشجر ، والهتاف
بذكرى القديس تشق أجواز الفضاء ،
والرقص الربيعي ينزو بالناس نزو الجنون ، حتى
بلغ الطرب بالابن الأصغر أن يحرق قميصه
الجديد ؛ وبدأت على جان نفسه دلائل الغبطة
فحمل أمه العجوز على أن ترقص ؛ فرقصت
المسكينة وهي تبكي من طغيان السرور

وانتصف الليل فأوى كل إلى فراشه .
وكان القوم من فرط ما قصفوا وعربدوا
محتاجين إلى النوم فناموا . إلا جان فلم
تكتحل عينه بنوم ، ولم يطمئن جنبه إلى
مضجع . وقد حكى أخوه أنه بات طول
الليل ساهدا ينتحب ويتململ

لشد ما كابد المسكين ! لقد قلت لك
إن لدغته كانت شديدة

فلما غورت النجوم وأسحر الليل ، سمعت
الأم إنسانا يجتاز الغرفة وهو مسرع .
فسبق إلى وهما خاطر فظيع فصاحت :
« جان ! أهو أنت ؟ »

ولكن جان لم يجب . لقد كان وقت
أن صاحت على السلم . فهبت الأم فزعة مسرعة

وهي تنادى !

« جان ! إلى أين تذهب ؟ »

ولكن جان لم يجب . لقد صعد إلى
أعلى البيت فصعدت الأم وراءه وهي تصيح :
« جان ! ولدى ! استحلفك بالله »

ولكن جان لم يجب ، وأغلق من وراءه
الباب وأحكم رتاجه . فوقفت الأم تتضرع
وتقول : « جان ! جانو ! أجبني ! ماذا
تريد أن تصنع ؟ »

وأخذت تتحسس موضع المزلاج بيديها
المعروقتين المرتعشتين ؛ ولكن صوتا طرق
أذنيها ، فسمر يديها : صوت شباك يفتح ،
وصوت جسم يسقط . وانتهى على بلاط
الفناء كل شئ ! لقد كان يقول المسكين
لنفسه : « إني أحبها حبا غلب على عقلي وغطى
على بصري ، فلا حيلة إلا أن أرحل »

ما أبأس قلوب بني آدم ! حتى الاحتقار
الذى يقتل النفس لم يستطع أن يقتل الحب !
ولما أصبح الصباح واستيقظ أصحاب

القرية أقبل بعضهم على بعض يتساءلون :
من الذى يصرخ هذا الصراخ المروع قريبا
من دار استيف ؟ وما كان هذا الصارخ
الهالع إلا أم جان ارتمت عارية على بلاط
الفناء أمام المنضدة الحجرية المغطاة بالندى
والدم ، وأخذت تصرخ وتقول وبين
ذراعيها ابنها الصريع ! **محمد بن زيات**

وَإِخْبَرَا الْخَبَرَ

لِلأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الْخَفِيفِ

وأصاحت حويتها وأثبتتها على رأسها ثم
وضعت فوقها جرتها وانتظرت ريثما جاءت
سلفتها بجرتها وخرجتا تقصدان ترعة قريبة
وراحت مأمونة تبدى عجبها لسلفتها
كيف ظلت نائمة بعد أن استيقظ كل من
في الدار ، وكيف لم تصح حين صحا زوجها ،
ونهب من جوارها وكيف لم يوقظها ،
وأخذت تصف لها كيف ظلت مؤرقة حتى
ظهرت نجمة الفجر . ولكن حماتها لن تقبل
منها عذرا ومتى سمعت منها إلى معذرة قبل ؟
وكانت سكينه على الرغم من طيبة قلبها
لا تخلو من خبث ، فنظرت إلى مأمونة وهي
تضحك ضحكة ذات معنى ، وأدركت
مأمونة ما تريد فمشت حمرة خفيفة في وجهها
الأبلج الجميل واختلجت عيناها المتألقتان
ورفت أهدابهما الطويلة وهي تحدج سكينه
حدج الملامة

وقالت سكينه ضاحكة « إنك حريصة
على رؤيته وما يهيك غضب حماتك . وإنك
لتحلمين به حتى تبدو نجمة الفجر . اطمأني
فستدركينه فإنه لن يعود من مشيته والله
حتى يراك ؛ وستجدينه عند التربة . وها هي
ذى طراوة الصبح تسرى في الحقول على

أشرقت الشمس ورأت مأمونة وهي
لا تزال راقدة فوق سطح الدار أشعتها الحمراء
في سمف النخلات القريات وفي قمة المأذنة
البعيدة ، فاستوت جالسة على حصيرتها ،
ودلكت بأناملها الدقيقة السمراء عينيها
الدعجاوين الجميلتين ، ثم ما لبثت أن نهضت
فطوت فراشها ونزلت بسرعة إلى فناء الدار ،
ونظرت فلم تجد إلا البقرة والجاموسة ،
فأدركت أن زوجها قد خرج بجمله إلى الحقل
البعيد . وسمعت سلفتها سكينه تحدث بعلمها
في إحدى القاعات وقد تهيأ ليسحب الدابتين
إلى حقل قريب وتهيأت هي لتحمل جرتها ،
ورأت حماتها المعجوز نشطة في بعض أعمال
الدار فبدا على وجهها كثير من الخجل
والهم ، ثم أبصرت رب الدار على مصطبة
لدى الباب يقتل بعض الحبال فحيته في استحياء
وعمدت بسرعة إلى إبريق فغسلت
وجهها بقليل من الماء ثم مسحته بذييل
جلبابها الأبيض وسوت شعرها بكفيها
معجلة وشدت عليه بمنديل أخضر جديد ،
وارتدت جلبابها الأسود ، ووضعت على
نحرها عقدها الكهرماني الكبير الحبات ،
وتطرحت بطرحتها الطويلة السوداء ،

تكافت الغضب وصاحت بسلفتها ثانية بين
المبوس والصحك وثلة « سكينه ! ماذا
دهى عتلك هذا الصباح ؟ »

رآها أول مارآها فجأة، وكان خارجا من
داره في طرف القرية ذات صباح من أصباح
بشنس ، ولم يمض إلا أيام قلائل من إجازته
السيفية التي يقضيها كل عام في القرية لا يكاد
يرحها حتى تبدأ الدراسة . ونظر فإذا هو
حيال قروية شاة يأخذ العين جالها الرائع،
فوجهها المتورد في سمره، وعيناها الواسعتان
السوداوان، وأنفها المستوى الدقيق، وفمها
الذي لا يزيد عن استدارة الخاتم ، وخدها
الأبلج الأسيل، ومفرق شعرها الماحم تحت
منديلها الأخضر ، وعندها الكهرمانى
الذى يدور بنجرها المصقول، وقوامها الأهيف
الطويل في غير إفراط، وصدرها الناهد ، كل
أولئك قد ائلف في صورة من الحسن عجيبة .
وأثبت في وجهها عينيه وفي نظراته الإعجاب
والمعجب ، ونظرت هى كذلك إليه نظرة
جريئة لم تستردها إلا بعد لحظة . وأدرك
أنها تفتنت إلى إعجابه بها فامتلا بهجة .
وأحس أنه قرأ في وجهها ارتياحا عظيما لما
تفتنت إليه ، فلتد كانت تنظر إليه وكأنما
تشعر أنها اهتدت إلى من يدرك جمالها
ويقدره قدره ...

وانقضى اليوم كله ، ولم تزل صورة

الرغم من شمس ثؤوبة وما يمشى سيدى والله
كل صباح في إجازته هذه إلا ليراك «
وحبست مأمونة في جهد ابتسامة حلوة
في ثغرها الدقيق الذى يبدو كأنه ثغر طعلة
وصاحت بسلفتها قائلة « سكينه ... ماذا
حدث بعثلك ؟ » ثم تظاهرت بالغضب على
الرغم مما بدا من أمارات الرضا في محياها
الأسمر المتورد القسيم وعادت تقول « مانى
ولسيدك هذا ؟ وهل يفكر فى أمثالنا ؟ وأين
نحن منه ؟ »

واقتربتا من الترعنة فأبصرتاه مقبلا ،
وجعلت مأمونة من طرحتها نقابا لوجهها
تخفيه عن سكينه ، وغطت صدرها بذيل
الطرحة وإن الاضطراب ليملا جسمها كله
وإن سكينه لتسمع دقات قلبها . وسر بهما
فأثبت نظرة في وجه مأمونة وفي قوامها
المرهف وصدرها الناهد ولكنها لم ترفع
إليه عينها . وحيا سكينه كما يفعل كلما رآها
قائلا « صباح الخير يا سكينه » وردت عليه
في اهتمام شديد بقولها « صبحك الله بالخير
يا سيدى ... الطريق كله منور »

وقالت سكينه لسلفتها وهى تلمح في
وجهها : فرحة وفي عينها زهوا وفي مشيتها
تخلعا « إنه يحبيك أنت يا مأمونة ... والله إنه
يحبك ... وهل يخفى الحب ؟ لقد كان ينظر
إليك نظرة لو رأيتها ... »

وضحكت مأمونة ولكنها ما لبثت أن

مثل ذلك في وجهه . ولم يلبث أن أحس
الفتى بعد أيام إحساسا عجيبا فإنه لم يلبث
ضيقا ونكدًا إذا مر يوم فلم يرها فيه ، وإنه
لا يزال في ضيقه حتى يراها ، ويرى من
بعد ابتسامتها التي تضيء وجهها حين تقع
عينها عليه والتي تحبسها إذا اقتربت منه ،
فإذا الدنيا كلها باسمحة حوله . ثم إنه بات
يعجبه منها شيء آخر يضاف إلى جمالها ،
ذلك هو ما يحسه من رزانتها واحتشامها ،
وحسن أدبها إذ تحي صاحباتها أو
تتحدث إلى النسوة . وحسن ذوقها في اختيار
زينتها حتى تبدو وهي القروية الساذجة
وكأنها ذات ثقافة

وسرعان ما عرف اسمها واسم زوجها
وأسرته ، ولشد ما آله وكدره أن تزف
مثلها إلى عطية ذلك القصير الأعشى الذي
لا يعجب في هيئة ولا في هندام وإن
كان أبوه ميسورا بعض اليسر ، والذي
لا يعرف إلا حقله وداره فيخرج أكثر
الأيام قبل شروق الشمس فلا يعود إلى
داره إلا بعد غروبها مكدودا مصقارا يكاد
يسقط من الإعياء

ملأت مأونة وسكينة جرتيهما وجلستا
على حافة التربة تنتظران من يعينهما على
حملهما . وقالت سكينة « اسمعي يا مأونة ا
إن سيدي حسين يريد أن يحدثك ... وأنا

تلك القروية ملء خاطره ، وإنه لرج طيلة
بهاره يرى البهجة في كل شيء ويحس المتعة
في كل حديث وإنه ليرد ذلك فيما يحس إلى
ذلك الجمال الذي طالعه به الصباح

وكان خارجا من امتحانه مكدودا ، لم
تبق له إلا سنة واحدة في كليته ، وكان
يحدث نفسه أن يستمتع بإجازته هذه
ما وسعه الاستمتاع ، فلن تكون له بعد
تخرجه إجازة طويلة ، وها هو ذا يفتح
إجازته بما يلقي السحر في خاطره ويشيع
البهجة في نفسه ...

وكان يثلج فؤاده حديث نفسه إليه أنه
سوف يعرف عما قريب من هي ، وإن كان
ليعجب كيف لم يرها قبل ذلك . على أنه
يدرك من عقدها الكهرمان ، وثوبها الأسود
الشبيه بالحرير ، وخلخالها اللامع ، وحذائهما
الجديد ، أنها عروس فتلك في القرية أمارات
لا تخطئ ، وأكبر الظن أنها تزوجت شابا
في الحارة التي تقع غير بعيد من بيت عمه
العمدة وبيوت أسرته

ورآها في صباح اليوم التالي تحمل
جرتها إلى التربة في سرب من الصبايا ،
وكان جالسا أمام داره يترقب في قلق
وشوق ، ونظرت إليه واختلجت شفتاها
بابتسامة خفيفة ، ولكنها استردت نظرتها
في سرعة مخافة من حولها ، وقرأ في وجهها
أنها تحرص على أن تراه وأن يراها ، وقرأت

موضع شرك و ... » والتفتت إليها مأمونة التفاتة سريعة وقالت وفي وجهها صفرة وفي صوتها تهديج وقد دقت صدرها بكفها : « سكينه ... أنت سلفتى وما أسأت إليك قط وإني أحبك وأحب أولادك ، فلم نسيئين إلى ؟ ماذا تعنين بهذا ؟ أنا أحب زوجى ... هذا ما قسم الله لى ، وليس بمزير على الله أن أصبح أما كما أنك أم ، ورجائى فى الله كبير ... لم تطيعين حماك فمتجسسى على ؟ أنا أعرف أنها هى التى دفعتك ، أما زوجى فهو مسكين لا يعرف إلا لقمته وفأسه .. حرام عليك يا سكينه .. » وتندت عينا مأمونة ومسحت دموعها بذيل طرحتها فقالت سكينه مضطربة « أنا يا مأمونة أتجسس عليك ؟ والله ما كلمتى حماك فى شىء ولا تدرى شيئا ... والله إن سيدى حسين رجل طيب جدا ، سيرته مثل المسك بخلاف أبناء أعمامه جميعا . وما أردت إلا أن حديثه معك لن يضرك شيئا »

وجاءت امرأتان فأعانهما على حمل جرتيهما ، فسارتا صوب القرية صامتتين . ولما مرتا ببیت العمدة ، وبيوت أسرته ، أسرع مأمونة مشيحة بوجهها عن تلك الدور لترى سلفتها أنها لا تحب أن ترى أحدا

أهو الحب عاد يخفق به قلبه ولم يشف من جراحات له بعد ؟ أهو اهتزاز نفسه

للجمال فحسب كما تهتز لمطلع الشمس وغروبها وإشراقة الفجر وطلعة القمر ؟ ذلك ما كان يهيجس فى خاطر حسين ذات صباح وهو على كرسيه أمام بيته منكدر النفس فقدمت به مأمونة فى سرب من صويجباتها ولم تنظر إليه وكان فى وجهها عبوس أقرب إلى أن يكون حزنا . وإنه ليسخّر من نفسه أحيانا إذا خلا إليها ، فإذا كان ما يحسه فى أعماق نفسه هو الحب ، فما غايته من حب فتاة قروية هى قبل كل شىء زوجة ؟ كلا ... ليس ما يحسبه إلا الإعجاب بالجمال ملك عليه نفسه وحرك قلبه الشاعر . ولكن ما باله تفكر نفسه ويظلم نهاره إذا غابت عنه يوما أو يومين ؟ وما بال قلبه يهفو إلى نظرة من نظراتها ؟ بل ما باله اليوم ضائما بنفسه لأنها مرت به ولم تنظر إليه ؟

وقطعت عليه خواطره سكينه حين رفع رأسه فرآعا أمامه . لقد جاءت تبيعه بعض أزواج من الأرانب والحمام ، وكان اليوم يوم سوق القرية ، وإن وجهها ليدى ما تخفيه فى نفسها ، فسألها باسم « أهذه أرانبك أنت وحماماتك ؟ » فأجبت من فورها بل أرانب مأمونة وحماماتها ولى بعضها ؛ تبيعها لخلاف بينها وبين حماتها على إطعامها ، وهى تريد عنها لزور السيد البدوى وتضع شيئا من المال فى صندوقه ... ثم إن زوجها يطلب منها المال ليشتري الشاي والمسل فليس

يعطيه أبوه شيئاً على كثرة ماله ولا يعطى روجي حسناً ولكن زوجي لا يرهتني فقال باسماً : أتعلم أنك تبيعينها لي ؟ فأجبت في جسد : لا والله ياسيدي . وأنا لا أستطيع أن أفتري الكذب عليك فسألها ولم لم تذهب بها إلى السوق ؟ قالت : طلبت إلى أن أفعل ذلك ... فإنها ... إنها مهمومة تبكي ... لقد شتمها زوجها وشتمتها حماتها ، وما خرجت لئلا جرتها هذا الصباح إلا مكرهة

وبدا على وجهه الألم الشديد والراء والحنق على حماتها وزوجها ، وأغرى ذلك سكينه بأن تثرثر لتستزيد عطفه ، فراحت نصف له كيف تسكرها حماتها لأنها لم تحمل ، وكيف تهتمها دائماً أن لا هم لها إلا أن تزين لتعجب الرجال ، وأن ذلك يشغلها عن أعمال الدار . وكيف انتهرها زوجها بالأمس وهم بضربها حين قالت له إنها لا تكاد تراه في النهار ، وما أسرع ما يلفقه النوم في الليل ، وإنه يرهقها بطلب المال وهي لا تملك سوى ما تربي من طيور قليلة وأرانب يموت أكثرها أحياناً ...

وقاطعها حسين قائلاً في كثير من الغيظ « أيكون مثل ذلك القصير الأعشى زوجاً لأجل فتاة في القرية ؟ » وأحب أن يداعب سكينه فليس بينه وبينها كلفة فقد كانت خادمة في بيته ولا يزال أبوها وأمها من

خدمهم ، فقال لها « أعجب أنك لا تفارين منها ياسكينة ! » وكأنا أراد بذلك أن يستزبدنا من أبناء سلفتها ، فقالت سكينه « وهبني الله البنين ووهبها الجمال ؛ ولكم تتمنى المسكينه الولد ياسيدي ... ولكم تبكي حظها ، وأنا أحبها والله لأنها طيبة هادئة لا يكاد يسمع لها في الدار صوت ، ولأنها تحب أولادي ولا تبخل عليهم بشيء وستزور السيد البدوي وسيدي عبد المال وإن شاء الله يوجد عليها ربنا بالولد »

وقال حسين ضاحكاً : « على كل حال ما كانت مثل هذه لذلك القصير الأحمق الذي يستوى عنده الغزاة والقردة »

وضحكت سكينه قائلة « والله ياسيدي كلامك حق . ولكم يغيظها منه أنه لا يفتن منها إلى أي معنى مما يفتن إليه الرجال ، مع أنها إذا زلت السوق لا يبقى شاب أو رجل من بلدنا أو من البلاد الأخرى إلا ويسكاد يأكلها بعينيه ... إنها وسط مئات النساء والصبايا في زحمة السوق تجذب الأنظار فلا تقع إلا عليها »

ودخلت سكينه بيته بما تحمل من أرانب وحمام ، وخرجت بعد حين فسألتها في جرأة : « ألا تمشي الليلة بعد المغرب ؟ سترانا عائدتين فسنملاً جرتينا هذا المساء من التربة تحت شجرة الصفصاف عند رأس غيطنا القريب »

أشجار الصفصاف والتوت والسنط والجدير
على جواب الترع والندران ، والطرق تكاد
تكون خالية إلا من بعض الصبايا عائدات
بجرارهن من التربة البعيدة

وتجاوز في مسيره شجرة الصفصاف
المقصودة وعيناه على الأفق الشرقى مستقرقتان
في خضرة الشجر وحمرة الشفق ، ثم استدار
نحو مغرب الشمس ، فأبصر على بعد فتاتين
تحملان جرتيهما ، وسرعان ما عرف مأموته
من مشيتها ثم عرف سكينته ..

وتوارى غير بعيد خلف شجرة ، حتى
ملأتا جرتيهما تحت الصفصافة ، ثم أقبل
كأبه عائد من سير طويل وأبصر مأموته
وكات لا تزال على حجر في الماء تكشف عن
ساقها ، وظهرها إلى الطريق ، ورأته سكينته
فضحكت ، فقال « مساء الخير يا سكينته » وقبل
أن تجيب التفت إلى مأموته فرأى دهشة المفاجئة
في وجهها والاضطراب في جسمها ، ولكنه
تبين في ذلك الوجه المصفر مع ذلك فرحة ،
ورأى في عينها رضا وسكنا ، وأحس في نظرها
شيئا من الخجل والشكر فتذكر ما باعته إياه
سكينته ، ثم مالبت أن عادت لوجهها حمرة
فكان وزرقة الماء من تحته كقطعة على
الأفق من حمرة الشفق

وقال حسين : وهو يخفي اضطرابه :
« من معك يا سكينته ؟ » وابتسمت مأموته
فإنه يراها ، فقالت سكينته « هذه خادمتك .

ومشت وهي تمد النقود في يدها ،
ورأى وهي منه على خطوات الدهشة في
وجهها من سخائه والفرحة بنصيبها من الثمن
وطابت نفسه بأن يعين مأموته على زيارة السيد
البدوي ، وأن يذهب عنها بعض الهم

قضى نهاره بعد الساعات ، وإنه ليسأل
نفسه أتعلم مأموته بهذا الموعد أم أنه تدبير
سكينته وحدها ؟ وإنه ليسأل نفسه كذلك
كما سألها ما هذا الذي يحسه نحو تلك القروية
السادجة ؟ وإن لم يكن هذا هو الحب فماذا
يكون الحب إذن ؟ ويعود فيقول لنفسه
وما غايته من هذا الحب ؟ أذلك الذي يحسه
هو سحر الجمال ليس غير ؟ ولكن أيستطيع
أن ينصرف عن هذه القروية فلا يفكر فيها ؟
إن هذا السؤال وحده يكدر خاطره وسرعان
ما تمثل له عيناها الدعجاوان ولون وجهها الذي
مارأى قط مثل حمرة وسمرة ، ونظرتها التي
كأن يؤمن أنها لو تمكنت من صخر لاهتز
الصخر ... سرعان ما يتمثل له ذلك فيقفو إليها
قلبه وعيلاً نفسه السحر

وتسلل وحده إلى الحقول ولم يبق من
الشمس إلا حمرة في أطراف السعف . ومشى
يحيط به الفضاء الذي تحبه في الريف نفسه
الشاعرة ، فالأرض خالية على مد البصر إلا
من بعض حقول القطن هنا وهناك ؛
وأنفاس البساء تسرى رحية من بين

«أمونة» فقال في هدوء «لا تقولى خادمته
من مثلها فى القرية جمالا بذوقا؟»

واشتدت الحمرة فى وجه أمونة وهى
على الحجر فى الماء ، والتمت عيناها فى
اشوة وزهو ، ثم أشاحت بوجهها نحو الماء
فى خفر فقال « مساء الخير يا أمونة » فردت
فى صوت خافت ونفسها يتقطع « مساء
الخير والسعادة ياسيدى حسين »

ووقف لحظة ومل نفسه بهجة لا يدرى
ماذا يقول ، ثم تظاهر أن فى كفيه بعض
الغبار وأنه يريد أن ينسلهما ، وقالت سكينه
« هاتى بعض الماء بكفيك يا أمونة »
واقترب من الماء وأخذت أمونة تغترف
منه بكفيها وتصب على يديه (مرتعة الأامل)
وهو يتأمل فى جبينها الصقيل وعينيها
النجلوين ويرى من قرب أنفها السوى
وقفا الرقيق ، وهى متجهة ببصرها إلى الماء
لا تكاد تنظر حتى إلى يديه

وابتمدت سكينه متظاهرة أنها تجمع
بعض أغصان الصفصاف تزيد بها حوتها ،
فأخرج من جيبه عقدا ودسه فى جيب أمونة
فى مثل لمحظة الطرف ، وما كادت تلتفت حتى
رأته فى وسط الطريق ...

وخرجت من الماء مرتبكة المفاصل
مرتعة الأطراف ، ولكن فى أسارىها
فرحة ، وأعانت سلفتها على حمل جرتها ،
وضحكت سكينه قائلة « ومن يعينك على

حمل جرتك ؟ لم لم تصبرى حتى يأتى من
يعيننا معا ؟ » وما كان أشد دهشة حين
تقدم حسين فقال لأمونة « لقد صببت الماء
على يدي وسأعينك بنفسى على حمل جرتك »
وتراجعت أمونة مأخوذة وفى محياها العجب
والرضا قائلة « لا .. لا .. ياسيدى وأنا
قدر المقام ؟ أنا خادمته ياسيدى » ولكنه
أصر فأطاعت ، فتناول الجرة بيديه وطأطأت
رأسها قليلا ومدت يديها المرتعشتين فأعانها
على حملها وهو يحس أنفاسها على صفحة
وجهه وسارت وسلفتها ومل نفسها
الزهو والرضا

رآها فى الصباح فابتسمت له شاكرة ،
ورأى فى وجهها وعينيها شيئا آخر غير
الشكر ، شيئا يحسه ولا يدري ، شيئا
لا يكون إلا بين قلبين
وازدادت بينه وبينها الألفة ، فإذا
كانت وحدها حياها وحيتها ، وإذا كانت
مع سكينه حياها معا ؛ ولكنه لا يرى عمقه
فى جيدها أبدا

وعلم من سكينه أنها تخاف أن تلبسه ،
فسلسلته ومشبكه من الذهب وحباته مما ليس
للقرى به عهد ، وكان قد أعد هدية لقرية
له . وماذا عسى أن تقول لزوجها وحماتها إن
سألاها عنه ؟

ورأت عقدها ممطلا لا يعجب به أحد ،

كما كان يجالها معطلا قبل أن يعجب به حسين؛ ولكنها حريصة عليه، تضعه حول جيدها لحظات إذا خلت إلى نفسها وتنظر إليه مليا في المرأة ثم تعود فتخفيه

وعادت من زيارة السيد البدوي فقد ذهبت مع زوجها وحماها ذات يوم فقضوا سحابة النهار. وأنبأته سكينه أنها ألفت أكثر تمودها في الصندوق وأنها تصدقت ببعضها وأنها مطمئنة إلى أن الله سوف يهب لها غلاما وأصبحت تحرص مأمونة على أن ترى صاحبها، فهي تمر ببيته مرات في عمل وفي غير عمل. وصارت تخرج كل صباح بجرتها وحدها أو مع سكينه لالتقاء فتبدو به بتحتيتها وتسمعه وقلبا يخفق يحياها بأحسن منها

وصار إذا غاب عنها يوما أو يومين يرى عند التقائهما لهفة في وجهها وشوقا في تحتها. وراها كلما مرت به في سرب من صواحبها ترفع صوتها لتسمعه، وتضحك مزهوة وتمايل تحت جرتها الثقيلة كأنها تتراقص، ونمضي خفيفة مرحة لأنها تعجبه ولأنه يفتن إلى ما تفعل ويعجب به

وجدت آخر الأمر من يعجب إعجابا صادقا يهز نفسها من أعماقها بجالها الذي طالما تحسرت من قبل أن لم تكن تجد من يعرفه ويقدره. وأحست أنها اليوم تعيش عيشا ماعرفته من قبل إلا في الحلم ... وأحست صاحباتها أنها اليوم مزهوة

دائما مرحة أبدا، ثم مالبثت عيونهن الماكرة أن تبين أن ما بينها وبين حسين هو ما يكون بين حبيبين فإنه لا ينظر فيهن إلا إليها. وإنهن ليرين في وجهه الاهتمام والاهفة. ويرين في وجهها مزيجا عجيبا من الفرح والاضطراب تحاول أن تخفيهما في جهد. وقالت إحداهن وتدعى حميدة ذات مرة في همس وخوف وحقد تعرض بها وتشير إلى أسرته: إنهم يحسنون الاصطياد ثم يتركون فرائسهم بعد ذلك نهبا للعار والجوع. ونظرت إليها مأمونة متكرهة غاضبة يكاد يطفئ الدمع من عينيها وكادت تصرخ فيها قائلة «إلا حسين»؛ ولكنها كظمت غيظها وإن أحست إحساسا مبهما بنذير لها في هذه الكلمات! على أن النذر كلها لا تلبث اليوم أن تتبدد في مباحج ذلك الحلم الذي يملأ حياتها وغدت لا تعبأ بشيء مما يتهامس به النسوة والصبايا، وأصبح يحياها حسين وهي معهن، وكثيرا ما يجعلنها في مقدمتهن طوعا أو كرها، وهي تزهى عليهن بما تربهن من دلائل حبه وإعجابه وتدل إدلالا يزيدنها سحرا وفتنة

بات يحصى ما تصرف من أيام إجازته، وكان يزعمه انقضاء الأيام في سرعة ماعرف مثلها من قبل. وسيفادر قريته متى انقضت إجازته مامن ذلك بد. ومع أنه لا تزال له في

القرية أيام طويلة ، فهو لا يطيق أن يتصور
يوم أن يرحل وكأنه وهو الشاعر الذي تفتتح
لجمال نفسه ، يرى اليوم من جمال قريته
، لم ير من قبل ، فأسحارها وأصالها ومجاليها
وحقولها وبيادرها وكل شئ فيها قد شاع
فيه السحر ، وكان كل فتاة في قريته حبيبة
إلى نفسه منذ عرف مأونة

وبينما كان على كرسية ذات مساء أمام
داره ، عند مخرج القرية إلى الحقول وقد
أخذت أشعة القمر تلألؤ رؤوس الشجر
والنخل ، وتبدو بيضاء على الجدر الطينية
التي تتراءى له على بعد منه ، إذ عاود خاطره
ذلك السؤال الذي طالما هجس في نفسه :
ماذا ينتفى من مأونة ولا يعدو ما بينهما أن
تراه ويراه ؟ ويكاد يصدق نفسه أن ما يظنه
حبا إنما هو خيال شاعر . وأخذ يتسم
سلخا من نفسه تارة كما يفعل كل مرة ،
ويضيق ضيقا شديدا بهذا الصراع تارة أخرى ،
بل إنه ليكاد يمتقد أن ما كان يملأ نفسه من
تسويق إليها قد أخذ يفتر منذ أن ألفتها وألفها ،
وراح يتفكر في هذه الحالة العجيبة من
حالات نفسه ، وشعر بشئ من الارتياح
لهذا الحاضر فلا ضير أن ينتهى ما بينه وبينها
على أية صورة

ويتمثل له قوامها الرقيق ووجهها الجميل
وعيناها اللتان مارأى مثلها قط . ويتخيلها
عاتة خازعة في صمت كأنما عرفت ما بداخل

نفسه من تغير ، فيزعج لهذا الخيال ، ويروح
يؤكد لها في خياله أنه لن ينساها مهما بعد
عن القرية ، وأنه سيبقى وغيا لها ما عاش .
وحسبه أن يراها في كل إجازة . . . وترتاح
لهذا الخيال نفسه ويزايلها انقباضها شيئا
فشيئا . ثم يرفع رأسه فإذا هو أمام حقيقة
لا خيال ! فهأ هي ذى مأونة فوق رأسها
مقطف تمر به صامته لا تلتفت إليه ! فيتألم
ويعجب ، ثم يلتفت يمنة ويسرة فلا يرى
غيرها ، فيتبعها مسرعا ويناديه في صوت
خافت ، فتقف تحت نخلة ملتفتة إليه ، ويقبل
عليها ولما يفق من دهشته ، ويمد إليها يده
مساما فتسند مقطفها بيسراها وتميل على يده
تحاول أن تلتئمها ، فيشدها مسرعا ويقول وفي
صوته اضطراب وفي بدنه كله نشوة

هكذا تمرين بي ولا تتكلمين ؟
قالت في همس خشيت أن يكون أحد
في مدخل البيت
فسألها : إلى أين تذهبين وحده في
هذه الساعة ؟

قالت : إلى حقلنا البعيد أجل الطعام
إلى زوجي وأخيه وأبيه ، وسكينة قادمة
ورأى ، وليس في الحقول ما يخيف والقمر
طالع والأرض خالية

فسألها باسمها : هل سبقت سلفتك
لتكلميني ؟
وضجكت مأونة ضحكة حلوة وأسندت

مقطفها بأاملها الرقيقة وهي تنثني في عجب ،
وكان نسيم المشاء يعبث بجريد النخلة
تنتسرب أشعة القمر من خلاله حيناً فتظهرها
وتختبئ حيناً فتسترها . وسمع قلبها يدق
واشتدت كذلك دقات قلبه ، ورأى شفيتها
تختلجان ، فدنا منها حتى اختلطت أنفاسها
ورأى في وجهها استسلاماً ودهشة وكانت
متجهة صوب القرية فهمست « ها هي ذي
سكينة » فالتفت وقلبه يلحن سلفتها ؛ ورد
نحيبها في برود . وحيا مأمونة وعاد إلى كرسيه
لا يدرى أفي حلم هو أم في يقظة ! وكانت
لا تزال ملء بدنه نشوة عجيبة ما أحس مثلها
أبداً . وخبرت نفسه كيف يكون أجمل ما في
الحياة أن يحب الإنسان وأن يكون محبوباً ،
ورأى كيف تنمحي الفوارق جميعاً في الحب
بل كيف تتمزج روحان فكانت في بدن ،
وفئت هو أجسه فلم يعد يتصور حياته خالية
من مأمونة

مر يوم لم يرها فيه ولم يشد ضيقه
وقلقه . ومر ثان وثالث فأظلم كل شيء حوله .
ومر رابع وخامس فلم يعد يستطيع صبرا ،
وذهبت به الظنون كل مذهب . أنهاها
زوجها عن الخروج ؟ أهى غاضبة من زوجها
فهني في دار أبيها ؟ أمريضة هي ؟ وما
مرضها ؟ وأين سكينة ؟ حتى هي لم بعد يرى
وجهها الأغر مما يزيد بخافه وارتبابه . ولم

يجد بدا من أن يرسل عشية اليوم الخامس
من جاءت بسكينة إلى بيته ، فما كاد يراها
حتى اطمأن قلبه ، فليس في وجهها ما ينذر
بخوف وسألها فقالت « إن بركة السيد
البدوي وسيدى عبدالعال قد حلت بها ، ففي
بطنها ولد إن شاء الله ، وهي راقدة من أيام ،
وما يضايقها الآن إلا النسي » وسكنت
سكينة لحظة ثم قالت في شيء من التردد
« وإن الغم ليزيد أوجاعها والغيب يبعد النوم
عنها وأنا بجانبها دائماً أنهاها عن البكاء فلا
تكد تكف عنه »

فسألها : وفيه هذا الغم وقد حلت بها
بركة السيد ؟

فأجابت من حماتها ومن زوجها ! ثمتها
تهمها بالتمارض وزوجها يتركها في قاعة
مظلمة ولا يخطر بباله أن يسأل عن حالها يوماً ؛
فإنه لا يكاد يربط جملة في المشية وقد جاء من
عمله ويلقى أمامه العلف ، حتى يصعد إلى
السطح فينام إلى الفجر ثم يخرج إلى الغيط
فقال في غيظ : وماذا يعنيها من هذا القرد ؟
فقالت : لقد كان بكرها لأنها لم تحمل
وها هو ذا الولد في بطنها ، وإنه ليحزنها أن
بظل معرضاً عنها

فقال مفكراً : بلغها . لا ملامى و...
فقالت : وشوقك إليها يا سيدى ...
أعرف ذلك وهي والله مشتاقه إليك ...
كثيراً ما تذكرك

فقال في لهجة الأمر : خذى هذا وإياك
أن تعلم مأمونة . اشترى لها ماتريد وانتحلي
لا معك من مال مصدرا آخر . أفاهمة أنت ؟
فأجابت : حاضر ياسيدى . ربنا يبقيك
لنا . . .

كان بعد ذلك بأسبوع على ظهر مهره
الأسود فى جلبابه التيلى الأبيض الفضفاض
يقصد حقلا من حقول أسرته البعيدة عسى
أن ينسى بعض هممه . وكان النهار قد متع
واشتد التميظ فزاده ضيقا على ضيقه ... وكان
يحبس الوحشة فى كل شئ ، ويمجب أين
ذهب ما كان يشيع من سحر فى كل حى وفى
كل جماد ! وكانت توسوس له نفسه بما عسى
أن يكون فى كلام سكينه من اختلاق حتى
ليكاد يجزم أنه ما حجب مأمونة إنما هو سبب غير
المرض ؛ ولئن لم يكن يدري ماهو ، فهو يوجس
منه خيفة ، وراح ينتقل من خاطر إلى خاطر
كما ينتقل به مهره من ظل شجرة إلى ظل أخرى
ونظر على بعد وقد انعطف به مهره فى
طريقه فلاح له الصفصافة الحبيبة ، ورأى
عندها فى الحقل عطية وحسنا وأباها ، نفق
قلبه ، وأنعم النظر فتبين هناك نسوة فى ظل
الشجرة تحجبهن بعض الدواب . أترى
مأمونة فيهن ؟ واقترب من الشجرة فإذا
هى هناك ! وإذا بها تسترد نظرتها إليه فى
سرعة وتتجه صوب الترعة . وألقى إلى

الرجال تحية الإسلام فاعتدلوا واقفين فى
احترام وردوا تحيته ثلاثهم فى اهتمام وجهر
لقد كانت مريضة حقا ... ذلك ما رآه
فى وجهها وبدنها ؛ ثم أخذ وقد زال اضطرابه
ينتبه إلى مآدب فى نفسه من إحساس
بالفرح لرؤيتها بعد هذه الغيبة ومن شعور
بالخوف مما تم عنه نظرتها

إن فى عينها نذيرا له مافى ذلك شك .
هذا ما فسر به نظرتها . لقد لح فى عينها الاعتذار
والأسف ، ومض الألم والحزن . إذن فلينتظر
القطيعة وليوطن نفسه على تحملها . وأوشك
فى ضيقه أن يرحب بهذه القطيعة ففيها شفاؤه
من هذه الحيرة الأليمة . وعاد يسأل نفسه فى
حزم ماذا يريد من مأمونة ؟ إن واجبه ألا
يخدع نفسه أكثر مما فعل . ما غايته من
حبه هذا ؟ أليستطيع أن يمتحن هذا الجمال ؟
إنه إن فعل أبطل سحره ، وتركه سلعة
رخيصة ، وماذا يبقى من روعة الحلم إذا غدا
وليس بحلم ؟ قطيعة ؟ كلا ... كلا ...
إنه يفزع من مجرد اللفظ . إنه واهم ... فما
رآه فى عينها إنما هو شكاتها من زوجها
ومن سقمها ...

قالت مأمونة تحدث سلفها تحت
الصفصافة وهما يطمان لقيات من الخبز
القديد والحلل والمش « ما كنت أحب

يَقْظُرُ الْقِسْطَ

لَسْتَرَى

بِقَلَمِ الْأُسْتَاذِ كَامِلِ مُحَمَّدٍ جَبَبُ

وأشترى لك من أرباحي بعض الهدايا التي
تملاً المعرض « وهنا ودع أسرته وأسرع
إلى غايته

وفي منتصف الطريق هبط إيفان فندقاً
يطلب الراحة والجلم . وهناك لقي صديقاً
من التجار جلسا معا يتناولان الشاي
ويسمران حيناً ، ثم انطلقا — بعد حين —
كل إلى فراشه في حجرتين متجاورتين
بينهما باب

وعند الفجر هب إيفان ليستأنف رحلته ،
فهي قد تعود أن ينام مبكراً وأن يصحو
مبكراً . وبعد أن طوى خمسة وعشرين ميلاً
هبط فندقاً آخر ليفدى راحله وأخذت
الخيول تلهم العلف على حين انتحى إيفان
ناحية من الطنف يعزف على قيثارته .
وأخذته النشوة فما أفاق إلا على صوت
عربة تقف على حين فجأة لدى باب الفندق .
وهبط من العربة ضابط وجنديان . وانطلق
الضابط من فوره صوب إيفان يسأله : « من
هو ، ومن أين أتى ، وإلى أين يذهب ،
وكيف قطعت الليلة الماضية . وهل قابل تاجراً

إيفان ! كسينوف تاجر شاب من تجار
مدينة فالديير ، يعيش في سعة من العيش ،
فهو يملك منزلاً ودكاكين . لقد كان إيفان
شاباً أنيقاً يتقد نشاطاً ويتوثب مرحاً ،
يهوى الغناء ويميل — هونا ما — إلى
الشراب ، فإذا أسرف فيه عربد . ولكنه
حين تزوج عزف عن الشراب إلا صبايات
تستهويه بين الفينة والفينة

وفي ذات صيف عقد إيفان العزم على
أن يرود معرض نيزنى يشتري ويبيع .
وحين أقبل يودع زوجته بأفترته بقولها :
« لا ترحل اليوم يا إيفان ، لأنني رأيتك
الليلة في حلم مزعج »

فضحك إيفان وهو يقول : « لا عجب
إن أنت خشيت أن تزوين نزوات الطرب
حين أغمتر في نشوة المعرض »

فأجابت الزوجة : لست أدري مم أخاف ؛
ولكنني رأيتك في منامي تعود من المدينة
فتخلع قبعتك فإذا رأسك يشتعل شيباً

فضحك الزوج مرة أخرى وهو يقول :
« هذه علامة سعيدة ، سأبيع بضاعتي كلها

تخونك . فحدثني كيف قتلت الرجل ؟ وكم من المال سرت ؟ »

وراح إيفان يتسم أنه لم يفعل ، وأنه لم ير الرجل منذ ساء الأمس ، وأنه لا يحمل مالا سوى ثمانية آلاف روبل هي كل ماله هو ، وأن السكين ليست له . ولكن صوته كان مضطربا متكسرا ، وكانت صفرة الخوف تعاو وجهه ورعدة الاضطراب تسيطر على أعصابه كما لو كان هو المجرم الحقيقي

وذهبت الصيحات هباء . وأمر الضابط قعيد الرجل وألقي في العربة ليودع السجن وجاء يوم المحاكمة فأدين المتهم بقتل التاجر وسرقة عشرين ألف روبل كانت معه ، فحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة وجلد حتى دمي جلده ، وأرسل إلى سيبيريا ليقضى مابقى من عمره في العذاب المهيمن

وذهبت الزوجة إلى زوجها المسكين تحمل الأسى واليأس في صدرها وتحمل على كتفها أطفالا صغارا لم تفتح عين واحد منهم — بعد — على الحياة . ورأت زوجها يرسف في الأغلال الثقالة وقد تسربل لباس السجن ، تضمه قضبان السجن ليكون لصا بين لصوص ، وليكون مجرما بين مجرمين ... وأنه على هذه الحال فاستولى عليها الملح فسقطت فاقدة الوعي فما أفأقت إلا بعد

آخر ! وهل قضيا معا الليلة ؟ وهل رأى كل منهما الآخر صباح اليوم ؟ ثم لماذا غادر إيفان الفندق في عجلة من الناس ، عند طلوع الفجر ؟ ...

لقد كان إيفان يسمع هذا السيل من الأسئلة ويحس وهو في حيرة . فهو في سبيله إلى غاية شريفة لم يقترب ذنبا ولم يجترح إثما وسأل إيفان الضابط : فيم كل هذا ؟ فأجابه الضابط قائلا : « أنا ضابط بوليس الناحية ، وأنا أستجوبك لأن التاجر الذي قضيت معه ليلتك الماضية ألفيناه في الصباح قتيلا ، ولا بد أن نفتش متاعك . ثم اندفع الضابط والجنديان إلى متاع الرجل يفتشون ، ففتروا بين متاعه على سكين لوثت بالدم . وصاح الضابط في وجه إيفان « لمن هذه ؟ » ونظر الرجل إلى السكين الملوثة بالدم وهي تجذب من بين متاعه فارتاع وحاول أن يدفع عن نفسه ؛ ولكن الكلمات ماتت على شفاهه إلا كلمتين « لست أدري ... لست أدري ! »

وقاطعه الضابط قائلا : « عند الصباح وجد التاجر قتيلا قد حزت رقبتة . وأنت الرجل الوحيد الذي يمكن أن يرتكب الجريمة . لقد كان الباب مغلقا من الداخل ولم يكن هناك غيركما . وهما هي ذى السكين ملوثة بالدماء بين متاعك ، وهما هي ذى أعصابك

ومضت ست وعشرون سنة في العذاب
المهين ... مضت السنون الطوال فأحالت الرجل
الشاب إلى رجل آخر ساب شعوره واسترسلت
لحيته وانحدر ظهره وران العبوس على وجهه .
يتشى في بطنه ويمسك عن الكلام فلا يتكلم
إلا نادراً . لا تنفرج شفاهه — أبداً — عن
ابتسامة ؛ وهو بعد يقضى وقته كله يصلي
لله وحده

وفي السجن تعم إيفان صناعة الأحذية ،
فهى تدبر عليه قليلا من الربح يعينه على
قضاء حاجاته . ومما ربح من صنعيته
استرى كتاب « حياة القديسين » وراح
يستظهر صفحات منه كلما وجد الضوء في
السجن المظلم . وكان يذهب أيام الأحاد إلى
كنيسة السجن يقرأ لرفاقه الدروس ويرتل
الأناشيد بصوت فيه النغم الموسيقى الأخاد
ومضت الأيام فإذا إدارة السجن
تكشف عن خلال كريهة انصف بها إيفان ،
فهى ترى فيه الدعة واللطف والاستقامة
والدين ، وإذا رفاقه يحسون باحترامه
ويشعرون بقدرته فيلقبونه مرة « بالجد » ومرة
« بالقديس » ثم اتخذوه محاميا يدافع عنهم
بالحق وقاضيا يحكم بينهم بالعدل
وامتنعت عن إيفان أخبار أسرته —
زمانا — فما عاد يسمع عنهم شيئا
وفي ذات صباح أقبلت ثلة من المذنبين

لأى . وجلست الزوجة إلى زوجها وقد
تصببت بها الحزن والكمد تسأله : « ماذا
تسنى أن تفعل ؟ » قال : « يجب أن نلتمس
المعروف من القميص ، فهو لن يدع بريثنا يهلك
نحرم غيرد » ذات الزوجة : « قد فعلت
ولكن التماسي لم ينل القبول » فأطرق
الرجل في بأس واستمرت الزوجة تقول :
« نعمك تذكر حدينى ساعة الوداع ، لقد
حذرتك من السفر في ذلك اليوم ... ولكن
حسب أنما زوجتك المخلصة الوفية ... خبرنى
الحزب الصحيح ! قل لى أفعلت ؟ »

« ساج الرجل من أعماق قلبه « حتى
أنت ... حتى أنت يتسرب الشك إلى
نفسك » ثم عطى وجهه بكلتا يديه وانخرط
في البكاء طويلا . ولكن الجنود لم يمهلوا .
الأمراء تستمتع باللقاء طويلا فأمرؤا الزوجة
والأطفال بالانصراف فخرجوا وانزل
المرمى يودعهم الوداع الأخير

واستطاع إيفان بعد حين أن يملك
نفسه وأن يسيطر على أعصابه ، فتذكر
حديث زوجته وراح يناجى نفسه « إنه
ليسول أن الله وحده هو الذى يطلع على
خائنة الأنفس ، فأليه وحده يجب أن نرفع
الأكف بالدعاء ومنه وحده يجب أن نلتمس
الرحمة » وهكذا فقد إيفان كل أمل في
الإنسان وأخذ يصلى لله وحده

إلى السجن ، ونجمع السجناء زمراً والتف
القدامى منهم حول الحديشين يسألونهم
ويتقصون الأخبار ، عل واحداً يسمع شيئاً
عن أهله وأسرته

وجلس إيفان في ذلة وانكسار يتسمع
إلى حديث رجل طوال متكثل العضل
قوى البنية قد شارف على الستين من عمره
وقد استرسلت لحيته على صدره ... جلس
إيفان يتسمع إلى قصة الرجل وهو يحكيها
يقول : « يا رفاق ! إني لم أفعل شيئاً
سوى أنني وجدت حصاناً شد إلى عربة
ففككت رباطه وركبته لأبلغ المنزل في
سرعة قبض على واتهمت بالسرقة . ولما
سئلت قلت : لقد أردت أن أبلغ المنزل في
سرعة ثم أطلق الحصان فيعود إلى حيث
كان . هذا إلى أن صاحب الحصان صديق
حميم . ولكنهم لم يسمعوها لحديثي فجئت إلى
هنا في غير ذنب . وفي الحق لقد ارتكبت
في شبابي جرماً كان جزاؤه أن أساق إلى
هذا السجن ، ولكنني أفلت من العدالة ..
فقال له واحد « ومن أين جئت ؟ »

قال الرجل « جئت من فالديمر فأنا
من هناك وهي بلدي . إن اسمي ما كاروهم
يسمونني سيميونييتش »

ورفع إيفان رأسه لدى سماع هذه الجملة
وهو يقول « من فالديمر ؟ خبرني إذن يا

سيميونييتش هل تعرف أسرة أكسينوف
التاجر ، ألا يزالون أحياء ؟ »
وقال الرجل متعجباً « أعرفهم ؟ وكيف
لا ؟ إني أعرف الكثير عنهم . . إنيهم
أغنياء ولكن عائلتهم هنا في سيبيريا قد أودع
السجن . أما أنت يا جدف كيف جئت إلى هنا ؟ »
ولم يشأ إيفان أن يتحدث عن نفسه ؛
ولكنه أرسل من بين التهنيدات العميقة
كلمات متقطعة « إن ذنبي قذف بي إلى
السجن لأعيش فيه ستاً وعشرين سنة »
فقال سيميونييتش « أي ذنب اقترفت ؟ »
فأجاب إيفان في أسي « لا بأس فإني
— ولا ريب — أستحق كل ما قاسيت »
ثم سكت . ولكن رفاقه أخذوا يقصون
على الوافد الجديد قصة إيفان كلها وهو
يسمع في دهشة وينظر إلى إيفان في عجب
ثم قال « عجيب ، عجيب جداً ! ولكن
كيف أصبحت شيخاً هكذا ؟ »

وعجب الرفاق من كلمات سيميونييتش
ونحلّقوا حوله يطرّونه بوابل من الأسئلة
يريدون أن يستطلعوا جلية الخبر ولكنه لم
يجب إلا بقوله « إنه عجيب — يا رفاق —
أن نتلاقى هنا »

ورنت الكلمات في أذني إيفان توحى
إليه بأن هذا الرجل يعرف سر مقتل التاجر
فقال له « لعلك سمعت يا سيميونييتش عن

مقتل التاجر ! »

فقال له « نعم فإن الشائعات قد جابت
الآفاق ، ولكن هذا شيء انطوى منذ زمان
وطمست الأيام آثاره فنسيته الذاكرة »

فقال له إيفان « ولكن لعلك سمعت
عن "القاتل" »

فضحك سيميونيوتش وهو يجيب « لا
شك أنه الرجل الذي وجدت السكين بين
متاعه . وإذا كانت السكين قد دست بين
متاعك فالذي فعل برئ حتى يدان . ولكن
كيف يستطيع رجل أن يدس سكيناً في
حقيبتك وهي تحت رأسك ثم لا تستيقظ ؟ »
وسمع إيفان كلمات الرجل فأيقن أن

هذا الرجل هو القاتل الحقيقي . وصدمته
الحقيقية فانطوى على نفسه طول الليل
يجتر همومه وبين عينيه أخيلة لا حصر
لها تضطرب فلا تستقر : لقد رأى زوجته
في الشباب والجمال والرح كيوم ودعها
لينطلق إلى المعرض ، وسمع كلماتها
وضحكاتهما ترن في أذنيه . ورأى طفليه
الصغيرين : الكبير في معطفه الأنيق ،
والآخر على صدر أمه تحنوه عليه . ثم تراءت له
نفسه شاباً في عنقوان الشباب والقوة والنشاط ،
يمرح متى شاء ويضطرب إذا أراد . ثم مرت
الحوادث أمام ناظره فإذا هو في شرفة
الفندق يعزف على قيثارته ، ثم إذا هو بين

يدي البوليس ، ثم أمام المحكمة ثم ... إلى
أن انطوت ست وعشرون سنة وهو حبس
هذا السجن البغيض . أفسكان كل ذلك في
سبيل هذا المجرم الأثيم سيميونيوتش ؟ وثارت
مأثرة إيفان تدفعه إلى أن ينطلق إلى هذا
الوعد ينتقم منه شر انتقام ، ولكنه كتم
ثورته في نفسه وراح يردد ادعيته طول الليل .
غير أن الادعية لم تكن في هذه المرة
قادرة على أن تبلغ شغاف قلبه فتبعث
فيه الهدوء والراحة . وفي أثناء النهار كان
إيفان يعرض عن غريمه فلا يراه ولا يجلس
إليه ولا يتحدث

ومضى أسبوع وإيفان لا ينام الليل
ولا يقر قراره بالنهار

وفي ذات ليلة ذهب إيفان يجول في
أتحاء السجن فرأى فوهة خندق قد حفر
تحت أحد الرفوف التي ينام عليها السجناء
فوقف رهة يستطلع الخبر ، فإذا سيميونيوتش
يقفز من داخل الخندق وينظر إلى إيفان
في رعب . وحاول إيفان أن يسير في سبيله
ولكن الرجل أمسك به يحدته في فرع
حديث الحفرة وحديث الأمل في الهرب
من السجن وهو يقول : « لا بد أن تحفظ
السرف في نفسك فستتمكن أنت أيضا من
الهرب ، فإذا أفشيت السرف فإنهم سيجلدونني
حتى أموت ولكن سأقتلك أنت أولاً »

فقال إيفسان وثورة الغيظ تسرى في عروقه « أما أنا فلا أبتنى الحرب ، وأما أنت فانت في حاجة إلى قتلى لأبك قتلتي منذ زمان طويل . وسواء أحفظت السر أم أوشيته فإن إرادة الله نافذة حتما »

وفي اليوم الثاني عثر الجند على موضع الخندق ، وجاء الحاكم — حاكم السجن — في ثورة يستجوب السجناء ليرى أيهم ارتكب هذا الجرم . ولكن واحدا ممن يعرفون كنه الأمر لم يستطع أن يخون سيميونييتش فيكشف عن السر . وفي النهاية توجه الحاكم إلى إيفان وهو يقول « أنت رجل صادق فخبني الحق » واختلطت مشاعر الرجل فاهتزت أعصابه وتناهتته عواطف مختلفة وتجاذبت آراء متناقضة تركته لانفعالات شتى فنظر إلى غريمه نظرة خاطفة ثم حدق في الحاكم وهو يقول : « إنني لا أستطيع أن أحدث . إن إرادة الله تمنعني من الكلام ، فافعل بي ما تشاء فأنا بين يديك »

وحاول الحاكم أن يستل من إيفان اعترافا ولكن جهوده ذهبت كلها هباء فلم ينطق بكلمة غير ما قال

وشعر الرجل بأنه أسدى يدا إلى واحد من الناس فاستلقى — أول الليل — على سريره وأخذت سنة من النوم تداعب

جفنيه ، وقبل أن يستغرق في نوم عميق شعر بأن رجلا قد جلس على حين دمتة على سريرته ، فاستيقظ ينظر فإذا سيميونييتش يجلس بجواره ، فقال له « والآن ماذا تريد ؟ ماذا جاء بك ؟ » وسكت سيميونييتش فلم ينبس بحرف وهب إيفان من رقاذه يزجره قائلا « ماذا تريد ؟ اذهب عني ! سأنادي الحارس إن لم تذهب حالا ! »

ولكن سيميونييتش أقبل بهمس في أذني إيفان في ضراعة « اعف عني ، اعف عني يا إيفان ، فإنني أنا الرجل الذي قتل التاجر وخبأ السكين بين متاعك . لقد كنت على عزم أن أقتلك أنت أيضا ولكنني سمعت صوتا خارج الحجرة فخبأت السكين بين متاعك وقفرت من الشباك أطلب الهرب » وتحير إيفان فما يدرى ما يقول . ولكن سيميونييتش هبط من فوق السرير وركع على الأرض وهو يقول « اعف عني ، اعف عني يا إيفان ! فسأعترف بكل ما كان وسيخلي سبيلك فتذهب إلى أهلك »

فقال له إيفان « إن من الهين عليك أن تتحدث ، ولكنني قد قاسيت من أجلك ستا وعشرين سنة ، فإني أين أستطيع أن أذهب ؟ لقد مانت زوجتي ونسيتي أولادي فإني أين أذهب الآن ؟ »

ولكن سيميونييتش لم يرفع رأسه وزاح

يُرِيدُ أَنْ يَنْسَاهَا

للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

المكلمتين للشقة سكنت ونامت . وأمسى
جو « البدروم » مشبعا بالرطوبة أكثر من
قبل ، وذلك أيضا لأن الليل خطا خطوة
جديدة نحو الصباح

وخفتت الأصوات في الحجرة الملائمة
التي يسكنها طالبان من طلبة الأزهر ، حتى
بينهما وطيس الجدل قبل أن يناما حول
مسألة لا يدري طالب الطب أفعية هي أم
بحوية ؟ !

وأخذت أفكاره تتضح تحت رواق
الليل حتى لكانه يلمسها لمسا . واستمع
من جديد إلى خفقات قلبه فاسترسل معها

قضى سواد ليله وهو يعد خفقات قلبه
قضاء يعدها ويتدبر معناها تدبر شاب
يدرس مهنة الطب ويقف إلى مائدة التشريح
ليعمل مشرطه في جوارح وأعضاء كان
يخاف عليها أصحابها هبة النسيم !

وأخذت أفكاره تتضح كلما خطا الليل
نحو الأمام خطوة وخطت الحركة في المدينة
نحو الوراء خطوة عكسية حتى لم يعد يسمع
جمعجة عربة ولا حفيف سيارة . وكلها يمر
من فوق رأسه فتدخل إليه الضوضاء من
خلال النوافذ لأنه ساكن في « بدروم »
وحتى الحركة في الحجرتين الآخرين

لا يحمل ضغنا ولا يحوى حقدا . وأحس
أنه لا يريد أن يفادر السجن وتنتهي أن
تقرب ساعته الأخيرة

وانطلق سيميو نيتش إلى الحاكيم ليحبر
بجرمه القديم . وصدر الأمر بالإفراج عن
إيفان . وحين انطلق البشير ... انطلق
ليرى الرجل القديس قد أسلم الروح

لمل محمود صيب

يستعطف إيفان قائلا « اعف عني فإن
وقع السوط على جلدى حين جلدوني لم
يكن بأقنى من نظراتك إلى ... لقد
رحمتني فلم تتحدث عن جرمي ، والآن
أتمس أن تعفو عني ... » ثم أجهش بالبكاء
وسمع إيفان نشيج الرجل فانخرط هو
الآخر في بكاء طويل وهو يقول « يعفو
عنيك الله ... يعفو عنك الله . » وأحس
حينذاك أن قلبه قد أصبح طاهرا تقيا

وعاش ، كما نسير سل مع النغم حتى خال أنك
سابع فيه . ثم جعل يسأل نفسه عن عدد
خفقاته منذ دبت فيه الحياة حتى جاوز اليوم
سن العشرين ، وإلى أى مدى ستدوم هذه
الخفقات ؟ وكم من ملايين الملايين سيبلغ
عددّها يوم الممات ؟ ! ياله من عضو نشط
يسهر حتى ونحن نيام ؟ !

ثم أمسك لأنه اتقه إلى دقات ساعته
من تحت الخدة وابتسم حين رأى بين
الجهازين تشابها عجيبا ... كلاهما يدق !!
هذا يدق فيجعلنا نحس الوقت لأننا نعيش ،
وذاك يدق فيجعلنا نحصى الوقت لنعرف
كم نعيش ! ؟

وتخلصت أفكاره من استظرادها
الطارى فعدت إلى ما كانت فيه من قبل .
ذكر القلب ومخفقات القلب ، فاستحضر
صورته كما رآها فى حجرة التشرىخ ، له
أذنان وبطينان ، وأوردة وشرايين ،
وأشياء أخرى ... لكنه وثب وثبة كبرى
نفجر من دنيا العلوم إلى دنيا العواطف ،
وذكر اليوم الحاسم الفعال فى علاقته معها
ثم بدأ يستعرض القصة

كان يريد أن ينساها ولو أن كل شيء
يذكره بها . وهذا هو الأسبوع قد دارت
دورته وجاء صباح الخميس ...

إذن فهو لم يرها منذ أسبوع . منذ
الخميس الماضى بعد أن أمسى المساء فلقبها
فى مسكنها . وبعد أن قضى معها فترة من
الوقت هبط درجات السلم المظلم الدائر وقد
صح عزمه على ألا تطالع عيناه معارف
وجبهها الحويرة أخرى ولو أحرقت أوصاله
النار . ولم تكن هى تعلم بأنه اتخذ هذا
القرار وإلا كان من الجائز جدا أن تلقى
بنفسها من النافذة على مرأى منه حتى تضمن
أن يسجى جسدها بيمينه .

ومر الأسبوع كالحا ثقيلًا كان فيه
أشبه بمن يعيش فى دوامة ، لكنه كان مصرا
على ألا يرجع خطوة واحدة إلى الوراء
لاعتبارات شتى أهم ما فيها أنه يريد أن يضع
نهاية لهذا اللون من الحب ، وأنه جعل
رجولته فى كفة وجعل السلوان فى كفة
أخرى ، وأنه أراد أن يضع رجولته كذلك
فى بوتقة تجربة عالية الحرارة ليستيقن من
أنها ستثبت على الصبر

وهكذا مر الأسبوع . وخرج فى صباح
يوم الخميس آخذا سمته إلى الكلية ، وكان
مبشرح الصدر نوعا ما لأنه لم يحسن ضعفا
خلال المدة التى انقضت وإن قاست نفسه
ضروبا من الحنين وألوانا من الأفكار .

والتف الطلبة حول منضدة التشرىخ
فى الغرفة وبدأوا يستلون أسلختهم ليغفلوها

في جوارح خاف عليها أصحابها هبة النسيم
وكان بين أيديهم في هذه الحصة ... قلب !
وقاما يتساءل الطبيب وهو يعمل الموضع
في هذا العضو العظيم ، وعاء العواطف ،
قاما يتساءل : ترى قلب من هذا ؟ وإن
تساءل مرة أو مرتين فغالبا ماتت خلف الثالثة .
وإذا اقتنعت بمنطق فإنك ستسلم باستحالة
أن يسأل الطبيب نفسه قائلا : أقلب امرأة
هذا ، أم قلب رجل ؟ وبعد ذلك يغمد
في القلب السلاح بنفسية من يغمد المديّة في
جبهة البطيخ . وهذا هو ما يجري في حجرات
التشريح .

لكن الذي حدث صباح يوم الخميس
كان غير ذلك ، لأن أحد الطلبة ممن التفوا
حول المنضدة تساءل بعد أن علت شفتيه
ابتسامة خبيثة : ترى قلب من هذا ؟ !
فهمس في أذنه جاره الأيمن وكان كثير
المرح يقول له : « ولا القلب إلا أنه
يتقلب » هذا هو كل ما تخلف في ذهني من
رواسب المدرسة الثانوية ... هل تعرف
صدر هذا البيت ؟ ... مالنا ولصاحب هذا
القلب أيها الزميل ؟ فقال الأول : جسبتك
تعرف صاحبه . فابتسم الجار الأيسر ، وهو
صاحب القصة ، ثم مال إليهما مستغربا
موضوع الحديث فما كان من الطالب
الأوسط إلا أن همس : إنني أعرف صاحب

هذا القلب !!

ثم انقطع الحديث بعد ذلك ... وبدأ الطب
يسيطر على الحقوق التي فرضتها الحياة للجسم
والقدسية التي فرضها الموت للأعضاء فأعملت
في القلب المشارط وحمي وطيس الدرس
فنسى المتسائلون ما كانوا بصدد من قول
لعل بعضه كان نفحة شاعرية وبعضه الآخر
كان دعاية من دعايات الشباب

لكن الطالب الأوسط مال بث أن أعلن
بعد انتهاء الدرس على مسمع من انجموع أنه
يعرف صاحب هذا القلب . فأقبلوا عليه
يستفسرون في فضول مختلف الدرجات
فقال وهو يضحك ملء شديقيه : إنه
قلبها ... قلب تلكم الحسناء ... حسناء
حارة البغابا ... في درب الخوخة نمرة ٥ .
هل فيكم من يعرف اسمها ؟ ... كان
اسمها جمالات !

فضحك بعضهم ضحكة ماجنة منعمة :
« هي . هي ... ليرحمها الله ! »

كان يجاهد نفسه لينساها ولكن
الأقدار أراحته من هذا العناء

لقبها يوم الخميس وودعها دون أن
تشر بوداعه ؛ ثم حمد لنفسه في الخميس التالي
أنه ثبت على التجربة وهو لا يدري أن بدا
أقوى من كل شيء ستحول بينه وبينها إلى

مدى لا يعلم غايته إلا الله !!

وقضى سواد ليله وهو يحصى خفقات قلبه في طلال السكون ويسترجع صورة قلبها تحت وميض النصال ، تخيل إليه أنه كان يخفق بحبه حتى وهو في هذه الحالة ، فاستفزع الأمر وكاد يصرخ في ظلام الغرفة ثم أمسك ليسأل نفسه : أين موضع الحب من قلوب الناس ؛ وعمل تعثر فيه أطراف المباح على موائد التشريح ؟ ألا ليتني أعلم ؟ وهم بأن يصرخ مرة أخرى لكن شيخير الشيخ « أبو المعاطي » في الحجرة الملاصقة انتهى إلى سمعه فنجاه عن تيار أفكاره سيئاما ، حين قلب حياة جاره في نواحي فكره وتمنى أن تتاح له هو مثل هذه الحياة ... الحياة الباردة التي لا يصرخ في نواحيها شيء .

لكن جمالات ، حسناء درب الخوخة ولجت أبواب فكره مرة أخرى : إنهم لا يعلمون أنه الشخص الوحيد الذي وفق فالتقى بالشخصية الشريفة في جسدها المبتدل حتى أصبح هو في حياتها أشبه بالواحة الوحيدة في صحراء دنياها الواسعة الجديدة دخل حجرتها أول مرة وهو متأبط ذراع الشيطان ، فدخل يقهقهان ثم خرجا يقهقهان . وتكررت التجربة لكن طالب الطب خرج في المرة الثالثة وهو حزين سادر

حين اكتشف بين أنقاض الجسم وخرائب المادة روحا جميلا شفافا اندفن تحت هذا الركام

وأخذت العلاقة بينهما تنجح نحو الصداقة رويدا رويدا . واختلط الزيت بالزئبق على الرغم من كل شيء ، لأن طالب الطب كان يعتذر لنفسه كلما دفعه إليها قلبه متعللا بأن الزيت والزئبق من المحال أن يمتزجا ، وسبق كل منهما منفصلا عن صاحبه وإن طالت مدة التجاور .

وكان يلقي من أمره عسرا عند كل افتراق لأنها كانت تشبث به تشبث الفريق بالفلين وتكاد تتعلق بأذياله كما تتعلق الهرة الأنيسة

لكنه قرر فجأة ألا يلقاها ... وكان ذلك عقب تقديم هدية إليها . ولم يكن هو من اليسار بحيث يستطيع أن يقدم إليها كثيرا ولم تكن هي من الاستغلال بحيث تطلب منه أي شيء . فأحس خجلا وحسرة حين تخيل أنه يقتضيها من حنانه القلبي بطريقة « المقاصة » فكأنه يأخذ ثمن العطف متعة . ومن أجل ذلك قدم إليها هدية !!

كانت خاتما جميلا فيه ثلاث حبات من الماس . ألبسها إياه وهما مستغرقان في الحديث ، فلما انتهت إلى ما فعلت شمتت

سائلة مبهوتة وإن أشرق وجهها تنحيف
بنور فرح صليل قالت : « أهولى ؟ ...
هل أستطيع أن أرفضه ؟ ! ... أخشى أن
أغضبك ... أو أن أرهقك »

ثم تبين له بعد ذلك أنه فعل أمرا منكرا
لأن البون شاسع بين كف أمه والكف
التي تحتمت به الآن . وقامت في ذهنه قضية
معقدة لأن الموازنة بين المرأتين في هذه
اللحظة جعلته يضع جمالات في نفس المكان
الذي يضمها فيه كل الرجال . وكاد ينكر
نفسها العظيمة التي طمرت تحت انقماض
الجسد بفعل أيدي الناس !!

ثم لجج به الفكر حتى وضع المرأتين
متجاورتين فرأى أمه الريفية وعلى رأسها
طرحة سوداء تستدير مع استدارة الوجه
وهي راكعة عند المدخل على سجادة من
الحصير . ثم رأى جمالات وقد تناثر شعرها
في فوضى مشيرة وقد تكون مريية . فهي
امراة تزين في كل يوم عشرين أو ثلاثين
مرة ، وتعرف دخلها بعد إحصاء عدد مرات
الزينة !!

وبعد . فهذا الخاتم يحمل ذكريات
عزيزة . حملته أمه إياه ليصلح بعض فصوصه
التي انحلت من مكانها ثم يعيده مع من
يراه أهلا لجل الأمانة ... لكنه خان الأمانة
وسيقف بعد ذلك موقف الكاذبين حين

يخبر أمه في رسالة أن الخاتم قد فقد ، أنه
حزين يشعر بالإثم ويطلب المغفرة
* * *

وانقضى أسبوع على هذا الحادث
ولعلها كانت تنتظره في كل مساء لكنه
تخلف . ثم وقعت الكارثة وشربت حسد .
درب الخوخة السم في كأس من الشراب .
دسه لها خليل ربما كانت قد عنته بفضطها
على قلبه أو ضغطها على جيبه أو ضغطها
عليهما معا . ونقلت إلى المستشفى وعسلت
معدتها لتخلص من السم ولكن الماء
تسرب إلى صدر شقي فأشقى ، وخدع ، فخدع
فألهبت رشاها كأنما شب فيهما حريق ...
وركبها الهذيان وهو واثق أنه كان مودع
هذيانها .

وها هو ذا الليلة يحصى دقات قلبه
ويتحسس في ظلمة الرمن يوما سيكف فيه
عن الخفقان لأن موتها ذكره بالموت
ثم مال ميزان المعركة أخيرا ، وانتصرت
الحياة فبدأ يفكر في طريقة السلوان .
ونزل من فراشه وتحسس زر النور فأضاء
الغرفة ...

وجلس على مكتبه وأمسك القلم كأنما
أمسكه ليكتب شيئا ...
لكن التفاته حانت منه إلى خزانة
الكتب فرأى على حافتها العليا شيئا تعلق

امتحان راحة

للطبيب الفرنسي ايل ستر

بقلم الأستاذ محمد عفيفي

ربات الخير والإحسان . فهي لا تنتظر حتى يقصد البؤساء إليها طالبين ، بل تختلف إلى مساكنهم وأكواخهم لتسبغ عليهم العطايا ولا تبخل عليهم بالنصح ، فالسال يغريهم باتباع نصيحها ، والنصح يعامهم كيف يحفظون ذلك المال وينتفعون به . وكان القصر بعد ذلك ملجأ كل من يتمطل عن العمل ، فإذا كان شابا أرسل للعمل في الحقول ، وإذا كان فتاة ألحقت بمحظائر الماشية ، وإذا كان شيخا أو كهلا دفع إليه السكتان ووكل إليه غزله . ثم ترسل الجيوط إلى مهرة النساجين يصنعون منها الأقمشة

ليست هذه أيها القارئ العزيز قصة حرافية ، فلن تجد بها ما يوجد عادة في تلك القصص من أخبار الجن والشياطين وعرائس البحر اللاتي يغتسلن في ضوء القمر ، ولكنك ستجد فيها ما هو أعجب من ذلك ، ستجد قصة امرأة جمعت من الشمس إشراقها ، ومن الشهد حلاوته ، ومن النساء جميعا خلة الإخلاص والوفاء تلك هي سيدة قصر « كرجان » ، زوجة النبيل أوليفين دو كرجان ، التي كانت على سمو مكانتها ، وعلى ما أسلفنا من حسنها الباهر ، أما للفقراء جميعا وربة من به بصره ...

الأخرى جمجمة امرأة ... لأنها صغيرة الحجم ...

وابتسم في حسرة وهز كتفه برفق ثم قال : جائز ... جائز أنها كانت مثل جمالات ... من يدري ؟ !

ثم أطفأ النور وتحسب طريقه إلى الفراش مرة أخرى

محمد عبد الحليم عبد الله

ارتاح قليلا وأحس أنه إن قلق يستطيع أن يجد هنا موثلا للهدوء !!

كانت عيناه عالقتين بجمجمة وضعت على أعلى الخزانة ، فرأى عظمها الخاوي نهاية لكل رأس . والعينين بركتين ، والفم تجويفا قبيحا ، والأنف مدخلا يوحى بالبقاء ! فقال في نفسه : هيه هيه إنها هي

فرحل إلى العاصمة وحده بعد أن أوصاها
بأن تكتب إليه وترسل رسائلها ضمن
ما يرسله أسقف سانت بول ، حتى تصل
في أمان

واستغرقت رحلة مسيو أوليفيين إلى
باريس ستة عشر يوما ، إذ كانت الرحلات
من أشق الأمور في تلك الأيام

وقبل مسيو أوليفيين من قابل من
نبلاء البلاط الملكي فأكرموا وفادته
واحتفوا به ؛ إلا أنهم أظهروا أشد العجب
من أنه لم يأت بزوجه معه ، وقال أحدهم :
لأريب أنها امرأة قبيحة غليظة لا تشرفه
فقال واحد ممن يعرفون أمرها إن
الحقيقة عكس ذلك . إنها ذات جمال جرى
في الناس مجرى المثل . فقلوا :

لا ريب إذن أنه قد منعها عن
إنحى مخافة أن ترى بين نبلاء البلاط من
يفتنها عنه ...

وترأت هذه الشائعات إلى صاحب قصر
كرجان فاشتد غضبه وأعلن على رؤوس القوم أن
سيدة كرجان هي آخر من تلجئ الزوج
إلى مثل هذه الالتفاتات ... فقال النبلاء
وقد جعلوا من الأمر مزحة :

قد كان لله في حواء ثقة أعظم من تلك
حين أودعها جنات النعيم !
فقال أوليفيين :

مختلفة الأشكال والأحجام ، ثم تكس
تلك الأقمشة في أقبية القصر الفسيحة ، إذ
ليس لصنعها من هدف إلا إيجاد العمل
للعاطلين ...

ومن محاسن المصادفت أن مسيو
أوليفيين دوكرجان زوج السيدة — كان
موافق على جميع أعمالها ، وقد صار ينظر بعينها
ويحس بإحساسها . وإنه ليثني على الشيء
تصنعه قبل أن يراه ، ولا يخطر بباله أنها قد
تخطئ أبدا . وكانت هي أول شاكر لهذه
الثقة وأول عارف للجميل ، فلم تبرح تقول
في مرحها الماثور إنها ما كانت لتخون أمانة
زوجها حتى بطير الديك الحديدي الذي زين
برج كنيسة بريفان !

ثم عرض للزوج ما اقتضى رحيله إلى
باريس لمثل بين يدي ملك فرنسا وقتذاك
— لويس الرابع عشر — فأقبل على زوجته
طالبا منها أن ترافقه فقالت :

— وددت يا عزيزي لو تتركني ههنا
وتذهب وحدك ، وإلا فماذا يكون من أمر
هؤلاء الثماني والمساكين يفتاتون من الغزل
عندنا ؟ لقد أنست بهن وأنسوا بي ولم يعد
لهم سواي من نصير ... فذهب وحدك
يا أوليفيين وأرجو أن تعجل بالإياب

فترك مسيو دوكرجان على طلب زوجته
إذ كان ينظر بعينها ويحس بإحساسها ،

« إن فرنسيزا لا تحب أحدا سواي »

فقالوا : وكذلك حواء لم تغرها الشجرة

المحزنة حتى بصرت بتفاحة الخير والشر

عاشمير الغضب في صدر الرجل وشم

نأن نستل سيفه نولا أن خاطبه أحد النبلاء

بقوله :

« لا أحسبك تزعم لنفسك حكمة

تفوق حكمة الخالق يا مسيو أوليفيين ...

وإذا كان الله قد عرض حواء للامتحان

فجدير به أن يصنع مثل هذا بزواجك ...

وهذا صاحبنا « داجويون » الذي غلق

الرجال جميعا في فن الإغواء ، فأدخله إلى

قصرك كي تراء زوجتك رؤية العين ، فإن

امتنت أمامه ورددت إغراءه عرفنا أنها أشرف

النساء ...

وكان صاحب قصر كرجان يفضل أن

يتحكم السيف بينه وبين هؤلاء النبلاء ، إذ

عرف أن أمرين لا يعرضهما العاقل للامتحان :

التقاطر الجديدة وفضيلة النساء ... ولكنه

رأى أنه لو رفض الخضوع للتجربة أثبت

بذلك أنه يخاف مغبتها لضعف ثقته بزوجته ،

فأعطر إلى أن يوافق على إرسال

« داجويون » إلى القصر ومعه رسالة يوصي

فيها زوجته بإكرام مثواه ...

فرحل النبيل وأعدا أوليفيين بالأيداعه

في شكوكه أكثر من شهر واحد ، وودعه

أوليفيين وهو يصد نفسه عن الفتك به

بجهد جهيد

وبلغ الكونت القصر فأحسنت

فرنسيزا لقاءه واحتفت به كأنه أح لها ،

محققة بذلك وصية زوجها في رسالته إليها .

وراحت تهيب جميع الوسائل التي تدخل بها

السروور إلى نفس ضيفها ، فهما إما على ضهوة

الجياذ في الغابة لا يعودان إلا في الشفق ،

وإما ساهران للحديث والسر ، وليس في

نفس سيدة كرجان إلا أن تقوم بحق الضيف

وتحقق وصية زوجها الغائب

غير أن داجويون بدأ لفورء يستغل

هذه الثقة في تحقيق مآربه ، فبدأ ينثي على

جالها ويحدثها بأنها أجهل من رأت عيناه ،

فلم تجبه بغير الضحك . وشجعه أنها لم تصبه

بقسوة فراح يكشفها بالحلب ويتوسل إليها

أن ترق لحاله وتأسو جراحه ، فلم ترد أيضا

على الضحك . ثم إنه طلب منها الشريط

الذي تلم به شعرها فأعطته إياه ، وطلب

الدبوس الذهبي الذي تزين به صدرها فلم

تبخل به عليه ، ثم ألح في طلب الخاتم الذي

في إصبعها فما وسعها أن ترد طلبه ...

إزاء كل ذلك ظن داجويون أنه قد نال

مراده ، فسألها أن تحدد له موعدا في الليل ،

ولكنها رفضت . فكرر الخامسة مرة أخرى

وباء بالرفض ، فلما كانت الثالثة قالت له :

رسول الكونت إلى البلاط بالصندوق والرسالة . فما كاد مسيو أوليفيين يرى حلى زوجته حتى جمدت حركته وامتنع وجهه وبدأ كأنه يختصر ... ثم جاش في صدره من الحقد والرغبة في الانتقام ما غلب على ما بنفسه من الحزن واليأس ، فدعا بجواد من أسرع جياد فرنسا وانطلق به إلى القصر من فوره

ودامت الرحلة ستة أيام لم يتوقف الرجل فيها ليلاً أو نهارة إلا ليطعم الجواد حتى لا ينشق . فلما كان اليوم السابع أبرقت السماء فجأة وأرعدت ، وميت عاصفة هوجاء تجتاح المباني وتقتلع الأشجار اقتلاعاً . وكان مسيو أوليفيين قد بلغ كنيسة بريفان ونظر إلى برجها الشامخ فإذا به قد حطمته العاصفة قتال في نفسه :

— قد طاردك بريفان ... وما هذا إلا نذير بأن زوجتي قد خانتني !

وهمز جواده بشدة فانطلق في الليل الحالك يسابق العاصفة . ووقع بصرد آخر الأمر على مداخن قصر كرجان وقد تراءت فوق رعوس الدوح الشاخنة ، فترجل عن الجواد الذي عطل الجهد الشاق ثلاثاً من قوائمه وأطلقه قائلاً :

— هيهات أن يغفر الله فعلتي ... إذا قتلت هذا الجواد الشريف في سبيل امرأة

لا أستطيع أن ألقاك في حجرة المات ، لوجود الخدم ، ولا في حجرة الاستقبال لتوقعها على مرأى من الناس ، ولا في مخدعي لوجود وسيفتي ، ولا في الحديقة مخافة البرد ، ولكن إذا تركتني أحبسك في البيت الخشبي الصغير حيث المغزل وحبوط الكتان فسأوافيك هناك عندما تخفت الأنواء »

فقبل داجويون وقد اشتد به الفرح بانتصده علم يقو على الانتظار ، بل جمع الشريف والدبوس والخاتم وختمها صندوقاً — مع رسالة تعلن قرب عودته — وسلمها إلى رسول يحملها إلى باريس لقاء أجر طيب سم إنه ارتدى أنفخ ثيابه وتضمخ بالعطر الزكي وحس نفسه في البيت الخشبي راضياً ! فلما هدأت الأصوات بالقصر سمع وقع أقدام تقترب ، وفتحت عليه نافذة صغيرة رأى فيها وجه فرنسيزا فكاد يخرج من جلده فرحاً ...

بينما كانت حرمة الغائب تنهك على هذا الوجه في قصر كرجان ، كان رب القصر في البلاط الملكي تقتله السامة ولا يمنعه من العودة إلا انتظار فترة الشهر المتفق عليها

ولما لم يبق منها سوى خمسة أيام ، أقبل

خائنة !

وأوغل في الغابة على قدميه حتى انتهى
إلى باب القصر العريض فطرقه طرقة شديدا
وكانت فرنسيزا في مخدعها فعرفت
طراقات زوجها وهتفت في فزع :

— يا إلهي ! هذا زوجي كرجان قد جاء !
وهرعت لتستوثق مما سمعت . ولم تكذب
تبصر زوجها حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه
ولكن مسيو دو كرجان أسرع بالقبض
على يديها وجرها إلى حجرة بالحديقة حيث
وقف إزاءها لاهثا يقول وقد جحظت عيناه
— أين الكونت داجويون ؟ أين هو
أيتها المرأة الشريرة ؟

فامتقع وجه فرنسيزا وقالت وهي ترتعد :
— أستحلفك بالله يا أوليفيين
ألا تظن بي سوءا ... لقد فعلت كل
ما بطوقى كي أمنع ما حدث
فقال دو كرجان وهو لا يكاد يقوى على
النطق :

— وأخفقت في منعه ؟
— لا تلم إلا صديقك هذا ... فلم
يكذب طأ أرض المنزل حتى وقع في هواي
وأخذ يلاحقني فلم يكف عني لحظة واحدة
— وقد طاوعته ولم تبخل عليه من
وقتك بلحظة واحدة !
فأجابت فرنسيزا :

قد منحته أول الأمر بقدر ... منحتك
شريطا ودبوسا ذهبيا ... فصاح زوجها !
— وخائنا !
— أجل ، قد أخذ الخاتم أيضا ...
ولكن شيئا من ذلك لم يبرد غليله ،
فاضطرت إلى حبسه بالبيت الخشبي واعدة
أن أوافيه هناك في المساء ...

— وهل بررت بوعدك يا سيدتي ؟
— ما وسعني أن أحنث يا أوليفيين ..
فأما كان المساء قصدت إلى هناك ففتحت
النافذة وقلت للكونت ...
— ماذا قلت له ؟

— قلت له إنه ينبغي أن يظل في
محبسه حتى تعود أنت
فبدأ أن صاحب قصر كرجان لم يفهم
قولها وهتف :

— ماذا قلت يا فرنسيزا ؟ هل حبست
الكونت داجويون ؟
— أجل ، واعدة أن أخلى سبيله
عندما ينتهي من نسج كل ما يحويه الخزن
من خيوط الكتان ...

وإن باستطاعتك أن تصغي إلى صوت
المغزل ...
فأصغى مسيو دو كرجان وسمع ما أيد
قولها

ثم روت له زوجته كيف أعلن

الكونت تمرد أول الأمر ورفض أن يتعلم
صناعة الغزل ، فلم يجبره على الخضوع إلا
منعها إياه عن الطعام ! ثم أخذ يتعلم مبادئ
الصناعة حتى نجح في صنع « فرش » جميل
لم تر قط مثله جودة وإتقاناً !

وأبى مسيو دو كرجان أن يصدق كلامها
حتى قادته إلى نافذة البيت الخشبي ، فرأى
الكونت بعينه عاكفاً على العمل وقد جعل
قبعته العالية المزينة بالريش على رأسه في
حين تدلى السيف المرصع من جانبه !

فانقشاً غضب مسيو أوليفيين فجأة
وانطلقت منه ضحكة سرور مجلجلة ، فهب
الكونت مبغوتا ليرى نفسه أمام غريمه
وجهاً لوجه . غير أنه كان رجلاً محنكاً رابط
الجأش فعرف كيف يعالج الموقف ، إذ أجاب
عن ضحكة مسيو أوليفيين بابتسامة مغتصبة
وقال :

— قد خسرت الرهان يا مسيو
دو كرجان !
فأجابه أوليفيين :

— إذن فلتعد إلى صاحبك من نبلاء
البلاط ، ولتخبرهم بالحقيقة التي كاد يزيقها
تعبلك بإرسال الشريط والدبوس والخاتم
فوعده داجويون بأن يقص الحقيقة
الكاملة ، وبأن يرد ما أخذ من حلى السيدة ،
ولكنها قالت له إنها قد أنعمت بها عليه
اعترافاً منها بمهارته في أعمال الغزل والنسيج !
ومن ذلك الحين ذاعت في المنطقة
صناعة ذلك النوع من « المفارش » ، فلم
يزل إلى اليوم على الأفواه مثلاً جارياً بأن
أول تلك المفارش قد صنعت في قصر
كرجان يد نبيلة !

محمد عفيفي

اقرأ الرواية في أول كل شهر وفي منتصفه ،

والرسالة في صباح كل أحد من كل أسبوع

بدل اشتراك الرواية في السنة ١٢٠ قرشا وبدل اشتراك

الرسالة ١٠٠ قرش وبدل اشتراكهما معا ١٨٠ قرشا

الشيطان

لحي ريت سرباسان

بقلم الأستاذ محمد محمد مطاير

فأعربت عن موافقتها بإشارة من عينيها ،
وإيماءة من رأسها . . تحت يهما ولدها
ليعجل بنقل القمح . . وليتركها وحيدة
تموت ! فلم يمالك الطبيب نفسه وضرب
الأرض بقدمه غاضبا ، ثم صرخ في وجهه قائلا :
— أنت وحش بلا قلب . وإني
لأمنعك من عمل أى شئ . فاهم ؟ وإذا
كنت تصر حقيقة على نقل القمح اليوم
فلتذهب لإحضار الأم رايت لتعنى بأمك .
وإذا ماعصيتني فسوف تموت كالكلب حين
يأتى دورك وتسقط مريضا . . فاهم ؟
ولبت الفلاح يمانى عذاب التردد برهة
مشتت الفؤاد بين خوفه من الطبيب
وكراهيته لإنفاق النقود . ومنعت برهة
راح فيها بحسب ، ويقدر . . وأخيرا سأل
متلعثما . .

— وكم تقاضى الام رايت على ذلك ؟

فصاح الطبيب قائلا . .

« وكيف أعرف ؟ هذا يتوقف على

المسدة التى تريدها فلتتفقا فيما بينكما . .

ولكنى أصر على أن تكون هنا فى خلال

كان الفلاح قائما بجانب — سرير
المحتضرة — يتبادل الحديث مع الطبيب ، بينما
تمددت المعجوز فى استسلام ؛ متيقظة الوعى
تنصت لما يدور بينهما ! .. إنها تموت !
تقبلت المعجوز هذه الحقيقة فى شئ
من الرضا ، فنبذ أن آمت عامها الثانى بعد
التسعين تعرف أن نهايتها قد أزفت

ومن خلال نافذة الحجرة تدفقت أشعة
شمس يوليو القائلة ، ففمرت أرض الحجرة
السوداء الوعرة وأشاعت فيها قيظ الصيف
.. وأفاحت الريح الساخنة رائحة الأرض ،
والقمح والدريس ، وأوراق الشجر الجافة
ورفع الطبيب صوته قائلا . .

إينوريه ! لن تتمكن من أن تترك
أمك بمفردها ؛ فربما تموت من لحظة إلى
أخرى . .

فأجابه إينوريه مذعورا :

— ولكن القمح فى الحقل ، ولا بد من نقله

إلى الداخل ، وربما يدوم رقادها مدة طويلة

والجو الآن ملائم . فما قولك يا أماء ؟

وعملك المعجوز جشع الزماندين ،

من حجة في الخدمة .. فاهم ؟

وأخيرا انتهى الأمر .. فأجاب ..

حسن ! لا تغضب .. وسوف أذهب الآن ..

ولما خلا إينوريه بنفسه نزلت إلى أمه ..

ثم قال لها في شيء من الاستسلام :

.. إني ذاهب لإحضار الأم رايت

فغضب قد أمر على أن تأتي .. فلا تلتقي على

بعسث وسوف أعود حالا ..

.. ثم غادر المنزل في عجلة ظاهرة ..

أما الأم رايت فهي عسالة مرموقة

من من ومن يمتن من أهل القرية وجميع

بماورها من القرية .. فهي التي تدرجهم في

أ .. كفاهم .. وتلقى ضامرة كفتاحة آخر العام ،

شرسة الأخلاق ، حقود ، قد أحنى ظهرها

حتى أضحت جراثيم .. وكان ذلك من أثر

إبرتها التي لا تكف عن العمل في الأ .. كفا ..

ويمكن أن تقول إن هناك جاذبية بينها وبين

الموت .. فحديثها يدور دائما حول من

شاهدت ترثهم .. ويجمع ما حضرته من

ألوان الموت .. تقص كل ذلك في تفاصيل

دقيقة لا تتغير أبدا .. كضائد يتحدث عن

طلقات بندقية ..

وحين نلف إينوريه إلى داخل منزلها

أفهاما انعمت بخلول الزهرة لبنات القرية ..

فحبسها فأدارت له رأسها وهي

نقول ..

« عيه .. سلامتك ! »

— أنا بخير .. إنها أمي ..

— وماذا أصابها ؟

— تموت ..

فأخرجت المعجوز يديها من الماء ..

فجرت على أصابعها يتساقط قطرات شفافة

زرقاء .. ثم سألتها وهي تتظاهر بالمطف ..

— وهل حالتها سيئة ؟

— يقول الطبيب إنها لن تعيش إلى

ما بعد الظهيرة ..

— إذن فهي في حالة سيئة جدا ..

وندم إينوريه على تسرعه .. فلم يكن

يبغي أن يكشف عما أعده في عقلمرة واحدة ..

ولما عجز عن إصلاح الأمر اندفع قائلا ..

— وكم تريدني في مقابل رعايتك هنا

إلى أن تموت ؟ أنت تعرفين طبعاً أننا لسنا

أغنياء .. فنحن لا نحتمل أجر خادم ..

وقد كانت أمي هي التي تقوم بالخدمة ..

فأجابته في لحظة رجل الأعمال ..

— لدى سمران : فرنكان للينوم ..

وفرنكان لليلة .. ذلك طبعاً للأغنياء ..

وفرنك لليوم وفرنكان لليلة للآخرين ..

وسأتي معك أنت بثلاثة فرنكات لكل

يوم بليته ..

ف فكر إينوريه لحظة .. ثم انقضى يعرف

انتهت « ... بيد أن أمه الخائف كان ناديا
في نبرات صوته !

ولكن العجوز لم تمت ! بل كانت تمددة
على ظهرها فوق سريرها المتآكل، ويدها ممسكة
بطرف اللحاف الأحمر، معروقة ضعيفة من
أثر الروماتزم والعمل الشاق وجميع المهن
التي قامت بها زهاء المائة عام

وأقبلت الأم رايت على السرير ثم
فحصت المرأة في عناية تامة ... قاست
نبضها .. وتحسست صدرها .. ثم أنصتت
إلى تنفسها .. وسألها عدة أسئلة لتسمع
كلامها .. وبعد أن أمضت معها مدة طويلة
غادرت الغرفة وخلفها إينوريه

لقد قرأها على أن المرأة العجوز لن
تعيش حتى الليل

وسألها إينوريه .. « هيه ؟ »
فأجابت المرأة

— تنتهى حياتها في حلال يومين
أو ثلاثة .. وسأقبل المهمة في مقابل ستة
فرنكات دفعة واحدة .. فصاح قزعا :

— ستة فرنكات ؟ ستة فرنكات ؟
هل هي صفقة مالية ؟ ولقد قلت لك من قبل
إن أى لن تعيش أكثر من خمس أو ست
ساعات

لبثت المساومة فترة طويلة ! فكلما عنيده ..
وأخيرا تظاهرت الأم رايت بالعودة إلى منزلها ..

أن أمه في حالة سيئة ... كما يعرف متانة
ببناها ... فربما تظل أسبوعا رغما عما قاله
الطبيب ... وأخيرا، انتهى إلى قرار ...
فأجاب ...

— لا ... لا ... أفضل أن تطلبي
منا لإشرافك عليها حتى النهاية ... هي
مقامرة لكل منا ... فالطبيب يقول إنها
ستموت حالا، فإذا ما وقع الأمر يكون ذلك
في صالحك بينما أضر أنا ! أما إذا تأخرت
حتى الغد ... فإني أربح بينما أنت تخسرين ...
فرمته المرأة في شيء من الدهشة !
فلم يحدث لها أن قامت بمثل هذا العمل في
شكل اتفاق محدد ... واستهوتها فكرة
المقامرة ... بيد أنها خشيت أن يكون هناك
فخ لها ... فقالت ...

— لا أستطيع الموافقة على شيء ما
حتى أراها ...

— إذن فيها معنى ...

ومن ثم جففت يديها وتبعته على
الفور ...

وفي الطريق ... أطبق الصمت عليهما
فلم ينبسا بكلمة ... هي تسير في خطوات
سريعة واسعة ... بينما كان الآخر يحجل
في قفزات متلاحقة كما لو كان يتخطى
قنوات تعترض كل خطوة في طريقه . ولما
اقتربا من المنزل همس إينوريه قائلا : « لعلها

كان الشماس في مسوحه الأحمر يسرع
الخطى وخلفه القسيس يسير مطرقا .. بتأو
صاواته .. وخلفهم الأم رايت منحنية
الظهر إلى حد كبير كي تساعد نفسها على
السير . ويدها مضمومتان على صدرها كما لو
كانت في الكنيسة

ولهم إنبيوريه وهم يمرون أمامه من
بعيد .. فسأل

— لمن هذا القسيس ؟

فأجابه العامل الذى يساعده وقد
كان أكثر إدراكا من سيده بأنه طبعا
في طريقه إلى أمه ليباركها .. فلم يبد على
الفلاح أى دهشة .. ثم واصل عمله

ورجع القسيس بعد أن أدلت الأم
بانتام باعترافها وترك المرأتين وحدهما في
الكوخ المطبق الخناق ، وعادت الأم
رايت تنظر إلى العجوز وهى تموت !
وأخذت تسائل نفسها .. إلى متى تظل
طويلا هكذا !

وأخذ الظلام يحيم رويدا .. رويدا ..
وهبت نسمة نقية باردة جعلت الصورة
الزيتية الرخيصة تصطك بالحائط والستار
التي كانت يوما ما بيضاء ، وأمست في لون
الفيران .. صارت كأنها تريد أن تطير
بعيدا لكي تهرب إلى الأبد كروح المرأة
العجوز !

ولما كان الوقت يمر والقمح لن ينقل نفسه
إلى الداخل ، فقد وافق أخيرا . وانطلق إلى
قححه الذى كان ملقى تحت أشعة شمس
الحصاد الساطعة .. وذهبت المرأة إلى
المنزل ومعها حاجاتها . فقد تعودت أثناء
رعايتها لمن يموت أو من ماتوا أن تعمل في
حياكة أشياء لها أو لهؤلاء اللاتي تقوم
على رعايتهن . ومن ثم تتقاضى على ذلك
أجرا آخر

وفجأة سألت العجوز مستفسرة :

— هل أدليت للقسيس باعترافك الأخير
يا أم بانتام ؟ فهزت العجوز رأسها أن لا .
والأم رايت ذات روح طيبة ! لذلك
قفزت على قدميها جزعة وهى تصبح فيها :
— يا للسماء ! أحقيقة هذا ؟ سأذهب
إذن فأحضر قسيسا

وأسرعت إلى منزل القسيس مهولة
مما جعل الأطفال في ميدان القرية
يوقنون أن حدثا ما قد وقع . وارتدى
القسيس مسوحه ثم أقبل على الفور يتقدمه
الشماس وهو يقرع جرسا صغيرا .. فرفع
الفلاحون في الحقل قبعاتهم ووقفوا
صامتين حتى اختفوا خلف الزرعة .
وتوقفت النساء عن جمع القش ثم رسمن
علامة الصليب . وتفرقت الدجاجات مذعورة
ثم أسرعن إلى مخابئها بين الحشائش بينما

أربعة أيام وربما بقيت أسبوعاً.. ففجبر الخوف قلبها البخيل وأحست بغضب عميق على هذا الشخص الذي خذعها وعلى هذه المعجوز التي يمكنها أن تموت ..

ومع ذلك عادت إلى عملها تنتظر وعيناها متعلقتان بوجه — الأم — بانتظار الغضب .. وأقبل إينوريه لتناول عداها ..

وقد بدا مسروراً من شرح الصدر . وبعد الغداء غادر المنزل مرة أخرى . ومن المؤكد أنه كان وهو مشغول بتسجحه في الحقل في حالة شرور ومرح !

بينما بدا اليأس يزحف إلى فؤاد الأم رايت رويدا .. رويدا .. فكل دقيقة تمر عليها تبدو وكأنها قد سرقت منها ! فالوقت نقود ! وشعرت برغبة ما .. رغبة وحشية في أن تمسك بهذه المعجوز النافذة العنيدة .. بهذه الخنزيرة الهالكة ، من رقبها ثم بضغطة واحدة عليها تقف هذه الأنفاس السريعة الضعيفة إلى الأبد .. ولسكنها تذكرت أن هذه مخاطرة ! وفجأة خطر لها شيء ما .. فسألها

— ألم ترى الشيطان بعد ؟

فهممت .. أن لا ..

وخينئذ أخذت الممرضة تتكلم .. تقص حكايات لتفزع عقل المعجوز الهالكة أثناء موتها ..

وكانت المعجوز ترقد بلا حراك .. عيناها مفتوحتان مستسلمتان في انتظار الموت الذي يبدو وكأنه قريب جدا . ولكنه يتأخر ! وأنفاسها تخرج متلاحقة من حنجرتها المتأكلة فتحدث ضجيجا كالصغير سوف يصمت عما قريب . وخينئذ سينتفض من العالم امرأة لن يفتقدوها أحد ولما أقبل الليل عاد إينوريه .. وحين اقترب من السرير رأى أمه مازالت على قيد الحياة ؛ فسألها كمعاده حين لا تكون في صحة طيبة ..

— أمه .. بماذا تشعرين ؟

ثم صرف الأم رايت على أن تعود في الساعة الخامسة من مساء الغد .. وعادت فعلا في الفجر .. وكان إينوريه يتناول حساءه الذي أعده بنفسه قبل أن يخرج إلى عمله فسألته مستفسرة :

— هل ماتت أمك ؟

فأجابها وفي عينيه لمحة حقد أن لا .. ويبدو أنها تحسنت شيئا ما .. ثم غادر المنزل وترك الأم رايت تقرب وقد بدا القلق يظهر عليها .. فوجدت أن حالة المعجوز لم تتغير .. تتنفس بصعوبة .. ممددة بلا حراك . عيناها مفتوحتان . ويداها مطبقتان على طرف اللحاف ! وهنا أيقنت المرأة من أنها قد تلبث هكذا يومين أو

قالت .. قبل أن تموت المعجوز بعدة دقائق يظهر الشيطان لمن يموتون وفي يده مكنسة وعلى رأسه وابور المطبخ .. يطلق صرخات عالية ! وحين يظهر هكذا يكون قد انتهى كل شيء ولا يبقى لمن يموت سوى بضعة دقائق . ثم أخذت تعدد جميع من ظهر لهم الشيطان في حضرتهما هذا العام .. جوزفين لوازيل . . إيلي راتيه .. صوفي بارفيه . . وسيرافين جوزيه . . فارتجفت الأم بانتسام بشدة ثم أخذت تنقلب في سريرها .. تحرك يدها من ناحية إلى أخرى .. وتحاول أن تدير رأسها لكي تحرق في آخر الغرفة !

وفجأة توارت الأم رايت خلف السرير ثم أخرجت من صوان الملابس قطعة قماش لفتها حول جسدها وعلى رأسها وضعت الوابور ثم أمسكت بمكنسة في يدها اليمنى ، وبيدها اليسرى أمسكت بدلو أخذت تحركه في الهواء لكي يحدث ضوضاء .. ثم أخذت تطلق طنيناً مقزعا وهي تضرب بقدمها الأرض .. ثم اعتلت الكرسي وبدأت تزوم وتطلق صرخات حادة فرجف الدلو الذي كانت تخفي فيه وجهها .. ثم أخذت تهدد الفلاحة المعجوز بالمكنسة تماماً كما كان يعمل الشيطان في تمثيلية

شاهدتها مرة ما ...

وبقوة فوق طاقة الجهد الإنساني حاولت الأم بانتام وقد تملكها جزع فظيع أن تنهض وتفر .. فلم يرتفع سوى كتفها وصدرها قليلاً ثم سقطت في مكانها وهي تطلق شهقة مكتومة ونامت إلى الأبد !

وفي هدوء واطمئنان أعادت الأم رايت كل شيء إلى مكانه .. المكنسة في الركن بجانب الصوان ، وقطعة القماش في داخله .. والوابور على الرف .. ثم ألصقت الكرسي بالحائط . . وألقت بالدلو في المدفأة .. وبعد ذلك قامت إلى المعجوز فأطبقت عينيها المفتوحتين ثم وضعت إناء فوق السرير سكبت فيه بعض الماء المقدس وغمست غصن البقس الذي كان معلقاً على الدولاب . ثم ركعت في حماس وإخلاص وبدأت تنشد للميتة صلواتها . .

وفي المساء لما عاد إينوريه إلى منزله وجدها تصلي .. وفي الحال بدأ يحسب ! فوجد أنها استولت منه على فرنك ! لأنها قضت ثلاثة أيام وليلة واحدة .. أي خمسة فرنكات .. بينما اتفق هو معها على أن يدفع لها ستة

محمد محمد مطار

النص

شاعر الهند رائدنا طاغور

بقلم الأستاذ عبدالموجود عبدالحافظ

خيال جميل ويحلم بسحر عينيها وقسامة وجهها
ورشاقة قوامها ... كان قد صنع لها في خياله
تمثالا يفوق تمثال فينوس إلهة الجمال . وكان
يتمثل في خياله الحصب منظر قدميها
الصغيرتين الرقيقتين ، يتمثلهما تسيران على
الفراش ، فيتمنى أن يسيرا على قلبه . وكم
تمثل له أن يضع خلاخلها الرنانة ذات
الصوت العذب ، على مذبج قلبه حيث يصوغ
ألحانه الشجية وأنغامه العذبة ، على أنغامها
الساحرة الجميلة وهي ترن في قدميها

إن (شيكار) كان يؤمن بشخصية
ذلك الطيف الذي يتحرك خلف الستائر ،
طيف ذلك المخلوق الذي يطرب لسماع
أشعاره والذي يحس الشاعر أن حركاته
ورنات خلاخله تغنى على وقع دقات قلبه ..
كان للأميرة وصيفة تدعى « ماناجارى »
تمر كل يوم على منزل الشاعر في طريقها
إلى الحديقة ، وعند عودتها يكون الطريق
قد أصبح خلوا من الناس بعد أن يسدل
الليل أستاره على المدينة ، تدخل حجرة
الشاعر في جرأة وشجاعة ، ثم تجلس على

كان « شيكار » شاعر الملك « ناران »
تساعرا مجيدا ذا عبقرية قوية ، فإذا ألقى
إحدى مقطوعاته الشعرية ، انبعثت نغماته
الساحرة من حنجرتة الرنانة القوية ،
متصاعدة إلى شرفات البهو الملكي الفسيح ،
فيسرى سحرها مخترقا الستائر ، فتطرب له
السامعات هناك . كان هناك خلف الستائر
حيث يصل صوته القوى إلى ذلك المكان
الذى لا يقدر على الوصول إليه أو الدنو منه
أحد ، حيث كان يتألق خلف تلك السجف
الحريرية الهفهافة شخص الأميرة « أجينا »
ذلك الكوكب اللامع المهيمن على مصير
الشاعر والمسيطر على عواطفه . وكم كان
الشاعر يتمنى أن يراها ثم يفارق الحياة .
وكثيرا ما يتخيل طيفها يتحرك خلف الستائر
ولكن عندما يعود إلى نفسه يرى أنه يسبح
في واد من الخيال . يوم النصر الأكبر عنده
ليس هو إعجاب الملك أو الناس بشعره ، وإنما
هو سماعه صوت الأميرة

كان كثيرا ما يتخيل عالم الأميرة إذا
سمع صوت خشخشة من بعيد فيسبح في

ينظم شعره وينغنى به ، والملك يقبل على سماعه بكل قلبه ، والناس يهتفون للشاعر حين مشجعين ، و (مانا جارى) الوصيفة توافيه كل ليلة في حجرته عند عودتها من الحديقة ، والشاعر يعيش سعيدا قانعا بالطيف الذى يتحرك خلف السجف في الشرفة ويطرب للنفثات التى ترسلها الخلاخل الذهبية الصغيرة وكأنها أجراس تدق داخل قلبه .

بينما الحياة تسير على هذا النوال ، إذ ظهر شاعر جديد ، تحدى من لقيه في طريقه من كبار الشعراء وهزمهم وتغلب عليهم ، وأخيرا استطاع أن يصل إلى قصر الملك (ناران) . فلما مثل بين يديه أجاد في مدحه . فرحب به الملك وأكرمه أعظم إكرام ؛ لأن مدحه صادف هوى في نفس الملك . ولما عرف (بندارك) أنه تقرب إلى قلب الملك قال : إني أطلب يا مولاي مصاولة أكبر الشعراء وأعظمهم ؛ فسرعان ما اتجه تفكير الملك إلى شاعره العظيم (شيكار)

ولم يكن (شيكار) قد خاض من قبل غمار المصاولات ، فهو لا يعرف كيف تقوم الحرب بين الشعراء ولا كيف يستمر أوارها . فلما أعلمه الملك برغبة (بندارك) الشاعر الجديد ؛ بات ولم يغمض له جفن في تلك الليلة وقد تمثل له الشاعر الجديد المنافس

طرف البساط وتأخذ في الحديث معه ، ذلك الحديث الذى تبذل جهدا كبيرا فى أن يكون على هوى الشاعر ورغبته ، كما كانت تحاول أن تكون لطيفة جميلة ، فتبذل عناية فائقة في اختيار لون قناعها ، وكذلك في طريقة رشق الزهرة في شعرها ، وكانت تتعمد أن يراها الناس عند دخولها إلى حجرة الشاعر ، كما أن الشاعر بدوره لم يحاول إخفاء هذه المقابلات عن الناس ، بل كان يصرح ، أنها مصدر سرور عظيم له

كان شعر (شيكار) ينال إعجاب الناس جميعا من أقل إنسان في المملكة إلى الملك نفسه ، لأنه كان يمزج الحقائق بالخيال في شعره فكانت تسمع شعره يتردد على شفاه الجميع ويتغنى به الجميع . فإذا حف النسيم بالشجر وأحدث صوتا ضعيفا هينا ، أو إذا ظهر القمر مضيئا متلاثا ، سمعت أنغام الشاعر تنبعث من كل مكان في طول البلاد وعرضها من مختلف الناس وعلى جميع الألسنة ، فتسمعهم يغنون في القوارب في الأنهار وفي الشرفات في القصور والطرقات ، بل يخيل لك أن الأشجار والحيطان وغيرها تتغنى كلها بهذا الشعر الجميل الذى يخرج من شفاف القلوب

ومرت الأيام في سعادة وغبطة ، الشاعر

بقوامه الضخم وأذنه الأفي ورأسه المرتفع في أذنه وخيلاء ، تمثل له في ليلته هذه وهو صول ويجول فأقلق راحته وأقص مضجعه

ولما أصبح الصباح توجه (شيكار) إلى الميدان ، فرآه مكتظا بالجمهير ، ورأى غريمه يجلس منتصبا في اعتداد وقوة ، تحقق قلبه بشدة . ولكنه تقدم من غريمه وحياء بابتسامة رقيقة وانحناء خفيفة في احترام ووقار . فرد (بندارك) هذه التحية بإيماء بسيطة من رأسه في غير أكثر من ثم دار برأسه نحو أنصاره وابتسم لهم بابتسامة ذات معنى

ورفع (شيكار) بصره نحو الشرفة العالية التي تتدلى عليها الستائر تحقق قلبه وحياء محبوبته في نفسه قائلا : إذا انتصرت اليوم في هذه المعركة فسوف يمجّد اسمك

وطهر الملك مقبلا في ثيابه البيضاء الواسعة ، فأشار أحد القائمين بالأمر ، فدقت الطبول ووقفت الجماهير المحتشدة تدعو للملك بالنصر وطول البقاء . حتى إذا وصل إلى عرشه استوى عليه ، وبعد برهة قصيرة ، هب « بندارك » قائما فساد السكون في القاعة الفسيحة وأصبح الناس وكأن على رؤوسهم الطير . ثم أخذ يرسل مديحه للملك

بصوت كأنه الرعد ، وقد انتفخت أوداجه وارتفع رأسه عاليا وتمدد صدره العريض الممتلئ ، وكانت كلماته تهدير كأنها الأمواج الصاخبة ، فبدأت تؤثر في نفوس الجماهير المستمعة ، وسرعان ما أخذت هذه الجماهير بالمهارة الفائقة والمعاني البديعة المختلفة التي نظمها في اسم الملك (ناران) . ومما زاد في دهشها قدرته على تضمين أبياته كل حرف من حروف اسم الملك بطرق متعددة ، ولم يقتصر الإعجاب على الجماهير بل إنه حاز رضا الأساتذة المثقفين الذين جاءوا من بلاد بعيدة ، فرفعوا أيديهم بحين وهتفوا للشاعر معبرين عن إعجابهم . وأتجه الملك نحو شاعره (شيكار) وألقى عليه نظرة تساؤل ، فأجابه (شيكار) بأن رفع إليه عينيه المغممتين بالأم المرير واليأس القاتل . ثم وقف شاحب الوجه زائغ البصر وقد استولى عليه الخجل الشبيه بخجل العذارى . وتهامس الناس ، أين هذا القوام الهزيل من ذلك العملاق الضخم ؟ وبدأ (شيكار) يتكلم وهو مطرق الرأس خافت الصوت ، حتى أن كلماته الأولى لم يسمعها الكثيرون . ثم أخذ يرفع رأسه في بطء ومشقة ، وكان يرفع تبعا لذلك صوته الذي ارتفع حلوا جليا نحو السماء كأنه شعاع من النور ، فأتجهت إليه العيون ، وبدأ يروي قصة حياة الأسرة المالكة

متمشياً معها من أقدم المصور إلى انوقت الحاضر ، وهو في كل ذلك يشيد بمظلمتها الخالدة وكرمها الزائد وبطولتها الفذة إلى أن قال :

مولاي ! قد آكون هزمت في صوغ الكلام ، ولكنى منتصر بنجي لشخصكم الكريم . ثم عاد إلى مكانه وجلس وهو يهتز كأنه القصبة في مهب الريح

وتأثر السامعون لهذا القول واغرورقت عيونهم بالدموع وتصاحوا معجبين بهذا الوفاء العظيم حتى اهتزت جدران القاعة الحجرية

عند ذلك انتصب (بندارك) قائماً في عنف وقوة ، متحدياً هذا الشعور الذي أظهره الجمهور وألقى السؤال الآتي على مسامع الحاضرين :

— هل هناك ماهو أعظم من الكلمات ؟ فساد السكون أنحاء القاعة ، ولما لم يجد أحداً قد تحرك حتى الشاعر (شيكار) ابتسم ابتسامة خبيثة ، ثم أخذ يثبت في براعة وفصاحة (أن في البدء كانت الكلمة وأن الكلمة كانت عند الله ...) وأخذ يؤيد أقواله بآيات كثيرة من الكتب المقدسة ويشيد صرحاً عالياً لقيمة الكلمة ؛ بل إنه جعلها أعلى وأعظم من كل مافي السماء وكل ما على وجه الأرض

ثم وجه السؤال مرة ثانية بصوته الجمهوري المرتفع قائلاً : هل هناك ماهو أعظم من الكلمات ؟

وجال يصرف فيها حوله في أعظم وكبرياء فلم يجزؤ أحد على أن يتحداد . جلس في مكانه في بطاء . وكأنه أسد أجهز على فريسته ثم أتى عليها في أكلة واحدة وهنأ له الحاضرون في إعجاب عظيم ولكن الملك ظل صامتا ساكناً من الدهشة

وهنا أحس الشاعر (شيكار) أنه ليس شيئاً مذكوراً بجانب هذا العلم الفياض والحجة القوية والمقدرة الفائقة . ثم غادر الملك مجلسه وتبعه الحاضرون

ولما كان اليوم التالي عاد الشاعران إلى الميدان وازدحمت القاعة بالناس وأخذ الملك مكانه في صدرها ، ثم أوماً إلى شاعره (شيكار) فقام وتوسط القاعة وأخذ يتغنى بذلك اليوم الذي سمع الناس فيه أنفسهم موسيقى الغرام مقبلة مع هواء غابة «فراندا» الهادئة ولم يستطع أحد رؤية الموسيقى ولا مصدر الموسيقى ودهشت الراعيات اللاتي كن في الغابة واستولى على المارين نوع من الخوف لأنها كانت تبدو لهم كأنها تنبعث من كل شيء من الجبال والحقول والوديان ومن الطرق الظليلة ومن الخصرة الزاهية

المحب واسم تلك الحبيبة اللذين جعلهما موضع قصيدته . ثم أدار بصره نحو أصدقائه وأنصاره وابتسم لهم ، وقبل أن يترك مكانه طلب من غريمه في تحد ، أن يذكر هذين الاسمين ... وساد المكان سكون عميق ، وأبجى الناس بأنظارهم نحو (شيكار) ولما لم يجدوه قد تحرك ، هب أنصار (بندارك)

يمدحونه أعظم المدح ، فتبعهم الباقيون الذين خدعهم مارأوا من هزيمة (شيكار) ونصر (بندارك) فإذا كان الأول صاحب حق فإن الثانى قوى التفكير ، سريع البديهة ، وقد خيل للشعب أن (شيكار) بالنسبة (لبندارك) ما هو إلا طفل صغير لا يستحق إلا اللعب ، أين (شيكار) من ذلك المارد الجبار الذى يتغلب على كل عقبة تعترض طريقه بقوة تفكيره وغزارة علمه ، كما خيل لهم أن أشعار شاعرهم ماهى إلا كلام يرص وفى غاية السهولة فليست عميقة التفكير ولا هى جديدة فى شئ ، كما لم تكن تحتوى على شئ من العلم أو الفلسفة

ودهش الملك ونظر إلى شاعره نظرات الغيظ والحنق عليه يستطيع أن يبذل جهده ليرد على (بندارك) تحديه فقد كان الملك يحب شاعره ويصطفيه ، ولكن (شيكار) لم يفعل شيئا ولم يتحرك من مكانه ، فأغتاظ الملك وهبط من عرشه والغضب يملأ عينيه

والحشائش النامية . ودسى الناس أنفسهم فعاشوا فى هذا الجو ، ولم تستطع النسوة إدراك كنهها ، وامتلات نفوسهن رغبات ولكنهن عجزن عن التعبير عنها فأغرورت عيونهن بالدموع اللؤلؤية ، وتمنين لو أن حياتهن انتهت فى هذه اللحظة على عتبة الأبدية

وغاب الشاعر عن نفسه ونسى سامعيه كما نسى أنه ينازل خصما له عنيدا ، فقد كان فى هذه اللحظة يعيش وحيدا مع أفكاره التى كانت تتراحم وتتضارب فى ذهنه فتحدث حوله حفيفا كحفيف ذلك الثوب الذى تخفيه تلك الستائر المسدلة على الشرفة ثم غنى (أغنية الناي) وكان يتمثل فى مخيلته صورة طيف وأصوات ضئيلة تهمس من بعيد ...

ولما انتهى من إنشاده عاد إلى مجلسه ، وقد استولى على المكان سكون رهيب ، كما استولى على السامعين سرور عميق مصدره ذلك الشعور المبهم الذى تولاهم ، فلم يستطيعوا تحديده أو معرفة كنهه ، وقد استغرقوا فى هذا السرور حتى أنهم نسوا أن يقرظوا الشاعر الذى خلب ألبابهم ولم ينتبه الناس لأنفسهم إلا عند ما انتصب ذلك العملاق « بندارك » واقفا وتقدم أمام عرش الملك وطلب من (شيكار) أن يذكر اسم ذلك

لم تصهرى معدنى ، فلو آتى كنت قطعة من
الذهب لخرجت من أتونك بعد هذه الحياة
الطويلة ، أصنى بعدنا وأكثر لمانا ،
ولكنى كنت جيفة تنه طالما وطشها الأقدام
فلما ألقيت فيك لم يبق فيها إلا حفنة من
رماد أذرتة الرياح عند أول هبوبها

وعندما انتهى من حرق أوراقه ، فتح
نوافذ غرفته على مصاريعها وأحضر ما عنده
من شموع وأوقدها كلها ، ثم ثر الورد
والأزهار البيضاء على فراشه وبعد أن انتهى
من كل ذلك خلط عصارة بعض النباتات
السامة ببعض العسل ، وتجمع المزيج في
هدوء كأنه يتناول كأسا من الخمر المعتقة ، ثم
تمدد على فراشه في سكون وراحة ، ولكنه
ما كاد يضع رأسه على مخدته حتى سمع
صوتا ظنه من أثر السم الذى تجرعه ، سمع
رنين خلاخل ذهبية في خارج منزله ، نحت
نافذته ، وهب النسيم يحمل إلى أنفه رائحة
زكية طالما استنشقتها في أيامه الماضية ، فتمتم
في وهن وضعف هل يعقل أن تكون هي ؟
« ربما تكون قد أخذتها الشفقة بخادمها فأتت
إليه في النهاية لئلا يوشع منها بصره قبل
أن يغمض إلى الأبد » وما كاد يتم كلامه
حتى سمع صوتا رقيقا على باب غرفته يقول :
ها أنا ذى جئت لأقف إلى جوارك
يا شاعرى الحبيب

وكل جارحة فيه ، وأخذ قلادته اللؤلؤية
وزين بها جيد (بندارك) وعند ذلك دوى
الكان بالتصفيق الذى لا حده

في هذه اللحظة الرهيبة من حياة
الشاعر (شيكار) طرق سمعه صوت ضئيل
لخلخال ذهبي رنان وحفيف لرداء حريرى
يتحرك ، فطفرت من عينه دمة ساخنة ،
لأنه لن يسمع هذا الصوت مرة أخرى فقد
حرم الحضور إلى هذا المكان إلى الأبد

وأفاق الشاعر من غيبوبته فرأى
الكان خاليا ، فتجامل على نفسه ونهض
من مقعده وخرج بحجر قدميه جرا . كانت
هذه الليلة سوداء حالكة الظلام ضل فيها
الشاعر طريقه إلى بيته . فلما وصله بعد طول
عناء ، أخذ يجمع مخطوطاته وأشعاره الأولى
التي كاد ينسى ما خطه فيها ، وأخذ يعبث
بصفحاتها ويقرأ ما كتب فيها ، فحيل له
أنها ألعاب صبيانية لا قيمة لها وأنها
تافهة عديمة المعنى لا تستحق الرقاع التي
كتبت عليها

وكلا فرغ من قراءة صحيفة مزقها
وألقي بها في إناء أمامه يحوى نارا ملتهبة
ويقول : إليك أيتها النار يا فتاتى العزيزة ،
إليك يا من كنت تشتعلين في فؤادى طيلة
هذه الأعوام الخافلة . إليك أيتها النار يا من

اليهودي

للمصطفى الرشيدي

وجهه الأسمر ، أحد تلك الوجوه الروسية
العظيمة ، ونظرة الصريحة الذكية ،
وابتسامته الرقيقة ، وما في صوته من ضحوة
وعذوبة ، كان كل شيء حوله في الجملة يمتعنا
ويستهوينا

وبدأ نيقولا كلامه قائلا « لا بأس ..
فاسمعوا إذن »

حدثت قصتي سنة ١٩١٣ أمام داتزج
وكنت أعمل يومئذ في فرقة : . ألا أنها شيء

في هذه الحركة ، ولكنهم لم يدركوا هذا
لتصر نظرهم ! أما أنا التي فهمتك فقد جئت
لأضع على جبينك تاج النصر . وأخذت
طاقة من الأزهار كانت تضعها في صدرها
ووضعها على جبينه

وتحسسها الشاعر ، ثم غمغم في صوت
خافت : هذا هو النصر الذي كنت أسعى إليه ،
ثم سقط على فراشه ميتا وقد ارتسمت على
شفته بسملة النصر والرضا .
عبد الموفور عبد الحافظ

« قصص علينا قصة أيها الكيرنل »
وابتسم الكيرنل نيقولا إيتش ونفخ
من فيه أسطوانة حلزونية من الدخان انبعثت
من شاربته ، ومسح يده على شعره الأشهب
ونظر إلينا مفكرا ، وكنا جميعا نحب نيقولا
إيتش أعظم الحب ومحبه أكبر التجلة ، لما
انصف من طيبة القلب ، ورجاحة العقل ،
ولما لسنه من حذبه علينا نحن الفتية ،
وكان رجلا طويل القامة عريض المنكبين
ممتلئ البدن قويه ، وكان يجتذبنا إلى شخصه

وجاهد الشاعر ليفتح عينيه فقد كانتا
غائبتين ، فلما استطاع أن يفتحها ببعض الشيء
رأى أمامه فراشه شيخ امرأة ، ظن أنه طيف المرأة
التي كرس لها حياته وعاش على رنين خلاخلها
وجنبه يوسها ، قد جاءت لترى وجهه في
آخر لحظة من حياته
وقالت له أنا أوجينا

وبحاول الشاعر الهوض من فراشه
ولكنه لم يستطع ، فقالت له : إن الملك قد
غمطك حقك . إنك أنت الذي انتصرت

وتملكنى النعاس ، إلى الهواء الطلق جلست
فوق أكمة ؛ وكان مباحا جميلا هادئا وقد
غرقت خطوط حصوننا الطويلة فى ضباب
كثيف ؛ ونظرت حتى نال منى التعب ثم
أخذتنى سنة وأنا جالس

وأيقظتنى سعاة حذرة ، وفتحت عيني
فأريت يهوديا أمانى ، وكان رجلا فى الأربعين
يرتدى ملحفة رمادية طويلة الذيل ، ويتعل
خفين ويضع على رأسه قبة عالية سوداء .
وكان ذلك اليهودى واسمه جريشل كثيرا
ما يروح وينجى حول معسكرنا ، بعرض
خدماته كعامل عند أحد التجار ، ويحضر
لنا الخمر والمؤن وغيرها . وكان هزيلا أحمر
الشعر ضئيل الجرم ينقط أثر الحدرى وجهه
وكانت تطرف عيناه الصغيرتان فى غير
انقطاع ، وكانتا حمراوين كذلك ؛ وكان
أقنى الأنف طويلا . وكان يسعل دائما
وسأله آخر الأمر ماذا تريد ؟

— أوه — إني فقط ، لقد جئت فقط
ياسيدى لأعرف ما إذا كنت ذانفع لسيادتك
فى أية ناحية

— ليس بى حاجة إليك ، وتستطيع
أن تذهب لسبيلك

— أنا عند أمر سيادتك ، كما تشاء ،
حسبت ياسيدى أنه قد يكون هناك ما ...
— إنك تضايقتنى ، انطلق ، إني

منع أفصد الحرب ! والزحف كذلك طيب
فى ثائه ، ولكنه يصبح بطيئا أعظم البطء ،
جيش يحاصر موقعا من المواقع ، هناك
يجنس الرء يومه المبارك كله فى ضرب من
الحنادق تحت خيمة ، يفترش الطين أو
القش ، وبظل يلعب الورق من الصباح حتى
الليل ، وربما خرج الرء من فرط ضيقه لينظر
إلى القتابل وإلى الرصاصات الحامية كأنها
النار ، وهى تطير

وأناخ لنا الفرنسيون ما نستمتع به من
قصص أنبائهم ، ولكنهم ما لبثوا أن تراخوا .
وكذلك ركبنا السأم من هجماتنا على القرية
المجاورة لسلب المؤن . وفى الحق لقد بلغ بنا
الضيق كل مبلغ حتى لقد أوشكنا أن
نقول من الملل !

ولم أكن قد تجاوزت التاسعة عشرة
يومذاك ؛ وكنت شابا صحيح البدن ، غضا
كالزبقة ، لا أفكر فى شئ إلا السخرية من
الفرسيين ما وسعتنى السخرية ... وثمة أشياء
أخرى ... إنكم تفتنون إلى ما أريد ...
وماكم ما حدث ...

لما لم أجد ما أعمله ذات يوم عمدت
إلى المقامرة ، وواتانى الحظ فجأة بعد أن
خسرت خسارة قاذحة فربحت قبيل ابتلاج
الصباح (فقد اعتدنا أن نلعب فى الليل)
قدرا عظيما ، وخرجت وقد بلغ منى الجهد

أقول لك

حق المعرفة

— حقا ، سيدى ، حقا . ولكن

— حقا أعرف

سيادتك ينبغي أن تأذن لى أن أهنتك على فوزك

وتلفت اليهودى يمنة ويسرة فى نحو
ثم أتجه نحوى منحنيا وهو يقول

-- لماذا ؟ وكيف عرفت ذلك ؟

— فائنة ، أى فتنة ! ، سيادتك ،

مخلوقة حلوة ، أية مخلوقة !

أوه -- إني أعرف .. إني أعرف ذلك

وأغمض اليهودى عينيه ثانية وأطبق شفتيه

حقا .. قدر عظيم من المال .. أوه ..

— سيدى ، لك أن تقول الكلمة

مأعظمه ! وبسط جريش أصابعه وهز رأسه

فحسب ، سوف ترى بنفسك .. ومهما يكن

وقلت متبرما : وما فائدة الكلام ..

ما أقوله الآن فاسمعه ، ولكنك لا تريد أن

ماذا يجدى المال ويحك هنا ؟

تصدق ، مرنى كى أريك ، هذا هو الصواب ،

— أوه — لا تقل ذلك .. سيدى ..

هذا هو الصواب

نعم : نعم .. لا تقل ذلك .. المال شى عظيم

ولم أتكم ؛ ولبت أخلق فى اليهودى فقال :

الأهمية دائما ذو نفع .. إنك يا سيدى تحصل

— حسن ، لقد اتفقنا إذن ، حسن ،

على أى شى بالمال .. أى شى ! أى شى !

هذا جميل ، وسأريك إذن

قل ما تريد سيادتك فحسب ، قل لى وأنا

— وعندئذ ضحك جريش ورئت على

أحضر لك ، يا سيدى ، أحضر لك أى

كتفى ، ولكنه انكفا متراجما فى الحال

شى ! أى شى !

كما لو أنه لسم

— لا تكذب أيها اليهودى

— ولكن ماذا ترى يا سيدى فى شى

وهز اليهودى خصلات فوديه وهو

ولو قليلا مقدما ؟

يقول ، نعم ، نعم ، سيادتك لا تصدقنى ،

— إنك تخادعنى وسوف ترى نوعا

نعم ، نعم

من الغربان

وأغمض اليهودى عينيه وجرك رأسه

— وتسكلم اليهودى فى حماسة غير

ذات اليمين وذات الشمال ثم عاد يقول أوه ،

عادية قائلا وهو يحرك يديه يمنة ويسرة ...

إني أعرف ، أعرف ماذا يريد صاحب السيادة

ما هذا الذى تقول ؟ أى كلام هذا ؟ كيف

الضابط ، أعرف ، حقا أعرف ذلك

تقول ذلك ! قيم ... إذا جئت ذلك

وتكلف اليهودى ابتسامة من يعرف

سيادتك ... فر أجلة خمسمائة ... أربعمائة
وخمسين جلدة ! ثم أضاف مسرعا إلى ذلك ..
إنك الذى يصدر الأوامر يا سيدى
وهنا رفع أحد رفاقى طرف خيمته
ونادانى باسمى ، فنهضت معجلا وألقيت إلى
اليهودى قطعة نقد من الذهب
وتتم قائلا من خلقى ... هذا المساء ...
هذا المساء

ويجب أن أصارحك أيها الأصدقاء أنى
صرت أترقب المساء فى شىء من نفاد الصبر
وكان الفرنسيون فى ذلك اليوم قد
هجموا هجمة للخروج من حصارهم ،
وزحفت فرقتنا ترد هجومهم

وأقبل المساء ، وتحلقنا حول النار ،
وجعل الجنود يطهون طعامهم ، وأخذ رفاقى
يتحدثون واضطجعت على عباءتى واحتسيت
الشاي وأصغيت إلى أقاصيص الرفاق ، ثم
إنهم اقترحوا لعبة من لعب الورق ولكنى
لم أشاركهم لعبهم ، لقد كان يساورنى القلق ،
وتفرق الضباط شيئا فشيئا متجهين إلى
خيامهم ؛ وأخذت تنطق النيران ؛ وتفرق
الجنود كذلك أو ناموا حيث كانوا ؛ وكان
كل شىء ساكنا ولم أنهض من مكانى ؛
وكان الجندى تابعى يجلس القرفصاء على عقبه
إلى جوار النار وقد أخذ يهوم ؛ فأرسلته
بعيدا عنى وشمل المعسكر كله سكوت تام ؛

وبقيت فى مكانى فعل من ينتظر شيئا ؛
وأخذت تطرف الكواكب ، وتقدم الليل ،
ولبثت طويلا أنظر إلى السنة النار وهى
تموت ، ثم نهدت أخرى النيران ؛ وقلت فى
نفسى محنقا لقد خدعنى اليهودى اللعين ،
وكنت على أهبة النهوض من مكانى حين
سمعت من يهمس همسا مرتعشا إلى جوار
أذنى قائلا سيدى ، فتلفت فإذا هو
جريشل ؛ وكان شاحب الوجه جدا ، ثم
تلعثم وتتم ببعض كلمات فى همس قال :

— دعنا نذهب إلى خيمتك ياسيدى
ونهضت فتبعته ، وقد انكمش اليهودى
وتداخل بعضه فى بعض ، وخطا اليهودى
فى حذرفوق العشب القصير المندى ؛ ورأيت
عن كثر شبحا ملفقا لا يتحرك ؛ وأشار
إليها اليهودى فشت نحوه ، فهمس فى أذنها
ثم اتجه نحوى وأومأ برأسه عدة مرات ؛ ثم
دخل ثلاثتنا الخيمة

ومن المضحك أن أقول لكم إنى كنت
ساعتئذ لا أكاد أجد نفسى

وهمس اليهودى فى جهد قائلا : أرى
ياسيدى ... أنظر ... إنها خائفة الآن بعض
الخوف ... إنها خائفة ، ولكنى أخبرتها
أن صاحب السيادة الضابط رجل طيب ...
رجل عظيم ... لا تخافى ... لا تخافى ...
لا تخافى ...

من الصدر ذات أزرار مستديرة فضية
منقوشة ، وردتين كاملين ؛ وكان شعرها
الأسود الكشيف ملفوفا لفتين حول رأسها
الصغير ؛ وجلست إلى جوارها وأخذت
يدها الرشيقة بيدي ؛ فانعت بعض المانعة ،
وبدت كأنها تخاف أن تنظر إلى ، وكان في
تنفسها لهفة ، ولقد أعجبت بمنظر وجهها
الجانبى الشرقى السمات وضغطت في رفق
بيدي على أصابعها المرتعشة الباردة فقلت لها :
أتكلمين الروسية ؟

فقلت : نعم بعض الشيء

فقلت : وهل تحبين الروس ؟

فأجابت : نعم إني أحبهم

فقلت : إذا فأنت تحبيننى كذلك

فقلت : نعم إني أحبك

وحاولت أن أدور بذراعى حول

خصرها ولكنها نفرت منى بسرعة وهى

تقول :

لا . لا . أرجوك ياسيدى . أرجوك

فقلت لها : أوه ... لا بأس ... أنظرى إلى

على أية صورة

وتركت عينيها الدعجاوين النافذتين

تستقران على وجهى ولكنها ما لبثت أن

استردتهما باسمه تصبغ وجهها الحمرة .

ولثمت يدها فى حرارة ، فصوبت إلى لمحات

من تحت أجفانها وضحكت ضحكة خفيفة

ولم يتحرك الشبح الملفف ؛ وأجست
أنى كنت أنا نفسى فى حال من الاضطراب
الخفيف ولم أدر ماذا أقول ؛ وكان جريشل
لا يفتأ يتعامل ويأتى بإيماءات واهتزازات
غريبة وقلت له . على أى حال اخرج أنت !
وأطاع جريشل على غير رغبة منه
كما بدا لى

ومضيت إلى الشبح الملفف ، ورفعت
فى رفق قلنسوتها الطويلة ؛ وكان فى (دازج)
حريق فاستطعت على ضوءه الخافت المحار
أن أتبين وجه اليهودية الشاحب ؛
فأخذت جمالها بمجامع قلبى ، وأذهلنى عن
نفسى ورفعت النظر إليها محمقا فى صمت ،
ولم ترفع اليهودية عينيها . ثم إن حفيضا ضئيلا
جعلنى أدور بعينى ، فقد كان جريشل يطل
برأسه من تحت حافة الخيمة ؛ فلوحت بيدي
نحوه فى غضب فأختفى

وأخيرا قلت لها : ما اسمك ؟

— سارة — ذلك فحسب ماهايت به ،

وتبينت لحظة فى الظلام لاج اليباض فى عينيها

الدعجاوين المستطيلتين ، كما تبينت ما كاد

يضوى من أسنانها الصغيرة ...

وجذبت نخدين من الجلد وألقيت بهما

على الأرض وسألتها أن تجلس على إحداها

فأزاحت ملجفتها عن كتفها وجلست ؛

وكانت ترتدى سترة قوزاقية قصيرة مفتوحة

فسألتها : ماذا يضحكك ؟

فأخفت وجهها في ردفها وضحكت
أكثر من ذي قبل

وظهر جريشل في مدخل الخيمة وهز
نفسه بسبعه محذرا : فأمسكت عن الضحكات
وهمست له بين أسناني قائلا : أعرب
عني إليك تورثني السقم !

ولم يجرح جريشل الخيمة ؛ فأخذت
قبضة من الذهب من جعبتي ودسستها في
يده ودفعته إلى الخارج

فقال اليهودية : يا صاحب السيادة ..
وأنا كذلك ...

فشرت عددا من القطع في حجرها
فانقضت عليها كالقطة

فقلت لها : حسن ... يجب الآن أن أظفربقبلة
فقال : لا ... أرجوك ... أرجوك -
ومضت تمنع في صوت مذعور مستعطف
فسألتها : مم تخافين ؟

فأجابت : إني خائفة

فقلت لها : كلام فارغ

فقال : كلا أرجوك ...

ونظرت إلى في استحياء وحواف ،
ومالت برأسها قليلا إلى جانبها وشبكت يديها
فكففت عنها

ثم قالت بعد صمت قليل : إذا كنت
تريد ... فهنا ، ورفعت يدها إلى شفتي فلتحتها

في شغف غير كثير وعادت سارة تضحك
وأحسست بدمي يغلي ؛ وضقت بنفسي ،
ولم أدر ماذا أصنع ، لقد فكرت أخيرا أنني
مائق أحق ، وأنجبهت نحوها ثانية وقلت :
— سارة ، اسمعي إني أحبك

فأجابت : أعرف ذلك

فقلت : تعرفين ؟ أأست غاضبة ؟ وهل
تحبيني كذلك ؟

وهزت سارة رأسها

فقلت : لا — أجيبي كما ينبغي

فقال : حسن أرى نفسك

وانحنيت نحوها ، فوضعت سارة يديها
على كتفي ، وراحت تنعم النظر في وجهي
وقطبت وابتسمت .. ولم أملك نفسي
فقبلت خدها قبلة سريعة ، فانتفضت قائمة ،
وفي وثبة واحدة كانت لدى مدخل الخيمة
فدعوتها تعالى ، أي فتاة خجولة أنت !
فلم تنطق سارا بكلمة ولم تتحرك

وعدت أَدعوها : تعالى هنا إلى

فقال : لا يا سيدي ، إلى اللقاء مرة أخرى
وأطل جريشل مرة أخرى برأسه المجدد
وهمس في أذنيها كلمتين ، تثنت بعدها
وزحفت خارجة كالشعبان ..

وعدت في أثرها خارج الخيمة ، ولكني
لم أستطع أن أراها أو أرى جريشل ، ولم
أجد إلى النوم سبيلا ليلتي كلها

وفي الصباح الثاني كنا جلوسا في خيمة قائد فرقنا ، وكنت ألعب الورق ولكن في غير إقبال ودخل تابعي الجندى وقال « إن شخصا يسأل عن سيادتك »

فقلت : من هو ؟

فأجبت قائلا : يهودى

أمكن أن يكون جريشل ؟ وانتظرت حتى انتهى الدور وذهبت إلى خارج الخيمة فوجدته إياه

وسألنى وهو يتسم ابتسامة استعطاف قائلا هل أنت راض عنى ياسيدى ؟

آه أنت يا... وتلفت محدثنا باحثا بعينه قائلا : ... ليس هنا سيدات فيما أعتقد ، لا علينا من هذا على أى حال ، آه ، باركك الله هكذا أنت تعبت بى ، أليس كذلك ؟

وقال جريشل فى لهجة تأنيب ولكن ابتسامته لم تفارقه : إى ، إى ، أنت رجل بطل جدا ! إن الفتاة صغيرة خجولة ، لقد أخفقتها حقا ، حقا لقد فعلت

فقلت : نوع غريب من الحجل حقا ... لماذا إذن أخذت تهودا ؟

فقال اليهودى : لماذا ؟ وماذا فى ذلك ؟ إذا وجد المرء مالا فلماذا لا يأخذه ياسيدى ؟

فقلت : دعها محضر ثانية يا جريشل ، وسوف أكون كما تحب ، كل ما أطلب هو ألا ترى وجهك الغنى داخل الخيمة ،

دعنا فى آمن ، أسمع أنت ؟
والتمعت عينا جريشل ثم سألتى :
— ما قولك فيها ، أتحبها ؟

قلت : نعم

فقال : إنها جميلة ، مخلوقة حلوة ! حلوة !
ليس كمثليها أينما اتجهت ، وهل لديك شئ
لى الآن ؟

فأجيبته : نعم ، هاك ، لكن اسمع ،
الصدق خير من الذهب ، أحضرها ثم اذهب
إلى جهنم وسأرافقها بنفسى حتى يتيها

فأجاب اليهودى مسرعا : لا ياسيدى ،
لا ، هذا مستحيل ياسيدى ، نعم ، نعم هذا
مستحيل ، سأمشى حول الخيمة إذا شئت
ياسيدى . وسوف ، وسوف ، أبعد ياسيدى .
إذا شئت ، قليلا ، ستجدنى مستعدا أبدا
لخدمتك ، سيدى سأبتعد ، حقا سوف أفعل .
فقلت : حسن ، تذكر أن تفعل ذلك ،
أحضرها .. أسمع أنت ؟

فقال : إيه ... ولكنها جميلة ، ياسيدى ،
جميلة ، إيه ؟

وانحنى جريشل ونظر إلى بعينه الطارفتين
فقلت : إنها حسنة الهيئة

فقال : حسن ، إذن فأعطينى قطعة أخرى
من الذهب

وألقيت إليه بقطعة أخرى ثم افترقنا
وأخيرا انقضى النهار ، وهبط الليل

وضغطت بها على شفقتها ؛ ثم انصرفت عنهما
وبقيت يارفاقي خمسة أيام أو ستة دائم
التفكير في صاحبتى اليهودية ؛ ولم يظهر
جريشل ولم يره أحد في المعسكر ، وكنت
أنام الليالى نوما متقطعا ، وكانت تلازم خيالى
عينان سوداوان قد تندتا ، وأهداب طويلة ؛
ولم تنس شفقتى خدها وقد كان ناعما ناضرا
كأنه الخوخة الحريرية الملمس .

وأرسلت بعد ذلك في جماعة لسلب
المؤونة من إحدى القرى على مسافة منا ،
وبقيت في الشارع على ظهر جوادى بينا
كان الجنود يسمعون في البيوت نهباً ؛ وعلى
حين غفلة أمسكت يد بإحدى قدمي فنظرت
فإذا سارة ! وكانت شاحبة مضطربة تقول :
سبدي ، أغشنا ، خلصنا ، إن جنودك
يعتدون علينا ويهينوننا .. ثم عرفتني فألمبت
وجهها الحمراء

وسألتها : أقيمين هنا ؟

فأجابت : نعم

فقلت : أين ؟

فأشارت سارة إلى بيت صغير قديم .

وهزمت فرسى وأسرعت به إلى ردهة

البيت فوجدت يهودية قبيحة محطمة تحاول

أن تنزع من شاويشى الطويل سبيليا فكا

ثلاث دجاجات وبطة ، وكان يرفع أسلابه

فوق رأسه ضاحكا ؛ وكانت تصيح الدجاجات

وتقدم ، ولقد بقيت مدة طويلة وحدى في
خيمتى وكان الظلام شديدا خارج الخيمة ،
وسمعت في المدينة دقة الساعة وكانت الثانية
.. وبدأت ألعن اليهودى ساخطا ، وإذذاك
دخلت سارة الخيمة وحدها ؛ فوثبت من
مكاني ، وأخذتها بين ذراعى ، ووضعت
شفتي على وجهها ، وكان باردا كالثلج ؛ ولم
أتبين ملامحها إلا في جهد ، فأجلستها
وجثوت أمامها ، وتناولت يديها ولست
خصرها ، ولم تتكلم ولم تتحرك ، ثم إنها
فجأة راحت تجهش إجهاشات عالية
وهي تنتفض ، وحاولت عبثا أن أهدئ
روعها ، أو أغريها ، ومضت تبكي بدمع
هتون ، فهددتها ، ومسحت دموعها ،
فلم تقاوم ، ولم تجب عن أسئلتى ، ومضت
تبكي ، تبكي كمسقط الماء وشعرت بالألم
يخز قلبي ، فهضت وخرجت من الخيمة

وبدا جريشل كأنما انبعث أمامي من

الأرض فقلت له : « هاك المال الذى وعدتك

به باجريشل ، خذ سارة من هنا »

واندفع اليهودى لتوه نحوها فكفت

عن البكاء ، وتعلقت به

فقلت : وداعا ياسارة ، يرعالك الله ، وداعا ،

سوف يرى كلانا صاحبه مرة ثانية

ولزم جريشل الصمت ، وأحنى رأسه

في خضوع ، وأنحنت سارة وأخذت يدي

والبطة ، وكان جنسهما آخران يحملان
حصانيهما بالحطاب والدفيق ؛ وسمعت داخل
البيت صيحات وأيمانا تقسم بلغة روسيا
الجنوبية ، وناديت جنودى وأمرتهم أن
يدعوا اليهود فلا يأخذوا منهم شيئا فأطاعوا
وتبعنى الشاويش فوق فرسه إلى الشارع
وقلت لسارة : الآن هل سرى منى
ما فعلت ؟

فنظرت إلى وفى ثغرها ابتسامة فقلت :
— ماذا كان من أنبائكم طوال هذه المدة ؟
فخفضت عينها ثم قالت : سوف أحضر
إليك غدا

فسألها : فى المساء ؟

فقلت : لا يا سيدى فى الصباح
فقلت : لا تنسى أن تفعلى ، لا تخدعنى
فأجابت : كلا ، كلا لن أخدعك
ونظرت إليها فى شغف ، وقد بدت لى
فى ضوء النهار أروع منها فيما مضى ، وأذكر
أن ما راعنى بوجه خاص ساعتئذ ما كان فى
وجهها من مسحة خفيفة من لون العنبر ،
وما كان فى شعرها الأسود من زرقة براقة ،
ثم انثنت عن ظهر جوادى وشددت على
يدها الصغيرة فى حرارة

واستيقظت من نوى مبكرا فى اليوم
التالى ، وارتديت ملابسى وخرجت من

خيمتى ؟ وكان صباحا رائعا : وكانت الشمس
قد برغت ثوبها ، وكان كل عود من
الحشيش يبرق بما عليه من ندى ومن شعاع
أحمر ، وصعدت إلى أحد المتاريس العالية ،
وجلست على حافة كوة مدفع ، وكان أسفل
منى مدفع ضخم يصوب فوهته السوداء نحو
المدينة المكشوفة ونظرت حولى فى فتور ،
فوقع بصرى فجأة على شبح منحرف فى ملحفة
رمادية على مائة خطوة منى : وتبينت فيه
جريشل . ولقد وقف لحظة طويلة لا يتحرك
فى مكان واحد ، ثم أخذ فجأة يعدو إلى
مسافة قصيرة على أحد جانبيه ، ثم تلفت
حوله فى سرعة ولهفة ، وصاح صبيحة ثم
ألقى فى حذر ، ثم مد عنقه وأخذ يتلفت
حوله ثانية ويمد سمعه ؛ وكنت أرى حركاته
هذه فى وضوح تام ؛ وأدخل يده فى صدره
وأخرج قطعة من الورق وقلم رصاص ،
وأخذ يكتب أو يرسم شيئا . وكان جريشل
يتوقف ثم يتوثب كالأرنب ، ينعم النظر فى
كل شئ حوله متيقظا ، وبدأ كأنما يخطط
رسما للمعسكر ؛ ولقد أخفى ورقته أكثر من
مرة ، وأغمض عينيه نصف إغماضة ، ونشق
من الهواء نشقة ثم عاد إلى عمله . وأخيرا
جلس اليهودى القرفصاء على الحشيش ،
وخلع أحد خفيه وأخفى فيه ورقته
ولم يكديهم اليهودى بالوقوف حتى ظهر

فجأة من خلف كتيب على عشر خطوات وراءه ، وجه ذو لحية ، وهو وجه الشاويش سيليافكا ، وانبعث جسمه الطويل القبيح نيتاً فشيئاً من الأرض ؛ ووقف اليهودي وظهراً إليه ، فأسرع سيليافكا صوبه ووضع كفه الثقيلة على عاتقه ! وبدأ جريشل كأنما ينكمش بعضه في بعض ؛ واهتز كورقة الشجرة وصرخ صرخة ضعيفة مثل صرخة الأرنب وخاطبه سيليافكا متهدداً إياه وأخذ بتلايبيه ؛ ولم أسمع ما دار بينهما ، ولكن مما رأيته في وجه جريشل من أمارات اليأس والخوف ، وما شهدته من حركاته المضارعة استطعت أن أحس ماذا فعل

ولقد ارتدى اليهودي مرتين على قدمي الشاويش ؛ وأدخل يده في جيبه وأخرج منديلاً خلقاً وحل عقده وأخرج منه قطعة ذهبية من النقد ، وأخذ سيليافكا ما قدم إليه في كثير من الشمم ، ولكنه لم يكف عن سحب اليهودي من تلايبيه ؛ وجذب اليهودي نفسه فجأة وانطلق يعدو ، وتبعه الشاويش مسرعاً ، وكان اليهودي يعدو عدواً شديداً ؛ وكانت ساقاه في جوربيه الزرقاوين ترفان في سرعة عظيمة ، ولكن الشاويش ما لبث أن أدرك اليهودي وقد تكور على الأرض فأنهضه ، وحمله بين ذراعيه إلى المعسكر ؛ ونهضت من مكاني

ودهبته إقبالته

وسأح سيليافكا : « آد ، ياسيدي هذا جاسوس ، تقدم جئت بك نجاسوس » . وكان العرق ينصب من لحيته الشاويش ؛ وراح سيليافكا يجر اليهودي قائلاً « كف عن التملص أيها اليهودي الشيطان ، أنسمع قولي ؟ أيها الشقي ، كف وإلا نخنقتك » وكان جريشل التمس يضرب بترقيقه صدر سيليافكا في ضعف ، وكان يركل الهواء برجليه في ضعف كذلك ، وكانت تطرف عيناه في تشنج

وسألت سيليافكا ماذا حدث فقال وكان لا يزال يحمل جريشل بين ذراعيه : « إذا تفضلت نخلعت الخلف من قدمه اليمنى فإني لا أستطيع أن أمسكها »

ونخلعت خفه فأخرجت منه قطعة من الورق مطوية في عناية ، وبسطها فوجدت فيها رسماً دقيقاً لمعسكرنا ؛ وكان على هامشها بعض الكلمات في خط دقيق باللغة العبرية وأزل سيليافكا اليهودي وأوقفه على قدميه ، وفتح اليهودي عينيه ، فما أن رآني حتى خر على ركبتيه أمامي ؛ وأريند الورقة دون أن أتكلم وسألته ما هذا ؟

فأجاب لا شيء ، سيدي ، لا شيء إني كنت فقط . . .

فقلت له : أنت نجاسوس ؟

ولم يع ما أقول وتمم ببعض كلمات
مقطعة ثم ضغط على ركبتى فى رعب وهو
جاث أمائ

وسأله ثانية : أنت جاسوس ؟

— فصاح صيحة خافتة وهو يهز رأسه
« أنا ؟ كيف أكون كذلك ؟ لم أفعل
ذلك قط ولست جاسوسا أبدا ، هذا غير
ممکن ، غير ممکن ألبتة ، إني مستعد ،
سوف ، هذه الدقيقة ، إن لى مالا أعطيه ،
سوف أدفع مالا .. »

وهمس بالجملة الأخيرة ثم أغمض عينيه
وانزلت قبعته العالية إلى الخلف حتى
عنقه ، وتندى شعره المحمر بعرق بارد ،
وتدلت منه ذيول وكانت شفتاه زرقاوين ،
تحتلجان فى حركة تشنجية ، وكان حاجباه
مقطبين فى صورة أليمة وبدا وجهه مسنونا
وجاء الجند فتحلقوا حولنا ؛ وكنت قد
اعتزمت أول الأمر أن أخوف جريشل ثم
آمر سيليافكا أن يكتم الأمر كله ؛ ولكن
النبأ ذاع الآن ، ولا بد أن يبلغ مسامع
القائمين على شؤون الحرب . فقلت للشاويش
خذه إلى القائد

وصرخ جريشل وفى صوته نبرة اليأس
« سيدى ... سيدى ... لم آت ذنبا ...
مره يطلقنى مره يطلقنى ... »

وقال له سيليافكا « هيا ... إن القائد

سوف يقضى فى أمرك »
وعاد اليهودى يصرخ ورأى « سيدى
مره ... كن رحيما بى »

وآلتنى صرخته ، فأسرعت الخطا ،
وكان قائدنا ألمانى الأصل ، وكان رجلا أمينا
طيب القلب ولكنه كان شديد الحرص على
اتباع قوانين الحرب ؛ ولقد توجهت إلى
البيت الصغير الذى كان قد أعد له على عجل
وشرحت له فى كلمات قصيرة سبب زيارتى
إياه ! ولما كنت لا أجهل صرامة القوانين
الحربية ، فقد تجنبنت فى حديثى كلمة
(الجاسوس) وحاولت أن أصور له المسألة
على أنها شىء تافه لا تستحق الالتفات ،
ولكن القائد لسوء حظ جريشل قد وضع
واجبه فوق الرحمة ... وقال لى فى عبارة
روسية غير سليمة « إنك أيها الشاب غير
مجبرب ... أجل إنك فى أمور الحرب لست
ذا تجربة بعد ؛ وإن المسألة التى تحدثت عنها
خطيرة ، عظيمة الخطر ... أين ذلك الرجل
الذى ضبط ؟ أين هو ؟ »

وخرجت فطلبت إلى الجند أن يحضروا
اليهودى ؛ وجاءوا به فأدخلوه وكان ذلك
المخلوق البائس لا يكاد يستطيع الوقوف
على رجله

فقال : القائد متجها نحوى « والآن أين
الرسم الذى وجد معه ؟ »

وأعطيته الورقة فنظر فيها وقطب حاجبيه وقال في تودة « هذا مدهش جدا ، من قبض عليه ؟ »

فانبعث سيليافكا يقول في قوة « أنا يا صاحب السعادة »

فقال القائد : آه هذا حسن ، حسن ، والآن أيها الرجل ماذا تقول دفاعا عن نفسك ؟ وتمتم جريشل قائلا « أنا ، سعادتك ، حقا ، سعادتك ، إني لست مذنباً ، سل الضابط سل سيادته ، أنا بائع ، يا صاحب السعادة ، بائع أمين »

وقال القائد في صوت خافت وهو يهز رأسه عابسا « يجب أن يستجوب ، تعال ، كيف تفسر هذا يا صاحبي ؟ »

فقال اليهودي : لست مذنباً ، يا صاحب السعادة ، لست مذنباً

فقال القائد : لقد ضبطت متلبسا فأجاب : صدقني ، ياسيدي أنا ، أنا لم أجرم فسأله : هل رسمت هذا ؟ أنت جاسوس للعدو ؟ - فصرخ جريشل فجأة « لم أكن أنا سعادتك ... لست أنا ... »

فنظر القائد إلى سيليافكا فقال هذا « عجباً إنه يهذى يا صاحب السعادة ، إن الضابط ، هو الذي أخرج الورقة من أحد خفيه »

ونظر القائد إلى فوجدتني مضطرا إلى

أن أومي برأسي موافقا وقال القائد : أنت جاسوس للعدو أيها الرجل وأجاب جريشل : لست أنا ... يا صاحب السعادة ، لست أنا

فقال القائد : اعترف ؛ هل أمددت العدو بمعلومات كهذه من قبل ؟ فقال اليهودي : كيف أستطيع ذلك ؟ فقال القائد : إنك لن تمخدعني أيها الرجل ... قل أنت جاسوس ؟

وأغمض اليهودي عينيه وهز رأسه ورفع طرف سترته

ونطق القائد بعد صمت قصير قائلا في حزم « أشنقوه وفق القانون ... أين فيودور شليكلان ؟ »

وانطلق بعض الجندي يحضروا شليكلان مساعد القائد ؛ وأخذ وجه جريشل يبدو مخضارا وفغرفاه ، وجحظت عيناه كما لو أرادت أن تخرج من محجريهما ؛ ودخل القائد المساعد فأخبره القائد بما يفعل ؛ ثم دخل الحجرة بعض الضباط يتساءلون بالأحداق وخطبت القائد بالألمانية على قدر ما أستطيع « أرجو منك الرحمة به يا صاحب السعادة ... أطلقه »

فأجابني بالروسية . أنت أيها الشاب غير مجرب كما قلت لك ، فالزم الصمت ولا تضايقني أكثر مما فعلت »

وألقى جريشل بنفسه صارخا فوق
قدمي القائد

« عفوك أيها القائد ... رحمة بي ...
... لن أعود إليها أبدا ... لا لن أعود ...
إن لي زوجة ... يا صاحب السعادة ...
وبنتا ... كن رحيمًا بي »

وقال القائد : عبثًا تحاول

فقال اليهودي : حقا.. يا صاحب السعادة.. أنا
مذنب ... إنها المرة الأولى ... يا صاحب
السعادة ... المرة الأولى ... صدقني

وعاد القائد يسأله : ألم ترسل معلومات قبل هذه؟
فأجاب : هذه أول مرة ، يا صاحب السعادة
زوجتي ، أطفالي ، رحمة بي

فقال القائد : ولكنك جاسوس

وأحس القائد كأن شيئًا يخزّه ، ولكنه
لم يجد بدا ، فقال متبالمكا نفسه في هيئة من
يضطر إلى أن يأتي من العنف ما يهز قلبه ،
ومن يضحي بتشاعره الطيبة في سبيل
الواجب الذي لا معدى عنه : « اشنقوا
اليهودي حينما يقضى به القانون ، اشنقوه ،
وأنت يا فيدور أرجو منك أن تضع تقريرًا
عن الحادث »

وغشى اليهودي فجأة تغير خفيف ،
فبدلا من ذلك الرعب المتهيب الذي هو من
خصائص طبيعته ، حل في وجهه ذلك الألم
الرهيّب الذي يسبق الموت ؛ وتنزى كما

يتنزى الوحش السجين ؛ وظل فيه مفتوحا
وسمعت حشرجة في حلقه ؛ وصار يب
ويهبط ، تحركا مرفقيه في تشنّج ، وكان
يتنعل خفا واحدا ، فقد نسوا أن يعطوه
ثاني الخفين ؛ وانفتحت سترته ووقعت
قبعته عن رأسه

وأخذتنا جميعا هزة ووقف القائد
ساكنا في صمت ، وتقدمت إليه ثانية فقلت
« يا صاحب السعادة هلا رحمت هذا المخلوق
البائس

فأجاب القائد في ثبات وإن لم يخل من
انفعال قائلا « مستحيل ، إنه القانون ، وفي
ذلك ردع لغيره »

وقلت : الرحمة ، أرجوك من أجل الرحمة
وضاح بي القائد « أيها الضابط
لا تتكلم وعد إلى موضعك » ثم دفعني في
غطسة نحو الباب

وخيت وخرجت ؛ ولما لم أكن مكلفا
بموضع معين ، فقد بقيت غير بعيد من بيت
القائد وظهر جريشل بعد دقيقتين يحيط به
ضابط وثلاثة من الجند ؛ وكان اليهودي
المسكين في ذهول عن نفسه يكاد لا يقوى
على أن يجر رجله ؛ وذهب سيليافكا إلى
المسكر وعاد بعد قليل وفي يده حبل ؛
وكانت تبدو على وجهه الغليظ نظرة عجيبة
من رثاء وغضب ؛ ولما رأى اليهودي الحبل

استلقى على الأرض ووضع رأسه بين ذراعيه
وأخذ ينتحب ؛ ووقت الجند سامتين
حوله ساخسين بأبصارهم إلى الأرض ؛
وذهبت إلى جريشل وخاطبته ، وكان يجيش
كالطفل ، ولكنه لم يجبن بل ولم ينظر إلى ؛
ومضيت والياس في وجهي إلى خيمتي
وارتميت على البساط منمضا عيني

ودخل شخص خيمتي فجأة فرفعت
رأسي فإذا هي سارة ! فاندفعت نحوي
وتعلقت بي وأسكت يدي ، وألحت على
لاهئة ... هيا ... هيا

فقلت : إلى أين ؟ ولم تخرج ؟ لنبق هنا ،
فقلت : أنقذه ، أنقذه ، الأب ! الأب !
فصحت بها : أي أب ؟ أبو من ؟
فأجابت : أبي ، إنهم سيشتقونه
فقلت : ماذا ؟ هل جريشل ..
فقاطعتني قائلة : إنه أبي ، أبي ، وسأخبرك
عن ذلك فيما بعد

ثم أضافت وهي تدفعني في يأس بداييد
« هيا ... هيا »

وخرجنا نعدو من الخيمة ، واستطعنا
أن نرى في الفضاء على مقربة من شجرة
فريدة جمعا من الجند ، وأشارت إليهم سارة
بيدها دون أن تشكلم

فصحت بها قائلة « قفي » إلى أين نعدو ؟
« إن الجند لن يطيعوني »

ولكن سارة ما فتئت تجذبني من يدي
ورحت نعدو خلفها ، ويجب أن أعترف أن
الأرض قد دارت بي . . . عدت أصبح بها
ألا فائدة من ذهابي ، وأن الأفضل أن
نذهب إلى القائد ، فربما استطعنا أن نمنعه
ووقفت سارة فجأة ولبنت تحملق في
وجهي كأنما مسهاجنون فقلت لها « إفهميني
ياسارة ، أرجو أن تدركي أنني لا أستطيع
أن أفعل شيئا ، ولا أملك لأبيك شيئا ،
ولكن القائد يستطيع فلنذهب إليه »

فقلت في نبرة يخفقها البكاء « ولكنهم
قد يفرغون من سنده أثناء ذلك »

ورأيت سكرتير القائد، فرجوت منه أن
يسمح لهم بالتريث ريثما نلتق القائد، فذهب إليهم
بهذا الرجاء . ولم يسمح لنا بالدخول على القائد
وعبثا رحت أتوسل وأقسم الأيمان ، وعبثا
راحت سارة تشد شعرها وتلطم خديها .
ثم إن المسكينة أمسكت رأسها بيديها وأخذت
تعدو صوب الشجرة ، حيث يشفق أبوها ،
وتبعتها إلى هناك وما من أحد إلا وهو
ينظر إلينا متعجبا

وكان الجند قد تحلقوا حول الشجرة ،
وكانوا يضحكون . تصوروا ذلك أيها السادة !
أجل كانوا يتغامزون ويضحكون من جريشل
المسكين . فصحت بهم زاجرا . وروانا
اليهودي فارقي على ابنته وأدار ذراعيه على

عنقها ، ونعلقت به سارة في كثير من الحنان ، وظن المسكين أنه قد عفى عنه ، وبينما كان يهيم بشكري أشحت بوجهي فصرخ قائلاً « يا صاحب السعادة ، ألم أذل العفو ؟ » ثم دق كفا بكف حين وقفت صامتاً وحين قلت بعد حين « كلا » . وتمتم المسكين في صوت خفيف . أنظر يا صاحب السعادة ، هذه البنت ، إنها ابنتي ، وإني ما كنت أبتعد قط عن الخيمة . ما كنت لأفعل ذلك مهما يكن الثمن » ثم خر جاثياً وأغمض عينيه لحظة وراح يقول « إني طلبت مالك ، يجب أن أعترف بذلك . ولكن لم أطلبه من أجل شيء .. »

وضقت باليهودي ، ثم أحسست أني ضائق كذلك بشريكته ، ولكنه عاد يهيمس إلي « الآن إذا نجيتني فإني سأمرها ، سوف ... هل تفهمني ؟ كل شيء .. سأذهب إلى النهاية »

وجاء نائب القائد تخاطبني بقوله « أيها الكورنت أمرني القائد أن أقبض عليك » واتجه نحو الجند قائلاً « أما أنتم فعليكم باليهودي ، أسرعوا »

وقلت لنائب القائد « مرهم على الأقل أن يبعدوا هذه الفتاة »

وجذب الجند سارة من أيها في كثير من العناء ، وابتعدوا بها نحو عشرين خطوة ولمسكنها ما لبثت أن أفلتت منهم واندفعت

نحو أبيها ، واعترض لها سيليافاً ولكنها دفعتته من طريقها ، وقد صعد الدم إلى وجهها الشاحب والتمعت عيناها ، ثم بسطت ذراعيها وأخذت تصيح قائلة : « لتزل بكم اللعنة ثلاثاً .. لعنة الجوع والتشريد والعار ، لتبتلعكم الأرض أيها الكلاب المتعطشون إلى الدم أنتم يامن لا رحمة لكم ولا دين ثم خرت صمعة فرفعوها وابتعدوا بها :

وأقبل نفر منهم فأخذوا جريشل ، وكان المسكين يئن « أوى ... أوى ... أوى ... لحظة ... لدى شيء أقوله لكم ... شيء هام ... دقيقة واحدة ... أنتم تعرفونني ... أنا بائع أمين مسكين ... انتظروا ... دعوني ... سارة ... أين سارة ؟ أوه ... أعلم أنها عند سعادة ضابط هذه المنطقة ... أيها الضابط يا صاحب السعادة أبتعد عن الخيمة ... نعم سأبتعد ... أنقذ رب أسرة ... سأعطيك عشرة قطع من الذهب ... خمس عشرة قطعة ... رحمة بي أيها القائد ... أوى ... أطلقوني »

ووضعوا الجبل حول عنقه ، ووضعت كفي على وجهي وانطلقت متراجعا . وقضيت أسبوعين مقبوضاً على

ولما أطلق سراحى ، خرجت وحملت إلى المستشفى ، ثم سالت دائرج ، ومضينا ، ولا أزال كلما ذكرت دائرج ذكرت سارة تلك اليهودية الساحرة

البيت الحالى

للمصطفى الرحلى برسليم

إنه صدى خافت لصرخة حزينة تنبعث من نافذة من نوافذ الطابق الثانى . . . لا شئ أكثر من هذا ؛ ولكن هذا الصدى على ما كان من خفوته قد أعقب سلسلة غريبة من الوقائع . لقد ألقى أوستن شيرتن نفسه - وهو الذى كان من قبل لصا جسورا لا يرعوى - مشتبكا فى سلسلة عجيبة من الحوادث لعب فيها دور البوليس السرى

. وكان عجيبا حقا أنه لم يكن إلا على مسير خمس دقائق من مسكنه فى شلسى : وكان ينقل الخطأ متتدا ، نحو منزله عائدا من مشية بعد العشاء ، حين أوقفه صوت تلك الصرخة . لقد جاءت ، كما أيقن من ناحية (البريت) الذى يقع مباشرة عن يساره ، وعلى ذلك فقد نظر مستديرا على عقبه نظرة فاحصة إلى ذلك البيت

وكان يكتنف البيت ظلام تام . على أنه لم يكن فى ذلك الشارع من أوله إلى آخره إلا قليل من النوافذ التى يرى فيها النور . ولقد انتظر

انتظارا لا شعوريا سرحة أخرى وهو واقف يترقب ، ولكن شيئا من ذلك لم يقع . وكان الليل ساكنا كما لو أنه لم يحدث شئ غير عادى ؛ ولم يسمع أى شخص آخر كما يبدو صوتا ما ، ذلك لأنه لم يكن هناك من يرى سواء فى البيت أو فى الطريق

ولقد أخذ يتساءل عما إذا كان قد تخيل كل هذا ؛ فلقد ظل يشتغل جاهدا فى حرفته إلى ساعة متأخرة ، فإن ما ذهب له من صيت كنفقاش كان قد أخذ يزداد فى سرعة . ثم إنه وقف مرددا ، لأنه وإن كان قد سمع صرخة فليس فى ذلك ما يهمه ؛ وليس ثمة ما يستطيع عمله ؛ ولكن غرائزه كانت تمل عليه ألا يصنى إلى العقل ؛ وربما كان مرد ذلك إلى أنه اكتشف فبرة فتية فى تلك الصرخة ، كما لو أنها انبعثت من بين شفتى طفلة

ثم قال فى نفسه فيما يشبه الغضب : « ألم فى الأسنان » لا بد أن ذلك الصغير التمصر بسأى نوبة من الألم

مفاجئة . . . « ولكن لم يكن هناك
أى دليل على الجرائم في البيت ؟ ثم لم يكن
هناك من يسرع إلى ذلك التألم بما عسى
أن يريجه ؟

نبدء ذلك كله ، فليس ثمة سوء من
شأنه ؛ ثم إنه نزل بمصره في شيء من التردد
عن الطابق الثاني وأقسم ضاحكا ، ولكنها
لم تكن ضحكة فكهة . إنها كانت ضحكة
الضيق لأنه لاحظ حينذاك لأول مرة ما غفل
عنه حتى ذلك الوقت . لقد كان البيت خاليا ،
إذ كانت تغطي طائفة من الإعلانات
نوافذه السفلى

واستدار معتزما أن يتابع سيره إلى بيته
وخطا خطوة في سبيله — وللمرة الثانية
سمع صرخة ! وأقسم هامسا بين أنفاسه : إنه
لم يعد هناك شك يحتاج ذهنه الآن . لقد كان
طفلا ذلك الذي صرخ ، طفلا يتألم . وأسوأ
من هذا أن الصرخة قد خبست فجأة كما لو
أن يبدأ ثقبلة قد طبقت على فم الطفل .
وقد حدث كل ذلك في بيت يبدو أنه خال !
لقد قطب جبينه . . فإن في الأمر شيئا مريبا ،
شيئا يتطلب البحث

ولما اعتنع بهذه الحقيقة اطمأن إلى
قديم سليقته ومكره ، واتخذ سبيله
مستدنا إلى الأمام . فإنه يكاد يوقن أن الشخص
الذي كتم صرخة الطفل سوف يسرع إلى

النافذة ابستوثق مما إذا كان قد سمع شيء
خارج المنزل ؛ فإذا أبصر ذلك الشخص
رجلا في الطريق ينظر إلى أعلى فإنه
يدرك أن شكاه قد انبعث ، وعلى ذلك فما
دام أنه قد أئذر فلا بد أن يأخذ حذره
فيتسلح قبل أن يباغت

وبينما كان شيرتن سائرا أخذ يفكر
فيا يستطيع عمله . أما أنه لا بد من عمل شيء
فذلك ما انتهى إليه رأيه ، فإن وجود
طفل في قبضة عات غليظ القلب مجرم قد
أيقظت في نفسه كل مشاعر النجدة والعطف ،
تلك المشاعر التي لم تنقص قط في أغوار
نفسه بحيث لا تبرز إلى السطح ، حتى أيام أن
كان مجرما

لقد كان أوضح السبل أمامه أن
يذهب إلى مخفر البوليس بقصته . ولكن
لو أنه فعل فإذا عسى أن يفعل البوليس ؟
أكبر الظن أنهم سوف يصغون غير مصدقين ،
وبخاصة حين يعلمون أن البيت خال ؛ وإذا
فرض أنه استطاع أن يحملهم على أن
يصدقوه فإذا في طوقهم أن يعملوا ؟ وأخذ
يكور ذلك في نفسه .

إنهم ما لم يحصلوا على إذن قضائي لن
يستطيعوا أن يقتحموا المنزل . وإنه ما لم
يقدموا بينة حاسمة فليس من المحتمل أن
يحصلوا على هذا الإذن . وكذلك لم يغيب عن

سيرتي ما يمكن أن يغمر به الأمر من أن
أحد السكّمين بالمحافظة على ذلك المقار كان
يوقع بابه عقابا يستطيع أن يرغم به عقاب
قانون خفيف

وابتعث مكره فكرة ، تلك أنه إذا لم
يستطع البوليس أن يبحث هذه مسألة فليس
من يفعل ذلك إلا هو ؛ إنه لقادر على ذلك .
أجل إن أوسن سيرتي اللص فيما ساف ،
قادر على ذلك . إنه ما لم يكن قد فقد مهارته
يستطيع أن يدخل المنزل دخول اللص . ولقد
يقع من الأدلة هناك على ما يحمل به البوليس
على العمل . ذلك أنه كلما تفكر في تلك
الصرخة ، آذاه ذكرها ، وازداد يقينا مما
أوحى به إليه بصيرته ، وهو أن شيئا مريباً
يسكن في ذلك البيت الخالي

واشتد الجدل بينه وبين ضميره . هل يعود
ولولية واحدة كما كان سيرتي القديم ، وبهذه
الصفة يحاول أن يصل إلى دخول ذلك
المنزل ؟ إن هذا العمل لا يخلو بالضرورة
من خطر ، ولكن ذلك الخطر إنما يغريه
بالإقدام ، لأنه يحب الخطر من أجل الخطر
في ذاته ، ولأن اقترابه منه ينشئ خياله ،
ويزيد لذة في المخاطرة . وهو يخشى من
ناحية أخرى أنه إذا طاع فكره إلى هذه
المغامرة الجديدة فإنه قد يمضي في تنفيذها ،
ومن ثم يتعرض لأن يؤخذ بقلبه ، ولو أنه

لا يبتغي هذا مغنا لنفسه . وإنما يعمل في
سبيل طفل معذب

وخسر ضميره المبركة . فإنه منذ ثلاث
سنوات لم يفعل فعل اللص . لم يفعل ذلك منذ
أن أخذ يذوق لذة الفن ومنذ أن أخذ
يطرد نجاحه كنفقاش ؛ ولكنه رأى أن
إتيانه هذا العمل مرة أخرى مغر له أشد
الإغراء ، وبخاصة إذا كان غرضه هو ذلك
الغرض النبيل . يضاف إلى ذلك أن الظروف
مواتية له بصورة خاصة ، فإنه في دقائق
قليلة يستطيع أن يصل إلى بيته ، فيجمع
هناك ما يلزم من أدوات لما هو بسبيله من
عمل ثم يعود إلى البيت الخالي . أما ماذا
عسى أن يحدث بعد ذلك ، فليدع للزمن بيانه ،
على هذا فقد أسرع الخطي صوب منزله فجأة .
لقد تغلب عزمه . إن أوسن سيرتي سوف
يعود لصا مقتحما ليلة واحدة ليس غير

كان أوسن بعد دقائق في شقته التي
يقطنها فوق محل عمله في شارع ستانهوب
بحي شيلسي . وقد خلع في سرعة معطفه
الخفيف ، وإنه ليتغنى بأحدث نعمة من نعمات
الرقص ، وأخدمه طفا قائما من النوع الذي يقي
من المطر ، واستبدل قبعته بطاقيّة شديدة
السواد ودس في أحد جيوبه مصباحا كهربائيا
صغيرا . ووضع في جيب آخر ما تأخذ
العين من مظهره أنه علبة فضية للسكر ،

الليل بربع ساعة . وإذا رآه أحد فإن ذلك يبعث الريبة في الحال

على أنه كان لديه من ناحية أخرى المدخل الخلفي . ولكن كيف يصل إلى مؤخرة ذلك البيت ؟ ذلك ما لم يكن يعرفه حتى ذلك الوقت . فمع أن شارع دريكوت يقع قريبا من منزله لم يكن يألف جغرافية هذه الجهة كل الألفة . ورأى أنه إذا عمل في جيرة غير معلومة فإنه بذلك يحطم قاعدة من القواعد الأولى لأيام إجرامه حين كان يألف دائما مكان عمله قبل أن يشرع فيه ، صادرا في ذلك عما في نفسه من استعداد للنقش والزخرفة . ولكنه فيما تقضى به الظروف القائمة لا يجد مناصا من ذلك

بلغ شارع دريكوت فوجده مكانا كثير الحركة إذا قارنه بما كان عليه من هدوء حين مشى فيه من قبل . فلقد رأى سيارة أجرة ينزل منها ثلاثة أشخاص عند المنزل رقم ٩ وكان يسير نحوه شخصان على الجانب الأيسر للطريق . وكان يسير مبتعدا عنه عن يمينه كونستابل من البوليس . وفي هذه الظروف لم ينعطف شيرتن إلى شارع دريكوت بل عبر الشارع ومضى قدما في الطريق الذي كان يسلكه

وتبين أنها كانت حركة موقفة . فإنه رأى على خطوات منه ممرا ، بين يمين وفكر

ولكن تلك العلبة إذا فتحت على صورة أخرى لا يعرف سرها إلا شيرتن وحده — وذلك بالضغط على زر خفي — تكشف عن مكان لم يكن يرب أحد ، وضع فيه شيرتن كل أدواته ومفاتيحه التي بكسر بها الأقفال والأبواب

ولما تذكر شيرتن تلك المغامرات التي اصطحب فيها تلك العلبة الفضية البريئة المظهر ، اندفع الدم في عروقه ، والتمت عيناه ، وعاد مرة أخرى ذلك اللص الذي لا يرعوى ولا يبالي شيئا ، والذي كان يقامر حيال القدر مقامرة ناجحة ، والذي ازدري قوى القانون بأغنية من قلبه ، وابتسامة على شفتيه ، وومضة في عينيه

وانخذ شيرتن سبيله ثانية إلى شارع دريكوت ، وكان يفكر في أحسن وسيلة يدخل بها المنزل رقم ١١ ! ورأى أن خير وسيلة أن يذهب مباشرة إلى باب الواجهة ، فإذا لم يكن قفله من أقفال «بيل» استطاع أن يفتحه بأحد مفاتيحه العديدة التي يحملها في علبته ، ولأنه يوقن أنه ليس ثمة في ظهره من قضيب أورتاج ، وإلا لما استطاع أن يدخل منه وكيل صاحب الدار وعملاؤه . على أن في هذه الوسيلة عيبا . فليس مما جرت به عادة الناس أن يدخلوا بيتا غير مسكون بعد منتصف

أنه من الممكن أن يؤدي إلى ساحة عامة لجميع البيوت في شارع دريكوت . وما لبث أن أنجبه نحو ذلك المر ، فوجد أنه لم يخطئ إذ رأى نفسه بعد ثوان يقبع لدى الباب الخلفي للبيت الحادي عشر ...

وما لبث تلبث ليصنئ إلى ما قد يندره من أن أحدا قد بصر به ، حتى أخرج من أحد جيوبه قفازا من النطاط فلبسه ، ثم أخذ يفحص الباب ليرى ما هو صانع ، وفي يديه مصباحه وأدواته . وكان الباب مكينا . ولما تصوره من الداخل خيل إلى شيرتن أنه لم يكن ثمة قفل فحسب ، بل إن الباب تحصنه الأرتجة من أعلى ومن أسفل ، وذلك لا يجمل فتحه مستحيلا وإنما يطيل أمد ذلك العمل .

وكان على جانب الباب شباك تكسبه النعنة قضبان قوية من الحديد . وقطب حاجبيه بعض الشيء ، فإن هذا الشباك الذي كان من الصغر بحيث لا ينفذ منه إلا شاب نحيل الجسم ، محصن تحصينا قويا فيه نذير شؤم بما عسى أن تكون عليه النوافذ الأخرى . وقد رأى الحال كما توقع فإن تلك البيوت التي بنيت في هذا القرن ، قد حصنت نوافذ طوابقها الأرضية أكثر مما يحصن دكان بائع الجواهر .

وفكر فيما إذا كانت نوافذ الطابق

الأول قد جاءت على هذا الطراز ؛ ولكنه لم يستطع أن يراها ؛ فقد بلغ من حكمة الليل أن عينيه اللتين تعودتا في سنوات من العمل أن تريا في الظلام لم تستطعا أن تنفذا فيه

ورأى لحسن حظه أن هناك ميزابا للمطر يرتفع حتى السقف . ولكم تسلق في الماضي مثل هذا الميزاب . وبعد أن تحسس مبلغ متانته ، أخذ يتسلقه ؛ ولم يحس في هذا من اليسر ما كان يحسه في الأعوام السالفة ، ولكنه واصل التسلق حتى بلغ موضعا يستطيع منه أن يرى النوافذ

ورأى أنها كانت تحميها قضبان الحديد ؛ وليس هذا شأنها فحسب ، بل إنها تبعد عن أن يبلغها . ولما كان الحال كذلك ، فإنه لم يجد في التسلق جدوى ، فإذا فرض أن نوافذ الطابق الثاني لا تمنعها القضبان ، فليس في وسعه أن يصل إليها .

وتراخف هابطا إلى الأرض ، فإن كان لابد له أن يقطع قضبان الحديد فكلما أسرع في البدء بعمله . كان ذلك أوفى بالغرض وبدأ عمله وقد اتخذ كل ما وسعه من حيلة ، ولما كانت أدواته منتقاة خير انتقاء فإنه لم يمض وقت طويل حتى أتى على أحد القضبان ، ولم يزل يقطع حتى استطاع أن يدخل المطبخ . وأخذ يتحسس سبيله إلى

الباب فإنه لم يجرؤ أن يبعث النور من مصباحه . واهتدى إلى الممر المؤدى إلى واجهة المنزل . وكان جو المنزل قابضا تنبعث منه رائحة عفنة . ولم يكن ثمة من صوت إلا مآخذة أسنان فأر خلف الوزرة الخشبية للجزء الأسفل من الحذر ووصوصة مرة أو مرتين ؛ أما عن آدميين فلم يكن هناك أدنى صوت ...

وأصغى لدى باب أول حجرة بلانها ولكنه لم يسمع شيئا ؛ ولف أصابعه الحساسة حول الكرة وأدارها في ببطء حتى استطاع أن يدفع الباب ففتحه ؛ وأصغى ثانية فلم يصل إلى سمعه شيء ، وأرسل النور من مصباحه فوجد الحجرة خالية

ووجد بقية حجرات المنزل كهذه الحجرة ؛ فليس في البيت كراهة نفس من السقف إلى الأرض ! ورأى أنه مما لا يصدق أن كل شخص قد احتفى في مثل هذه السرعة فهو لم يستغرق إلا عشرين دقيقة على الأكثر ليصل إلى شقته وليجمع أدواته وليعود ثانية إلى هذا البيت الخالي . ولكن من كانوا فيه قد اختفوا في هذه الدقائق . على أنه يسأل نفسه لم لم تكن فكرة اختفائهم تمثل هذه السرعة مما لا يصدق ؟ إن الأمر لا يتطلب أكثر من دقائق للتسلل في هدوء من البيت ... كلا إن الغرابة هي أنسب

كلمة تستعمل في هذا الصدد ؛ فقد كان اتفاقا غريبا أن يرحل هؤلاء الذين كانوا في البيت في تلك الدقائق التالية التي غاب فيها عن المكان ؛ وكان غريبا حقا أن يرى من الصعب عليه أن يصدق أن رحيلهم في هذا الزمن كان اتفاقا ؛ فإما أن يكون قد رآه أحد وهو ينظر إلى أعلى البيت فنبه ذلك من كانوا به ، وإما أن البيت الخالي لم يؤو أحدا قط !

ووقف يتدبر في الأمر في إحدى الحجرات العليا . إنه لا يستطيع أن يصدق على الرغم مما تنبئ به المظاهر أن البيت كان خاليا حين مر به من قبل في هذه العشية ! وإنه ليقن أنه لم يتخيل هاتيك الصرخات ولا هو أخطأ الجهة التي انبعثت منها .

وزم شفتيه في عزم ؛ إن أوضح السبل أمامه أن يتمشى الآثار في الأمكنة التي حل بها أشخاص منذ قريب ، ولكنه كي يفعل ذلك لابد له أن يطلق النور من مصباحه وهذا عمل محفوف بالخطر ، إذ أنه مهما يبلغ من حذره ، فإن من المحتمل أن يرى ذلك النور من خلال النوافذ التي لا تحجبها ستائر . وما إن يحدث ذلك حتى يرى المكان محاطا من أقطاره بنفر من البوليس . وأخذ يزن ذلك الخطر ، ولكن تذكره ألم الطفل جعله يصمم فغمز زر المصباح ، وأضاء النور

الخافت دائرة صغيرة من أرض الحجرة
وأخذ وظهره إلى النافذة ينقل النور في
بط من بقعة إلى بقعة ؛ وكان يغطي أرض
الحجرة تراب كثيف ، بلغ من كثافته أن
قدميه كانتا تتركان فيه أثرا واضحا . ووقف
فجأة كأنه تصلب ، فلقد استطاع أن يرى
آثار أقدام إلى جانب ما تركت قدماه من أثر ،
ورأى أنها واضحة وضوح آثاره ؛ ولم يعد
بعد ذلك في حاجة إلى برهان آخر ...

ولما ألقى نور الصباح الكهربائي في
دقة على هذه الآثار تبين أن قصة يمكن أن
تقرأ فيها ؛ فلقد دخل الحجرة غيره شخصان
آخران أحدهما طفل ؛ وكانت آثار قدمي
الشخص الآخر عريضة كبيرة ، ولا يمكن
إلا أن يكون رجلا ضخما ذلك الذي تركت
قدماه هذه الآثار ...

ولما فحص شيرتن الآثار فحفا دقيقا
أحس بشيء من الدهشة ، فعلم أن آثار قدمي
الطفل كانت صغيرة فإن إحداها كانت بعيدة
عن الأخرى ؛ ثم إنهما توقفتا على بعد ياردة
من النافذة ولم تعودا صوب الباب

على أن دهشته ما لبثت أن زائلته ،
وذلك حين استبان له تفسير ذلك فقد جرت
الطفلة إلى داخل الحجرة يتبعها مطاردها
(لأنه يعتقد أن هذه آثار قدمي بنت) وقبل
أن تصل إلى هدفها وهو الشباك ، أدركها

مطاردها فالتقطها وحملها وخرج بها من الحجرة
واتبع بنظره الأقدام وهي تخرج من
الحجرة . ولم تكن القصة خارج الحجرة
سهلة القراءة . فإن الآثار قد تناثرت هنا
وهناك من الحجرة الثانية في الواجهة إلى
السلم ومن السلم إلى تلك الحجرة ، كما لو أن
الرجل قد صعد السلم أكثر من مرة ليدخل
الحجرة التي تقع عن يمين شيرتن ؛ كذلك
قد أدت أقدامه هو إلى طمس تلك الأقدام
بعض الشيء

واعترض أن يفتش الحجرة الأخرى في
الواجهة ، واتخذ الحيلة كي لا تخلط قدميه
بآثار ذلك الشخص . ثم دخل للمرة الثانية
الحجرة التي تقع في الجهة اليسرى للمنزل .
وهنا كشفت أرض الحجرة عن قصة أخرى ؛
تلك هي أن الطفلة قد حملت إلى تلك الحجرة
ووضعت ممددة على الأرض إلى جانب الجدار
الداخلي . ولا يمكن أن يعرف مقدار ما قصته
هناك من زمن على تلك الحالة . ولكنه
يعتقد أنها تخلصت من قيودها ونهضت على
قدميها ، وجرت من تلك الحجرة إلى
الحجرة المجاورة

ولم اضطرت إلى أن تفعل ذلك ؟ لم لم
تندفع صوب نافذة الحجرة التي أقيت فيها ؟
لقد استطاع أن يجد إجابة ممكنة على سؤاله
هذا حين فحص الأرض بجوار النافذة .

إن الرجل كان يقف إلى جوار النافذة من حين إلى حين . ولمله كان يطل من النافذة على الشارع في الوقت الذي استطاعت الطفلة فيه أن تفلت من قيودها ، ولمله رآها حين أوشكت أن تخرج من الحجرة فصاح مغضبا فانطلقت منها صرخة خوف واندفعت خارجة من الحجرة . ثم إنه جرى في أثرها وأمسك بها في الحجرة الأخرى ، فما كادت تصرخ ثانية حتى أطبق بيده على فمها ثم حملها بين يديه وكان يرى هذا التفسير ممكنا ، حتى لقد أخذ يتساءل عما إذا كان عسيا أن يعلم جديدا من الأمر إذا فحص الحجرات الأخرى . إنه إذا سلم بأن ما استنتجه صحيح فلا يزال أمامه كثير مما يتطلب أن يعلمه فمن هي الطفلة مثلا ؟ ولم توجد في بيت خال أسيرة كما ينبغي الحال ؟ ولماذا أسرت ؟ ولماذا جيء بها إلى المنزل الحادى عشر في شارع دريكوت بدلا من أن تؤخذ إلى أى مكان آخر ؟ وأين يقع المكان الآخر ؟

ومع أنه فحص كل شبر من الغرفة لم يجد يجد هنا ما يكشف عنه . وعلى ذلك فقد اتجه إلى الطابق الأول ، حيث توجد حجرات في مؤخرته كما يوجد في واجهته . ولم يكن في حجرات الوجهة ما عسى أن يدل على شئ ، فإنه كما تبين ، لم يدخلها أحد سواء . كذلك لم يدخل الحجرة الخلفية اليمنى

أحد . ولكنه لم يكده يفتح الأخرى حتى تبين فيها آثار أقدام . وتعقب تلك الآثار ، فإذا بها تمتد من الباب حتى النافذة في غير التواء ، تلك النافذة التي عزت عن أن يلفها شيرتن حين تسلق الميزاب . وحين أطلق نور مصباحه رأى على أرض الحجرة ما بعث في جسمه هزة الدهشة ، فقد كان يتناثر على الأرض بقايا محترقة من أعواد الثقاب وبقايا من أعقاب الدخان . وكان ما أشعل من تلك الدخان سبع عشرة دخينة . ومن الناحية الأخرى كان عدد أعواد الثقاب اثنين وعشرين وتجههم قليلا . لماذا يجد اثنين وعشرين عودا لسبع عشرة دخينة ؟ لو عكست هذه الأرقام لأمكن أن يتضح تفسير ذلك . إن عددا من الدخان في بعض الحالات يشعل بثقاب واحد ، أو إن دخينة تشعل من بقية دخينة أخرى على التعاقب . وإنه كما تدل الحال إما أن تكون قد أشعلت بعض الأعواد لتبين الوقت أو أن الرجل كان يدخن في بطاء شديد بحيث انطفأت دخينة أو دختان ولزم الأمر أن تشعلا من جديد . فإذا كان الفرض الثانى هو الصحيح ، أفدنا من ذلك دليلا على أن الرجل قد وقف مدة طويلة إلى جوار النافذة ، فإن استنفاد سبع عشرة دخينة لا يتم إلا في زمن غير قصير .

وكان السؤال الثانى الذى وجهه شيرتن

إلى نفسه ، لماذا يتف الرجل زمنا طويلا ربما بلغ ساعتين إلى جوار نافذة خلفية ؟ إذا كان حاله أنه كان يحس القلق خوفا من زيارة مباغطة فمن الواضح أنه كان أولى به أن يقف إلى جوار نافذة أمامية . أكان في موقف حراسة أم كان في موقف انتظار ليس غير ؟

وتوالت إلى ذهنه الاحتمالات والتعليقات والاستنتاجات . وتدقت في ذهنه اليقظ كل تفاصيل هذه المؤامرة المحكمة . وزل في خطوات سريعة من هذه الحجرة الخلفية إلى المطبخ ، وهناك فحس الباب المؤدى إلى الفناء ، وندت عن شفتيه كلمة إعجاب بنجاحه . لقد كان كل ما استنبط صحيحا ؛ ولقد وقف الآن على كثير من التفاصيل . وما تبقى بعد ذلك ، إذا استثنى أمراً واحداً ، سوف يكشف في الصباح . أما هذا الأمر الذى يستثنيه فقد كان مع الأسف أهم ما في الموضوع كله ، ألا وهو مكان الطفلة فى أى جهة أخذها الرجل ؟

دهش سير إدوارد ولاوبى وكيل البوليس إذ رأى أوستن شيرتن يزوره فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى وخيا سير إدوارد زائرة شيرتن بقوله « طاب صباحك يا شيرتن ، ها أنت ذا

خارج الدار مبكرا » وكان سير إدوارد وذلك اللص السابق قد تعارفا منذ استطاع شيرتن أن يساعد سكتلنديارد فى مسألة سنيك بينللى . وإنه لم يكن أن يقال فى كثير من الحق إن صداقة وثيقة قد أخذت تنشأ بين الرجلين ، وإنه على الرغم مما اتسم به شيرتن فى سابق حياته ، كان فى شخصيته من الظرف والمرح الذى يسرى منه إلى من حوله مالا يقوى معها على الإعراض عنه إلا القليلون

ولم يضع شيرتن وقتا فاتجه إلى غرضه من الزيارة قائلا : « أعتقد أنك بالضرورة تحيط علما بتفاصيل اختفاء بنت مورتن ميرى ديو ؟ »

وأجاب سير إدوارد فى جفاء « نعم لقد اختفت بايلا ميرى ديو من حجرة نومها الليلة الماضية بعد أن أويت إلى مضجعها مباشرة ، ثم إنها قدمت بعد ذلك . وعلى الرغم من البحث فى تلك الجيرة ، ومما فعله رجالنا من استفسارات كاملة عند الناس فلم يعرف بعد أين توجد البنت ، وبقيت المسألة كما يقين سرا عميقا . إنه من المؤكد أنها لم تخرج من المنزل من الباب الرئيسى ، لا ولا هربت من باب المطبخ . ويستحيل عليها أن تكون قد خرجت من النافذة ، وعلى ذلك فليس يعلم أحد كيف هربت »

وأشعل شيرتن دخينة ثم قال « ينبغي
ألا تستعمل لفظة الهرب يا سير إدوارد .
إن بامبلا قد احتطفت »

وحلق وكيل البوليس في وجه محدثه
في دهشة قائلا « لك الله ! ماذا تعرف عن
هذه المسألة ؟ »

وقال شيرتن « قليلا » .. ثم إنه
سكت لحظات ، وأخذ ينظر مفكرا إلى
صاحبه ؛ وبدا عليه أخيرا أنه جمع رأيه
فأخذ يتكلم في بطاء

« أجل يا سير إدوارد ... إني أظن أنه
بمساعدتك إياي سوف يكون لدى من
الفرصة ما يمكنني من العثور على بامبلا
ميرى ديو ؛ ولكن يجب أن أطلب إليك
أن تثق بي فترة. ولسوف أكون معك أمينا.
إن في ذهني خطة للعثور على البنت ،
ولكنها قائمة على تفكير مضحك يبلغ من
السخف أن أخشى حتى التلميح إليه كيلا
يسخر ذهنك المدرب من المشروع كله ،
ولكني لا أستطيع المضي وحدي في الأمر
فبلا بد لي من المعونة » وأوماً وكيل
البوليس برأسه ، ثم سأل محدثه في هدوء
قائلا « لست بالأحمق يا شيرتن فماذا تريد مني
أن أصنع ؟ »

وضحك شيرتن ضحكة خفيفة وقال « إذن
فإني أحذرك أن طلبتي مما لم تسبق به سابقة

ولن يدهشني أنك سوف ترفضها بادي
الرأي . ومهما يكن من الأمر فما هي ذى :
هل تمدني برجل أو رجلين من البوليس
لأغراض تعقبية ؟ »

ولم يجب سير إدوارد لتوه ، وإنما أخذ
يفكر تفكيراً عميقاً ، وإنه ليطلق المكتب
أمامه بقلم الرصاص في غير وعى . ثم إنه
رفع رأسه ونظر صوب شيرتن قائلاً « إن
هذا حقاً مما لم تسبق به سابقة ، وهو مطلب
ليس يسهل إجابته إذ يأتي هكذا من
شخص مثلك ليس ثمة من علاقة رسمية بينه
وبين سكتلنديارد . ألا تستطيع أن تكون
أوضح قليلاً ، فتريني على وجه التحديد ماذا
تريد أن يفعل هؤلاء الرجال ؟ »

وأجاب شيرتن قائلاً « أريد أن تضعهم
بحيث يراقبون بيت ميرى ديو في طريق
بور تسموث ، وأن تأمرهم أن يتعقبوا كل
شخص يخرج من الباب الخلفي للبيت ؛
ويجب أن يلزم رجالك هؤلاء الخارجين كل
الملازمة ، وأن يخبروك بالتليفون إذا أتجه
شخص من هؤلاء إلى بيت ما ، وعلى رجالك
بعد ذلك أن يراقبوا هذا البيت ، وأن
يلغوك ما يرتابون فيه هناك من حركة .
هذا كل ما أريد »

ونظر سير إدوارد متعجباً ثم قال
« وكيف يؤدي ذلك إلى العثور على بامبلا

ميرى ديو ؟ »

فقال شيرتن « ستعلم ياسير إدوارد ذلك في حينه ، أحشى أن أراى مضطرا إلى أن أسألك أن تشو بى »

فأجاب وكيل البوليس بعد صمت قليل « إنى أميل إلى الاعتماد على كلمك يا شيرتن ولكى أصدقك بنبى أن أقول إننا عجزنا عن أن نصل إلى أدنى شى يمكن أن يؤدى بنا إلى معرفة مكان البنت . ولم أنس بعد مهارتك فيما وجهت به مسألة بينلى ، وعلى ذلك فإذا كنت قد أعددت الأمر لتكشف شيئاها ما يتصل بمسألة ميردى يو هذه فلا بأس . ثم هز كتفيه واستأنف كلامه قائلا « سوف آخذ على عاتق تبعة إمدادك بما تطلب من معونة »

وبدا الامتنان على وجه شيرتن ، ثم جهر فى حماسة قائلا « إن هذا جميل منك ياسير إدوارد ؛ وإنى آمل أن أريك قبل وقت طويل أن ثقتك بى لها ما يبررها »

وبعد دقائق حلت سيارة أجرة شيرتن ومعه ثلاثة رجال يرتدون ملابس عامة الناس . ولما بلنوا طريق بورتسموث ، وجه شيرتن الرجال إلى الجهة الخلفية للمنزل ، ولما أشار إلى مدخل الزبائن إلى منزل مرى ديو عاد يؤكد لهم جميعا ما لدقة مراقبتهم من أهمية عظمى . ولما تفرق الرجال ووقف كل منهم

فى المكان الذى اختير له بحيث لا يرى ، غادر شيرتن الفناء وعاد إلى طريق بورتسموث حيث توجه إلى المنزل رقم ٥ ودق بيده الباب ، ولما فتحه الخادم سأله شيرتن عن ميرى ديو

فظهر إليه الرجل نظرة ارتياح وقال « أخشى أن مستر ميرى ديو سوف لا يستطيع لقاءك اليوم يا سيدى فإنه ... »

فقاطعه شيرتن فى حشونة قائلا « أعلم ذلك ، إنى قادم من سكتلند يارد ؛ أخبر مستر ميرى ديو أن البوليس السرى والنجتن يريد أن يتحدث إليه »

وتنير موقف الخادم فى الحال . ثم تقدم شيرتن إلى غرفة استقبال . وما كاد يخرج الخادم منها حتى دخل مستر ميرى ديو ، وإياه ليكاد يعدو مسرعا ، وكان وجهه شاحبا مكدودا بسبب ما عاناه من قلق طول ليله .

وسأل شيرتن فى لهفة « ألدك أخبارلى ؟ » وتردد شيرتن ولكن تردده لم يلبث إلا لحظة . فإنه لم يكن ليستطيع وقد تقدم إلى هذا الحد أن يتراجع الآن فقال « أعتقد أن لدى أبناء طيبة لك ياسيدى ؛ إن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أننا اهتدينا إلى مكان انتك ، وإننا الليلة بعد الحادية عشرة سوف نباغت بهجومنا ذلك البيت حيث

نأمل أننا سوف نلقها »

وتعم الرجل قائلا « شكر الله » ثم نظر في لهفة إلى شيرتن وسأله « ولكن لماذا لا تنقذونها الآن أيها الرجل ؟ فكر فيما عسى أن يصيب پامبلا حتى ذلك الوقت » وأوشك في محرقه أن يتلقى بيدي شيرتن وأجابه شيرتن في هدوء : « إن لدينا من الأسباب مالا نهاجم معه ذلك البيت قبل هذا الموعد . وأظن أنك تستطيع أن تطمن أنه لن يمس پامبلا أذى مدة الانتظار » ونهض شيرتن قائلا « وأظن كذلك أنك تستطيع أن تنقل هذه الأنباء السارة إلى قومك يامستر ميرى ديو ؟ فأنى واثق أن ذلك سيريح نفوسهم ؛ وبهذه المناسبة نبثهم ألا يخافوا إذا رأوا رجلا يراقب واجهة المنزل ، فقد وضعنا رجلا هناك للحيلة فحسب » ومد ميرى ديو يدا مرتعشة وهو يقول :

« شكرا لك يامستر والنجتن »

وقال شيرتن وهو يمد يده ليصافح الرجل « وبهذه المناسبة أيضا أقول إنى لو كنت مكانك لبقيت دائما إلى جوار التليفون لا أبتعد عنه أبدا »

وعاد شيرتن من طريق بورتسموث إلى محل عمله حيث قضى يوما من أتمس أيام حياته . إن حركاته جميعا قد قصد بها إلى خير مايرجى . ولكن إذا ثبت خطأ

استدللاه ، وإذا كان فى تحمسه لإعادة پامبلا إلى أبيها قد سمح لخياله أن يطغى على عقله ، فإنه يكون قد أنى فى هذا اليوم عملا من أخط ما عمل طيلة حياته ، وذلك أنه بث أملا كاذبا فى قلب والد حار .

وظل يقطع الساعات جيئة وذهابا فى حجرة عمله الصغيرة ؛ وبدت له تلك الساعات كأنها أيام . وكما دق جرس التليفون اندفع صوب جهازه

دقت الساعة الثانية عشرة ، ثم الواحدة ثم الثانية ، ولم يتلق شيئا . وأخيرا كمله أحد الرجال الثلاثة فأبأه أن خادم ميرى ديو ، غادرت طريق بورتسموث لتزور بيتا فى كامبرول . وسأله شيرتن هل يقع ذلك البيت فى حي مزدحم بالسكان ؟ فأجابه الرجل أنه مزدحم جدا . واستتج شيرتن أن بنت الخادم تقطن هناك ولا أكثر من ذلك .

ونفس شيرتن عن ضيقه بكلمات حين وضع سماعة التليفون ، فليست هذه الأنباء ما أمل أن يسمعه .

ومصت ساعة أخرى . ودق جرس التليفون مرات أخرى ولكنها كانت لأمر تقص بعمله . ودقت الساعة الثالثة . وبعد ذلك بعشر دقائق اتصل به رجل آخر من الثلاثة .

لقد غادرت امرأة طويلة القامة عادية

الهندام بيت ميرى ديو بعد الساعة الثانية

مباشرة . ولقد تبعها جريا على مالهيه من

تعليمات فرآها تركب فى سيارة عامة حتى

فكتوريا ومن هناك ركبت فى قطار إلى

إبسوم ؛ واتجهت ماشية حتى بلغت جوسقا

أنيقا يقع غير بعيد خارج إبسوم ، وقد فتحت

لها الباب سيدة حسنة الهندام

فأمره شيرتن قائلا : « إبقى هناك

لا تترحزح . تعاتب أى شخص يخرج ومعه بنت

سغيرة » ثم ألقى شيرتن الساعة وخرج يعدو

من حجرة عمله

وكان قد أعد سيارته من قبل ووضعها

فريبا منه . وأسرع فركبها وانطلق مسرعا

إلى طريق بورتسموث . ولم تمض إلا دقائق

حتى أخذ معه ميرى ديو ، وأسرع صوب إبسوم

وظل ميرى ديو يستفهمه ؛ ولكن

شيرتن لم يشأ أن يحويه . وكان كل ما قاله

له : « إنها إما أن تكون أنباء سارة

أو لا تكون »

وبلغ إبسوم فى وقت قصير جدا .

وذهبا إلى الجوسق . وكان رجل

سكتلنديارد على مقربة منه ، فأشار إليهما

بعلامة مؤداها : « لم يتغير شىء »

وسار شيرتن إلى الباب الصغير يتبعه

ميرى ديو ، ودق شيرتن الباب ، ففتح من

غير إبطاء . ووقف فى مدخله امرأة حسنة

الهندام

وصاح ميرى ديو مندهشا « إيها ! »

وابتسم شيرتن ابتسامة الرضا ، وتمتم

لنفسه قائلا « إنها أنباء سارة » ، وهو

يخطو متثا نحو مقعد على خطوات

« إن إيها هى زوجته المطلقة » ذلك

ماراح يحدث به شيرتن سير إدوارد حين

أخذ يقص عليه كل ما حدث . ومضى

يقول « ولقد قرأت تفاصيل طلاقها قبل

أن أزورك هذا الصباح »

وأجاب قائلا وفى صوته شىء من الامتعاض

« ولكن كيف أمكنك أن تستنتج تفسير

هذا السر الغامض ؟ كيف عرفت كل هذا

فى حين أننا هنا لم نعرف شيئا ؟ »

وقص عليه شيرتن ما حدث له فى الليلة

الماضية ، وراح يقول « هكذا كما ترى ياسير

إدوارد أنه من الواضح أنها اختطفت وأن

الذى اختطفها هو ذلك الرجل الذى وقف

نحو ساعتين إلى النافذة الخلفية للبيت الخالى

فى شارع دريكوت . وكان ينتظر — أو

هكذا كان اعتقادى — إشارة من شريك

له فى بيت مرى ديو . وحين تلقى هذه

الإشارة أشار هو بدوره كذلك إلى رجل

ثان كان قد وضع لدى الباب الخلفى للبيت

الخالى . ودخل هذا الرجل الثانى فناء بيت

ميرى ديو ومعه سلم يطول ويقصر وقد مده إلى نافذة يامبلا ، وصعد وربما أنه استطاع بذلك أن يلفت نظر البنت فصعدت إلى النافذة وفتحها ، وعند ذلك أمسك بها أو استعمل مخدرا ، ورفعها إلى عاتقه ، وأغلق النافذة ، ونزل . ثم إنه أوى إلى البيت الخالي ومعه البنت والسلم حيث قابله الرجل الأول « ولقد وضع السلم في أحد مخازن البيت الخالي ولا يزال هناك . أما البنت فقد غلت وقيدت وحملت إلى غرفة في أعلى المنزل وفي تلك الأثناء خرج الرجل الثانى إلى مكان ما حيث أعدت سيارة . وفي موعد محدد بعد بضع ساعات أتجه الرجل الثانى بالسيارة إلى شارع دريكوت وتلبث قليلا حتى رأى الشارع خاليا فوقف عند رقم ١١ . وما أن فعل ذلك حتى برز الرجل الأول ومعه يامبلا وركبا السيارة وانطلقا بعيدا عن المكان « وما كادت تخطر على بالى فكرة الاختطاف حتى أصبح كل ما بعدها يسيرا ، فإن بقايا الدخان قد دلتنى على انتظار الرجل لدى النافذة لينتهى الإشارة . وزاد يقينى ما وضع فى الباب الخلفى من زيت كي ينفث فى يسر وكيلا يحدث أى صرير . كما أن بقايا الدخان من النوع الآخر قد دلتنى على وجود رجل ثان

« وكانت دراستى بقايا الدخان أول ما جعلنى

أتجه بتفكيرى إلى أن زوجة ميرى ديولها يذ فى هذه المسألة فإنها كانت دخائن عبد الله ، وكانت أعواد الثقاب من الشمع ، ولا يقرن المرء على أى حال دخائن عبد الله ولا أعواد الشمع بمحترفى اختطاف الأطفال . وأخذ يديو لى الاختطاف أقرب إلى أن يكون انتقاما شخصيا ، وكذلك أوحى إلى انتظار ذلك الشخص إشارة فى الجهة الخلفية ، أن الطفل أو الطفلة اختطفت من أحد البيوت فى طريق بور تسموث

« وما إن بلغت منزلى وهذه الأفكار فى رأسى حتى نظرت فى الدليل المحلى ، وحين وقعت على اسم ميرى ديو رأيت أنه يقيم فى منزل يقع خلف البيت الخسالى مباشرة فى شارع دريكوت وتذكرت بعض الشئ قضية الطلاق بينه وبين زوجته ، ونظرت فى الصباح فى تفاصيل القضية فرأيت أنه صاحب الحق فى حضانة الطفلة

« واستطعت أن أتخيل شعور أم محرم من طفلتها ، وأدريت فى رأسى ما إذا كانت هذه الأم قد طلبت إلى أحد أصدقائها أن يدبر هذا الأمر ؟ وإن هذا التفسير ليتفق مع وجود ذلك الشريك الذى أشار من بيت ميرى ديو

« ذلك ما جعلنى أحاول محاولتى ؛ لقد أخبرت ميرى ديو أن البوليس ربما عثر

ذلك لآتى وقد كنت مجرما سنوات طوالا،
أصبحت أحد من اليسير على أن أستنبط
الجوانب الإجرامية في كل مسألة «

واقترح سير إدوارد بهذا التعليل ثم
قال « مهما يكن السبب يا شيرتن فخذ هذه
الكلمة منى ، ذلك أنك ، إذا أردت ،
تستطيع أن تكون بوليسا سرىا بارعا «
وابتسم سير إدوارد وهو يمد إليه يده قائلا :
وعلى أى حال فقد أسديت اليوم صنيعا كريما
لمدد من الناس «

« ذو القناع »

على الطفلة الليلة ، وطلبت إليه أن يذيع
هذا النبأ السار في قومه ، مؤملا أن يعمد
الشريك إلى إخطار الفاعل الأصلي ، وهذا
ماحدث كما تعلم . وطلبت إليه أن يظل
قائما لدى التليفون حتى لا يتخذ التليفون
أداة للصلة بينهما «

فأجابه سير إدوارد قائلا وهو ينظر
إليه نظرة تهكم « يا لك من لص مقتحم
أصبح بوليسا سرىا ! «

فاحمر وجه شيرتن وتمم بقوله « أكاد
أسمى نفسى بوليسا سرىا » . ثم توقف
وفكر في عمق وعاد يقول : « ربما كان

قطاً فطيع — الحل



كانت النافذة مغلقة ، فقد فتحها رجل البوليس ، وقد
استوثق من أن الزوج والطبيب لم يمسا شيئا في الحجرة غير
التليفون والجمثة ، ولذلك أيقن أن قصة الشبح مخترعة . وقد
أطلق الزوج الرصاص على زوجته متعمدا ؛ إذ لو كان أطلقه على
الشبح الواقف أمام النافذة كما زعم لكسرت إحدى الرصاصات
على الأقل زجاج النافذة وقد اخترقت الجمثة !

وأخيرا اختارت

بقية المنشور على ص ١٦

ياسكينة أن يراني على هذه الحال من
السقم ولذا جئت إلى هنا من طريق غير
طريق بيته »

فأجابت سكينة « لقد رأيت في وجهه
الشوق إليك والإعجاب بك و ... »

فقاطعتها مأمونة قائلة « كفى ... كفى
ياسكينة ... ماذا يريد مني ؟ أنا زوجة وفي
بطني حمل .. إني خائفة ياسكينة .. أنسيت
ما قالت حميدة ذات يوم : إنهم يحسنون
الاصطياد ثم يتركون فرائسهم نهبا للعمار
والجوع . إني كلما تذكرت ذلك رفت عيني
اليسرى ولقد رأيت في وجهه ما أخافني ليلة
كنا تحت النخلة »

فقلت سكينة « أمن أجل ذلك إذن
مضيت ليلتئذ إلى جانبي ذاهلة صامتة طول
الطريق ؟ لا تخافي يا مأمونة فما عرفت عنه
السوء قط ، أنت لا تعرفينه وهو والله يحبك »
وسكنت سكينة لحظة ثم قالت في تردد
« لست مدينة لي بال يا مأمونة كما افترت
الكذب عليك وكله من خيره وقد أكد
على ألا أخبرك بشيء .. وهو سيدي وطول
عمرنا أنا وأهلي في خيره ونعمته »

فنظرت إليها مأمونة مصفارة دهشة وقالت

« أمن أجل ماله إذن أحرص عليه ؟ فلهنأى
أنت بماله . . . ولتحرصى عليه كما تحرصين .
أراه يشتريني ؟ إنه إذن لا ينظر إلى إلا كما
ينظر إلى خادمة ... كفى ... كفى ياسكينة
أنسيت ما قالت حميدة ؟ إني زوجة وسأصبح
أما ياسكينة »

ثم أحست بما في كلامها من قسوة على
سكينة فسألتها الصفح ودمعت عيناها فمسحت
دموعها بطرف رداؤها ، وأطرقت في
حزن وصمت

فقلت : سكينة « إنك تسرفين في
الحزن بغير داع يا مأمونة وأنت مخطئة ..
خادمة ؟ إنه ينظر إليك نظرة محب ... هل
نسيت من هو ؟ وهل نسيت يوم أن أعانك
بنفسه على حمل جرتك ؟ إنه لن يفعلها قط
مع غيرك ... ولقد ملأني الدهشة يومها
والله ... ولكنه الحب » ... وسرى عن مأمونة
فضحكت وبدأ الاطمئنان في وجهها ... ومنذ
العصر أخذت تحتلس النظرات إلى الشرق
على الرغم من مراقبة سكينة إياها عليها ترى
حسينا حين يعود ...

وأقبل حسين على مهره وقد غربت
الشمس فوجدها وحدها تحت الصفصافة ،
فقد انتقل الرجال إلى حقل آخر ، ووقف به
مهره تحت الشجرة وهو متجه بقلبه وبصره
إلى مأمونة وقالت سكينة ضاحكة « الطريق

كاه منور ياسيدى « فشكرها ضاحكا وقال:
« الدنيا كلها منورة بمأونة ولقد كانت
موحشة مظلمة لغيابها »

فرفت إليه مأونة عيبيها الدعجاوين
الجميلتين وقد شاعت في وجهها الحمرة وقالت
في جراءة عجيبة: « الدنيا نور بوجودك ياسيدى
حسين أتشغل نفسك بى إلى هذا الحد؟
ثم ابتسمت في دلال وخبث قائلة: « وماذا
بعجبك في فلاحه مثلى وأنت من يرى
في البندر ... »

فقاطمها قائلا: « مأونة.. أنت تجهلين
نفسك ولا تدري ما وهبك الله من جمال ...
فلاحه؟ كلنا من آدم وحواء » ورأى ما بهمته
كلماته من بهجة وخيلاء في وجهها وجسمها
فحياتها وسلفتها تحية المساء وانصرف
وبلغت مأونة وسلفتها دارها، فرأتا
في وجه حماتهما الغضب للأخراهما ورأت سكينه
أن سلفتها لم تعد تبالي بهذا الغضب وأبصرتها
وهي تصعد إلى السطح مرحلة خفيفة كما
كانت قبل أن يمسه السقم ...

عاد إليها مرحها وفتنتها، وعادت تتبرج
وتسير بجريتها في مقدمة الصبايا . وعاد يرقب
حسين طلعتها كل صباح، فإذا أبصرته تأودت
وتمايلت تحت جريتها وعابثت صاحباتها
ضاحكة لا تبالي بنظراتهن بعضهن إلى بعض

ولا يتها مسهن، حتى حميدة لم تعد مأونة
تحفل بغيرتها وحقدتها ونذرها ...
وعظمت دهشة حسين ذات يوم واشتد
ابتهاجه حين رأى عقده في جيدها وحين
رآها تضحك مزهوة لما بصر به . وأوحى له
ذلك أن يهدى إليها هدية أخرى . فليشترها
خاتما وليهد كذلك إلى سكينه هدية

وتنزل مأونة ذات صباح من فوق
السطح مهمومة تفكر، فتسألها سكينه عما
بها، فتضحك قائلة، إنها رأت في نومها
أنها ولدت غلاما وأنه مات، وأنها في دار
أبيها قد طردها زوجها وغضب عليها والدها
... وتضحك سكينه قائلة « سيعيش ابنك
طويلا وسيضعك عظمة في عينه »
فتنهت مأونة قائلة: « أنا خائفة
ياسكينه ... نعم خائفة ... ليتنى لم أعرفه .
ولكنه طيب وأراه يعزنى وما رأيت قط
مثل ما أرى في وجهه من حنان »

فقات سكينه في اهتمام « إن أحسن
صبية في القرية تتمنى أن تنال من حبه
واهتمامه بعض ماتنالين . وإنه لن ينساك
أبدا . وإذا شئت جعلك فوق رؤوس
الصبايا كلهن ومتعك بما لا تحلمين به »
فأطرقت مأونة قليلا ويدها الجميلة
السمراء فوق خدها الوردى الأسيل ثم
قالت: « أنا حائرة يا مأونة ... آه لو علمت

ما أنا فيه ... إنه يحبني حقاً ولن أخفي عنك
 أني أكاد أطير فرحاً عند رؤيته . وإن اللائي
 يتهاشن عني إنما تملأهن الغيرة ولم أعد
 أبالي ما يملن ... سكينه : إني مع ذلك
 أفكر طويلاً في التخلص منه ولكن ...
 ولكن قلبي لا يطاوعني وكثيراً ما بكيت»
 فقالت سكينه ضاحكة عابثة « يالك من بلهاء
 ... ليت لي ربع مالك من حظ ! ومن نالت
 بأمانونة مثل مانلت وما سوف تنالين ؟ »
 فأجابتها مأمونة باسمة والدمع يطفىء ألق
 عينيها السوداوين « أيتنا البلهاء يا سكينه ؟
 أنا زوجة وسأغدو أما . وستصبحين في الدار
 منزلة وسيفرح عطية بابنه وسيقبل عليه وعلى
 كلما عاد من حقله وستحبنى حماتي . . وهل
 نسيت يا سكينه أن سيدي حسين سوف
 يغدو زوجاً ووالداً ؟ هل يفكر في يوم ذاك ؟ »
 ثم تهتت مأمونة تهدة عميقة ومسحت دموعها
 بطرحتها ... وعادت تقول في صوت مختنق
 « ليتني ما طاوعت قلبي . . لقد نظر إلى
 عطية أمس نظرة انكسار ومسكنة كأنه
 يعلم بكل شيء ورأيت في نومي أني مطلقة
 وأن ابني مات و ... »

فقاطعتها سكينه قائلة « هذه أوهام
 الحمل ، هذه أوهام الحمل ... قومي ... هاتي
 بخيرتك فقد ارتفعت الشمس . . وهو هناك
 يتحرق شوقاً لطلعتك »

وتخرجان بجزيتهما فتنمعه عينا مأمونة
 أول ماتمجان على حميدة فتمشي صفرة في
 وجهها وترف عينيها اليسرى . . ثم تقرأ في
 عيني حسين أنه يتحرق شوقاً للقائها على
 حدة ، فتفضي بذلك إلى سكينه وتحس سكينه
 في كلامها الرغبة والشوق ...

سكن من حوله المساء ، وأخذت
 تنسكب على الجدر وعلى الأرض أشعة القمر
 من خلال النخيل والسنط ، وأخذت تنسم
 نسائم العشاء رخية تنعش النفوس بعد قيظ
 النهار . وليس ما يقطع سكون الليل الساجي
 إلا لحن كروان طروب ينسكب مع أشعة
 القمر من أعلى السموات وفيه النشوة والمرح
 والاستغراق في صفاء الكون ..

وكان حسين يمد سمعه وبصره في ضوء
 القمر إلى كل قادم ، وقد أخذ يساوره القلق ،
 وكان يخالط شعوره بالغبطة خاطر مبهم يكاد
 يفسد عليه سعادته ، فهو يقول في نفسه :
 إذا كان هذا مبلغ سعادتي بحب مأمونة فكيف
 تكون سعادتي بحب أبتني به عشي وتقر
 به عيني ؟ ... وليت شعري حتام يسحرن
 ما هو كائن عما أعني أن يكون ؟ .. ولكن
 لم لا أمرح كما يمرح ذلك الكروان الذي
 يطلق ألحانه مريحة فتيه ولا يفكر في غد
 ولا في حاضر ؟

ها هي ذى مأمونة لا ريب ! كلا إنها
سكينة . ومرت سكينة وعلى رأسها مقطف
المساء فضحكت ضحكة فهمها ، وكان مهره
مسرّجاً في مدخل الحديثة فسرعان ما ركب
وسار في أثرها ، وكان لا يفتأ يلتفت خلفه
وينظر أمامه حتى أدركها عند الصفصافة ..
فتركته هناك وانطلقت صوب حقلهم البعيد
ونظر فإذا مأمونة خلفه ، فترجل في
لهفة وشد مهره إلى الشجرة ، ثم أقبل
نحوها قائلاً « مأمونة ؟ لشد ما تشوقت
إليك » ولما دنا منها كدره أن لم يجد عقده
في جيدها

وتماقب على وجهها الزهو والرضا
والخوف وهي تنظر إليه . ولح في بدنهما
رعشة ، وأحس في أنفاسها تقطعا ، ورأى
سدرها يعلو ويهبط ، وسمع دقات قلبها .
ومد ساعده فطوى خصرها الدقيق في رفق ،
والاضطراب ملّ جسمه ، فأرادت أن تراجع

ولكنه جذبها إليه فاختلجت على شفيتها
ابتسامة عذبة ولح في عينيها نشوة . ثم
التقت شفاتها ... ولما طال عناقهما تملصت
منه ودفعته في رفق بيديها وأفلتت

ووقفت أمامه تنتفض ، ولكنه يرى
الفرح في وجهها الجميل ، والرضا في عينيها
اللتين طالما هفا قلبه في إثر نظرة منهما ، قد
ساعده ثانية فطوقها ، فاستسلمت ، ولم يدرك
في نشوته وحلمه كم مضى من وقت . وهي
بين ذراعيه وفه على شفيتها حتى أفاقا على
وقع حواري المهر يضرب بها الأرض ،
فأفلتت مذعورة ، وهم بأن يدخل يده في
جيبه ليخرج الخاتم الذي اشتراه لها ولكنها
وضعت في يده خرقه مطوية على شيء
وانطلقت كأنها تمدو ، ونظر في الخرقه فإذا
به يرى عقده الذي أهداه إليها !

محمود الحقيف

من وراء المنظار

فصول انتقادية فكهة من حياتنا الاجتماعية

للاستاذ محمود الحقيف

كتاب في ٢٤٠ صفحة على ورق أبيض جميل

ثمنه ٢٠ قرشا — عدا أجرة البريد

يطلب من إدارة الرواية ومن المكتبات الشهيرة



فكر في الحل

أقتل أم انتحار ؟

وقف براون سائق سيارة الأجرة أمام مخفر من مخافر الشرطة بسيارته ، وأشار - وهو يخاطب مأمور البوابيس - إلى جثة ميت في السيارة يجلس مضطجعا وسط المقعد الخلفي ، وقال للمأمور : « كان هذا الراكب يتحدث إلى سيدة أمام فندق يرش حين أوقفت السيارة هناك ونزل منها شخص . ولما هممت أن أنطلق بها أشار بيده إلى ، ثم ركب فيها وطلب أن أذهب به إلى تقاطع شارع بيرلنجتن . وكنت أعرف أقصر طريق إلى ذلك المكان ، ولكنه طلب إلى أن أذهب من طريق طويل كثير المنعرجات ، ولا يخلو من فجوات (مطبات) . فأطعته . وقد اقتضاني ذلك زمنا طويلا لأصل إلى هناك »

فقاطعه المأمور قائلا « ثم ماذا ؟ استمر » فقال السائق : « إني أشهد الله ياسيدي على صدق ما أقول . لست أدري

من أين جاءت هذه الطعنة بهذه السكين المثبتة في قلبه ؟ إني لم أقف قط إلا عند التقاطع المعين . فلما لم يتحرك لينزل التفت فوجدت هذه السكين مثبتة فيه . وكنت يازاء مصباح من مضايح الشارع فتبينتها في وضوح . وجسست نبضه فأيقنت أنه ميت ، فأسرعت إلى هنا . ولست أدري كيف أثبتت هذه السكين في قلبه إلا أن يكون قد طعن نفسه .. لست أدري ! » فسأله المأمور « أكانت تلك السيدة طويلة أم قصيرة ؟ »

فأجاب « كانت قصيرة نحيلة البدن ، تبدو ذات حسن »

فسأله المأمور : « وهل كان الراكب الذي أنزلته عند الفندق رجلا أو امرأة ؟ » فقال السائق « كان امرأة عجوزا ! » وهنا قال المأمور وقد نظر وهو في موضعه على الرصيف إلى الميت والسكينة في قلبه : « إنك تكذب يا براون » ثم أمر بالقبض عليه

(الرواية) : لماذا رفض المدير رواية السائق ورأى الحادث قتلا لا انتحارا ؟
فكر في الحل يا سيدي القاري فإن أعياك فاقراء في العدد القادم

تجد حل انتحار البوليسي الذي نشر في العدد السابق على صفحة ٧٥ من هذا العدد

مركبة

مجلة الأدب الرفيع والأسلوب العالي



تدخل سنتها الحادية والعشرين في أول يناير المقبل وهي أقوى
في التحرير ، وأجمل في الأسلوب ، وأبلغ في التنويع
وأكبر في الحجم ، وأغزر في المادة



مبدؤها : وصل الجديد بالقديم ، وربط الشرق بالغرب على هدى وبصيرة
افراها تردد ققها في دينك ، وعاما بلغتك ، وفهما لأدبك ، وسعة في ثمة

تظهر كل أمر من كل أسبوع



العدد الثالث - السنة الرابعة



سكرتير التحرير

محمود الحفيف

مدل الاشتراك

١٢٠ في مصر والسودان

١٥٠ في الممالك الأخرى

٥ ثمن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرواية

مجلة أسبوعية لفن القصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

صاحب المجلة

ومديرها ورئيس

محرريها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

٨١ شارع السلطان

حسين بعبدين

تليفون ٢٧٤٩٠

العدد الثاني ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ — أول يناير سنة ١٩٥٣ السنة الرابعة

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة

رجالان وامرأة	أقصصة مصرية	للأستاذ أحمد حسن الزيات	٢
لماذا؟	للكاتبة الفرنسية آن باتو	بقلم الأستاذ محمود الحفيف	١٧
تصفية حساب	أقصصة مصرية	للأستاذ نصرى عطا الله	٢٩
المرية	للكاتب النموى ستيفان زفايج	بقلم الأستاذ على أدهم	٤٥
الطبيب الشاب	قصة بوليسية	للكاتب الانجليزى هـ . ج بايلى	٥٩
ما بعد الموت	للكاتب الروسى بوريى باتوف	بقلم الأستاذ فوزى شاهين	٧٧
فكر فى الحل			٨٠

رجال وامرأة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

— ١ —

أما أحد الرجلين فأديب معلم . بلغ الثلاثين أو أربى عليهم بقليل ؛ فهو في كمال بنيته وعقله . كان على شيء من وسامة الوجه وجمال الهيئة ، وعلى أشياء من سهولة الخلق ولطف الروح ، وبراعة الظرف ، وعدوبة المنطق . ولعل أظهر ما يميزه حياؤه المفرط وصمته الطويل ؛ فأكثر ما يجيب عن أكثر ما يسمع ابتسامة حية . فإذا نطق رعى بالكلمة أو الكلمتين في خفوت وحذر ، فتذهبان في ضجة الحديث كما تذهب النسمة اللينة في الدغل الشاجن ، أو القطرة العذبة في الموج الصاخب ، فيزداد امتعاضا وانقباضا ووحشة .

ومن العجيب أن حياءه كان يغرى به النساء ؛ لأنه كان حياء من نوع غريب ، لا ينم عن ذلة أو ضعة أو جبن ؛ وإنما ينم عن حشمة فيها عزة ، وعن رقة فيها ترفع ، وعن طيبة فيها شجاعة . فكان النساء يفهمن هذا الحياء على غير معناه : يحسبنه استخفافا وراءه كبر ، أو انصرافا تحته سر . والمرأة يهين دلالها الكبر فتريد قهره ، ويشير

فضولها السر فتحاول كشفه . لذلك كانت

يفاعته وشبيبته موجات من حبهن الجرى ، تتعاقب عاتية على قلبه البرى ، فتفنى فناء الصوت في قفرة ، أو ترتد ارتداد السهم عن صخرة . فإذا بسطت الألفة من انقباضه ، وأزالت الصداقة من احتشامه ، وجدته محدثا عذب الحديث ، مفاكها حلو الفكاهة ، يصل ما بين قلبه وقلب سامعه بكلام رقيق الحواشي ، وصوت رخيم النغم . وهو إلى ذلك شاعر يحسن الحياة بقوة ، فنان يفهم الجمال بعمق ، إنسان يأخذ الصداقة بإخلاص . ومن أجل ذلك كثرت خلواته ، لأنه فضلا عن حيائه لا يجد اللذة إلا في التأمل ، ولا السعادة إلا في العمل ؛ ومن أجل ذلك أيضا قلت صداقاته ، لأنه لا يحب إلا عن نبل ، ولا يصادق إلا عن حب

وأما الآخر فطبيب ناشئ لا يزال في ربيع الخامس والعشرين . جميل الصورة ، أزهر اللون ، ممشوق القوام . يروعك منه أول ما يروعك شعره الفاحم المتموج ، وثغره الباسم النضيد ، ووجهه السوى القسيم ،

وسمته الهادئ الوديع؛ ولكنه لا يزيد على
تمثال أتن المثل صنعه وسوى خلقه . ليس
فيه روح يفيض الحياة في جسمه ، ولا قلب
يدفق الشعور في دمه ، ولا لسان يبث البيان
في حديثه . إنما يتحرك وكأنه لا يحس ،
وينفعل وكأنه لا يدرك ، ويتكلم وكأنه
لا يفكر

. ومن وجوه الشبه بينه وبين التمثال أيضا
فقد الإرادة : فأت تحطه فينحط ، وتنقله
فينتقل ، وتقوده فينقاد . لا يمتنع ولا يعترض
ولا يحرن . وهو ذكي بالقدر الذي يبعده عن
الغباء ؛ أبي بالقدر الذي يدنيه من التساهل ؛
ضعيف إشعاع الروح فلا هو ثقل الظل
ولا خفيفه ، قليل إشراق النفس فلا هو
غليظ الطبع ولا ظريفه . وهو بعد ذلك كله
طيب القلب فلا شر ولا ضر ؛ سليم الصدر
فلا حسد ولا حقد ؛ زهيد العين فلا طموح
ولا طمع ؛ صارم الجد فلا لهو ولا عبث ؛
صافي المودة فلا جفاء ولا غدر

وأما المرأة ففتاة في سن العشرين ،
أدركت شيئا من الثقافة ثم توفرت على
التطريز والموسيقى فنالت منهما قسطا
لابأس به .

جميلة ؛ ولكن حظها من الجمال جملة
الله في وجهها وروحها . أما سائر جسمها

فلا يقيد البصر ولا يحرك القلب . ومع ذلك
تستطيع أن تقول إنها فتاة : فتاة يبشرتها
الخمرة الرافقة ؛ فتاة بعينها الحوراوين اللتين
خلقتا لتسحرا لا لتنظرا ؛ فتاة بخديها
الأسيلين اللذين يقف عليها البصر الحالم
ساعة لا يرتد ولا يطرف ؛ فتاة بشفتيها
الرقيقتين المنفرجتين دائما عن ثمر قل أن
تجد له مثيلا حتى فيما يتخيل الشاعر ويصور
المصور ؛ فتاة بحديثها الصادر عن قلبها
النابض بالمواطف ، ووجدانها الجاثش
بالأحاسيس ، وذهنها الزاخر بالمعاني ؛ فتاة
بدلالها الطفلي الذي يتمثل في حديثها النازل ،
فيتشكل على فمها كل شكل ، ويتلون في
صوتها كل لون . وهي شحنة قوية من
الشهوات والصبوات والميول ، لا تحتملها
أعصابها ولا تسمعها قواها ؛ فهي دائما
تطلب ، وهي أبدا لا تكتفي . هوايتها أن
تحب ، ولذتها أن تغامر ، وسعادتها أن
تذوق ، ودينها أن تغير . أجل ما في حياتها
موعد مضروب ، وموعد منتظر ، وساعة
أو ساعتان في مطعم أو ملهى أو حديقة
أو فيهن جميعا . تعيش يوما بيوم ؛ فلا تذكر
الأمس ولا تفكر في الغد . ويومها كله زينة
تتخذ ، وجولة في محلات الأزياء تجال ،
وصديقة تستقبل ، وزيارة ترد ، وحفلة تقام ،
وسهرة تقضى ؛ وفيما بين ذلك عود تحتضنه ،

وغناء توقعه عليه

— ٢ —

تعارف الرجلان على شاطئ (جليم) من رمل الإسكندرية عام ١٩٢٣ . عرف أحدهما بالآخر صديق مشترك . ولم يكد الصديقان أن يتعارفا حتى تألفا . وجد كل واحد منهما في أخيه ما يرضيه : هنا تمثال من الحسن يلذ الفنان أن يراه ؛ وهناك شدو من شعر القلب يلذ الإنسان أن يسمعه . وبين الصديقين فضلا عن ذلك مشابهة في رقة القلب وحياء الطبع وسلامة النية والترايل من الناس . فكانا يجدان في لقاءهما وحديثهما من المتاع والأنس ما لا يجدهانه في ملهى من ملاهى المصيف ، ولا في مجلس من مجالس السمر . لذلك جددوا اللقاء وأطالا الاجتماع حتى توثقت بينهما الصلة وتمكنت الألفة ، فصار كل منهما للآخر حاجة نفسه ومصدر أنسه . ثم انتهى المصيف فعاد الصديقان إلى القاهرة في يومين متتابعين كل واحد مع أسرته ، وعاد لقاءهما في مجامع القاهرة ، على النحو الذى كان فى ملاهى الإسكندرية . كان أمين الصديق الأصغر يزور كل يوم حافظا الصديق الأكبر ، فيقضيان الأمانى معا فى سينما أو فى قهوة . وكان أمين كلما أقبل إلى صديقه كل مساء يقول : جئت من بيت عمى ، وتغديت على مائدة عمى ، وأخذت بريدى من صندوق عمى .

فسأله حافظ ذات مرة : أتسكن مع عمك ، فأنى لا أراك تتحدث إلا عن بيته ، ولا تتكلم إلا من تليفونه ؟ فأجابه : إنى أسكن مع أبى ، ولكنى أعيش مع عمى .

فقال حافظ : ما عهدت أحدا يفضل عمه على أبيه ، ولا زوجة عمه على أمه . فقال وهو يضحك : لا أفضل عمى على أبوى ، وإنما أفضل مخطوبتى عليهم جميعا ، وهى ابنة عمى . وقد أحببتها حبا ملأ شغاف قلبى ، وشغلنى عن كل الناس إلا عنك . فأننا أقضى معها وقت فراغى ولا أكاد أتركها إلا إليك . وهى تعرفك بالسمع ، وكثيرا ما تحدثنا عنك . وأخوها تلميذ لك فلا يبرح لاهجا بذكرك . وأقرب الأيام هذا اليوم ، فقد سألتنى أن أستزيرك . ويسرنى أن تنعم لها بما طلبت .

فقال له : ولم لا تؤجل زيارتى إياكما إلى أن تكون فى بيت الزوجية ؟

فقال أمين : أوه ! إن بيننا وبين الزفاف سنة طويلة . ويصعب على أن أقسم وقتى بينها وبينك ؛ ولكنك إذا عرفتها وعرفتك ، ضمنت ألا أفترق عنها ولا عنك .

* * *

وفى عصر يوم من أيام الخميس ركب الصديقان الترام إلى منزل العم . وكان الشارع الذى نزلا فى بعض محطاته شارع

الجيزة ، فسار فيه . وكانت أواخر الصيف قد اتصلت بأوائل الخريف في جو سبتمبر ، فكسرت من حره ، وعدلت من نسيمه ؛ كالصهبا تشعشعها بالماء فتكون منهما النشوة ولا يكون فيهما الحميا . وكان شجر الدردار المنضد على جانب الطريق لا يزال ممسكا بأوراقه العريضة ، فلم تسقطها بعد رياح أكتوبر . وكان النيل بوجهه المتورد يترأى من بين الشجر ومن خلال القصور جيلا جيلا ، فيغرى السائر بالوقوف ليتأمل ويتأمل . فقال الأديب للطبيب : مل بنا إلى الشاطئ نستمتع قليلا بجمال النهر ؛ فأبى — كسائر القاهريين — أكاد أنسى أن النيل يجري في القاهرة ؛ لأننا لا نراه إلا عابرين مسرعين على جسوره ، أو سائرين ذاهلين على شواطئه .

فقال الطبيب للأديب وكأنه لا يشعر بما شعر ولا يفكر فيما قال : هذا هو بيت عمى . وها هي ذى (عقيلة) واقفة في الشرفة تنظر وتنتظر . فاطلع الأديب فرأى فتاة قصداً في النساء ، لا هي قصيرة ولا طويلة ، ولا هي سمينة ولا نحيلة . ترتدى حلة من قطعتين : عليا حمراء في لون القرمز ، وسفلى بيضاء في لون الزنبق . وبجانبها كلب صغير أبيض يطل من فرجة بين قضبان الدربزين . فلما رأتهما ابتسمت وانكفأت إلى الداخل لتلقاهما لدى الباب

تعارفا في الصلاة ؛ ثم تقدمتهما إلى الصالون . وأقبل الخادم بأقداح الشاي وأطباق الحلوى . وبدأ الحديث ؛ ولكنهم لم يتجاذبوا أطرافه ، لأن الحديث لم يكن له إلا طرف واحد أمسكت به عقيلة طول الوقت . وظل الزائران يستمعان ويوافقان ؛ لأن حافظا عقل لسانه الحياء ؛ ولأن أمينا قطع كلامه العي . ثم هم الصديقان بالانصراف فودعتهما عقيلة لدى المصعد وهي تقول لحافظ بلمهجة الإصرار والتوكيد : أرجو أن تزورنا في أى يوم ومن غير دعوة . ولكن حافظا لم يستطع أن يحقق هذا الرجاء الأول لأنه سافر إلى باريس في رحلة تستغرق العام كله

— ٣ —

تتابعت الرسائل من الأديب الكاتب إلى الطبيب الخاطب تحمل أجمل الأحاديث وأرقها عن مفاتن باريس ومتاحفها وحدائقها ومسارحها وملاهيها وعن كل جميل فيها . وكانت الأجوبة عن هذه الرسائل تتوالى كذلك حاملة صدى تلك الأحاديث وأثرها في نفس أمين ، ورجاءه إلى صديقه أن يكثر منها ويطل فيها . وكان حافظ قد فطن إلى أن الروح التي تنبث في هذه الرسائل ليست روح أمين . روح من ؟ لا يدري ! وإنما يمتد على أى حال أن هناك (سيرانو) بجانب (كرستيان) . فاحتفل لرسائله أشد

الاحتفال ، وجعلها أشبه باليوميات يسجل فيها مشاهد اليوم وخواطر الساعة ، وما يتعاقب على نفسه الشاعر من رضا وسخط ، وانبساط وانقباض ، وإعجاب وإنكار ، وميل وتفور . ولبي رغبة صديقه فأسهب بعض الإسهاب في وصف من لاقى من أوانس (البلفار) وغوانى (مونمارتر)

وأتى إليه البريد ذات يوم رسائل مصر ففض أول ما فض غلاف أمين لأنه يعرفه بخطه ، فإذا بداخله رسالتان : رسالة طويلة بإمضاء أمين ، ورسالة صغيرة بإمضاء عقيلة . فتناول رسالة الأنسة وأخذ يقلب فيها النظر : في إمضائها المائل ، وخطها المنمق ، وورقها الفاخر ، وشكلها الأنيق ، ولونها المورود . ثم عاد يقرأ :

« عزيزى صديق ابن عمى !

ولى العذر إذا لم أقل صديقى ، فإنك أغفلت ذكرى في رسائلك التى أقرأها كلمة كلمة ، وأحتفظ بها رسالة رسالة . ولا أدعى أن من حقى عليك أن تسلم على ، فإن زيارة واحدة لا تنشى بين الزائر والزور صداقة ؛ ولكنى حسبت أن صداقتك لأمين هى من السمة والعنق بحيث تشمل مخطوبته على الأقل . على أنى أعرفك منذ زمن طويل مما قرأت لك وسمعت عنك . وهب أن المعرفة بيننا كانت قديمة وثيقة ثم نسيت أن تحيينا على البعد ، فإننا نعتذك كل العذر ، لأن من فى

باريس لا يذكر من فى القاهرة ، ومن يصبح بين غوانى (مونبرناس) ويمسى بين حسان (سان جرمان) ، لا يجد وقتا للتفكير فى ساكنى شارع الجيزة أوقاطنى حى النيرة . أرجو ألا تحمل كلامى على محمل العتاب ، فليس لى أن أعتب عليك . احمله إن شئت على محمل الاستجداء ، فإنى أجد فى قراءة رسائلك لذة لا أجدها فى متعة أخرى ! فإذا كتبت إلى كما تكتب إلى أمين ، تصبح الرسالة رسالتين ، والسعادة سعادتين . وما أظنك تبخل على إنسان بلذة لا تؤلك ، وبمنفعة لا تضرك »

ابنة عم صديقك

عقيلة

فلما فرغ حافظ من قراءة هذه الرسالة بدءاً وعوداً ، قرأ رسالة أمين فوجده يرجو ويلح فى الرجاء أن يكتب إلى عقيلة ولو على حساب الكتابة إليه ، ويفضل أن يتحدثها عن مباحج النهار وملاهى الليل ، وعما يتصل بالمرأة الباريسية من معروف ومنكر ؛ فلم يسع صديق الخطبين إلا أن يلبي مبتغاها فى الحدود التى يحدها حياؤه ويفرضها أدبه ؛ ولكنه كان يحرص كل الحرص على أن يدرج الرسالتين فى غلاف واحد .

لا أريد أن أعوق القارئ عن حوادث القصة برواية ما كتب إليها وما كتبت إليه ، فإن ذلك وإن لذ وأمتع

لا يضيف إلى الموضوع إلا مراعى تختبئ وراء السطور تكشف للذهن اللامع طرف النقاب عن وجه المستقبل . فلنمد مع حافظ من باريس — بعد أن قضى حاجته منها — إلى الإسكندرية في أواخر أغسطس ليجد في استقباله على الميناء أمينا وعقيلة

وكان عم أمين أو أبو عقيلة يصطاف على عادته من كل عام في شاطيء (جلیم) فاقتراحا على حافظ أن ينزل في فندق (سربلاس) ليكونوا جميعاً في حي واحد . ولم يريد أن يتركاه لنفسه تلك الليلة ، فصحباه إلى غرفته ، وشاركاه في عشائه ، ولازمه في سهرته . وكان مدار الحديث في هذه الأمسية ، وما تلاها من أماسى ، على مارأى حافظ وما سمع في مدينة النور من عجائب الحضارة وغرائب الناس . كان الخطبان يريدان أن يسمعا ذلك من فمه بعد أن قرآه بقلمه . وكانت عقيلة تسأل وحافظ يجيب وأمين يسمع . وكانت الرسائل التي تبادلها الأصدقاء الثلاثة في ثمانية وأربعين أسبوعاً قد أزلت من بينهم الكلفة ، وأطلعت كل واحد منهم على دخيلة الآخر ، فكانت عقيلة تطمئن إلى الصديق كما تطمئن إلى الخاطب ، فتبسط في الكلام وتتساهل في الدعابة ، وتحول التيار الكهربائي حيث تشاء برفع الكبس من هنا ووضعه هناك ، فتري أن أثره في الخشب غير أثره في

المعدن ، وأن فعله في نفس أمين غير فعله في نفس حافظ ، فتقبل بنفسها وحسها على الأديب أكثر مما تقبل بوجهها وقولها على الطبيب . وكان أمين يجد في تمكن الألفة بين خطبه وصديقه رضا قلبه وغبطة نفسه ؛ لأنه يرى في تودد عقيلة إلى حافظ إعجاباً منها بصيحة رأيه في انتخابه للصديق ، وفي تحبب حافظ إلى عقيلة ثناء منه على حسن ذوقه في اختياره للزوجة . ولم تكن ملاطفة حافظ لحبيبة صديقه عرضاً من أعراض رغبة ناشئة ، ولا أثراً من آثار عاطفة حبيسة ؛ وإنما كان رجلاً قريب عهد بالحياة الباريسية التي تجعل التلطف بالمرأة والتظرف لها أدباً مرغياً من آداب السلوك . وهو بطبعه رقيق الحاشية ، يلاين ولا يخاشن ، ويتبسم ولا يتجهم ؛ أما عقيلة فكانت تتشد شيئاً فوجدته فيه . كانت تريد أن تسمع من يقول لها : أنت جميلة ! وإن فيك ما ليس في أترابك من عذوبة الروح وصفاء الحس وقوة الجاذبية . وكانت تحب أن ترى أثر فتنتها في عين تنظر بإعجاب ، وشفة تفر عن دهش ، ولسان يهتف في خشوع . وكانت تود لو يكون بجانبها من إذا أعجبت بمنظر من مناظر الطبيعة ساهم في هذا الإعجاب ؛ وإذا تحدثت في موقف من مواقف السينما شارك في هذا الحديث ، وإذا شعرت بملاطفة من عواطف القلب استجاب إلى هذا الشعور .

فلما قرأت لحافظ وهو في باريس، وتحدثت إليه وهو في الإسكندرية، وتقلب معه على شواطئ (الرمل)، استقرت نفسها بعد طموح بعيد، وسكن طرفها بعد نظر طويل، وقطعت نفسها عن أهلها وصواحبها واكتفت به، يرتادان الشواطئ والحدائق طول النهار، ويرددان إلى المسارح والملاهي أكثر الليل، وأمين يرافقهما إلى كل مكان، ويوافقهما على كل اقتراح؛ فكان الثلاثة أشبه بالأقاييم المسيحية الثلاثة : متحدنين في الروح، متعددين في الجسد؛ فحافظ هو الأب، وأمين هو الابن، وعقيلة هي روح القدس !

— ٤ —

أقبل سبتمبر وهو الشهر الذي يعود فيه الموظفون من الإجازة ليستأنفوا كارهين العمل في الدواوين . ويعود فيه الطلاب والتلاميذ من العطلة ليستعدوا خائفين لامتحان الدور الثاني، أو ليقدموا طلباتهم إلى الجامعات أو إلى المدارس . ويعود فيه أعيان الفلاحين من المصيف ليتأهبوا راجين لجمع القطن وضم الرزوبذر البرسيم. نخلت أكثر الأكشاك، وفترت حركة الشواطئ، وخفت زحمة الكرنيش، وهدأت حياة البحر، فلم يبق على بلاجات الرمل إلا المترفون الذين لا تحفزهم ضرورات العمل إلى السفر، وإلا السكندريون الذين يسداون على عاداتهم الاصطياف في هذا الشهر .

وعادت أسرة عقيلة مع العائدين، فاستبدلت حالة بحالة، وتحولت من حياة إلى حياة . عاد الأب إلى أعمال المكتب، والأم إلى شؤون البيت، والأولاد إلى واجبات المدرسة، وعقيلة إلى الإبرة والكتاب، وإلى الزيارة والاستقبال، وإلى العود والغناء . وسرعان ما اطمأن كل إلى عمله الأول، واستقر على وضعه المألوف . إلا عقيلة لم تجد في بيت الجيزة ما كانت تجده قبلا من رخاء ألبال، ولم تذق في شارع قواد ما كانت تذوقه قديما من حلاوة الأنس . سمج في عينها كل إنسان، وتفسه في ذوقها كل شيء، وثقل على سمعها كل حديث . وأدركت أن علة هذا التغير إنما هو فقدتها الثالث على الجبال التي كانت عليها في الإسكندرية . ولكن كيف يتسنى لها في غير المصيف أن تمرح طول النهار، وأن تلهو أكثر الليل؟ نعم تستطيع ذلك إلى حد ما مع أمين، لأنه ابن عمها فهو أخوها في الحاضر؛ ولأنه خطبها فهو زوجها في المستقبل . ولكن الأمر بينها وبين حافظ جد مختلف : لا تصله بها صلة من قرابة، ولا تصله بأبيها صلة من صداقة، وصلته بأمين وإن كانت وثيقة لا ترفع الحجب حتى ترى بجانبه في كل ملهى، ولا تدفع الجواجز حتى تذهب في صحبته إلى كل مكان . والولاية عليها لا تزال

اللغة وصرفها ، وأتضلع من بيانها وأدبها .
والدموازيل هيلين لا تعرف من الفرنسية
إلا الحديث الدارج والكلام المألوف . وإن
لابن عمي صديقاً توفر حظه من هذه اللغة ،
وقد قال أمين حين حدثته في هذا الأمر إنه
يضمن أن يعطيني كل يوم درساً من غير
تحديد وقت ولا تقدير أجر

قالت ذلك وهي لم تتحدث إلى أمين عنه ،
ولم تعرف رأى حافظيه ؛ لأنها تعلم أن أميناً
طوع لها فيما تحب ، وأن حافظاً لا يتشدد على
أمين فيما يريد . وكان رأيها في الصديقين
صحيحاً فابتدأت الدروس بعد يومين
اثنين في المكتب المنزل من بيت عقيلة ،
وفي الساعة الخامسة من كل يوم

— ٥ —

بدأت الدروس طبيعية في الأسبوع
الأول كما تكون بين معلم يجب أن
يعلم ، وتلميذة تريد أن تتعلم ؛ لأن الأب
كان يدخل عليهما فيسلم ويشكر ، والأخ
كان يلم بهما فيسمع ويستفيد ، والخطاب
كان يجلس إليهما فيشارك أو ينتظر .
وخشيت عقيلة أن يستمر الأمر على هذه
الحال ، فرغبت أن يكون الدرس في الصباح
حين يكون الأب في ديوانه ، والأخ في
مدرسته ، والخطاب في مكتبه ؛ فحققوا لها
هذه الرغبة . وقد ساعد على تحقيقها أن المعلم
كان لحسن الحظ أو لسوءه فارغاً من العمل

لأبيها . والتقاليد الإسلامية لا تنفك متبعة
في الأسر الوسطى . أما التفكير في أن تقنع
بلقائه مرة أو مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع
فذلك ما لم يخطر ببالها ولو بتداعي المعاني
وتوالي الفروض . لقد أصبح وجوده في
حياتها جزءاً من وجودها هي في الحياة .
فلا تتصور أن تعيش من غيره ، ولا أن تهناً
بطيب العيش مع غيره . وإذن فلا سبيل
إلا أن تدخل على أبيها وهو يتميزز فندجال
الشاي مع أمها في ساعة صفو وتقول :

بابا ! إنك تعلم أن اللغة الفرنسية من أزم
العناصر لثقافة الفتاة العصرية ، وأن القدر
الذي ثقفته منها في المدرسة لا يكفي للحديث
في مجتمع راق ، وللا لقراءة في كتاب قيم .
وأرى إذا سمحت أن أعود إلى تعلمها بعزم
أقوى وعلى منهج أتم ؛ فأني تعرضت مراراً
للخجل الشديد أمام صديقتي المتخرجات
في (الميردي ديو) حين يحادثنني بها فأتلعثم
أو أخطئ أو أتوقف

فقال أبوها ، وكان قليلاً ما يرد لها
طلباً : لا بأس يا بنيتي ! اصنعي ما تحبين .
وقالت أمها ، وكانت كثيراً ما تمكنها من
بغيتها : إن الدموازيل هيلين التي كانت
تعلمك الموسيقى تستطيع أن تعلمك الفرنسية
فاطلبها وكلها

فقالت عقيلة وقد سرتها موافقة أبويها :
عفواً ياماما ! إني أريد أن أتوسع في نحو هذه

الطريق؛ فإن لي عند الخياط فستاناً أريد
أن أجربه ، وعند المصور صورة أحب أن
أراها؛ ولا تريد أُمّي أن أخرج وحدي ،
فما رأيك ؟ »

فقال لها حافظ : « ومتى كان لأحد عندك
رأى؟ هلمى فما الدرس على المكتب بخير منه
في الطريق مادام الأمر لا يتعدى «الدرشة»
وكانت قد ارتدت من قبل ثوب الخروج
فنهضت ونهض على أثرها ، فذهبا إلى الخياط
في شارع قصر النيل ، ومرا على المصور في
شارع عبد العزيز . ثم اقترحت عقيلة على
حافظ أن يجلسا قليلا في محل معين من
محلات الحلوى تفضله على غيره لنظافته
وهدوئه . فلما دخلاه انتبذت ناحية في
ركن خال من أركان المحل فجلسا فيه . ولو
جلسا إلى أى مائدة من الموائد لما
حرك السكون من حولهما أحد؛ لأن خلوة
الأمكنة العامة في مثل هذه الساعة من النهار
أمر مألوف؛ والخلوة في هذا المكان على
الأخص مضمونة في كل وقت لانزوائه
عن ضجة الناس في شارع البواكي .

وكانت الندل في هذا المحل من الفتيات الحسنات
في زينهن التقليدي الأسود . والفتيات بالطبع
يحترمن اختلاء الرجل بالمرأة؛ فلا نظرة
فضول ولا علامة تعجب . أما الزوجان
اللتان كانا يجلسان في الركن المقابل فكانا
منهمكين في حديث نجلى حاد صرفهما عن

في الساعات الثلاث الأولى من اليوم المدرسي
أكثر الأسبوع .

وفي السكون الشامل والخلوة الصحيحة
مضت الدروس فنية جدية أول الأمر؛
ثم ظهرت النية وبرج الخفاء فتحوّل
إلى حديث صرف أمله بالفرنسية وأكثره
بالعربية ، يتشقق بعضه من بعض ،
فيتناول أخبار الأسر ومغامرات الأوانس
ورغبات العرائس ونزعات العصر؛ فيحاول
المعلم أن يحجز سبيله الدافق بحمل التلميذة
على أن تتحدث بالفرنسية؛ ولكن الفرنسية
لا تواتيها فتعود إلى العربية ، لأن هواها
أن تتكلم لا أن تتعلم . وكانت تدس في ثنايا
الحديث بعض المعاني الخاصة فيتجاهلها المعلم
ويصرفها بلباقته إلى المعاني العامة؛ فتعود
هي إليها وتلح عليها كما تلح النحلة الشرهة
على رحيق الزهرة كلما ذهب أحد عنه .

وبزم المعلم بهذه الدروس التي يتلقاها
ولا يلقبها ، فقرر في نفسه أن يصارح
التلميذة في اليوم التالي بأنها تخسر الوقت
ولا تكسب التعلم ، وأن من الخير إذا كان
همها الحديث أن تكثف بما يجري منه بين
ثلاثتهم في مساء كل خميس ويوم كل جمعة
وكان اليوم التالي يوم اثنين ، فلم
يكذب يحببها ويجلس حتى قالت له وهي
تنظر بفتور ، وتبسم في دلال : « اسمع
يا أستاذي ! إن درسي اليوم سأخذه في

الدنيا كلها لا عن المحل وحده . إذن ليس هناك ما يدعو عقيلة إلى التحفظ في الجلوس ، أو يحملها على التورية في الحديث ؛ فوضعت الشوكة في طبق الحلوى ، وفتحت حقيبة يدها فمسحت شفيتها الرقيقتين بالمنديل الأبيض ، ومرت عليهما بالإصبع الأحمر ؛ ثم أثبتت عينيها في عيني معلمها وعادت إلى حديثها تقول : « لنعد إلى موضوع الدرس الذي بدأته في الطريق . أنا أوافقك على أني أجعل الدرس وسيلة للحديث . وماذا في هذا مما تنكره ؟ ولم لا يكون الحديث المرسل وسيلة إلى الدرس ؟ أليست فيه جملة تصوب أوفكرة تصحح أو مشكلة تحل ؟ على أنك أذكر من أن أموه الحق عليك وأكنتم ذات نفسى عنك . أنا منذ رأيتك استلطفتك ؛ فلما قرأتك أحبتك ؛ ولما خالطتك عشقتك . وجدت فيك كل ما أبتغيه من رجل ، ووقمت منك على كل ما أرتجيه في حبيب ؛ فذوقك وذوق متجدان ، وشعورك وشعورى متجاوبان ، وحظك وحظي متشابهان . فلك زوجة لا تفهمك ، ولى خاطب لا يفهمنى . وفيك حساسية تتعبك ، وفى حساسية تتعبنى . ولا أخفى عليك ، فقد كان لى نزوات مع الشبان كنت أبغى من ورائها نشدان من أحب ، ووجدان من أخطب . ولكنى علمت بعد طول الجولان والدوران أن القرين الصالح لا يكون فى الأماكن التى

أزورها ، ولا فى الدورات التى أدورها ، فكنمت بابن عمى ؛ وهو كما تعلم يملأ العين ولا يملأ القلب ، ويرضى العقل ولا يرضى الذوق . وخير ما فيه خلق صريح ، وضمير نقي ، ولسان عف ، وثقة بمن يحب لا تجوز عليها ريبة ولا تنال منها وشاية . فأنا لا أحبه ولا أبغضه ، ولا أقبله ولا أرفضه . ولكنى منذ عرفتك ضاقت نفسى بهذه القناعة ، وعادت مرة أخرى تتطلع إلى حياة النور والشعور والحب ؛ فوقفت عندك وحامت عليك . ولا أدري وقد فتحت لك قلبي ، وصارحتك بحبي ، أtestجيب إلى أم تنبو على ؟

قالت ذلك ووضعت على المائدة مرققيها ، وأسندت ذقنها بكفيها ، ثم حدقت فى وجه حافظ وسكتت تنتظر ما يقول . وكان حافظ يستمع إليها وهو ساهم واجم مطرق ، لا يقاطع ولا يراجع ولا يمترض . فلما فرغت من حديثها رفع إليها طرفه وقال : يظهر يا عقيلة أنك ذكرت نفسك ونسيت غيرك . نسيت أنك مخطوبة وبنت عم ، وأنى متزوج وصديق (أمين) . فهمت عقيلة بأن تجيب لولا أن قال لها حافظ : اسمعى إلى كما سمعت إليك ، ولا تراجعينى قبل أن أفرغ . إن أمينا صديقى وصفى ، ومن حقه على أن أحفظ ذمته وأرعى حرمة . ولقد لا يسته طويلا فما ذممت عهده ولا اتهمت وده . ثم إني عرفتكم لأنى عرفته ، وصادقتكم لأنى

صادقته . وما دخلت بينك وبينه إلا لأوثق الألفة بين قلبك النافر وقلبه المطمئن ؛ فقد شكا إلى كثيراً طول إعراضك عنه وسوء رأيك فيه . وما أراك تكرهين منه إلا حسن نيته وخلوص طويته واستقامة خلقه . وعمل يضير الرجل ألا يكون فكاه الطبع وهو صاحب جد ، وألا يكون لبق الحديث وهو صاحب عمل ؟ إن الفتاة التي تعرف معنى الزوجية وتدرك سر الأمومة لا تجعل من بيتها ناديا ولا مرقصا ولا حانة ، ولا تطلب من زوجها أن يكون شاعراً يطارحها الغزل ، ولا سميراً يناقلها الحديث ، ولا نديماً يقارعها الكأس ؛ وإنما تجعل من بيتها عشاً بفيض بالحنان والحب ، وحرماً يشيع الراحة والسكينة ؛ وتطلب من زوجها أن يكون عاملاً يكسبها الثروة ، وفاضلاً ينيلها الشرف ، ومخلصاً يذيقها السعادة . وأمين جدير بأن يكون هذا الرجل ، إذا كنت أنت جديرة بأن تهينى له ذلك البيت

تم سمعتك تذكرين الحب وتفسرين به تلك العاطفة التي تجدينها في قلبك لى ، وأنا أيضاً لا أكذبك قد شعرت بأن نبتة من هذه الفصيلة الحمقاء قد نبتت في قلبي لك ؛ ولكننى أحاول جاهداً أن أمنع عنها الغذاء والزئى حتى تموت . لا أقبل أن أكون قطعة قلبين أرجو أن أؤكد بينهما الصلة ، ولا أن أكون شقاء صديق أريد أن أوفر

له السعادة . وماذا يقول الناس عني ؟ ألا يقولون : صدق المثل « أرسلته لى حطبا فتزوج ! » وماذا يقول الناس عنك ؟ ألا يقولون : لعوب تخرج من قلب لتدخل في قلب ، كما تخرج من ثوب لتدخل في ثوب ! عالجى المشكلة يا صديقتى بالروية والحزم . واعلمى على أن تظل العـلاقة التي بينك وبينى علاقة صديق بصديق ، أو علاقة تلميذة بمعلم . وستجدين في الحب الذى يخلصه لك أمين ، وفي الصداقة التى يختصها بك حافظ ، متعة الروح وسكينة القلب وبهجة العيش

فقلت بعقيلة : هل أفصحت عن كل ما فى نفسك ؟

فقال لها : بالقدر الذى يعادل ما قلت . فقالت : أما كلامك فإذا قسناه بقياس العقل والمنطق فلا اعتراض عليه ولا معارضة فيه . وأما إذا قسناه بقياس القلب والشعور انقطعت حجته وهى دليـلة . إن الحب لا يخضع لمبادئ ولا يستكين لقيود . ومن يرد أن يطبق قواعد الأخلاق على الحب ، كان كمن يريد أن يطبق مواد القانون على الجنون . فأنا أحبك وكفى . وفى سبيل هذا الحب لا أتردد فى قطع كل صلة ، وإبعاد كل قرابة ، وإنكار كل عرف

فقال لها : ومأثرة هذا الحب إذا لم يفض إلى زواج ؟

حتى ينكشف الأمر . فذهب إلى عقيلة في موعد
الدرس فوجدها مضطربة البال ، كاسفة الوجه ،
محمرة العين ، لا تستقر على حال من القلق .
كانت تخشى ألا يجيئ ؛ لأن هيئته في السيارة
ولهجته عند الوداع لم تبعثا في نفسها الطمأنينة ،
فلم تكد تخلو إليه في المكتب حتى أقبلت
عليه والدمع يترقري في عينيها ، وأمسكت
كتفيه بيديها وهزتها رقيقا وقالت له :
لك الله يا حافظ ! لقد أسهرت جفني حتى
الصباح . كان شيطاني يوسوس في صدري
بأنك لا تجيئ !

ثم أدنت صدرها من صدره كأنما
تريد أن تعانقه ، فردها بيديه ردا لينا ؛
ثم أجلسها على الكنبه وجلس بجانبها يريد
أن يسكن من روعها . ولكنها انفجرت
 بالبكاء وألقت بنفسها عليه . فارتبك حافظ
وحاول أن ينحيا عنه لينهض مخافة أن
يدخل عليها المكتب داخل سمع البكاء .
ولكنها ضغطت بساعديها على ركبته
وأثحت على يده وذراعه بالتقبيل واللمس وهي
تقول في نحيب وضراعة : « لا تفارقني
يا حافظ ! قل لي إنك لي ! أنت أول من
أحببت فلا تفجعني في حبيبي الأول !
ليس ما بي عبث طفولة ولا نزوة شباب
كما قلت ؛ إنما هو الحب الذي طالما
سمعت به وقرأت عنه . عذبت كثيرا من
الشبان عن عبث ولهو فانتقم الله لهم مني .

فقلت : أنا أريد هذا الزواج . فإذا لم
ترد أنت فلتكن ثمرة الحب كما تكون .
عاهدني بشرفك أن تظل دائما معي كما يكون
الزوج مع زوجته ، أو الحبيب مع حبيبته .
ولا أبالي بعد ذلك أن تكون علاقتي بك
عقدا عند مأذون ، أو عهدا عند شيطان .
وأعاهدك بشرفي أن أظل لأمين المخطوبة
الوفية والزوجة الطيعة . ثم رفعت يدها اليمنى
وحركت سبابتها في الهواء منذرة وقالت :
« إنني أريدك يا حافظ بأى ثمن ! فإذا بدا
لك يوما أن تقف دون إرادتي تركت لك
الوجود كله ! »

فقال حافظ وهو يتكلف الابتسام ويتصنع
الهدوء : « عبث طفولة ونزوة شباب ! وما زلت
قوى الرجاء في أن تراجعى نفسك وتشاورى
عقلك فيما قلت وقلت »

وكان عقربا الساعة قد اجتمعا عند
الساعة الثانية عشرة ، فقالت وهي تنظر في
ساعة يدها وتشير إلى العقربين المجتمعين :
« يجب أن نظل هكذا وعقرب الثواني
بعيد ! » ثم نهضت ونهض حافظ وركبا
سيارة لبثا فيها صامتين مفكرين حتى بلغت
بهما البيت فودعها ثم رجع .

— ٦ —

لم يشأ حافظ أن يغير من نظامه ولا أن
يخرج عن عادته ؛ فقد رأى من الحكمة أن
يعالج الأمر باللين ، ويستعين على الداء بالمسكن

فتكون كارثة على صديقه ، وبما أن
يخادنها فتكون نكبة على ضميره !
فأما الحالة الثالثة وهي الصداقة البريئة
فقد ردتها بعنف ورفضها بعناد . على أنه
قدر في نفسه أنها إذا يئست من الزواج
والمخادنة رجعت بالطبع إلى المصادقة . واليأس
وإن كرب الصدر وصدع الفؤاد ينتهي بعد
زمن قصير أو طويل إلى الراحة .

وكان قد رجع إلى منزله ، فجلس على
مكتبه وأخذ يكتب إليها هذه الرسالة :

عزيزى عقيلة :

لقد كان من فوق احتمالى أن أراك تبكين
هذا البكاء الحار بين يدي فى هذا الصباح بعد
أن علمت من أمك ما كابدت من الأرق والقلق
طول الليل . لا أدري كيف تطور الأمر
بيننا هذا التطور الذى يكدر الصفو ، ويفرق
الشمل ، ويمزق هذا الثالوث الذى جمعه الود
وألفه الإخلاص . ليس لك يد فيما كان . إنما
هو القدر الذى يصيب بالحب كما يصيب بالحمى ،
ويضل بالهوى كما يضل بالعمى . ولقد شبهتنا فى
حديثك بالأمس نحن الثلاثة بعقرب الساعات
وعقرب الدقائق وعقرب الثوانى فى تمام
الساعة الثانية عشرة ، يجتمع اثنان فى هدوء ،
 ويفترق الثالث فى اضطراب . وقد كنت
أنا قد شبهتنا من قبل بالأقنيم الثلاثة التى
يتكون منها واحد فى رأى المسيحية ، وهى
الآب والابن وروح القدس وأستطيع بعد

عدنى بأن تكون لى على أى حال . وإذا
كان أمين هو العقبة فإنى سأفسخ خطبته ،
وأنكر قرابته » . ودخلت الخادمة تحمل
القهوة وعقيلة على هذا الوضع ، فتظاهرت
بالإغماء وأخذت حافظ يربت خدها ويدلك
يدها . وطلب من الخادمة شيئاً من روح
النشادر أو ماء الكولونيا فذهبت بسرعة .
وجاءت الأم لهنى تحمل المنبهات ، فأضجعت
ابنتها على صدرها الرءوم وهى تقول لحافظ :
« توقعت أن تصبح عقيلة مريضة ؛ فقد
باتت ليلها تتمايل ، وتتقلب ، وتخرج من
الغرفة إلى الشرفة ؛ ثم تدخل من الشرفة إلى
الغرفة ١ » ثم بدا من عقيلة مادل على أنها
أفاقت ؛ فنقلتها أمها إلى الفراش . وانتهى
الدرس وانصرف المعلم

خرج حافظ كالهائم لا يدرى كيف يسير
ولا أين يتجه . لم يكن يحسب أن الحب قد
برح بعقيلة إلى هذا الحد وفى هذه السرعة .
وعزا هذا الطغيان الغرامى العاتى إلى تأبيه
عليها وتحفظه معها وتجافيه عنها . فإن الفتاة
العاطفية المدللة التى تعودت أن ينزل على حكمها
الأهل ، وتجرى على هواها القلوب ، لا تطيق
أن ينصرف عنها وجه ؛ أو يمتنع عليها
طلب ، أو يطيش لها سهم

ولكنه لا يستطيع أن يفعل غير ما فعل .
الأمر بينها وبينه واضح : إما أن يتزوجها

غير عادتها ساهرة تتردد بين الغرفة والشرقة ،
تقرأ ساعة وتفكر أخرى ، فأصابها برد
شديد بلغم الرئة . وقد تركتها بين يدي
الطبيب وحرارتها تسع وثلاثون ، لأصحبك
إليها فقد طلبتك

جزع حافظ لهذا الخبر وأشفق على عقيلة
من عقي هذا الداء . وأسرع فارتدى ثيابه
ثم انطلق مع صديقه إلى منزل عمه .

كانت عقيلة حين دخل عليها الصديقان
مستلقية على ظهرها في الفراش وعلى جبينها
كيس الثلج ، ومن حولها أمها وبعض سيدات
الجيزة . فلما رأتهما أشارت إلى أمها أن
تخلي لهما مكانا بجانب السرير . فانصرف
السيدات وجلس الرجلان حيث أرادت
المريضة

والتفت عقيلة إلى حافظ بقدر ما سمح
لها . كيس الثلج — وكانت عيناها وخداها
يتوهجن من وقدة الحمى — وأخذت يده
في يدها وقالت : قرأت رسالتك مرارا على
رغم ما بى . ثم دسستها تحت الوسادة ليقرأها
أمين . وإني أشكر لك ما أفضته على صداقتي
لك من نبل ، وما أسديته إلى علاقتي بأمين
من فضل . وأحمد الله على أن اختارني من
بين ثلاثتنا لأكون فداء لما قد ينال صحبتكما
من فرقة ، ويصيب مودتكما من فتور . وأنا
بهذه التضحية مغتبطة وعنها راضية . لقد
أذقني في هذه الفترة القصيرة من عمري أذ

أن سمعت منك ما سمعت في محل الحلوى وفي
مكتب الدرس أن أشبهنا أيضا بثلاثة (جوتة) ،
وهم فرتر وكستنز وشرلوت . ومن العجيب
أن الثلاثات الثلاث تتشابه في أن واحدا
منها لا بد أن يصاب في نفسه ، ليضمن
السلامة لغيره . فعقرب الثواني كتب عليه أن
يدور بمنزلا في مداره الخاص لينتظم عمل
الساعة . والابن صلب على قول النصارى
ليكفر عن خطيئة آدم . وفرتر انتحر على
رواية جوتة ليوفر السعادة لحبيبته ولصديقه .
وأنا يا عقيلة لا أريد ولا أنت تريدين أن
يموت واحد منا . أريد وأود لو تريدين أن
يعيش ثلاثتنا في ظلال الصداقة الخالصة
وإدعينا هاتين لا يدخل بيننا شيطان ، ولا
يشوب حبنا ريبة . ولعل من الخير أن
نقطع الدرس من الغد لنستأنفه حين يشوب
الهدوء وتؤوب العاقبة . أما زيارتي إياك فلن
تنقطع . سأزورك مع أمين في كل ليلتين
ما أسعفتني الفرصة وأمكنتنى الحال .
وسأكون لك ولخاطبك على الأبد المحب
الوفى والصديق الأمين

حافظ

ثم غلف الرسالة وبعث بها مع خادمه
إلى منزل عقيلة .

وفي صباح اليوم التالي زاره في بيته أمين
وأخبره وهو جزع مضطرب أن حالة ابنة
عمه سيئة ، فقد قضت ليلة أمس الأول على

ما في هذه الحياة المرة من حب وغبطة
كانت لذتي في أن أمرح وألهو فهايتما
لى هذه اللذة . وكانت سعادتي في أن
أحب وأحب فوفرتما لى هذه السعادة .
فإذا قضى الله أن أفارقكما اليوم كما يحدثنى
بذلك قلبي ، فلن أقول في وحشة القبر إنى لم
أنعم بالأنس ، ولا في ظلمة العدم أنى لم أسعد
بالوجود . وحسبى يا حافظ أن أحياني ذا كرتك
وذا كرة أمين . ستجداننى ثالثكما في كل
مكان تقصدانه ، وفي كل حفل تشهدهانه .
وستحس يا حافظ حين تأكل أو تشرب
تلك اليد العابثة التى كانت تتففلك عن
طعامك فتنبهه ، أو عن شرابك فتشربه ...

وغلبها البكاء فسالت مدا معها الحارار الغزار
على صدغها الملهب . ولم يملك الصديقان عينيها
فانتحبا انتحاب الطفل . وتجلدا حافظ فغيض
من دمه وقال لها وهو يمسح ظهر كفها
بباطن كفها : لا بأس عليك يا عقيلة !
إنك بخير . وستعافين بعد أيام فيلتئم
الشمل ويستمر الدرس وتعود البهجة !
ولكن عقيلة وا أسفاه كانت أصدق
تعبيرا عن مشيئة القدر ؛ ففارقتهما بعد أيام
وخلفتهما للحسرة التى لا تهدأ ، وللعبرة
التي لا ترقأ . لا يجدان العزاء فى تسلية ولا
متعة ، ولا يجتمعان إلا على ضريحها صباح
كل جمعة

احمسن الزيات



أقتل أم انتحار؟

حل اللغز الذى نشر فى العدد الثانى من الرواية تحت هذا العنوان

من المستحيل أن يبقى جسم شخص ميت معتدلا وسط
المقعد وبخاصة إذا كانت السيارة قد اجتازت طريقا طويلا كثير
المنعرجات والفجوات . لهذا رأى المأمور الحادث قتلا لا انتحارا

لَمَّا

للطالبة الفرنسية آن يانر
بقلم الأستاذ محمود الحنيف

أذهب إليه مساء كل سبت مع زميلة لي .
وكان يجلس وحده ، وسرعان ما أخذته
عيناي إذ لم يكن رجل مثله فيمن حوله .
ولست أصفه بالوجهة فحسب ، فقد كان
شيئا فوق هذا . لقد كان له من جمال السمات
ما يميزه من كل شخص يحيط به

كان حسن الهندام ذا شعر يعجب من
يراه ، ويدين جميلتين أو مرموقتين كما يقول
عنها الناس ، ولم يكن صديقي من الطبقة
التي أنتمى إليها

إنه ليشرب وحده ، ويطمح وحده ،
وينظر إلى كل راقصة ومراقصها ولا يدعو
إلى مأدته امرأة أبدا ، ولقد ظننت أنه
سوف يدعوني إليه ، ولكنه لم يخطر ذلك
بباله يوما ؛ كان ينظر إلى فحسب . وضجكت
ذات مرة ضحكة عالية أسترعى بها انتباهه
ولكنه أشاح عني في صورة أشعرتني بكثير
من الخجل كما لو كنت ارتكبت جرما .
وأحسست أني أزعجته ، وإن كنت لم أتبين على
أى وجه كان ذلك ؛ ولبثت بقية ليلتي صامتة
ورأيت أنه هناك في الأسبوع التالي وكان

لي صديق شاب . وكما اتخذت من قبله
أصدقاء ! ولكن لم يكن فيهم من كان له في
نفسه أثره . صحبتهم إلى السينما أو إلى
الرقص ، كانوا يجيئون أحيانا إلى مكان
عملي فرادى باحثين عني ، فما هو إلا أن ينقضي
المساء ثم لا يبقى لمن صحبتته ذكر في خاطري
ولكن هذا الصديق يختلف عن هؤلاء .

ولست في الواقع أعرف من هو إلا أنني
أشعر حياله كما لو كان ملكا لي . ولم يتحدث
إلي هذا الصديق قط . ولكنني أفهمه حق
الفهم من نظراته إلى . وإني لأعرف أنه
لا يريد أن يغرب لي أو يتخذني هزوا ، وها
أنا ذى أنتظر أن يسعى إلى

ولا يكاد ينظر إلى صديقي هذا ، حتى
أجدني غير ما كنت . ثم أشعر أنني لم أعد
أرغب في الرقص وأحب أن أبقى معه
وحده صامتة . نعم إني حين ينظر إلى أشعر
أنني فتاة أخرى ، فأنا أحس عندئذ أنني أكثر
ذكاء وأكثر احتشاما . وأحسب أنه يحبني
على هذه الصورة

لقد رأيته أول مرة في مرقص كنت

لا يزال يجلس وحده . وقد استمر الحال بضمة أسابيع على هذا النوال . إنه ينظر إلى لا أكثر ولا أقل ، وهذا كل ما أجده منه . ولطالما تعجبت ، وذهبت بي الظنون كل مذهب : أيتخذني مسلاة ؟ فإنه لا يحاول أن يتعرف إلى . أبه نوع من الجنون ؟ أهو من سكره لا يفيق ؟ ولم أجرو على أن أسأل أحدا فما أحب أن أظهر بمظهر من تسمى في طلبه . ولم أتحدث بكلمة عنه إلى جانين صاحبتى التى أطلعها على كل شىء ، وأتحدث إليها عن كل شىء . ولست أدري لماذا لم أنبئ صاحبتى . وأكبر الظن أنى خشيت ألا تفهمنى . وربما ذهبت إليه فأنبأته وأفضت إليه بكل شىء ، تقصد إلى العبت والمزاح .

لقد احتفظت بحبى سرا دفيناً كما لو كنت أكنتم ذنباً . وأعجب من ذلك أنى كنت أشعر أحيانا بالخلجل من هذا الحب . أجل كان ينجلنى أنى أكنتمه . وإنه لتمر بى أيام فلا أمسك لحظة عن تذكري صاحبتى . إنى لأحلم به إذا نمت ، فإذا أفتت كان شخصه ماثلاً فى خاطرى كما لو وضعت صورته الشمسية أمام عيني

وأحسست من حبى أول الأمر بالسعادة ثم أحسست بالغضب . وازدريت صاحبتى ، وما لبثت أن شعلتنى كآبة شديدة . والآن

أشعر بشىء من الخوف ولست أدري لهذا الخوف سبباً

لقد سئمت سؤالى نفسى : ترى من هذا الرجل ؟ ولم لا ينفك ينظر إلى ؟ إنى لأعلم أنى أعجب من يرانى ، ولكن هناك مثل كثيرات ، وأكثر منهن من يفقطنى جمالا ... لذلك حق لى أن أتساءل ماذا يبتغى منى ؟ لقد اختلط على الأمر حتى ما أدرك شيئاً سوى أننى أحبه . ربما كان مرد ذلك إلى أنه يلهو بى ويتسلى بأن يلعب بلب صبية مثلى . ولكنى لست أراه كهؤلاء الذين يلهون بمثل هذا العبت

ولقد تخلق حوله ذات ليلة صديقات ، وكانت صديقاته يتدثرن بالفراء ، وكن يضحكن ضحكات عالية ، ولقد أورثنى مرحن الضيق ؛ على أنى مالبت أن تبين أن ذلك لم يغير شيئاً مما كان بينى وبينه

إنه فى تلك الليلة ما برح ينظر إلى . ومن أعجب الأشياء فى الحب شدة شعور من مسبه الهوى بكل شىء يمت ، إلى عاطفته بسبب . لهذا فهمت نظراته ، ولم أحس فى نفسى شيئاً من الموجدة عليه . بل لقد فطنت إلى أن بينى وبينه تفاهما هو نوع من المواقفة على أنه لا يمكن حينذاك أن يزيد على ما كان عليه . وعلى ذلك فقد قنعت بأن أنتظر ، ولئن كان يريد أن يبلو مبلغ احتمالى فلا على

من ذلك فإن شيئاً لا بد أن يحدث بيني وبينه يوماً ما . وإنى لعلى يقين أن حالتنا هذه لن تمتد إلى آخر العمر . وإذا لم يكن ما بيننا هو الجد فلن أفكر فيه بعد اليوم وأحسب أنه من جانبه يرى هذا الرأي

وقضيت على هذه الحال أياماً وإنها لتجربة عجيبة حقاً . إلى أن كنت ذات ليلة فأحسست أنى كاسفة البال محزونة ، أتذوق طعامى ولا أكاد أسيغه . وربما كان ذلك هو السعادة الحق ، ولكنى لم أذق مثل هذا من قبل ولست أدري ماذا بين شعورى هذا وبين الأسى من فرق

وكنت على علم أن جانين لن تلبث أن تحضر إلى فتنتشلى مما أنا فيه . ولبثت أطل من نافذتى قلقة أحس ضيقاً شديداً ، وأشعر بالحسرة لأنى لست أمضى مسرعة إلى الرقص قبل الموعد كما كنت أفعل من قبل وملئ نفسي النغم ، فتلك كانت حالى التى تعودت . أما الليلة فحسبى أن أنظر إلى قطرات المطر ! وإن مرآها ليشعر النفس بالحزن كما يشعرها به الضباب ، فإنها لدقيقة حتى لا تكاد تبصرها الأعين ، وإنها لتكاد تحجب نور المصابيح ، وهى كذلك تخفت الأصوات . ولقد كنت أحب المطر من قبل وما غشيتنى منه كآبة قط . بل لقد كان

الأمر على عكس ذلك فكان المطر ينعشنى . وكنت أحب كذلك الأضواء والأصوات إذ كانت تبعث فى نفسى من النشوة ما تبعثه الراح فى نفوس غيرى . وأغرمت بالمشى فى الشوارع المزدهجة لأسمع أصوات الباعة وأبواق السيارات . وكنت بحيث إذا سمعت نغمة الفالس ورأيت الراقصين ، وجدت فى ذلك ما يكفى لأن يشيع الطرب فى نفسى ، ويجعل عيني ترقصان ورأسى يدور . وكثيراً ما قال لى أصحابى وصويحبأتى إلى أسعد بمجرد الوجود . ولكنهم وا أسفاه لن يستطيعوا أن يقولوا ذلك اليوم فإنى لأشعر أنى أكبر سناً وأكثر عقلاً ... وأحس الليلة كثيراً من التعب ، ومع أنه لم تمسنى وعكة شعرت كما لو مسنى الضر . ولم ترفع الصحف من مائدتى ، ويبدو الإهمال فى غرفتى ، بما تبصره العين من طعامى الذى تراكم فى طبق واحد وكأسى التى لا تزال ملاءى ، وفوطتى الملقاة على البساط

ما أشد ما يبعثه هذا المنظر من حزن ! إنى لأحس ما تحسه ذات الضنى ، ولكنى أشعر أنه هناك ينتظرنى . ولست أدري ما إذا كان ينشرح صدرى لهذا ، ومع ذلك فإنى أتحرق شوقاً لرؤيته . أجل تكاد تقتلنى الرغبة فى لقائه الآن

لن أستطيع صبرا بعد ذلك . إنه يجب أن يكلمنى ؛ وتطلعى إلى ذلك دون نتيجة إنما هو الموت شيئا فشيئا كل يوم ليست بى رغبة فى الرقص ، ولست رغبة فى الذهاب إلى الرقص . وما كنت أذهب إلى هناك من أيام مضت إلا لأراه . ولكم أحب أن أقابله فى أى مكان غير هذا فى حديقة مثلا أو فى قهوة صغيرة حيث لا يوجد من يحيطون به . أما هنا فإنه ينبغى أن أظاهر بآنى أمتع نفسى كيلا يفطن إلى سرى أحد . وهذا مجهود يشقنى . ولكن هل يشقنى حقا ؟ هل أستطيع أن أقول صادقة إنى لم أجد فى ذلك متعة وأنه لم يكن واجبا فرض نفسه على ؟

إنى هناك مضطرة إلى أن أعمل ما لا أريد وأقول ما لا أحب . فإذا رفضت أن أراقص شخصا فربما ظن أنى أتخير الرجال . وليس ذلك هو الحق فإن فى الرجال من ينفرنى . فيهم من يبلل العرق أيديهم ، وفيهم ذوو الشعر الذى يقرز ما يشبه الدهن ، وفيهم من يحمر وجهه إذا سخن . ولقد تبينت أن ذلك كله ضرب من الحقارة ، وأحسست أن صديقى الذى لم أعرف بعد من هو كان يزدرى لآنى لم أفطن إلى ذلك من قبل . لقد تغيرت شيئا فشيئا حتى أصبحت وكأننى دخلت فى إهاب فتاة أخرى

وإن ذلك يضايقنى ولكن فيه شئ من المتعة . بيد وإنى ليحزننى أحيانا ألا أكون ما كنت من قبل ! ألا ما أشد تعقد الحب !

يا إلهى ! ها أنا ذى فى غرفتى منذ ساعة لا أعمل شيئا وأبدو قبيحة المنظر قبحا مروعا ، هندام غير منتظم وشعر أشعث ، وأنف يبرق من الزكام . لا بد أن أصلح من حالى لتعلق بى الأبصار . آه ! مالى أرتعش ؟ لا بد أن أكون حذرة فى تبرجى مخافة أن تحبس جانين أو غيرها شيئا . ولا بد أن أحفظ بسرى طى الضمير حتى أصبح على بينة من أمرى إنى بسبيل أن أظفر بالسعادة ، ولسوف أحظى بها ، وأنا منها جدد قريبة . إننا لن نستطيع أن نظل صامتين أكثر من هذا . وإن نفسى لتزداد رغبة يوما عن يوم حتى ليصبح تنفسى تهديدات طويلة . ولا بد أنه يشعر مثل هذا الشعور

أينمنى المطر عن الذهاب ؟ كلا فإنى أحب المطر . ولسوف نعدو تحته حتى نبلغ الرقص . وسوف أدخل وشعرى يبرق بقطرات الغيث وبشرتى مندادة من أثر الهواء البارد البليل كالفاكهة أخرجت لتوها من الثلج

وأسرعنا الخطى صوب الرقص ، وكانت لاتكف جانين عن الثرثرة . وقلما أصغيت

لاشئ فيه من بهرج ولازينة ، وكان شعري متموجا بعض الموج وليس فيه حلى . ولاند أردت أن أكون على تقيض جانين لأنى أعلم أن ذلك يسره

آه ! إننا على مقربة من الرقص ! وإن قلبي ليثب في صدري ، وإن خطاى لتبطل .

لقد جذبتني جانين من يدي وأنا شديدة الاضطراب . ولو لم أخف من دخول الرقص

وحدى لطلبت إليها أن تسبقني ... ها قد بلغنا الرقص ! إني خائفة كما كنت أبدو

حين كانوا يسألونني أسئلة في المدرسة . لقد فتحت الباب جانين وحيانا مزيج من الدخان

والموسيقى والضوضاء ثم لفنا هذا المزيج وشملنا . وإني لأحس أول الأمر كما لو كنت

عمياء ، ولكنى أستجمع شتات شجاعتي وأفتح عيني ... أحمد الله ... إنه هنا !

ما أشد ما يبدو من هدوئه وسط هذا المكان الهائج المزدهم ! لقد أشاع ذلك في

نفسى سكينه عظمى ، لأنى شعرت أنه إذا توقع أحد على أو ضايقتني أقبل هو لينقذني

إذا دعوته . وإني لأحب أن أكون في حمايته فإن ثقتي به جد عظيمة . ولقد يبدو

ذلك منى سخيفا إذ لست أعرف شيئا عنه .. ولكن ما حيلتى وهذا شعور لا قبل لي

بالتخلص منه ؟

وقلت في نفسى : يا عجبا ! لقد كنت

إليها ، وقد كنا متأخرتين فقلت لنفسي : هي أنه خرج أو لم يأت هذه الليلة ! لقد اعتدت أن أراه كلما دخلت صالة الرقص يجلس في نفس المكان ويحييني بنظرة . إنه يثبت في نظرتي ولكنى لأجد فيها شيئا من الابتهاج ، وإن كنت أقرأ فيها كل مرة قوله لنفسه « هاهي ذى قد أتت »

ولقد ضايقتني جانين بعض المضايقة

بثررتها التي لا تفتر . ولقد قيل : قل لي من تصادق أقل لك من أنت . وأملت أن تهدأ بعد حين فإني لا أحب أن يظننى على شاكتها

ولقد توثقت المودة بينى وبين جانين .

ولم يكن في حياتها شئ يختلف عن حياتى . وهى لحسن الحظ لا تدرى أنى ثقفت أشياء

كثيرة . وكنت أصبح بها أحيانا « أمسكى يا جانين . . كفى » وكنت أحيانا أمزق

الزهرات الصناعية المثبتة في شعرها فإنها لم تكن مناسبة قط . ولقد نظر صاحبي ذات ليلة إلى

المشط الماسى الزائف المثبت في شعري ، نظرة جعلتني لأضع في رأسى ذلك المشط أبدا . لقد

أصلح من ذوقى ، ويعد عجيبا أن كان مرده إلى شخص لم يتحدث إلى قط . وإني

الليلة أبدو جميلة وإن لم يكن في ملابسى شئ مما يأخذ العين

لقد كنت أرتدى فستانا أسود جديدا

عازفة عن المجي' إلى هنا ! لاشك أنى كنت
مجنونة ! وبينما كنت واقفة هناك إذ عثرت
لنا جانين على مقعدين بالقرب من فتية
أصدقاء كنا نعرفهم . وكانت الصالة مكتظة ،
ورحت أنتقل فى عسر شديد بين المقاعد
والموائد ولا أفأ أقول : « معذرة » كلما
خطوت خطوة لأنى كنت أصدم كل
مائدة . . يا إلهى ، إن مائدتنا ملاصقة
لمائدته ، وإنى لا أقوى على رفع بصرى إليه .
ولقد لاحظت ذلك جانين فقالت « ماذا
دهاك وما هذا الذى يرسم على محياك ؟ »
ووددت لو خسفت بى الأرض . وخالجتنى رغبة
فى الخروج من الصالة !

وذهبت جانين لحسن حظى إلى حلبة
الرقص ورفضت أن أذهب معها . . ويلاه !
ينبغى أن أتماسك فأقضى على ما بى من
اضطراب شديد . ولكنى لا أستطيع . إنى
لأبدو كما لو أنى اخترت هذا المكان عن قصد
فإنى على مقعد يجاوره ! وإنى لأشعر كما لو
كان يحملق إلى ولكنى ينظر أمامه لا يحول
بصره ولا يتحرك !

إذا التقت عيناي بعينه هذه الليلة ،
فلن يجي' ذلك عفوا . إنه يحدث لأننا هكذا
أردناه . ولكننا نجلس كلانا فى غير حراك
كصورتين جانبيتين على وجهى نوط !
(ميدالية) . ويشتد اضطرابى حتى لأحس

أن بى سقما ، وأكاد أفضل لو أنى جئت فلم
أجده . ولكنى أتلهف على أن يحدثنى
وتشتد لهفتى إلى حد أن أشعر أنه يسمع
ما يدور بخلقى فيحمر وجهى كأنه قطعة
من الوهج

وينتهى الرقص ويعود الراقصون
ومراقصاتهم إلى الموائد . ويطلب الفتية
كؤوسا من الخمر المشمعة . وأنظر ابتهاجهم
وأرى كيف يتنادون فأتظاهر كما لو كنت
لا تربطنى بهم صلة ؛ ويبدو ذلك منى سخيفا
لأنه يعلم أنى أعرفهم
وتملأنى الحيرة وأنا بجانبه . ويدخل
المكان قادمون جدد ويتزاحف الناس
بمقاعدهم متلاصقين وأجدنى أترشح حتى
أزداد قربا منه ، وتمس ملابسى معطفه مسا
خفيفا ولكنى أشعر كما لو هزت الكهرباء
بدنى من قمة رأسى إلى إخمصى ! فأنب
والتفت نحوه ، ولأول مرة أثبت عيني فى عينيه
ثم أقول : « أسألك المعذرة »

ولعله لم يفطن إلى شى' ، ولذلك
يتعجب من قولى هذا . وربما ظن أنى حمقاء ،
ولكن لم تعدلى حيلة وقد حدث ما حدث .
وابتسم وهو يقول « عفوا »

آه ! كم أحببت صوته ! وكم أحب كل
شى' يحيط به ! ولقد كان يقول لى غيره
من الفتية « عفوا » قبل ذلك ، ولكن

أفواههم كانت تبدو كما لو ملأتهم الغراء ..
ولكن أهذا كل ماسيقوله ؟ أيقف
عند هذا ؟ يا إلهي إني أسألك ألا يتوقف
الآن . ألا يجب أن يحدثني ؟ أكان يكذب
كل ليلة حين كان ينظر إلى ؟ ولم أطق صبرا
فغمغمت قائلة « إن الطقس حار الليلة ، أليس
كذلك ؟ » إنه يتسم ثانية قائلاً « جدا »
ولا يقول غير ذلك . أترأه يعبث بي ويستخر
مني ؟ ولكن ابتسامته لاتم عن هذا فقد
ابتسم في ظرف . ويظل ينظر إلى دون أن
يتكلم كأنما ينتظر أن أمضي أنا في الحديث .
وأحس أنا كما لو كنت أغرق ولكنه
لا يمد يدا لينقذني . ورأيت أنه لا بد لي أن
أحدث فإني إن لم أفعل ذلك الآن فلن يكون
أبدا . فقلت أشير إلى الموسيقى « إنها جوقة
جيدة » فقال « لا بأس بها » . ولقد فاه
بهذه العبارة ليوافقني فحسب ... تبينت
ذلك فيما ارتسم على فمه . وخالج نفسي شعور
عجيب كما لو كنت قد فهمت بكلام سخييف
ولم أدر ماذا أقول بعد ذلك ...

ولا يبرح ناظرا إلى في صمت ، وقد
ارتسم على محياه مزيج من التلطف والتسلية .
إنه لن يأخذني مأخذ الجد وإن ذلك ليكرهني
ولكني أقول لنفسي لا ضير فقد يكون
وراء ذلك ما هو أسوأ ؛ ثم إني أستشعر من
الثقة قدرا لم أستشعر مثله من قبل وأقول

صبرا ما دام يفكر في . وينبغي ألا يتطرق
إلى نفسي اليأس بمثل هذه السرعة . وإذا
كنت لا أستطيع أن أتحول بفكري عنه
فالذنب في ذلك ذنبه ، فلا ينبغي أن ينظر
نظرات كهذه إلى فتاة لا يحبها . ومعنى الحق
كله إذا اعتقدت أنه يحبني وإذا أظهرت
له الحب كذلك . ومن جهة أخرى إني لم
أر في حياتي رجلا خجولا مثله في سن
كسنته . إنه لم يعد بعد غلاما فهو في الثلاثين
من عمره على الأقل . وأفراغت كأس في
جرعة ، فلذع ذلك حلقى وكاد يخنقني ،
ولكني أحسست أني خير مما كنت . وعاد
بعض الفتية ومراقصاتهم إلى الحلبة ، وبقيت
في مكاني . وأراد فتى أن يعاكسني فقال
« بعد أن تأخذني حظك من الراحة اكتبني
إلى رسالة » وأحسست أنه متغيب ولكني
لم أعبأ به . واتجهت إلى صديقي وقلت في
ثبات « ألا ترقص أبدا ؟ » فأجابني بقوله
« لست أحب الرقص » ثم تبدو صرامة في
وجهه ويشيح عني . وبعود بيننا صمت
طويل أحسست أنه باعد بيننا بأميال .
وأفكر ثم أفكر ، وكلما تفكرت أحسست
أنى منه أسوأ مما كنت ... أسوأ كثيرا
لعمرى . الآن أدرك لماذا يجيئ إلى هنا .
إن نفسه تنطوى على ذكرى هذه هي حاله
لا شك . لقد كان يحضر إلى هنا من قبل

ولم يكن يومذاك يحضر وحده . ولا بد أنى أشبه صاحبتة ، وهذا سبب نظره إلى دائما . وأرتعد وأنا على مقعدى وأثب من الألم . يالى من بائسة ! لم يعد ثمة لى من أمل ! ولعمري ما هذا الذى كنت أفكر فيه ؟ ما هذا الذى كنت أمنى نفسى به ؟ أهو رجل كهذا الرجل ؟ إنها لسخرية بالغة !

وينتابنى شعور بالسقم ، وأحس كما لو كان قلبي يتقطع . ويضع يده على ذراعى فأقول لنفسي إن لم يسحب يده فى الحال فسأصرخ ، وأرى أنه لحسن الحظ لا يلاحظ شيئا . . ثم إنه قال لى « أتحبين الشمبانيا ؟ أقصد النوع الأصيل . » ولم أذق قط ماهو أقوى من الخمر المشبعة ولكنى أومأت بإيماءة القبول وأنا أعرض على شفتى وأحس كأن حلقى لا يريد أن ينطلق

ومما زاد حالى معه سوءا على سوء ما كان يفيضه على من ظرفه وتلففه ، فلقد كان من الظرف بحيث لا يسمنى إلا أن آخذ كل شىء يقدمه إلى ، وإنى لأخذ كل شىء وأنا أشعر أن ليس وراءه ما يجعل له معنى ثم انجبه إلى قائلا « هذا حسن فلنحاول أن نشرب زجاجة إذا كان لديهم هنا ذلك النوع » ثم تقبل الساقية على إشارة من يده ، ويحضر لنا صاحب الصالة بنفسه زجاجة مما طلب ، ويدو عليه الاهتمام وهو يضعها أمامنا

وتنظر إلينا جانين ومراقصها وهما يدوران فى الحلبة وتشير إلى بذقنها وأقرأ فى وجهها أنها تقول عنى « لقد بلغت منه ما تريد وليست صاحبتى بحمقاء » ألا ليتهما تعلم ما بنفسي !

وأدور بعينى أنظر فى الصالة فهذه آخر مرة لى فيها ثم أرفع رأسى قائلة له « أشرب نخب صحتك يا سيدي » فيجيب قائلا « وأشرب نخب هناءتك يا طفلى »

ويسود الهدوء فى الصالة شيئا فشيئا ، فقد أخذ منذ لحظات يغادرها الناس ، ولم يبق إلا أربعة أشخاص أمام المائدة التالية وتتجه جانين بنظرها إلى وتصيح بى قائلة إن المكان أسمى قابضا وتحاول أن تغرينا بالانتقال إلى محل آخر وتوى لى بمينها ولكنى أتناظر بأنى لم أفطن إلى ذلك ، ثم أحس أنها صارت تضايقنى . وتقبل جانين آخر الأمر وقد أشبعت نفسها من الرقص فتعد إلى يدا بليلة قائلة « إلى اللقاء فى غد » إنها ضائقة بى ولكنى أتهد ولا أجيب إذ تدعنى . ألا إن الحياة ساعتئذ شىء عظيم . وحسبى من عيشى هذه الهنية فلا حساب لشىء غيرها وها هو ذا بجائى ! وأسمع نفسى أتكلم ، ويخيل إلى أن صوتى يأتى من بعيد وقد أمانه سكون عميق امتزج به خفيف لا أدريه . إن هذا ليس

بصوتي ولست أنا التي أنكمم ... إني أسمع
صوته هو كما لو كان هذا الصوت بداخلي
وإنه لشعور عجيب !

ويحجب النور على الحائط ضباب مفاجيء
كما كان يحجب نور الشارع منذ قليل
ضباب بفعل المطر ؛ وتقرب مني الجدران
أحيانا بحيث لا أستطيع أن أراها ، وقد
عشيت عيناى كما لو كنت أنظر فى قرص
الشمس ، وتبتعد عني الجدران ثم تقرب ،
وتهتز وتتأرجح فتحملنى معها ، وأحس
أنى أسمع صوتا كذلك الذى تسمعه الأذن
إذا وضع فوقها إحدى قواقع البحر !

وقد حال بينى وبين الشمبانيا منذ لحظة
قائلا : « حسبك الآن » ؛ ولكنى أمسكت
بكأسى فى إصرار جعله يضحك ويدعنى
أشرب . وبدا كأنه أب يداعب بنته الصغيرة
وهو إلى جانبها يحميها وإنه كذلك يحمينى
لقد شربت منذ لحظات لأنى كنت
حزينة ، وإنى أشرب الآن لأنى سعيدة !
أجل ... ولم لا ؟ إن الأمر أيسر مما
تظن ... إن الليل لن ينتهى أبدا ، وإن
كل شىء يجرى إلى غير نهاية !

ورأيتنى ذات شخصيتين . وإنى أنظر
نظرة احتقار إلى شخصيتى الأخرى . وإنى
أحب وجهى فى المرآة وجهى الذى آراه
الليلة ، ولا أكاد أعرف نفسى . إن عيني

تبدوان أكبر من حقيقتهما ووسطهما
فجوتان مضيئتان كذلك الضوء الذى
ينعكس من الماء وتطرف أهدابى ويتندى شىء
كلا .. كلا لست أشعر بنفسى شعورا
أضطرب له . وإنى أحس الشجاعة وهدوء
الأعصاب . وأضع يدي مبسوطتين على
المائدة وأثبت فى عينيه نظرتى . وهذا ممتع ؛
فنظرتة هى كل شىء عندى ، وإنها لتضمنى
أكثر مما يفعل ساعدان أيا كانا

وأحس الرغبة فى مزيد من الشمبانيا ،
كما أحس الرغبة فى التحدث إليه ، وأفتح
له قلبى وأخبره بكل ما كان هناك يوبق
روحى . فينظر إلى كما أحس أنه ينظر إلى
طفلة أتلّفها التدليل ويبدو وجهه محزونا ،
ولكنه يقول لى فى ثبات ما عرفت مثله منه
« إنك ذاهبة الآن إلى بيتك . يجب أن
تفعل ذلك فى هذه اللحظة . وأرجو أن
تغفرى لى بقاءى بعدك هنا لحظات ... فلن
أستطيع أن أرافقك حتى بيتك ؛ وسوف
أدعو إحدى النادلّات هنا لتصحبك ...
أوه ... أرجوك ... أرجوك ... لا تبكى »
وكانت تنهمل دموعى وأنا ممسكة بإحدى
يديه قائلة « لا يمكن أن يكون هذا
صحيحا .. لن تستطيع أن تتركنى وأن
تجتنبنى .. كلا ليس هذا بصحيح »

ولم أستطع أن أتوقف هذه المرة وكانت

تندفع كلانى في سرعة كسرة دمعى إذ يتسائل فرحت أقول له « ليس لك من حق فى أن تعاملنى هذه المعاملة . . لقد طالما حامت بك . . أجل كثيرا ما فعلت ذلك حتى تعلمت أن أحبك ، وأن أعرفك على بعد . لقد كنت حياتى بالليل والنهار وإنك لتعلم ذلك . ولو أنه بدا عليك أنك تسخر منى مرة لقضى الأمر بينى وبينك ، ولكنك مضيت تتطلع إلى عن قصد كما لو أنك تشعر نفس شعورى . . إلى أذكرك بفتاة أخرى ، أليس كذلك ؟ ولكن ماذا يعينى من هذا إذا كنت تحب صورتها فى ؟ إلى سوف أكون لك الفتاة التى تقبلها وسوف تأخذنى بين ذراعيك . ولم أحلم بشئ غير هذا . وإلى لأراك فى كل مكان . وإنه ليحدث أحيانا أن أعدو فى الشارع خلف رجل لأنه يشبهك وأعرف حينذاك مبلغ حقى . وحين أكون فى بيتى أتحدث إليك فى جهر ، وحين أغير ثيابى أسأل نفسى ما إذا كانت تعجبك . ولقد غيرت طريقتى فى تصفيف شعرى فهل لاحظت ذلك ؟ إلى أعرف الآن ماذا تحب . إن فتاة غبية مس الحب قلبها هى أذكى كثيرا مما تظن وإنك لاتدرى أى صنيع قدمته لى . ما الاصدقاء ؟ إلى لم أعد أحفل بأحد منهم . فالفتيات عبء على أعصابى ، والفتية مبعث ضيق لى . وإلى لأحس نفسى غريبة حتى فى غرفتى التى

تعودت أن أحبها وما ذلك إلا لأنى أعيش فى دنياك ، تلك التى بلغت من البهجة ما أحسست معه أنها حقيقة لاخيال . لقد جعلتنى أترك حياتى السالفة دون أن تحل محلها حياة أخرى . والآن تريد أن تسقطنى من حسابك ! وماذا عساي أصنع بعد ذلك ؟ ماذا بقى لى ؟ خبرنى ماذا تريد ؟ »

ولم أستطع المضى فى كلامى فقد ارتعد ذقنى وغاب الدم من يدى حتى ابيضتا . ورأيت منكس الرأس يمس يدى فى رفق ويطئ . وعرفت أنه يريد أن يتكلم فتعلقت أنفاسى وأحسست كأن قلبى يوشك أن يقف . يا إلهى لست أقوى على عذاب بعد هذا . رب اجعلنى أحتفظ به . لست أقوى يا إلهى على فقدانه الساعة ...

وحملت فى عينيه وانتظرت ، وبدا عليه أنه كذلك يتألم ولكن ليس على شاكلى . إنه يبدو مستسلما كما لو أنه اعتاد ذلك . وإلى أحس أنه يألم ، ولكنه يرثى لحالى

وأمسكت الجوقة وأخذ الموسيقيون يضعون أدواتهم . ونظرت إلى بيان قد أغلق فبدا لى كأنه تابوت . وراح النادل يضع الكراسى مقلوبة فوق الموائد . وكان لا يزال هناك بعض الضوضاء فى حجرة صغيرة هى حجرة الشرب ، وقد دخلها بعض الزبائن يشربون كؤوسهم الأخيرة وبات كل شئ هادئا كما هو الحال

كل يوم عادى . وأنا بجانبه أتلوى من الألم وأنتظر أن يتكلم وأحسست أنه إذا جذب يده من يدي وقعت على الأرض ، أقع كما لو جثم على صدرى كابوس فقد كانت يده هى الحلقة الوحيدة التى تربطنى بالحياة وأخذ يصب الشمبانيا بيده الطليقة فى كأسينا . أريد بهذا أنى صرت محتاجة إليها ؟ لقد وددت أن أصرخ بكل قوتى قائلة « لا » كما لو كانت هذه الكأس الأخيرة كأسا ملعونة !

رحمة بي ياربى . لست أطيق هذا العذاب وإنى أحبه .. أحبه بكل قوتى .. وسمعت نفسى أهدى بعبارات أكررها مرات كما تفعل البلهاء ، وقد توترت أعصابى حتى لقد أيقنت أنها سوف تنحطم كما ينحطم عصن ميت . وشعرت كما لو كنت على حافة هاوية بعيدة القرار وأنى موشكة أن أتردى فيها . ياله من هول ! وشد ما علاتنى الرعب ...

لقد كان هذا الصمت مرعبا . وكان هذا الصمت القصير فى حساب الزمن وكأنه عمر من الشقاء والألم وكأنه أبدى كالحماقة نفسها .

ويأخذ فى الكلام فأرهب سمى إلى كلماته ، وتخرج كلماته من بين شفثيه كلمة كلمة فيقول « أى طفلى المسكينة : لم يكن يدور بخلدى أن حالك فى مثل هذا السوء . أرجو أن تغفرى

لى ما أفعل يا فتاتى المسكينة . ينبغى أن نخلص كلانا من هذا الوضع فورا ، وبذلك يترك كل منا صاحبه ... لا تتكلمى ... استمعى إلى ... يجب أن تنادى هذا المكان الآن وأعدك ألا أعود إليه ثانية . ولا تسألينى أن أصحبك إلى بيتك فلست أستطيع ذلك .. ولست تستطيعين أن تفهمى لماذا ... لقد كنت أتمنى ذلك جدا لو أنك تعلمين ... » ورأيت خلال دموعى أن قد ارتسم على وجهه شعور باليأس فقلت فى نفسى : « يا إلهى ، أريد أن أعلم لماذا . يجب أن أذهب الآن فى سرعة قبل أن يفسد كل شىء ... إنى واثقة الآن من أنه قد انتهى كل شىء ؛ وأنى ذاهبة وحدى إلى بيتى . ولكنى أحب أن أعرف لماذا ... لماذا ينتهى كل شىء ؟ لماذا ؟ يجب أن أعرف فلا أدع نفسى فريسة لحيرة تلازمنى طول حياتى ... لماذا يتركنى ؟ إنه إذن يحبنى ... وعندئذ ألقيت بنفسى بين يديه صارخة : لماذا ؟ ثم ازداد تعلقا به وأعود فأصرخ : لماذا ؟

ولا يطيق صبرا بعد هذا ، وأرى فى وجهه مزيجاً من اليأس والتهكم ! إنه بسبيل أن يفصح . ياله من موقف مرعب ! ولكن يجب أن أعرف لماذا يتركنى . لقد أيقن أنه لا يستطيع أن يذرنى دون أن أعرف لماذا ، ولخير لى أن أقف على الحقيقة ولو كان فيها ما يزيدنى أذى . وماذا عسى أن يضيرنى

من جرح هين صغير يضاف إلى جراحاتي ؟
وعدت أقول له : خبرني لماذا . أفصح ...
أفصح ولتؤذني فلست أبالي ... ومع ذلك
عاد الخوف يملأ قلبي

وأخيرا قال لي « أتريد أن تعلمي
لماذا ؟ » ونظرت إليه فوجدته قد تغير فجأة
حتى لا أكاد أعرفه ، وقد بدا على محياه
مزيج من اليأس والكبرياء . وعاد يقول لي
« إنك تريد أن تفسدي كل شيء ...
هل عقدت العزم على أن تسمعي ؟ » ثم هز
كتفيه . فقلت في نفسي : ربما كان ما أسمعه
خيرا بالرغم من كل شيء

ويعود فيسألني « أتريد أن
تعرفي لماذا ؟ »

فصحت به قائلة « نعم » ثم عاد يملأني
الخوف ، ولقد اشتد خوفي حتى لقد انقلب
هذا الخوف شجاعة

« حسن . إذن فانتظري »

وكانت لهجة الأمر في كلمته هذه . ثم
إنه جذبني إليه وأسندني إلى كتفه وأخذ
يقبلي في عنف وأخذت أشعر بقبلاته
تسرى في بدني كله وأحس أني جزء منه .
وأتبين أني لست الآن عملة بالكلمات
والشبهانيا ولكن بشيء آخر وعلى صورة
أخرى . إني أشعر وفني على فمه وهو يبيت
في هذه الحيوية الدافقة ، بتيار الحياة ينبعث
حارا في أوصالي وفي جسمي كله . ثم يدعني

فينتهي كل شيء وأحس بالبرودة تشملني
ويقول لي « هيا بنا نذهب ..
أتحبيني ؟ »

فأجيبه قائلة : « أحبك »

ثم ينزل في ببطء .. أجل ينزل
من مقعده ويقف بجانبني وأنظر فإذا به من
قصر الساقين بحيث أشعر بالرغبة في أن
أضحك ملء شدي .. ماهذا ؟ ! وهو على
الرغم من منكبيه العريضين وامتلأ نصفه
الأعلى لا يكاد يصل إلى كتفي وهو واقف
بجانبني على ساقيه المسيختين

وأحس بالرغبة في أن أطلب من القزم الصفح
وأن أظل على حبي إياه وأن أقول شيئا ،
ولكن ذلك كله يبدو لي سخيفا ، فليس
ثمة ما أقوله ولقد فرغ بالي منه فراغا تاما ...
ألا ما أغرب هذا الجلم !

وانطلقت من الصالة كأنني أعدو دون
أن أنظر إليه ، وأتمثله هناك واقفا على ساقيه
المجيبيتين المقتضبتين كأنه لعبة هزلية تمثل
أحد الجند

وأندفع في طريقني ثم أندفع ، وفي خيالي
ذلك الذي رأيته وهو نصف رجل . وأشعر
بقلي يفيض حسرة وأحس في جسمي
ديب الثورة ..

ولكن لكل يوم غد بالضرورة ..
وغدى ؟ ترى ماذا يكون الغد ؟

محمود الحفيف

تَصْفِيَةُ حَسَابَاتِ

لِلأُسْتَاذِ نَصْرِى عَطَا اللّٰهُ

كانت أطياف المساء قد بدأت تنشر
غلاطاتها السمرء على أعطاف المدينة وتمزج
نسماها الندية الوادعة بالهواء الركد الثقيل
كأنما تسأله بعض الرفق والحنان بعد يوم
قائظ ملتهب الأنفاس

ووقف «رأفت» في شرفة غرفته يرقب
في ملل وسآمة الظلال الطويلة وهي تبتهت
شيئا فشيئا ثم تنمحي في مد الظلام ، ثم
أرسل بصره في الأفق البعيد ، وندت عنه
زفرة مثقلة بالشجون . . .

لقد مضى زمن خاله لا ينتهى ، وهو ينتظر
مغيب الشمس وانخفاض حرارة الجو كي
يبارج غرفته تلك وجوها الخانق القابض ،
وينطلق ها هنا في الفضاء الواسع على أنفاس
شيئا ما عن صدره المليء بالأكدار والهموم .
وكان اليوم يوم عطلته الأسبوعية ، وقد ظل
منذ الصباح حبس ذلك الحجر القدر الذى
يعيش فيه . وقد فكر في الخروج ولكنه لم
يستطع أن يتغلب على نومه وسأمه ، أو
يهتدى إلى مكان يزتاح للذهاب إليه ، وأخذ
يفكر في وسيلة ما يدفع بها الكآبة عن

نفسه ففشل ، وكان اليوم شديد الحرارة
يرسل زفراته النارية فتقضى المضاجع وتكد
تحبس الأنفاس في الصدور . . . وكلما تقدم
النهار ازداد رأفت تبرا وسآمة وضيقا بنفسه
وبالحياة ، ولم يبق في وسعه إلا أن يعدد
الدقائق وهي تزحف في بطء وثاقل حتى
يقبل المساء لينطلق إلى أى مكان تحمله
قدماه إليه ، فقد كان كل همه أن يبرح تلك
الغرفة التى يتمثل فيها بؤسه وفشله ونموه
لقد كان ثائرا منقبض النفس ، تزداد
نفسه ثورة وانقباضا كلما أجال عينيه في
ذلك الأثاث البالى المتداعى الذى تحويه
تلك الغرفة القذرة ، بل تلك المقبرة التى
تتلاشى فيها سنو عمره يوما بعد يوم دون
معنى أو جدوى أو غاية ، كأنها أمطار
الصحارى التى تضع بددا في الرمال ، أو
دموع الثكالى تسيل غزيرة طيبة ، ولكنها
لا ترد فقيدا عزيزا إلى الحياة

وما إن أحس رأفت أن ثائرة النهار قد
هدأت قليلا بعيد الغروب ، حتى ارتدى
ملابسه الرثة في عجلة ودون اعتناء وخرج

دون أن يعرف له مكانا يقصده ، وفي الطريق سأل نفسه في مرارة لماذا يعيش ؟ هل هناك غاية تربطه بالحياة ؟ وهل بقيت لديه آمال ؟ هل هو موفق في حياته أو سعيد ؟ إنه يعرف الجواب الحزين على هاتيك الأسئلة ، بل يعرفه منذ أمد طويل ، ما الذي يغريه إذن بالبقاء في هذه الدنيا ؟ أترأه الجبن وخوف الموت ؟ واعترف لنفسه في مرارة أنه لم تعد هناك أسباب أخرى تدعوه إلى التعلق بأذيال هذه الدنيا التي أولته ظهرها منذ زمن بعيد ، ولو كانت لديه الشجاعة الكافية لما رضى أن يعيش لياً كل ثم يبكي على نفسه

ومضى يضرب في الطرقات وهو يفكر في هذه الحالة التي آلت إليها حياته ..

وكانت هذه النوبات تستبد به من حين لآخر ، فتملاً قلبه ثورة وألماً وتشاؤماً فيتمرد على نفسه وعلى الناس . ويرى الوجود من خلال منظار قائم لا يكشف إلا عن المتاعب والأوجاع ، وقد عرف هو ذلك عن نفسه منذ أمد بعيد

أما في الماضي عندما كان مضطرم الحيوية واسع الآمال ، فقد كان يجزع كثيراً عندما يجهر قلبه بالثورة والعصيان على الحياة ، على حياته هو خاصة ! بل كان يقول لنفسه إن العاصفة لا تقصف إلا الأغصان الجافة

ولا تكتسح إلا الأوراق الذابلة المحتضرة لتتيح للأوراق النضرة فرصة الحياة الشابة عندما يهل الربيع الجديد . وكانت تلك الثورات النفسية — على ما تكبده من ألم وأشجان — تملأ قلبه بشراً واطمئناناً ، إنها دليل الحياة المتطلعة إلى النور والخير والجمال ، وكم من مرة — بعد أن يثوب إلى الرضى والسلام بعد تلك الثورات — يجد نفسه أكثر صفاء ومضاء واحتفالاً بالحياة وبالأمال الغالية التي وهبها حياته . لقد كانت ثورات الحر الأبى الطموح على عوامل الضعف والانحلال في نفسه مع ثقته وإيمانه بقدرته على سحقها ، والتي خلص منها بقوة الروح وشباب العزم ، وكان إذ يتم له ذلك يشعر بنشوة روحية تغمر كيانه كله ، وسعادة عميقة صافية مثل سعادة المتصوفة والقديسين تملأ شغاف قلبه

ثم أتى زمان أصبحت فيه هذه الثورات النفسية المطهرة ذكرى من الذكريات الأليمة . إن قلبه ما زال يشور كما كان يشور في الماضي ، ولكنها ثورة البأس الحزين ، ثورة خاسرة يرجح فيها جانب الذكريات التعتية ، ورثاء العمر الضائع والآمال المبددة

كان في الماضي كلما ثار قلبه عليه واتهمه بالتهاون والخور ، وقف أمامه كما يقف

التهنم البري^١ أمام القاضي . يفند اتهامات خصومه الواحدة بعد الأخرى ، ويقدم الدليل بعد الدليل على براءته ونقاء نفسه ، وكان يعرف كيف يستنهض كل قوى روحه حتى يواجه الأزمة في شجاعة ويتغلب عليها ، وكان يجد في الانهماك في عمله وفي تأمل الطبيعة ودراسة الفن السر الذي يغسل نفسه من أدرانها ، ويرد عليها حيويتها وبشرها المفقود ويبدل نجيبها ألقانا أما الآن فإن قلبه في مأتم ونفسه تضرن عليه حتى بالعزاء . إنها تصم أذنيها عن نجيبه وصراخه ولا تأبه له ، بل إنها لم تعد تأبه لذاتها . لقد نسي نفسه في غمار الحادثات حتى تراكم عليها الصدا والخمول وفقدت طعم الحياة

إن الزوابع التي تثيرها أفكاره وذكرياته في رأسه تكاد تفقده عقله ، ولقد هرب من غرفته . ولكن أين يهرب من أفكاره ؟ وفكر في أن يترك جو المدينة الصاخب ويتريض بعض الوقت على الشاطئ . إن بينه وبين البحر ألفة عميقة وثيقة ، وطالما ذهب إليه وهو منكدر النفس حزين الفؤاد ، فعاد وقد امتلأت نفسه اطمئنانا وسلاما . إنه يفهم لغة الماء وكما سمعها في ثورتها واصطحابها ، وفي وداعتها وسكونها ، وأحس بتجاوب أنغامها مع نبضات قلبه ،

وشعر أن في تلك الأنغام والتساويح التي يرتلها البحر دائما سرا يريح القلوب المتعبة ويهبها العزاء والسلام وفي طريقه إلى الشاطئ رآها ... وكانت واقفة أمام واجهة محلات الأزياء تتأمل المعروضات ... ولم يباغت ولم تذهله المفاجأة برغم السنوات الخمس التي مضت منذ أن افترقا ، إنه يعيش في تلك المدينة منذ ثلاثة أعوام وهو يعرف أنها تعيش في نفس المدينة ، وظل طوال الأعوام الثلاثة يتوقع أن يراها يوما ما ، في الطريق أو في ملهى من الملاهي أو في أحد المنتديات ، ولعل موضع الدهشة أنه لم يرها من قبل ذلك

ووقف يتأملها في هدوء وهي لا تحس وجوده : ها هي ذى « أمينة » أمامه مرة أخرى ، أمينة التي عبثت بقلبه وحطمته وتركته أطلالا ، إنها ما تزال كعنده بها دائما مغرية كالتفاحة الناضجة . ترى كم حطمت من قلوب خلال هذه السنوات الخمس ؟

وهز رأفت كتفيه في استخفاف وهم بالهرب ولكن قدميه لم تطيعاه .. إنه لم ينسها خلال تلك السنوات الطويلة التي فقد فيها الكثير ونسى فيها الكثير وتبدلت أئناءها شخصيته تبديلا تاما ... إنه لم ينسها بل ظل يعنى نفسه بأنه سيلقاها يوما ما ، إن هاتفا

نظراته القاسية فقالت له وهى ما زالت
تتأمل عينيه :

— لشد ما تغيرت يارأفت !
فرد عليها فى نبرة تفيض تهسكا :
ومن ذا الذى لا يتغير يا صديقتى ؟ الزمن
والحن والحادثات تترك فينا آثارها ..
ولكن شعرى لم يبيض بعد
فأجابته وهى تنظر إليه عاتبة :
— لم أعن هذا مطلقا !

فقال سواء عنيته أم لم تعنه فإننى لا أظن أن
تغيرى يثير سخطك أو أسفك . لقد
أصبحت أكثر فهما للدينا والحياة والنساء .
وأنت ؟ ألم يتغير شىء فى حياتك ؟
فقلت : حياتى ؟ لقد انقلب كل شىء
فى حياتى رأسا على عقب . لقد عانيت
كثيرا ... وأصبحت مثلك — أكثر
فهما للدينا والحياة ... والرجال
وأردفت بصوت يفيض ألما واستعبارا
وهى تهز رأسها

— لقد دفعت ثمننا غاليا لأنعلم
فسألها : وماذا تعلمت ؟
فأجابت : تعلمت أشياء كثيرة ، ألا
تذكر أنك قلت لى مرة فى لهجة تنديد إن
هناك أشياء كثيرة ينقصنى معرفتها
فقال : نعم أذكر وقد قلت لى فى لهجة
ساخرة ، ومن ذا الذى سيعلمنى ؟

عنيذا ظل يهتف به طوال تلك السنوات :
إن قصتكما لم تنته بعد

واقرب منها فى هدوء حتى حازاها
ووقف يحديق فى العروضات التى كانت
تأملها هى متجاهلا وجودها محاولا طول
الوقت أن يقمع ثورة نفسه ويمحو آثارها
من وجهه وجبينه . وأدارت هى رأسها فى
حركة غريبة فوق بصرها عليه ولما عرفت
أفلتت من بين شفيتها شهقة خافتة وأخذت
تحديق فيه بعينين جامدتين ذاهلتين . وهى
لا تكاد تصدق ، وهمست باسمه همسا رقيقا
حالا فأدار رأسه نحوها ومد إليها يده مبتسما
فدنت يدها نحوه وهى تغغم بكلمات مضطربة
متقطعة ، لاحظ هو اضطرابها وأثر المفاجأة
فى نفسها ، وهز صوتها المرتعش أوتار قلبه
فقال لها مبتسما :

لقد كنت أحس دائما أننا سنلتقى
مرة أخرى

فأجابت وهى تنظر إليه نظرة ذات معنى
— لا تزال تذكرنى إذن

— أذكرك ؟ أقسم لك أن صورتك لم
تبرح ذهنى لحظة واحدة . إننى لم أسمع إلى
مقابلتك ولم أبحث عنك رغم تفكيري
المتواصل فىك لأننى كنت واثقا تماما أن
الزمن وحده سيدبر أمر هذا اللقاء
ورفعت عينيها إلى وجهه دهشة فراعته

فقلت : نعم لقد سخرت منك ساعتئذ
يا رأفت وبدا عليك أنك تأملت وقلت لي
في مرارة :

سيعلمك الزمن

فسألها : وهل تحققت نبوءتى ؟

فأجابت : نعم تحققت

وأحس من نظراتها الحزينة ونبراتهما
المجردة الدامعة أن قلبها مثقل بهموم كثيرة
فهل يسألها ؟ إنها تتكلم دون تحفظ كأن
السنوات الخمس التي مضت منذ افتراقهما
لم تكن إلا حلمًا ولد وتبدد في ظلمة الليل
ولم ينل من صداقتهما الوثيقة التي تعمد هو
أن يخنقها خنقًا ، وتردد لحظة ثم قال لها
في لباقة :

— ليس من حقى أن أسألك عن

كل شئ كما كنت أفعل في الماضي

فقلت : لا ... إن ذلك حقك في كل
حين ... إننى فى حاجة إلى من أشكو إليه
وقال لنفسه إنها — كما يبدو — لم تعد
تلك الماكرة اللعوب التي كانت تقسم وقتها
بين اللهو والعبث بالقلوب ؛ ولكن سرعان
ما هتف به هاتف آخر يقول : لا ، لقد
كانت دائما ناعمة لينة تجيد التمثيل

ومضت فترة صمت قطعها هى بسؤالها

— إننى مشتاقة إلى أن أعرف عنك كل

شئ .. هل تزوجت !

فأجاب : أتزوج ؟ حاشا لله !

فسألته فى دهشة ولم ؟

فأجاب ساخرا فى مرارة : لم ؟ لأننى

أفضل ألا أعيش مخدوعا .. ألم أقل لك إننى

أصبحت أكثر فهما للحياة والناس ؟

وأحست وهى تسمع كلماته التى تقطر

مرارة ونقمة كأن سهما مسموما قد مرق

إلى قلبها وإن كان قد سرها أنه لم يتزوج .

ورفعت نحوه بصرها عاتبة لتقابل عينيه

القاسيتين وقسماته المتجهمة ، ولم يكن من

العسير عليها أن تدرك ما يرمى إليه فهى لم

تنس بعد أنها خدعته وسخرت من قلبه

وعواطفه فى الوقت الذى كانت تتظاهر له

فيه بالود والإخلاص ولكن ... ألم تظنى

كل هذه السنوات ثورة غضبه ؟ ما باله

يهاجمها هكذا فى مرارة ولم تنقض دقائق على

لقاءهما بعد هذا الفراق الطويل ؟ وشعرت

بالحرج ، ونكست رأسها وأخذت تمحق فى

الأرض وهى تقول لنفسها إن جرحه لم

يندمل بعد ، ومرت فترة صمت طويلة

قطعتهما بقولها :

— ما أغرب هذا الكلام منك أنت !

يبدو أنك تنكرت لقلبك وماضيك

فقال : فى الماضى كنت مغفلا كبيرا ،

أما الآن فقد تعلمت ، ولعلك تعرفين كم كان

الظن فادحا ، وأنت .. هل تنكرت لماضيك ؟

فأجابت : إن التي تحدثك الآن امرأة
عاشت وتعذبت وتعلمت درسا جيدا
فقال : لقد جاء الدرس متأخرا ، ألا
توافقيني ؟

فقلت : نعم ، لا يضيرني أن أعترف أن
الدرس جاء متأخرا

ثم حل الصمت والوجوم بينهما مرة أخرى
وكانت أمينة تعرف طباع رأفت جيدا
وقد اعتادت في ماضي أيامها أن ترى منه
مثل هذه الثورات النفسية ولكنها لم تتوقع
في هذه المناسبة أن تسمع منه مثل هذا الكلام
وبددت الصمت بقولها :

إنك متعب الليلة ولا أريد أن أضيع
وقتك ... هل نلتقي ثانية ؟
فقال : كما تشائين

وبرغم ما شعرت به من امتهان وإساءة
رأت نفسها مدفوعة بكل ما في قلبها من
مشاعر وإحساسات إلى استرضائه واستعادة
مكانتها عنده فقلت له في نبرة رقيقة عاتبة
وهي تلتقي في عينيه بكل ما في نظراتها من
عطف وحنان

— كيف تقول إنك لم تنسني يا رأفت
ثم تخاطبني هكذا ؟ هل وقع لك اليوم
ما أهاج أعصابك ؟ إنك ما زلت كما كنت
في الماضي طفلا كبيرا تفرح إلى حد الجنون
وتغضب إلى حد الثورة .. سنلتقي يا رأفت

مرارا لا مرة واحدة ولن نفترق أبدا .. فقل
لي متى ألتاك أيها الطفل الكبير لأعترف
لك بكل شيء وتعترف لي بكل شيء ؟
وأحس وهو يسمع صوتها العذب بثورته
وعبوسه يزايلا نه شيئا ما . واتفقا على موعد
يلتقيان فيه ولم ينس وهو يصاحفها أن يعتذر
لها اعتذارا ضعيفا عما بدر منه فتقبلت
اعتذاره في رقة وهي تقول :

أهذه أول مرة ؟

وافترقا ، وتابع هو سيره حتى وصل إلى
الشاطئ ، وكان رأسه يغلي بالأفكار كالقدر
الفائرة ... ما أقسى القدر حين يريد أن
يسخر ! أما من ساعة يراها فيها غير هذه
الساعة المشثومة التي تراكمت فيها على قلبه
كل أحزان حياته ؟

لقد خيل إليه وهو يسمع صوتها يفيض
حنانا ورقة أن قلبه شرع يفيق من إغماء
طويل ، وكانت قد مضت شهور طويلة لم
يتحدث خلالها إلى أنثى ، ولكنه لم يكن
يتوقع أو يتمنى أن تبعث « أمينة » من
قبر الماضي في تلك اللحظة وتسوق معها إلى
فكره وقلبه ذكريات كاسفة حزينة تحطمت
على صخرتها آماله ومستقبله وأوصلته إلى
الحالة التي يكابد مرارتها الآن

عندما لقيها للمرة الأولى كان قلبه خليا

وراحوا ينثرون حولهما الأقاويل والأقاصيص
الظالة ، ولم تكده تنقضي أشهر قلائل بعد
ذلك حتى تحول المناء الذي نعم به رأفت
فترة قصيرة إلى مرارة وألم ، فقد حدث أن
رأى أمينة أحد كبار الموظفين الذين يعملون
معهما في نفس البلدة فشغف بها شغفا بالغا ،
وما أن عرف ما بينها وبين رأفت من ود حتى
حقد عليه فعمد إلى استغلال نفوذه لمضايقته
وتنقيص عيشه . وأخيرا أفلح في تدبير أمر
نقله إلى إحدى قرى الصعيد النائية ، وهناك
تحالفت على رأفت الوحدة والآلام والأشواق
ولم يكن لديه من عزاء إلا الكتابة إلى
أمينة وانتظار رسائلها

ومضت بضعة أشهر كانت من أمر وأقصى
ما عانى رأفت في حياته . من يدرى متى
ينقل من تلك القرية الكثيرة البعيدة عن
الدنيا والحضارة ؟ وكيف يعيش من غير
الفتاة التي اصطفاها ؟ وكيف يستطيع أن
يدبر أموره ويعرض عليها الزواج ؟ وهل
تقبل أن تعيش معه في مثل تلك البلدة التي
لم يعرف الماء النقي أو نور الكهرباء طريقه
إليها بعد ؟ ، فضلا عن حرها الفظيع في
الصيف وما تحفل به مساكنها القذرة
الضيقة من حشرات ، هذا إلى انعدام
وسائل التسلية بل انعدام الطعام اللائق
أحيانا ... إنها المنفى المختار للأشرار من

نقيا لم تفض أغلافه بعد ولا تعمه إلا أحلام
الشعراء وأخيلتهم الشفافة والشوق إلى
رؤية « الحورية » التي ينتظرها منذ طويل
كي ترد غربة روحه وتخفف من لوعة
أشواقه ؛ وظن وهو ينظر في عينيها أن القدر
قد استجاب دعواته وحقق أمنيته ... لقد
كان ظامئا إلى العطف والحنان وقد وهبتهما
له وأحس للمرة الأولى بتلك السعادة الحقة
التي لا نحسها إلا في كنف مخلوق رقيق
يستطيع أن يفهمنا ويستوعب آمالنا
وإحساساتنا ويشاركنا إياها

وكان رقيقا مرهف الشعور واسع
الآمال فاندفع في حبها اندفاع الواثق المطمئن
بوهبها قلبه وروحه وجعلها موضع سره
ونجواه ومعقد آماله الواسعة ؛ فكانا يلتقيان
أو يتراسلان لإسراء ، فقد كان رأفت حينذاك
موظفا صغيرا بإحدى المدن وكانت أمينة
مدرسة بإحدى مدارس المدينة ذاتها ...
كلاهما غريب تحصى عليه غدواته وروحاته
ولا يجد من يؤنس وخشته

وكان في الإجازات يتفقان على اللقاة في
العاصمة حيث يذهب كل منهما لزيارة عائلته ،
ولكن سرهما لم يبق في الخفاء طويلا فقد
رآهما في العاصمة بعض أهل المدينة التي
يعملان بها ونقل الخبر إلى هناك ، وسرعان
ما عرف الجميع أمر العلاقة التي تربطهما

الموظفين ، وكل جريرته التي سببت نقله إليها هو أنه أحب وأخلص

واتفق الحبيبان اللذان فرقت بينهما الأيام على أن يحصلوا على إجازة في وقت واحد ليلتقيا في العاصمة وقد حددت أمينة موعد الإجازة بما يتفق مع ظروفها

وظل رأفت يعيش على أمل اللقاء والحنين يصهر قلبه حتى حل اليوم الموعود وسافر.. وبعد وصوله إلى القاهرة بساعات كان جالسا إلى أمينة على شاطئ النيل ينيها أشواقه وأشجانه ويشكو لها ما يعاني من وحشة وآلام

وظلا يلتقيان كل يوم من أيام تلك الإجازة ويقضيان معا ساعات طويلة ولم يكن يضايقهما إلا قصر مدة إجازته التي لا تتجاوز عشرة أيام

واتفقا على أن يمدا العدة للزواج ولا سيما أنها قد أنبأته أن أحد كبار الضباط قد تقدم لخطبتها فرفضت في إصرار مما أثار سخط أمها عليها ، واعترفت له في صوت حالم أنها تريده هو زوجها لبساطته وإخلاصه وثقته بها ، وأخبرته أنها تسعى جاهدة لينقل من منفاه البعيد إلى العاصمة نفسها ، وأنها قد استدعت أحد أقاربها من المقيمين في الريف إلى القاهرة لمعاونتها على تحقيق هذه الغاية إذ أنه يتمتع بنفوذ كبير في دوائر الحكومة

وشكر رأفت للقدر — ممثلا في شخصية أمينة — عطفه ورعايته ، ولم يعد يفزعه كثيرا شبح القطار الذي سينقله بعد أيام قلائل إلى قرية بعيدة لا يصل إليها في أقل من أربع عشرة ساعة

وبينما كان رأفت ينسج من خيالاته أحلام الهناء إذ تدخلت المصادفة ولعبت دورا من أدوارها الخالدة التي تقلب بها حياة الناس رأسا على عقب وتغير بها أحيانا وجه التاريخ! فقد حدث أن كان يتناول طعام الغداء مع أمينة في مقصف إحدى الحدائق حين شاهدهما صديق من أصدقائه القدامى الذين ترجع صلاته بهم إلى عهد التلمذة فترك رأفت المائدة وتقدم من صديقه « صلاح » وحياء تحية حارة ودعاه إلى مشاركتة طعامه مع أمينة فاعتذر في رقة وانتحى ناحية أخرى من المقصف بعد أن اتفق مع رأفت على موعد يلتقيان فيه

... والتقى الصديقان القديمان وأخذ كل يستفهم الآخر عما لاقى في زمانه ثم بادر صلاح صديقه بالسؤال التالي :

« هل تزوجت ؟ » فأجاب رأفت : كلا

فقال صلاح : أهى صديقة إذن ؟

فقال : « نعم »

وأخذ رأفت يقص على صديقه كيف عرف أمينة وما لقيه في سبيلها من اضطهاد

ونفى . وما كاد صلاح يسمع بضع كلمات حتى بدا عليه الاهتمام وأخذ ينصت جيدا وهو يحدق في عيني رأفت وعلى شفثيه ابتسامة غامضة ، وما كاد رأفت ينتهى من حديثه حتى قال له صلاح :

— مادمت تنوى الزواج فيجب أن أخبرك بكل ما أعرفه عنها .. إننى لم أر هذه الفتاة قبل اليوم ولكننى أعرف عنها أكثر مما تعرف أنت وإن كنت موقنا أنى لا أعرف كل شئ ، ولكن ما سأقصه عليك يكفى لأن تدرك حقيقة أمرها ... إن هذه الفتاة لم تأت العاصمة من أجلك وحدك ولم تحدد إجازتها وإجازتك بمحض إرادتها بل زولا على إرادة شخص آخر ... بل عشيق آخر تعرفه أنت جيدا ولقيته فى دارى مرارا وهو « كامل » ابن عمى

ورفض رأفت أول الأمر أن يصدق ، ولكن صلاح رجاه أن يسمع القصة إلى نهايتها . لقد للتى بها كامل مصادفة فى أحد دواوين الدرجة الثانية بقطار الصعيد وكانت هى فى طريقها إلى مقر عملها وهوى فى طريقه إلى بلدته فتعارفا وتحابا ، وكانا يلتقيان كثيرا فى بعض بلاد الصعيد حيث لا يعرفهما أحد ويتزلان فى الفنادق معا على أنهما شقيقان أو زوجان ، ثم أخبره أن علاقتهما ترجع إلى أكثر من سنتين وقد سئما كامل

ولم تعد لديه رغبة إلا فى التخلص منها ، إذ أنه يريد أن يتزوج بإحدى بنات بلدته . أما هى فلا تزال تحبه ولا تزال تظمره برسائلها الواهية كل يوم وكل أملها أن يتزوجها وهو يسخر من رغبتها ولا يثق فيها ولا يحترمها

ثم أنباء صلاح أن كامل قد حضر إلى القاهرة منذ أربعة أيام وأنه التقى بأمنية أكثر من مرة وقد رجى منه أن يعاونها عند ذوى الأمر على نقلها إلى الاسكندرية لتعيش مع عائلتها . وعندما افترق الصديقان حدد صلاح موعدا يلتقى فيه رأفت وكامل ليتناقشا فى غرامهما المشترك

وتمت المقابلة وعرف رأفت من أمر أمينة ما لم يكن يعرف . إن كامل لم يكن ينشد من وراء صلاته بها إلا اللهو والتسلية ، أما هى فقد بهرها غناه وجاهه وليس لها من غاية إلا تحقيق مطامعها بالزواج منه

وشعر رأفت بقلبه يتحول إلى رماد عندما أطلعه كامل على بعض رسائلها إليه فإذا هى منقولة بأمانة عن رسائله هو إليها ، تلك الرسائل التى كان يعتصرها من قلبه اعتصارا ويضمنها أعماق إحساساته وأقدس عواطفه

وأيقن رأفت أنه كان مغفلا كبيرا وبارخ العاصمة دون أن يرى أمينة أو يودعها وعاد

إلى مقر عمله بذلك الإقليم النائي وهو محطم
النفس حزين القلب مسلوب الأمل يتوزعه
الهم والغليظ والرغبة في الانتقام

وعبثا حاول أن يعزى نفسه أو ينسى
مأساته بل كان يزداد على مر الأيام يأسا
وتبرما بالحياة وسخطا على الناس، وأصبح
عصبى المزاج سىء الطبع كثير الهياج والعراك
لأتفه الأسباب، وتعددت مشاحناته مع
رؤسائه وعوقب أكثر من مرة لإهماله في
عمله، واستحالت البلدة الصغيرة أمام عينه
إلى سجن مظلم. إن الأيام والشهور تمر
كالحة متشابهة لاتأني بجديد

ورأى رأفت قدمه تنزلق إلى مكان
يأنف حتى من التفكير فيه. لقد راح
يبحث عن العزاء المفقود في الخمر والميسر
والعبث، وأعرض عن صرخات ضميره
ولكنه لم يستطع أن يخنقه فقد كان يشعر
أنه يتدهور فيمتلي قلبه ألما وندما، ولكن
ماذا يستطيع أن يفعل والسأم واليأس يكادان
يقتلانه

وضاق به رؤساؤه بعد أن تعددت
التحقيقات معه، وثبت أنه موظف مشاغب
سىء السيرة، وما لبث أن انتهى به الأمر
إلى الفصل

ومرت شهور طويلة لقي فيها رأفت
كثيرا من الهوان والتشرد والعذاب قبل أن

يوفق إلى عمل تافه شاق مرتبه يسد الرمق
وكان عمله الجديد في الاسكندرية... المدينة
التي أنبتت أمينة...

وهناك عاش ليتم قصة تدهوره التي
بدأها في الصعيد، وكبله الفقر بقيوده
الحديدية وحصر حياته وتفكيره وقلبه في
نطاق ضيق ليس إلى تخطى أسواره العالية
من سبيل! وظل شبوح أمينة يلاحقه وبمذبه
ليل نهار

إنه يتوق إلى كل شئ فيها وفي الوقت نفسه
يحقد عليها كل الحقد! ولم تعد لديه أمنية في
الحياة إلا أن تمنحه الأقدار الفرصة لينتقم
منها أبلغ انتقام أو يراها وقد أنزل بها القدر
أقسى وأشد المحن هولا وبشاعة، وكان كلما
فكر فيما جنته عليه ازداد رغبة وتوقا إلى
الانتقام

وعاش منطويا على نفسه، يجتر أحزانه
ويرقب موكب الدنيا والناس بعين الكراهية
والتشاؤم...

... أين الحب الملهم والآمال الكبار؟؟
لقد كانت ذكرياته العزيزة الغالية تومض
أحيانا في رأسه وتهيج مشاعره وإحساساته
فيهوله خموله وتدهوره؛ ولكن عبثا حاول
أن ينتشل نفسه من الهوة التي تردى فيها
أو يطرد الظلام الذي تراكم على قلبه،
وأخيرا نزل على حكم الواقع واستسلم شيئا

سيلقى أمينة يوما ما وينتقم منها . . ولم
تكذب الأيام ظنه فقد ساقها القدر إليه في
أصيل ذلك اليوم الحار
لقد أيقظت رؤيته لها كل ما كان يخزنه
في نفسه من أحاسيس وانفعالات، ومرت
صور حياته كلها أمام عينيه وهو يتجول على
الشاطئ ويستمتع إلى صوت الأمواج وهي
ترتطم بالصخور كأنها أنات جبار مكبل
بالقيود والأغلال

نعم ، إنه سينتقم ويشفي غليله

ولما التقيا للمرة الثانية قادها رأفت إلى
غرفته تحت ستار الظلام ، وكان قد أعد
العدة للأدبة الجسد التي ظل يشتهيها ويحلم بها
منذ سنوات، إنه سيحقق مطمحا عزيزا ظل
يراود خياله طوال السنوات الخمس وفي
الوقت نفسه ينتقم من تلك التي غدرت بقلبه
بأن يغدر بها ويعاملها كإحدى المنبذات
المأجورات ثم يلقي بها في عرض الطريق
وأدركت هي نيته حين لمحت زجاجات
الخمر ، ولهيب الرغبات يتراقص في عينيه . .
ورفضت أن تتناول قطرة واحدة من
الشراب واعتذرت بأن بنيتها لا تتحملها ،
وجلست ترقبه وهو يشرب في شراهة وكل
ملاحه تشي يؤسه ويأسه وانكساره ،
ومرت فترة صمت وهو يشرب وهي تجيل

فشيئا إلى اليأس ولم يعد له من مطمح إلا أن
ينسى الماضي كله بما فيه من آمال وآلام
وجروح ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك
وطيف أمينة لا يغيب عنه والحقد عليها ينمو
في قلبه على مر الأيام ؟

والتمس شفاء نفسه في اللهو والحب
الرخيص بالقدر الذي تتيحه له موارده
الضيقة ، وبذل كل ما يستطيع ليخمد كل
مشاعره وإحساساته التي كانت ترهقه وتثور
عليه وتصمه بالإسفاف والضعة والهوان ،
وعاش ليسخر من نفسه ومن الحياة
وضجيجها الكاذب وما تزخر به من أنواع
الشقاء الذي لا معنى له ولا جدوى، وتساوى
لديه الأشقياء والسعداء، النعمون والمحرومون
. . إنهم جميعا مخدوعون فرض عليهم
الاشتراك في تمثيل مهزلة الحياة واحتمال عسف
القدر وبطشه راضين أو كارهين

ومضت الأيام وهو يحمل على كتفيه عبء
الحياة كارها ساخطا ، ويفكر في الموت
تفكير الراغب المشتاق، ولم تزد تجاربه في
عالم اللهو إلا سخطا واحتقارا للمرأة ، ورسخ
في ذهنه أنها مخلوق غادر ميت الضمير ضائع
الفضيلة، ولا هم لها إلا إرضاء نزواتها وإشباع
شهواتها ! وكان إذا ناسم عن خيانة إحداهن
قال وهو يزفر : كلهن كذلك

وهكذا عاش وظل يعنى نفسه دائما أنه

في الغرفة الحزينة نظرة ألم ؛ إشفاق وأدركت
من هيئة الغرفة ما يعانيه الرجل الذي كان
يعد العدة منذ خمس سنوات فقط للحياة
الطيبة الزاخرة بالآمال الكبار وقالت له
في أسى بالغ :

— رأفت ... إننى لم أكن أتصور ...

فقاطعتها قائلاً : تصورى كل شى
ولا تتحدثى كالصغيرات الساذجات
فسألته : ولكن كيف ترضى لنفسك
كل هذا ؟

ولم يستطع وهو يسمعها تتحدث
كإحدى البريئات أن يكتم ثورة نفسه ، إنها
تتجاهل أنها الشيطان الآثم الذى قوض
دعائم حياته وتتكلم كإحدى القديسات
اللواتى يؤلمهن مرأى الشر فاندفع يقول لها
في حدة :

— بل كيف رضيت أنت كل هذا ...
هل يمكنك أن تنكرى أنك أنت وحدك
السبب فى كل ما أعانى ؟ هل نسيت فأقص
عليك القصة من جديد ؟ لاشك أنك نسيت
ما أوقعته بى وبعشرات من بعدى ، ولكن
ما فائدة نبش الماضى الآن ؟ إننى لا ألومك
على كل حال فالحياة خدعة كبيرة

فقلت : لا يارأفت إنها ليست خدعة كبيرة
فسألها : ماذا تكون إذن ؟ الإخلاص

والوفاء ورعاية المهود ؟

فأجابت : إنها الإخلاص والوفاء
وأطلق رأفت ضحكة ساخرة مجلجلة
وهو يقول :

— متى اكتشفت هذا الاكتشاف

الجديد ؟

فقلت : لا تسخر منى يارأفت وكفانى
ما عانيت ولا تظن أن من السهل أن
أكشف عن جراح قلبى لكل إنسان ألقاه ..
لقد لا قيت فى هذه السنوات الخمس كثيراً
من المحن والمصائب

ومضت أمينة تقص عليه قصة حياتها
بعد أن أبعدت عنه ما تبقى لديه من الخمر
وحالت بينه وبين الإسراف فى الشراب .
إنها لا تنكر أنها كانت غريرة طائشة لعبت
وعبت بكثير من القلوب واستغلت سذاجة
الكثيرين ، ولكن بعد أن كابدت كثيراً ..

إن كل من عرفت من الرجال كان يمينها
أطيب الأمانى ويصب فى أذنها معسول
الحديث فى حين أنه كان لا يزيد على أن يلهو
ويستمتع ، وتعلمت هى منهم أن تلهو وتستمتع ،
وأشرق هو فى أفق حياتها ثم غرب فجأة
عندما قطع صلاته بها بمحض إرادته .. وحتى
ذلك الحين لم تكن قد أدركت أنها ظلمته
وامتهنت عواطفه ... فقد كانت تظنه
واحداً منهم

ومرت بها أشقات من التجارب فى دنيا

وعاشت وحدها في عزلة تكاد تكون تامة ،
وبرغم ذلك لم تسلم من الريب والظنون
وشباك الطامعين المغامرين ، وأدركت في كثير
من المرات أن سيرتها في الأوساط التي تعرفها
لا يرتاح إليها أحد

وبدأت تضيق بحياتها الموحشة ووجدتها
الكئيبة وتأسى على آمالها الضائعة ومستقبلها
الغامض المغم

وكان لا يفزعها إلا التفكير في المستقبل .
هل ستقضى بقية العمر وحدها ؟ هل تغامر
في دنيا الرجال وتصبح أداة رخيصة لتحقيق
مطامعهم ورغباتهم ؟ لا ، لقد سئمت حياة
المغامرات وسئمت التغيير والتبديل وفكرت
كثيرا حتى أضناها الفكر فلم تجد أحلى
من البيت الهادئ الذي يظله السلام
والاستقرار ، وتيقظت في قلبها غرائز الزوجة
والأم وأصبحت تغار من أولئك اللواتي
من الله عليهن بالشريك المخلص الأمين
والنسل الطيب والبيت الهادئ الذي يفيض
أمنًا وسلامًا ، ولكن أنى لها تحقيق آمالها ؟
وعاشت تتلوى تحت سياط الندم والألم
وتحاسب نفسها حسابا عسيرا على ماجنته
يداها ... لقد شربت من نفس الكأس
التي سقت منها الناس

واعترفت له أنها لم تدرك إلى أي حد
جنت على نفسها وأي ثروة غالية بددتها

الرجال ثم تزوجت واستقالت من عملها ...
وبزواجها بدأت الأيام السود إذ لم يكديمض
على زفافها وقت طويل حتى استولى زوجها
على حليها وكل ما تدخر من مال بحجة
استثماره في أعمال كبيرة تدر أرباحا طائلة ،
ولم تلبث أن اكتشفت خديعته وعرفت أنه
أفاق مغامر يقسم وقته بين الخمر والنساء
وموائد الميسر

وبدأ الشقاق بينهما أعنف وأعتى ما يكون
عندما حاول زوجها أن يبيع بعض أثاث
مسكنها وكانت هي تملكه كله ! واستمرت
المشاحنات بينهما فترة من الزمن . ولما أدرك
هو أنه قد سلبها كل ما يمكنه سلبه اختفى
وعبثا حاولت أن تعثر له على أثر

وتزوجت ثانية بعد شهور طويلة من
الأسى والوحدة والحرمان ، ولم يكن زواجها
الثاني بأسعد من الأول . وكان الزوج الجديد
جافا غليظ الطبع وحشى الخلق يحصى عليها
حركاتها وسكناتها ويحاسبها على كل ما يريبه
أشد الحساب ، وكان ضيق الموارد محدود
الكسب ولم تستطع أمينة أن تحتل شظف
العيش وغيره الزوج المتشكك فانفصلت عنه
ولجأت إلى أبيها ولكنه لم يرحب بها كثيرا
واشتد بها السخط على الرجال فصدمت
عن الزواج وراحت تبحث عن عمل جديد
فلما وفقت عادت إلى مسكنها الموحش

بل لم أتخيل مطلقاً أن تقدم أنت عليه . لقد
أنيت لأحدث رأفت الذى عاش فى خيالى
طوال هذه السنوات مثالا للنبل والتعفف .
انتظر منى رسالة . أحدد لك فيها موعد
اللقاء التالى

وتركته وولت هاربة كالغزال النافر
وقضى رأفت عدة ساعات بعد رحيلها
وهو جامد كأنه تمثال من الحجر ولكن
قلبه كان كالبركان الثائر الغاضب . وقضى
بقية الليل فى فراشه دون أن يغمض له
جفن وكان فكره كالقارب الحائر فى عرض
البحر تتقاذفه الأمواج الثائرة المضطربة بين
شواطئ الماضى العاصف والحاضر الطرب
والمستقبل الغامض المجهول ... إن أمينة لم
تعد فى نظره إلا حطام امرأة لم تلجأ إليه
إلا بعد أن فشلت فى حياتها كل الفشل ؛
ومع ذلك فهى ترضى عليه ... ولكن من
الذى دفعه فى طريق الهاوية ؟ من الذى
حطم قلبه وبعثر آماله ؟ أليست هى ؟ ومرة
أخرى قال لنفسه إنه سيحطمها تحطيا ويربح
منها الحياة والأحياء .. ومع ذلك فقد ظل
حائراً قلقاً يفكر فى أمرها تفكيراً يمتزج
فيه الخير والشر ، اليأس والأمل ، القسوة
والإشفاق ، وإن كان قد شعر بقلبه ينتفض
من جديد انتفاضة الحياة ، ورأى زهور
الأمل تنبت وترف على حوافى المجرى الجاف

حين خدعته وعاملته كالباقين ودفعته إلى
الفرار من بين يديها . إنها لم تدرك ذلك إلا
أخيراً وبعد أن نهلت من النل والهوان حتى
ارتوت وعرفت معادن النفوس وتاقت إلى
الحياة المستقرة النظيفة

قصت أمينة قصتها فى صوت يفيض
تأثراً وحرارة وندما ، واستمع رأفت إليها
فى سكون ثم رفع رأسه الذى ظل منكسا
طوال حديثها وقال :

— والآن ؟

وكانت نبرته تفيض مرارة وتشفياً ، ولم
يقت أمينة ذلك ولكنها تجاهلته وقالت
مبتسمة :

— والآن شكراً للقدر الذى جمعنا ثانية ..

فقال وهو يتنهد :

— وما فائدة ذلك ؟

فقلت وهى تلقى عليه نظرة رقيقة عاتبة ؟

— هل فقدت كل أمل فى الحياة ؟

فقال : بل فقدت كل إيمانى بالحياة ..

إننا من الهالكين

وأضاف وهو يقترب منها باسماً

— دعينا من هذا الحديث الآن ..

وخذى الحياة كما هى . كما أفعل أنا

وصدت أمينة كل محاولاته للاقترب

منها ، وانتصبت واقفة وهى تقول :

لا لا يارأفت .. إننى لم آت لمثل هذا

الذى تدفقت فيه منذ أعوام عواطفهما
وأمانيهما المشتركة

وظل في حيرته حتى وصلته منها رسالة
تقول فيها « أنتم الرجال تظلموننا كثيرا
حتى تهمونا بالفجور والغدر والخيانة
وتقلب الأهواء ، ولو أنهمتمونا بالضعف
والجهل وقلة الحيلة لسكنتم أقرب إلى
الحق والواقع

أنتم — وأنا لا أعنيك انت شخصا
ولو كنت أعنيك لما كتبت لك هذا
الكتاب — تشاركوننا في الجرم منذ اللحظة
الأولى وفي الغنى حتى اللحظة الأخيرة ،
تمهدون لنا الطريق وتحرضوننا على سلوكه
في أول لحظة تبدو فيها من أى واحدة منا
بارقة رضا وتغالون بغيتكم ثم تذهبون إلى
غير عودة مخلفين لنا الندم والألم والذل
والهوان ...

لماذا بالله ؟ ألم تسأل نفسك هذا السؤال ؟
أنت الرقيق القلب العطوف الذى يفهم معنى
الصفاء والإخلاص . لاشك أنك فعلت ،
كيف أجبت نفسك إذن ؟ إذا كنت قد أجبتها
إجابة صادقة صريحة ترضى الله والناس
فلاشك أنك ستغفر لى ما اقترفت فى حقك
من إثم . لقد كنت ضالة ولم يكن الذنب
ذنبى ، وسبحان الذى لا يضل ولا يخطئ
والذى يقبل التوبة

إن التى تكتب إليك امرأة لم تلق فى
حياتها ناصحا أو شفيقا ، ولم تجد من العناية
والتوجيه ما يفتح عينيها على حقائق الحياة
بل ما يسلمها إلى الطيش والحماسة . . امرأة لم
يعلمها إلا الألم وحده ولم تفتح عينيها إلا
التجارب المرة القاسية ، فأستحلفك بالله
ألا تسمينى خائنة بل قل إننى كنت جاهلة
أو طائشة . لقد غرر بى الرجال ودفعوا بى
فى الطريق الشائك الوعر وخدعوني مرات
ومنهم تعلمت اللهو والخداع . لقد عشت
حياتى كلها فى الظلام وكنت أنت الكوكب
الوحيد الذى أشرق فى أفق حياتى ثم غاب
قبل أن أفطن إليه ، فلما فطنت وأدركت
تقت إلى النور وإليك إذ لم يكن هناك من
يستطيع أن يبدد ظلام قلبى ويهدينى إلى النور
إلا أنت . استقت إليك كما يشاق الأعمى إلى
الإبصار ، وتذكرت مسلكى معك فندمت
وتألمت وعرفت أننى كنت ضالة . لقد أحبتك
رغم إرادتى فى الوقت الذى انصرفت عنى
لأنك أنت وحدك علمتنى قدسية الحب
وفتحت قلبى للمرة الأولى وملأته عواطف
حية صادقة وعلمتنى مالم أكن أعلم ، ولولاك
لمشت مؤمنة أن اللهو والنش والخداع هو
الحب ولبقيت قانمة بحياتى التافهة الكدرة ،
ولسكنى أعيش الآن معذبة لأننى أدرك
ما هو الحب ولا أستطيع الحصول عليه ...

والفضل لك أو الذنب ذنبك

وقد مرت بي عشرات التجارب بعد أن جافيتني ، وكانت كل تجربة تذكرني بك من جديد وتزيدني حبا واحتراما لك وتقديسا لمبادئك، وظل كل أمل أن أعثر عليك يوما لأبكي بين يديك ندما وأسفاً، فلم تغلق أبواب قلبك في وجهي أيها العزيز ؟ إنني الآن امرأة صهرتها وطهرتها التجارب ولا تمت إلى ماضيها بصلة ، وكلانا ما زال في ربيع شبابه فلا تيأس ولا تتشاءم »

وحددت في رسالتها مكانا وموعدا للقاء قريب

والتقيا في بقعة هادئة من الشاطئ ، وفي هذه المرة انهارت مقاومة رأفت تماما وأخذ يقص عليها كل ما حدث له منذ اللحظة التي قرر فيها أن يقاطعها ، ورغبته الطاغية في الانتقام والتشفى منها ، واستمعت هي صامتة ووجهها ينطق بما تحس من ألم وندم.. وبعد أن فرغ من حديثه أخذت هي تقص عليه ما لاقت في دنيا الرجال من محن ومآس خسرت فيها كل شيء ولم تكسب إلا العبرة والدرس، وكيف تبدلت أفكارها وغاياتها، وشرحت له ظروف حياتها الحاضرة ودلت له أنها تستطيع أن تعيش عيشة المرأة المغامرة والمستهترة ولكنها لا تريد ... إنها تطمع في لون آخر من الحياة البسيطة يتوفر

فيه الهناء الساذج والرضاء والسلام فلم لا يشاركها هذه الحياة المرجوة ؟

وظلا يتعاطبان ويتشاوران حتى تقدم الليل . إنها تدرك تماما ما يعانيه من عسر وفاقة ولكنها ستشاركه جهاد الحياة . إنها ستظل تؤدي عملها وتضيف إيرادها إلى إيراده وسينتقل هو إلى مسكنها الكامل الأثاث ليعيشا معا في ظل زواج موفق هنيء . إنها ستمنحه دفء قلبها وإخلاصها كل حياتها وفي الوقت نفسه يبحث هو عن عمل جديد يتفق مع كفايته ومستواه

ولم يكد رأفت يصدق وهو يستمع إلى حديثها أنها هي نفس الفتاة التي خدعته وأسلمته إلى طريق الانحدار وظلت طوال السنين هدفا لسخطه واحتقاره في حين كان هو مطمح أشواقها وموضع اعزازها وإكبارها، وأحس أنها ليست حطام امرأة كما قال لنفسه عندما قصت عليه قصتها ، وتاق إلى أن يكفر عن نياته السيئة التي ظل يخترنها في قلبه ويغذيها من حقه عدة سنوات

وافترقا في تلك الليلة بعد أن اتفقا . وكان رأفت يشعر وهو يشد على يدها في حرارة أنه إنسان جديد تجرى في عروقه دماء جديدة تمدّه بالنشاط والحيوية والعزم والآمال الكبار؛ وخيل إليه أن كل ما قاساه من آلام وهوان لم يكن إلا حلما مزعجا بين

المربى

للطبيب المصري سيفان زقاني
يقلم الأستاذ علي أدهم

لم يكن بالحجرة سوى الفتاتين ، وقد
أطفئت الأنوار وخيم الظلام سوى بصيص
من الضوء كان ينبعث من الفراشين .
وهدأت أنفاس الفتاتين حتى كان يظن
أنهما نائمتان
وسرى همس متعثر رقيق من أحد
الفراشين ، وكان المتحدث هو الفتاة التي
بلغت الثانية عشرة
فسألتها أختها التي كانت تكبرها
بسنة قائلة « ماذا تقولين ؟ »
قالت : إني جد مسرورة لأنك لا تزالين
مستيقظة فإن لدى ما أود أن أقوله لك
ولم يكن هناك جواب بالألفاظ ، وإنما
سمع هفيف من الفراش الآخر ، وكانت
الفتاة الكبرى قد جلست منتظرة وعيناها
تتألقان في الضوء الواهن
قالت الصغرى : انظري هنا فهذا ما أريد أن
أخبرك به ولكن قبل كل شيء هل لحظت أخيرا

يقظتين هنيئتين
وكان يفكر في حياته طوال السنوات
الخمس الماضية وما انحدر إليه من تدهور
وإسفاف فيحس كأنه يفكر في أمر شخص
غريب لا يكاد يمت إليه إلا بأوهى الصلات ،
وانصرف تفكيره كله إلى المستقبل الذي
يريد أن يحقق في أيامه ما يعوضه من
الماضي الضائع
والتقيا بعد ذلك مرات وكان يحدثها
في بساطته القديمة المحببة عما يأمل ويتمنى
فتجيبه بأن أمانيه وآماله هي ما يخفق به
قلبا وتحلم به ليل نهار
وتزوجا بعد أمد قصير ...
وبرت أمينة بوعدا وعهودها ، وتعاونتا
على الحياة الطيبة وعاشا معا كطفلين
ساذجين فرحين بالحياة ، واستطاع رأفت أن
يجد عملا جديدا مربحا ومربحا ، وما لبثت
أمينة أن استقالت من عملها لتتوفر على
شؤون منزلها ، وبعد عام من زواجهما رزقا
فتاة أطلقا عليها الاسم الذي طاف بخيال
أمينة منذ أن شعرت بأعراض الحمل وهو
« إنصاف » نصرى عطا الله

شيئا يثير الضحك في سلوك الآنسة مان ؟
 فقالت الكبرى بعد قليل من الصمت
 « نعم لقد لحظت شيئا ، ولكنى لا أدري
 ما هو ، فهى أقل تدقيقا مما كانت ، فند
 يومين وأنا لا أؤدى التمرينات المطلوبة ، ومع
 ذلك لم توجه لى أى لوم . ولست أدري ماذا
 حدث ، ولكنها فيما يبدو أصبحت لا تعنى
 بنا ، فهى تقعد منفردة بنفسها ولا تشاركنا
 فى ألعابنا كما كانت تفعل من قبل

فأجابت الصغرى : أحسبها حزينة ، وهى
 تحاول إخفاء حزنها ، وهى لا تعزف على
 البيان الآن »

ومرت فترة سكوت ، واستأنفت بعدها
 الفتاة الكبرى الحديث قائلة « لقد ذكرت
 أن لديك شيئا تودين أن تفضى إلى به »
 فقالت الصغرى : نعم ، ولكن عليك
 أن تحتفظى به لنفسك ولا تقولى عنه كلمة
 واحدة لوالدتنا أو لصديقتك لوى »

فأجابت الكبرى فى غضب « إنى
 بطبيعة الحال لا أفعل ذلك ، فاسترسلى فى
 حديثك

قالت الصغرى :

« بعد أن أويئنا إلى الفراش أدركت فجأة
 أنى لم أقل للآنسة مان عى مساء ، ولم أتردد
 فى لبس حذائى واسترقت الخطى إلى حجرتها
 قاصدة مفاجأتها ، ولذا فتحت الباب بهدوء

وظننت لحظة أنها غير موجودة بالحجرة ،
 ورغم ضوء الحجرة لم أستطع رؤيتها ، وفجأة
 تملكتنى الدهشة ، فقد سمعت نحييا ورأيتها
 راقدة فوق فراشها بملابسها وقد أخفت
 رأسها بين الوسائد ، وكانت تبكى بكاء
 شديدا جعلنى أستشعر الألم ، ولكنها
 لم تلاحظنى ، وتسالت من الحجرة وأقفلت
 الباب برفق وهون ولبثت لحظة فى خارج
 الحجرة لأنى كدت أعجز عن المشى ، وظللت
 أسمع نحيبها من خلال الباب ، ثم عدت أدراجى »
 ثم لاذت الفتاتان بالصمت لحظة ، ثم قالت
 الكبرى متنهدة « يالها من مسكينة ! »

وعادتا كلتاها إلى الصمت

وواصلت الصغرى الحديث قائلة : « إنى
 فى دهشة من أمرها ولست أدري ما الذى
 أبكأها ، ولم تحدث مشاجرة أخيرا لأن
 الوالدة قد كفت عن تعنيفها كما كانت تفعل
 دائما ، وإنى واثقة من أننا لم نتعبها فإ
 سبب بكائها ؟ »

فقالت الكبرى « أحسبى أستطيع أن
 أحزر ذلك »

فقالت الصغرى :

حسن ، اذكرى ما عندك إذا !
 فترثت الكبرى فى الرد ، ولكنها قالت
 أخيرا « أعتقد أنها تحب »
 ففزعت الفتاة الصغرى وقالت « تحب ؟

النوم « يالها من مسكينة هذه الأنسة مان ! »
وانتهى حديثهما في تلك الليلة

ولم تشيرا إلى هذا الحديث في الصباح ،
ولكن كل واحدة منهما كانت تعلم أن
أفكار الأخرى كثيرة الدوران حول هذا
الموضوع ، ولم تعتمد إحداها النظر في عين
الأخرى لتستوضح ذلك ، ولكنهما كانتا
تبادلان النظرات حينما تقع عيناها على المربية ،
وكانتا على الطعام تراقبان ابن عمهما أوتو كأنه
شخص غريب ، ولم توجهها إليه حديثاً ،
ولكنهما كانتا تحتلسان النظر إليه وتحاولان
أن تكشفاه هل هناك تفاهم خفي بينه وبين
الآنسة مان . ولم تحفلا بأسباب التسلية
لأنهما كانتا لا تفكران في شيء سوى هذا
الغزالهام . وفي المساء سألت إحداها
الأخرى وهي تحاول أن تتظاهر بعدم
الاكتراث :

« ألم تلاحظي شيئاً جديداً اليوم ؟ »

فأجابت أختها « باختصار » كلا »

والواقع أنهما كانتا تخشيان الخوض في
الموضوع . وظل الحال على هذا المنوال عدة
أيام ، وكانت الفتاتان لا تكفان عن الملاحظة
في صمت وقد استولى عليهما القلق وانشغال
البال . ولكنهما كانتا تشعران بأنهما
قريبتان من كشف سر عجيب

وأخيراً لحظت الفتاة الصغرى في أثناء

فأجابت الكبرى : « بطبيعة الحال
أقصد ، ! وهو يحبها . ففي خلال السنوات
الثلاث التي قضاها معنا لم يشاركنا في زهتنا
إلا منذ شهرين أو ثلاثة أشهر ، والآن
لا يفوته أن يصحبنا يوماً من الأيام ، وهو
لم يكذبنا إلا بعد قدوم الآنسة مان ،
وهو الآن ما ينفك يحوم حولنا ، وفي كل
مرة نخرج نصادفه في الميدان أو في الحدائق
أو في أي مكان آخر تصحبنا إليه الآنسة
مان ، وأنا واثقة أنك لحظت ذلك ؟ »

فأجابت الصغرى « نعم ، لحظته بالضرورة
ولكنني ظننت ... »

ولم تتم جملتها

فقلت أختها : أه إني لم أشأ أن أشغل بالي
بالموضوع في أول الأمر ، ولكنني بعد حين
تأكدت أنه يتخذنا سبباً »

وسادت صمت طويل أخذت الفتاتان تقلبان
فيه الأمر على وجوهه ، وكانت الصغرى هي
التي بدأت بالخروج من الصمت وعادت
الحديث قائلة :

« ولكن إذا كان الأمر كذلك فلم
تبكي ؟ إنه مستهام بها ، وأنا دائماً أظن أنه
يما يسر الإنسان أن يكون محبوباً »

فقلت الكبرى في لين ورقة : « إني
أرى ذلك ، ولا أستطيع أن أتبين الأمر »
ثم أرسلت هذه الكلمات في نبرة يخالطها

العشاء أن المربية أشارت إلى أوتو إشارة لا يكاد يدركها أحد ، وأنه أحنى رأسه ردا على هذه الإشارة ، فانتفضت من الانفعال وركلت أختها ركلة خفيفة تحت غطاء المائدة ، فنظرت الكبرى إليها مستفسرة فردت عليها بنظرة ذات معنى . وظلت الفتاتان على أحر من الجمر حتى انتهى تناول الطعام ، وفي عقب انتهائه قالت المربية للفتاتين :

« اذهبا إلى حجرة الدراسة وابحثا عن عمل تؤديانه فأني أشعر بصداق وسأستلقي على الفراش نصف ساعة

وفي اللحظة التي وجدت الفتاتان أنهما في عزلة انفجرت الصغرى قائلة : « سترين إن أوتو ذاهب إلى غرفتها ! »

فقالت الكبرى « بالطبع ، ومن أجل ذلك أرسلتنا إلى هنا »

فقالت أختها : « علينا أن نسمع خارج الباب »

فأجابت الكبرى « ولكن افرضي أن أحداً ييجي ... »

فسألها أختها « من ؟ »

فأجابتها قائلة : « الوالدة »

فقالت الصغرى متفزعة « سيكون ذلك أمراً فظيماً »

فأشارت أختها قائلة « راقبي الممر وأنا

أسمع »
فأظهرت الصغرى استياءها وقالت :
« ولكنك في هذه الحالة لا تذكرين لي كل شيء »

فقالت أختها « لا تخافي »

فقالت الصغرى : « أنت جادة ؟ »
فقالت الكبرى : « أقسم لك أني جادة وعليك أن تسعلي إذا سمعت صوت قادم وانتظرتا في الممر وقلباها بخفقتان من

الانفعال ، فماذا حدث ؟ سممتا وقع أقدام فانسلتا إلى حجرة الدراسة المظلمة ، وقد كان القادم أوتو نفسه ، وقد قصد حجرة الأنسة مان وأغلق الباب من ورائه . وانطلقت الفتاة الكبرى إلى الموضع الذي اختارته وتسمعت من ثقب الباب وهي لا تكاد تجترئ على التنفس . وأخذت الأخرى تنظر إليها نظرات تتم على الحسد ، ودفعها حب الاستطلاع إلى المضي حثيثا نحو الباب ؛ ولكن أختها تصدت لها وأشارت إليها في غضب لترجع إلى مكانها وتراقب في آخر الممر . وظلتا منتظرتين بضع دقائق بدت للفتاة الصغرى كأنها الأبدية . وكانت تشعر بحمى القلق يتمشى في بدنها وكأنها كانت واقفة على مثل جمر الغضى . وبصغوبة استطاعت أن تكف غرب دموعها لأن أختها كانت تسمع كل شيء ، وأخيراً سمعت

صوتاً فاستولى عليها الخوف وسعلت؛ وهربت الفتاتان إلى حجرة الدراسة . ومرت لحظة قبل أن يواتيهما النفس لتتحدثا ، وقالت الصغرى غاضبة :

« حدثيني إذن عن كل ما حدث »

فبدت علائم الحيرة على وجه الفتاة الكبرى وقالت كأنها تخاطب نفسها :

« إني لا أفهم »

فقالت الصغرى : « ماذا ؟ »

فأجابتها أختها « إنه شئ يتجاوز المألوف »

فقالت الصغرى غاضبة : « ماذا ؟ ماذا ؟ »

فبدلت الكبرى مجهوداً وهي تقول :

« لقد كان شيئاً يتجاوز المألوف ويختلف

كل الاختلاف عما كنت أتوقعه ، وأظن

أنه حينما دخل الحجرة أراد أن يطوقها

بذراعيه أو أن يقبلها لأنها قالت له : دع

ذلك الآن لأن لدى شيئاً خطيراً أريد أن

أخبرك به . ولم أستطع أن أرى شيئاً لأن

المفتاح كان معترضا ، ولكنني كنت أستطيع

السمع جيدا ، وسألها أوتو في زبرة لم أسمعها

منه قط قبل ذلك قائلاً : ما الخبر ؟ وأنت

يا أختي تعرفين كيف يتجذث في العبادة

بصوت عال وفي قحة ، ولكنني واثقة من

أنه كان خائفاً ، ولا بد أنها لاحظت أنه

يخدعها لأن كل ما قالته هو : أظن أنك

تغفري ما فيه السكفالية ؟ فقال : أبداً . فقالت

في صوت حزين : إذا كان الأمر كذلك

فلماذا تناءيت عني ؟ ففي خلال أسبوع لم

أكد أسمع منك كلمة ، وأراك تتجنبني

جهد طاقتك ، وقد ابتعدت عن الفتاتين

وأمسكت عن لقائنا في الحديقة ، فهل

نبذت فجأة الاهتمام بي والعناية بأمرى ؟ آه

إنك تعلم جيداً لماذا تتراجع إلى الوراء هكذا ...

فظل صامتاً لحظة ثم قال : إنك لا ريب

تعرفين اقتراب ميعاد الامتحان ، وليس

لدى وقت أضيعه ، فإذا أستطيع أن أفعل ؟

وأخذت تبكي وقالت له في رقة وهي تنسج :

قل الحق يا أوتو ؛ ما الذي صنعت حتى تعاملني

هذه المعاملة ؟ إني لم أطالبك بشيء ، ولكن

يلزم أن تتحدث في صراحة ، وملاحظك

تظهر لي بوضوح أنك تعلم كل شيء

عن ... »

وأخذت الفتاة تنتفض ولم تستطع أن

تم جملتها

فاقتربت منها أختها وسألتها :

كل شيء عماذا ؟

فقالت : كل شيء عن الطفل !

فقاطعتها الصغرى قائلة : طفلهما ! طفل !

هذا مستحيل

فقالت الكبرى : هذا ما قالته

فقالت أختها : لا يمكن أن تكوني قد

أحسنست السمع

فأجابت الكبرى : ولكنى سمعت جيداً ،
وإني متأكدة مما سمعت ، وقد أعاد
هو قائلاً « طفلنا » وبعد هنيهة استرسلت
تقول : وماذا نصنع الآن ؟ وحينئذ ...

قالت الصغرى : وحينئذ ماذا ؟
فأجابت أختها : حينئذ سعلت فابتعدت
عن الباب

فارتبكت الصغرى ارتبا كاشديداً ،
والتبس عليها الأمر ثم قالت :
ولكن لا يمكن أن يكون لها طفل ،
وأين يكون هذا الطفل ؟

فقالت أختها : لا أعرف شيئاً عن هذا
الموضوع أكثر مما تعرفين

فقالت الصغرى : ربما كان هذا الطفل
في منزلها ، ووالدتنا بطبيعة الحال لا تسمح
لها بإحضاره إلى هنا ، ولا بد أن هذا هو
سبب حزنها

وأجابت الكبرى : آه . هذا كلام فارغ
إنها لم تعرف أوتو إذن !

وذهب بهما التفكير كل مذهب ،
وعادت الصغرى تقول : طفل ! هذا أمر
مستحيل . كيف يمكن أن يكون لها طفل ؟
إنها غير متزوجة ، ولا أطفال لغير المتزوجين
فقالت أختها : ربما كانت متزوجة

وردت الصغرى قائلة : لا تكونى غبية ،
إنها لم تتزوج أوتو

فقالت الكبرى : حسن ، إذن ... ؟
وأخذت كل منهما تحديق في الأخرى
وقالت إحداهن في حزن : إنها مسكينة
آنستنا مان

وكان يبدو دائماً أنهما تعودان إلى تريد
هذه الكلمة ، وكأنها كانت تأوه عطف ،
ولكن شعلة الاستطلاع كانت تعود بعد
ذلك إلى التوهج

وقالت الصغرى : أتظننها بنتاً أو ابناً ؟
وأجابتها أختها : كيف أستطيع علم ذلك .
فقالت الصغرى : وماذا تقولين إذا سألتها
عن ذلك في تلفظ ولباقة ؟

فزجرتها أختها قائلة : أوه ! التزى
الصمت !

فسألت الصغرى : ولم ذلك ؟ إنها تعاملنا
بكثير من الرعاية والعناية

فقالت أختها : وما فائدة ذلك ؟ إنهم
يخفون عنا أمثال هذه الأشياء ، وإذا
تحدثوا عنها وجئنا إلى الحجرة ، فإنهم
يمسكون عن الحديث ويشرعون في التكلم
منعنا بكلام فارغ كأننا لا نزال أطفالاً ، وذلك
بالرغم من أنني في الثالثة عشرة من عمري ،
فما فائدة سؤالها لتخدعنا وتكذبنا ؟

فقالت الصغرى : ولكنى أريد أن
أعرف

فأجابتها أختها : وأنا كذلك ثواقفة إلى

المعرفة، والذي يضايقني هو أن أوتو ادعى أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك، وحينما يكون للانسان طفل لا بد له أن يعلم ذلك، كما لا بد له أن يعلم أن له أباً وأماً

فقلت الصغرى: أوه! إنه كان يدعى ذلك، ومن عادته الكذب!

فأجابت الكبرى: ولكنه لا يكذب في مثل هذه الأمور إلا حينما يريد معاكستنا واعترض حديثهما بحجى المربية.

وتظاهرتا بالحد في العمل، ولم يغب عنهما ملاحظة احمرار جفניה وما دل عليه صوتها من جيشان الماطفة، وجلستا في هدوء وصمت وكانتا تنظران إليها نظرات احترام.

ولم تكفا عن التفكير في أن لها طفلاً وأنها حزينة من أجل ذلك، وبغته ألم بهما الحزن

وعند تناول الغداء في اليوم التالى علمتا بهذه الأنباء المزعجة، وهى أن أوتو سيخادر المنزل، فقد أخبر عمه أن عليه أن يبذل جهداً كبيراً قبيل الدخول في الامتحان، وأنه لا يجد في المنزل الهدوء الكافى لذلك، وأنه سيقم في مسكن غير هذا مدة الشهرين القادمين

وأثار ذلك مشاعر الفتاتين، وأدركتا أن لرحيل ابن عمهما لونا من ألوان الصلة بمحدث اليوم السالف، وعرفتا بالفرصة أن

هذا الرخيل هو فرار الجبان. ولما جاء أوتو ليودعهما لقي منهما إعراضاً ونجماً، وبرغم ذلك راقبتا توديعه للآنسة مان، وقد صاحته في هدوء ولكن شفيتها اختلجتا

وبدّل ذلك من أحوال الفتاتين في تلك الأيام، فقد قل ضحكهما، وأصبحتا لا تستشعران السرور في شيء، وبدأ عليهما الحزن، وكانتا تنتقلان في أرجاء المنزل وقد احتواها القلق، وغلب عليهما سوء الظن بمن كان حولهما من الكبار، واعتقدتا أن وراء أبسط الكلمات التى تسمعاها خدعة وأنها تنطوى على أ كذوبة، وكانتا في رقابتهما الدائمة كالظلال الخاطفة تتسلمان خلف الأبواب وتحاولان النفاذ من الشبكة التى تحجب عنهما السر الخفى أو على الأقل أن تظفرا خلال خيوطها بنظرة إلى عالم الواقع، وقد فقدتا يقين الطفولة وغفلتها القانعة، وعلاوة على ذلك فقد كانتا على الدوام تنتظران كشفاً جديداً وتحشيان أن يفوتهما ذلك، وقد علمتا المخادعة نجو الخداع والغش الذى كانتا تعيشان فيه، وكانتا كلما اقترب منهما والداها تظاهرتا بالانهماك في العمل، وزاد ما بينهما قرباً تحالفهما على مقاومة عالم الكبار، وكانتا حينما يغلبهما شعورها بالجهل والمعجز يتبعهما دافع حب اللطافة والملاينة

المعرفة، والذي يضايقني هو أن أوتو ادعى أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك، وحينما يكون للانسان طفل لا بد له أن يعلم ذلك، كما لا بد له أن يعلم أن له أباً وأماً

فقلت الصغرى: أوه! إنه كان يدعى ذلك، ومن عادته الكذب!

فأجابت الكبرى: ولكنه لا يكذب في مثل هذه الأمور إلا حينما يريد معاكستنا واعترض حديثهما بحجى المربية.

وتظاهرتا بالحد في العمل، ولم يغب عنهما ملاحظة احمرار جفניה وما دل عليه صوتها من جيشان الماطفة، وجلستا في هدوء وصمت وكانتا تنظران إليها نظرات احترام.

ولم تكفا عن التفكير في أن لها طفلاً وأنها حزينة من أجل ذلك، وبغته ألم بهما الحزن

وعند تناول الغداء في اليوم التالى علمتا بهذه الأنباء المزعجة، وهى أن أوتو سيخادر المنزل، فقد أخبر عمه أن عليه أن يبذل جهداً كبيراً قبيل الدخول في الامتحان، وأنه لا يجد في المنزل الهدوء الكافى لذلك، وأنه سيقم في مسكن غير هذا مدة الشهرين القادمين

وأثار ذلك مشاعر الفتاتين، وأدركتا أن لرحيل ابن عمهما لونا من ألوان الصلة بمحدث اليوم السالف، وعرفتا بالفرصة أن

ويجعلهما تتعاقبان . وفي بعض الأحيان كانت تنهل دموعهما . وهكذا انتقلت حياتهما إلى مرحلة خطيرة بدون سبب ظاهر وبين متاعبهما الكثيرة كان هناك شيء أسوأ وقعاً في نفسيهما من كل شيء آخر ، وهدهما لباقيهما دون أن تتبادلا الأفكار إلى عقدهما العزم على أن تجنبنا الأنسة مان المتاعب جهد الطاقة لما تعانيه من حزن ، فجدتا في التحصيل وتعاونتا في الدروس والتزمنا الهدوء وأحسنا التصرف وحاولتا أن تسبقا الأنسة مان إلى رغباتها ، ولكن كان يبدو لهما أن المربية لم تلاحظ ذلك ، وكان هذا أشد ما يثير ألمهما : ولقد كانت غير مكترثة ، وحينما كانت تخاطبها إحداها كانت تجفل كالذي استطير نومه ، وكان يبدو أن نظرتها لا ترتد إليهما إلا بعد أن تسير مسافات شاسعة ، وكانت تقضى ساعات وهي جالسة ساجدة في الأحلام ، وكانت الفتاتان تسيران على أطراف أصابعهما خشية إزعاجها لأنهما كانتا تتخيلانها مفكرة في طفلها الغائب ، وقد جعلتهما أنوثتهما المستيقظة أشد عطفاً مما كانتا قبل على المربية التي ألانت لهما كنفها في تلك الآونة . والأنسة مان التي كانت دائماً المرح والتي كانت في بعض الأحيان يغلب عليها القليل من الصلف قد أصبحت أكثر تفكيراً

وأشد رعاية وتبصراً . وشعرت الفتاتان بأن أعمالها كلها تنم على حزن خفي ، ولم تبصراها بأكية ولكن جفونها كانت قريحة ، وكان من الواضح أنها تريد أن تحتفظ بمتاعبها فلا تقضى بها إلى أحد ، وكان يحزنهما ويحزن في نفسيهما عجزهما عن مساعدتها

وفي ذات يوم اتجهت المربية نحو النافذة لتمسح دموع عينها فتشجعت الفتاة الصغرى وأمسكت بيدها قائلة « إنك جدد محزونة يا مس مان ، وليس هناك خطأ من ناحيتنا فهل الأمر كذلك ؟ »

فنظرت الأنسة مان إلى الفتاة نظرة عطف وربت على شعرها وقالت :

« كلا يا عزيزتي فليس هناك أي خطأ

من ناحيتك » وقبلت الفتاة في جبينها

وهكذا واصلت الفتاتان الرقابة ، ودخلت إحداها حجرة الجلوس على غير انتظار وسمعت كلمة أو كلمتين لم تقصد أن تسمعهما ، وغير والداها موضوع الحديث ؛ ولكنها كانت قد سمعت ما يكفي لجعلها تفكر .

كانت الوالدة تقول « نعم لقد استرعى نظري نفس الشيء وسأحدث إليها في ذلك » وفي أول الأمر وضعت الفتاة الصغرى القلنسوة على رأسها وانطلقت لتستشير أختها فقالت

« حول ماذا تظنين هذه الضجة المثارة ؟ »

ولكنهما لحظتا عند الغداء كيف كان والدهما ووالدتهما يوجهان النظرات الفاحصة إلى المربية ، وكيف كانا بعد ذلك يتبادلان النظرات ذوات المعاني ، وبعد الغداء قالت الوالدة للآنسة مان :

« هل تسمحين بالحضور إلى حجرتي ؟
إني أود أن أتحدث إليك »

فاهتاج ذلك الفتاتين لتوقعهما . حدوث شيء ، وقد ألفتا استراق السمع وصارتا لا تخجلان منه ، وكان مناط تفكيرهما هو علم ما خبي عنهما ، وبادرتا إلى الوقوف خلف الباب بعد دخول الآنسة مان مباشرة وتسمعنا ، ولكنهما لم تسمعا سوى همسات من المحادثة ، فهل يظلان في جهلهما ؟ ولكن لم يلبث أن ارتفع أحد الصوتين ، وقالت الأم غاضبة :

« أتخسبن أننا كلنا عميا لا نلاحظ حالتك ؟ إن هذا يلقي ضوءاً على تصورك لواجباتك كمربية ، وإني أرتجف كلما فكرت في أنني عهدت بتربية بناتي لثل هاتين اليدين ، ولا نزاع في أنك أهملتهما إهمالاً شنيعاً »

وبدا أن المربية اعترضت على ذلك ولكنها كانت تتحدث في هدوء فلم تستطع الفتاتان سماع حديثها

وقالت أمهما « تكلمي ، تكلمي !

كل امرأة خليعة تجد أعذاراً ، وامرأة مثلك تقدم نفسها لأول قادم دون أن تفكر في العواقب ، والله يعين ! ومن الكبار أن تصير فاجرة مثلك مربية ، وما أحسبك تخدعين نفسك فتحسبي أنني أسمح بإقامتك في المنزل بعد ذلك ؟ »

فارتجفت الفتاتان وهما تصفيان ، ولم تستطعا أن تفهما فهماً كاملاً ، ولكن اللهجة التي كانت تتحدث بها أمهما بدت لهما فظيعة مستنكرة ، وكان جواب الآنسة مان البكاء والتشنج ، فأنحدرت الدموع من عيون الفتاتين ، وازداد غضب الأم حدة وتأججا فقالت :

« أكل ما تستطيعينه هو البكاء والنحيب ! إن دموعك لا تؤثر في ، وليس في نفسي شيء من العطف على أمثالك ، وليس من شأنى أن أعنى بما سيصيبك وأنت ، من غير شك تعرفين أين تلتجئين المساعدة فهذا شأنك الخاص ، وكل ما أعلمه هو أنك لن تمكثي في منزلي يوماً آخر . »

وكان البكاء والنحيب لا يزالان جواب الآنسة مان الوحيد ، ولم تسمعا من قبل انتخاباً على هذه الطريقة . وكان شعورهما يوحى إليهما أن من يبكي مثل هذا البكاء المر لا يمكن أن يكون مذنباً ، وانتظرت والدتهما قليلاً في صمت ثم قالت بحدة :

« هذا هو كل ما أريد أن أقواه لك ،
فاجمى متاعك بعد ظهر اليوم واحضري إلى
في صباح الغد لتأخذى مرتبك ، وتستطيعين
الآن أن تنصرفي . »

وفرت الفتاتان إلى حجرتيهما ، فماذا
يمكن أن يكون قد حدث ؟ وما معنى هذه
العاصفة المفاجئة ؟ وفي هذه الغمة المظلمة من
أمرهما أخذ يتبين لهما ضوء الحقيقة واهياً ،
ولأول مرة كان شعورها شعور الثائر على
والديهما .

قالت الكبرى « ألم يكن من القسوة
البالغة أن تخاطبها والدتي بمثل هذا الأسلوب ؟ »
وأخاف هذا النقد الصريح الفتاة الصغرى
بعض الخوف فقالت متعثرة :

« ولكن ... ولكن ... نحن لا نعرف
ما صنعت . »

فقلت الكبرى « إني واثقة من أنه
لم يقع خطأ ، والآنسة مان لا يمكن أن
تخطيء ، والوالدة لا تعرفها كما نعرفها نحن »
فقلت الصغرى « ألم تكن طريقتهما في
البكاء فظيمة ؟ لقد تركت في نفسي شعوراً
سيئاً . »

فقلت الكبرى : « نعم كانت فظيمة ،
ولكن الأسلوب الذي كانت تصيح به
والدتي كان مستنكراً معيياً ! »

ودقت الأرض برجليها وفاضت الدموع

من عينيها .

وفي هذه اللحظة جاءت الآنسة مان وقد
بدا عليها الإعياء وخاطبتها قائلة : لدى
أعمال كثيرة بعد ظهر اليوم ، وإني أعرف
أنكما ستحسنان السلوك إذا تركتكما
لنفسيكما ، وسنمضي المساء معا .

واستدارت وغادرت الحجرة دون أن
تلاحظ نظرات الفتاتين البائسة .

وقالت الكبرى لأختها : أرأيت احمرار
جفنيها ؟ إني لا أفهم لماذا قست عليها
والدتي كل هذه القسوة ؟

وأجابت الصغرى : مسكينة آنسنا
مان !

وهكذا عاد التحسر لحالة الآنسة مان في
صوت يعترضه تدفق الدموع ، وجاءت
الوالدة لتسألها أريدان أن يذهبا معها للتنزه
فأجابتا : لا نريد اليوم يا والدتنا .

والواقع أنهما كانتا خائفتين من والديهما
وكانتا غاضبتين لأنها لم يخبرهما بأنها ستطرد
الآنسة مان ، وكان الأنسب لحالتهما النفسية
تركهما لتخلوا بنفسيهما ، وكانتا تضطربان
في نواحي الحجرة كالعصافير الحبيسة في
القفس وقد ضربهما بأنيابه ووطأها بمنسمة
جو الزيف والصمت ، وأرادتا أن تعرفا هل
تستطيعان أن تذهبا إلى الآنسة مان ،
وتسألاها عن جلية الخبر ، وتخبراها أنهما

فقلت الصغرى « ربما استطعنا زيارتها
بعد حين من الزمن وسترينا طفلها »
فقلت الكبرى « نعم ، إنها ستظل دائماً
عزيزة علينا »

وعادت الصغرى تقول « مسكينة آنستنا
مان ! »

وبدا لهما أن هذه الكلمة الحزينة تلمح
لهما بما يضره لهما الغيب

وقالت الكبرى « لا أستطيع أن أتصور
كيف نستطيع البقاء بدونها ! »
فأجابت أختها « إني لا أطيق قبول
مربية بعدها »

ووافقتها الكبرى قائلة « ولا أنا كذلك »
وقالت الصغرى « لن نجد مثيلاً للآنسة
مان ، فضلاً عن ذلك ... »

ولم تجترئ على إتمام جملتها ، وشعورها
الباطن بالأنوثة جعلهما تحسان نوعاً من
الاحترام للآنسة مان منذ عرفتا أن لها طفلاً ،
وكان هذا على الدوام في فكرها وقد أثر
فيهما تأثيراً بالغاً

قالت الكبرى « أقول ... ؟ »

فقلت أختها « تقولين ماذا ؟ »

فقلت الكبرى « لقد خطرت لي فكرة ،
ألا نستطيع أن نصنع صنيعاً جليلاً للآنسة
مان قبل أن تنصرف لبريها تعلقنا بها وتعرفها
أننا لسنا مثل الوالدة ؟ وهل تنضمين إلى

تريان أن والديهما قد أسرفت في الإساءة
إليها ، ولكنهما كانتا تخشيان مضايقتها ،
وفضلاً عن ذلك فإنهما كانتا خجلتين إذ
كيف يتسنى لهما الحديث عن أمر كل
ماتعلما أنه عنه مستمد من الأحاديث المسترقة ؟
وكان عليهما أن تقضيا فترة ما بعد الظهر
الطويلة المملة في خلوة بنفسيهما مهمومتين
حزينتين تبكيان من الحين إلى الحين ،
مستعيدات في ذاكرتهما ما سمعته خلال
الباب المقفل وغضب والديهما القاسي ،
ونحيب الأنسة مان البائس .

وفي المساء جاءت المربية لترأها ولكنها
اكتفت بتحيتها . وبينما كانت تغادر
الحجرة تشوقت الفتاتان إلى الخروج من
الصمت ولكنهما لم تستطعا أن تنطقا
بكلمة . واستدارت الآنسة مان عند الباب
كأنما دعاها تطلعهما الصامت وكانت عيناها
تلتصمان ببريق العاطفة المثار ، وعانقت
الفتاتين اللتين فاضت دموعهما وعلا بكأؤهما ،
وأعادت الآنسة مان تقبيلهما وأسهرت
في الانصراف

وكان من الواضح للفتاتين أن هذا هو
الوداع الأخير

فبكت إحداها قائلة « لن نراها بعد الآن »
وقالت الأخرى « إني أعرف ، فعند
عودتنا من المدرسة غداً تكون قد ذهبت »

في ذلك ؟ »

فأجابت أختها « بكل تأكيد ! »

فقالت الكبرى « تعرفين شدة حبها للورود البيض ، فلنذهب في صباح الغد ونشترى وردات بيضاء قبل ذهابنا إلى المدرسة ونضعها في حجرتها »

فسألت الصغرى « ولكن متى نفعل ذلك ؟ »

فقالت أختها « بعد الرجوع من المدرسة »
فقالت الصغرى « لا فائدة من ذلك ، إنها ستكون قد ذهبت . اسمعي ، سأتسلل في باكورة الصباح قبل الفطور وأحضرها إلى هنا ونحملها بعد ذلك إليها »

فقالت الكبرى « حسن جدا ، علينا أن نستيقظ مبكرتين »

ورجعت كل منهما إلى حصيلتها من النقود ، وسرهما أنهما ستتمكنان من إظهار مدى حبهما للآنسة مان

وفي باكورة الصباح طرقتا باب الآنسة مان والورود في أيديهما ، ولم تتلقيا ردا ، فظننتا أنها لا تزال نائمة فنظرتا من ثقب الباب ، ولكن الحجرة كانت خالية ولم يتم أحد في الفراش ، ووجدتا على المنضدة رسالتين ، فاعتريهما الدهشة . فماذا حدث ؟ قالت الفتاة الكبرى « سأذهب توا

إلى الوالدة »

وبدون أي أثر للخوف وفي تحد ظاهر جبهت والدتها بهذه الكلمات !
« أين الآنسة مان ؟ »

فقالت أمها « أظنها في حجرتها »
فقالت الفتاة « ليس بحجرتها أحد وهي لم تذهب إلى فراشها ، ولا بد أنها غادرت المنزل في الليلة الأخيرة ؛ فلماذا لم نقول لنا شيئا عن هذا الموضوع ؟ »

ولم تكذ الوالدة تلحظ لهجة التحدى ، حتى اصفر وجهها وقصدت إلى زوجها ، وذهب الزوج إلى حجرة الآنسة مان ومكث بها هنيهة . وفي أثناء ذلك كانت الفتاتان تنظران إلى والدتهما نظرات غضب متجههم ، وبدا أنها عاجزة عن مواجهة هذه النظرات

وعاد والدهما أدراجهم من حجرة الآنسة مان وفي يده خطاب مفتوح . وكان هو كذلك مهتاج العاطفة . وانسحب الوالدان إلى حجرتيهما وتبادلا الحديث بصوت منخفض . وفي هذه المرة خافت الفتاتان من محاولة استراق السمع فإنيهما لم تريا والدهما من قبل في مثل هذا المنظر

ولما خرجت والدتهما من الحجرة رأتها تبكي ، فأرادتا أن تسألاها ولكنها قالت لهما في حدة « إذهبا إلى مدرستكما ، إنكما ستتأخران »

ولم تجدا بدا من الذهاب ، وظلنا ساعات في حجرة الدراسة دون أن تصفيا لكلمة واحدة ، ثم انطلقنا إلى المنزل ، وهناك بدا أن فكرة رهيبة قد استولت على عقول من في المنزل جميعا ، حتى الخدم كان منظرهم عجيبا ، وجاءت الوالدة لاستقبالهما وأخذت تتحدث إليهما بكلمات عنيت بتلاوتها

« إنكما لن تريا الأنسة مان بعد ذلك إنها ... » ولم تكمل الجملة فإن ما بدا على الفتاتين من مظاهر الغضب والتهديد جعل الوالدة لا تستطيع الكذب عليهما ، فتركتهما واحتمت بحجرتها

وفي عصر ذلك اليوم ظهر أوتو في المنزل وكان أحد الخطابين موجهاً إليه وقد استدعى للحضور، وكان هو كذلك قلقا ممتقع الوجه ولم يوجه إليه أحد كلاما ، وتحاشاه كل إنسان ، وأبصر الفتاتين جالستين في إحدى زوايا الحجرة مهمومتين فذهب إليهما

فنظرنا إليه في فزع وصاحته « لا تقرب منّا ! »

فأخذ يتمشى هنا وهناك لحظة ثم اختفى ولم يتحدث أحد إلى الفتاتين، ولم تتجاذبا هما أطراف الحديث ، وكانتا تنتقلان في المنزل من حجرة إلى أخرى بغير غرض، وتنظر كل واحدة منهما إلى وجه الأخرى الذي يملته الدموع حينما يتقاطع طريقاهما ، وعرفنا في

هذه الآونة كل شيء ، وعلمتا أنهما قد خدعتا ، وعرفتا إلى أي حد تصل الضعة بالناس ، وققدتا حبهما لوالديهما ، وأصبحتا لا تثقان بالوالد ولا بالوالدة ، ووثقتا من أنهما لن تثقا بأي إنسان بعد ذلك ، وثقل على كاهلتهما الضعيفين الصغيرين حمل الحياة ، وتركنا خلفهما طفولتهما السعيدة التي لم تعرف الهم ، وانتظرتهما المخاوف المجهولة .

وكان من وراء تفكيرهما إدراك المعنى الكامل لكل ما حدث ؛ ولكنهما كانتا تصارعان مختملاته المروعة ، وقربت ما بينهما العزلة ولكنها كانت صحبة خرساء لأنهما لم تستطيعا تحطيم حاجز الصمت . وانقطع ما بينهما وبين الكبار انقطاعا تاما ، ولم يستطع أحد الدنو منهما لأن منافذ روجيهما قد أغلقت وربما امتد ذلك بضع سنوات قادمة . وكانتا في حرب مع كل ما كان حولهما لأنهما في يوم وجيز كبرتتا ونمتا

وفي أعقاب المساء عندما كانتا تنفردان في حجرة النوم كان يماودهما خوف الأطفال من العزلة، ويغشاها الفزع من المرأة البتة، وتلم بهما رهبة المحتملات المرعبة ، وكان البرد شديدا قارسا وقد أذهلتهما الاضطراب الذي شمل المنزل عن جهاز التدفئة ، فلاذتا بفراش واحد وتضامتا لتبادلا التشجيع وتستشعرا الدفء ، وكانتا لا تزالان عاجزتين عن بحث

أسباب تعبهما ، ولكن أخيرا في تلك الآونة وجدت عاطفة الفتاة الصغيرة المكبوتة متنفسا في عاصفة من الدموع . والكبرى كذلك أخذتها نوبة من البكاء والنحيب ، وهكذا كانت كل واحدة منهما تبكي وتنشج وهي بين ذراعى الأخرى ، ولم يكن بكاؤهما على فقد الأنسة مان أو على الجفوة التي وقعت بينهما وبين والديهما ؛ فلقد هزها توقع ماقد يصيبهما في هذه الدنيا المجهولة التي أبصرتا حقائقها لأول مرة في هذا اليوم ، وقد نفرتا

من الحياة التي نشأتا في ظلالها ، تلك الحياة التي بدت لهما مثل غابة ملاءى بالصور التي تبث الرعب وتثير الحذر ؛ ولا بد لهما من عبور هذه الغابة ، ولكن هذا الشعور بالهم والحزن أخذ يستحيل شيئا فشيئا شعورا وهما ؛ وقلت حدة بكائهما وأصبحتا لا تبتكيان إلا في فترات متباعدة ، وهذا تنفسهما ، وشملهما الهدوء والصفاء واستغرقتا في النوم

علي أرهم

مخبرات من الأدب الفرنسي

شعرونثر

للاستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب

فرنسا وشعرائها

وتمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

الطبيب الشاب

للكاتب الأنجليزى هـ.ج. بايلى

دخل مستر ريجنالد فورشن حجرة مدير البوليس فى اسكتلنديارد. وقال فى هدوء «إنها حاوى من الشيكولاته واللبن ، والأفضل أن نقبض على تلك العمة » وتناول المدير سماعة التليفون وتكلم فى حدة ؛ ثم اتجه إلى فورشن قائلا « إنك تذكر تلك المسألة البغيضة مسألة العمة وبنت أخيها الطفلة » .

وتتم فورشن قائلا «أوه تلك المرأة البدينة البيضاء التى لا يحبها أحد ... إنها غير سليمة كما تعلم ... إن فى غدد هذا الصماء بعض المرض » وقال المدير عابسا فى لهجة اقتناع « لقد نالت جزاءها ، إنها امرأة شريرة يا مستر فورشن ، ماهرة أشد المهارة » . وتثأب فورشن قائلا « نعم إنها جده فاسدة ، وقضيتها قضية كئيبة يا بل » .

ثم تنقل فورشن فى أرجاء الحجرة حتى استقر عند منضدة فرأى عليها لفة من القطن الطبي وآلة لفتح الأقفال عنوة . فسأل المدير قائلا « ما هذه التحف يا بل ؟ » .

فأجاب المدير : « إنها الأدلة فى قضية ذلك الطبيب الشاب ، قضية سرقة اللباس فى

بلومسبرى ... أظنها لم تعد جديرة بأن تحفظ ... لقد كانت قضية كريهة ؛ ولقد أسفت لهذا الفتى . على أنها كانت قضية واضحة لا صعوبة فيها . هل قرأتها يا سيدى ؟ شاب يبدأ عمله ، ويجاهد فى سبيله جهادا شاقا ، وفى أشد حالات عسره يتعرف إلى رجل يقتنى بعض الجواهر فى شقة فيسرقها ؛ وكانت سرقة هوجاء . وهكذا حال كل شاب مستقيم ينحرف عن الجادة . إنه يفقد صوابه ؛ وإن مغزى قضية الدكتور ولتن هو تلك العبارة : يا إلهى نجنا من الغواية . إنه لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وهو ماهر كيس ؛ وقد كان خليقا أن يسير فى حياته سيرا موقفا . لقد قضى على نفسه . ولو أنه كان يملك مائة جنيه فحسب لاستطاع أن يمضى قدما فى سبيله »

فقال ريجنالد فورشن مرددا تلك العبارة الماثورة التى يحبها « إن كثيرا من الجرائم نتيجة طبيعية محتومة » ثم قال « إني لم أقرأها يا بل ... كيف سارت القضية سيرها ؟ » وجلس وأشعل دخينة .

فقال المدير « كانت المحاكمة فى صحف

الصباح يا سيدى . ولم تكن سوى أمر هين . لقد عاد الدكتور هوراس ولتن من الجيش ومعه قليل من المال ، وبدأ عمله متخصصا في بعض الأمراض ، وكانت عيادته في حجرة صغيرة خاصة ، كانت إحدى ثلاث حجرات أو أربع استأجرها آخرون في شقة بشارع هادلى ، وكان يقطن في شقة بشارع بلومسبرى ؛ فإذا كان من أمره ؟ لم يأت إليه مريض ، ولم يكن له أصدقاء وأخذ يقل ماله القليل .

وأومأ ريجند فورشن أو (رجى) كما كان يدعى قائلا : « ياله من مسكين » واستأنف المدير حديثه قائلا :

وحدث أن جاء تاجر ماس هولندى يدعى وت فسكن في شقة تجاه شقة ولتن ؛ وقد عرفه ولتن إذ وصف له دواء للبرد أو غيره ، وأقبل وت على الطبيب وصادقه ، واستمع إلى متاعبه ، وعرض عليه أن يجد له عملا في شركة هولندية ، وأهدى إليه قطعتين أو ثلاثة من الماس ، وهى طريقة كيسة لمنحه بعض المال كما أظن .

وحدث بعد ذلك ذات صباح أن دخل خادم الشقق حجرات وت فوجده في سبات عميق ؛ فلقد أنشق الكورفورم ثم وجدت هذه اللفة على مخدته .

وتناول ريجى الصندوق الذى كان يحتوى

على آلة فتح الأقفال ولفة القطن الطبي . فقال مدير البوليس « لا تهزه ... أترى بقايا الطباق هذه ؟ إنها ذات أهمية . لقد فتح الدرج الذى كان يضع فيه وت ماساته عنوة واختفت منه الماسات . واستدعى وت البوليس ، والآن هل ترى هذا الدخان على لفة القطن ؟ لقد استرعى اهتمام مفتش البوليس ، فإن هذه اللفة قد تناولتها حتما يد رجل يدخن هذا الدخان . وأكبر الظن أنه وضعها في نفس الجيب الذى وضع فيه الطباق ... دليل نادر أليس كذلك ؟ وأطلع مفتشنا وت على ذلك ولشد ما ارتاع وت ؛ إنه دخان من جنوب أفريقيا كما ترى ، وإنه ليعلم أن ولتن يدخن هذا الطباق . وكان بعض منه متناثرا على أرض الحجرة كذلك » وسأل ريجى وهل أحضرتكم ذلك البعض المتناثر ؟ .

فقال المدير : لا ... لست أظن أنه أحضر ، ولكن رجلا رآه وهو مصدق ، وحضر أثناء البحث أحد الصحفيين الهولنديين ، وكان قد عاد من إنجلترا ، وقرر أنه جاء لزيارة وت الليلة الماضية في ساعة متأخرة ، ولكنه لم يستطع أن يسمعه أنه بالباب فأدهشه ذلك لأنه رأى أثناء صعوده السلم شخصا يخرج من حجرات وت ورآه يدخل شقة ولتن . وكان هذا كافيا لأن يستند إليه

البوليس في تصرفه ؛ فقبض على ولتن وقتشت شقته ، ووجدت الماسات وآلة الفتح مدسوسة في حشيرة أحد المقاعد . وحوكم بالأمس ، ولم يدافع عن نفسه ولكنه أقسم أنه لا يدري من هذا كله شيئا . وكانت الأدلة واضحة . وتقدمت ، وهو لا بد رجل على جانب عظيم من الرأفة ، فحاول أن يخفف عنه بكل ما في وسعه ، وتوسل إلى القاضي أن يترفق به . ولكن بوروديل المعجوز قضى عليه بخمس سنوات ؛ وهو حكم صارم . على أن القضية في ذاتها ستقضى على مستقبل الشاب ، ذلك المسكين ... قضية سيئة يا سيدى أليس كذلك ؟ ضرب من السرقة الهوجاء المنطوية على نكران الجميل . ولكنه كان يستطيع أن يعيش أمينا لو أنه كسب من عمله ما يقيم به أوده .

ولم يجب مستر فورشن ؛ فلقد كان ينظر إلى آلة الأقفال . ثم إنه وضعها أمامه وأخرج منظارا مكبرا ورفع الصندوق نحو الضوء ونظر مقطبا في لفة القطن .

فسأله بل قائلا : ماذا ؟ أى شيء تراه في هذا ؟ فأجاب مستر فورشن وهو لا يزال يفحص لفة القطن قائلا : « آلة الأقفال هذه ، لماذا كانت من صنع ألمانيا ؟ لماذا يستعمل الدكتور هوراس ولتن وهو من شارع هارلى بلونسبرى مفتاحا كهذا حينئذ في

سولنجن ؟ »

فقال بل « سيدى ، إنك لا تستطيع أن تعرف كيف يحصل المرء على أداة كهذه . إنها تنتقل من يد إلى يد ، أليس كذلك ؟ » وأجاب رجى « يد من ؟ ولماذا يقطع مقتشك المجرب أن هذا من دخان جنوب أفريقيا ؛ إن فيه مشابهة له ولكنه في الواقع من ذلك النوع الفظيع الذى يبيعونه في ألمانيا ويسمونهم روح - تباك » .

وأخذت الدهشة بل وقال « هذا عجيب يا سيدى - ألماني أيضا ؟ »

فقال فورشن : إنك تستطيع أن تشتري بضاعة سولنجن خارج ألمانيا ، وكذلك الدخان الألماني ، من هولندية مثلا . فأجاب بل : لست أفهم ماذا تريد أن تذهب إليه يا سيدى .

فقال فورشن : أوه .. إني أظن أن مسألة الطباقي كانت خطأ ... وإني أظن أنه لم يكن ثمة من داع لأن يذكر الطباقي قط ، ولكن لسوء حظ الدكتور ولتن قد اتخذ منه مقتشك الحنك دليل إدانة ذلك المسكين وسبيل وصمه إياه .

وبدا على المدير عدم الارتياح وقال « نعم يا سيدى ، إن هذا ما لم نكن نحب أن يحدث ... ولكن القضية مع ذلك لا تدور على الدخان ، فهناك الرجل الذى أقسم أنه

للرجل الرسمي.. بين جانبه الرسمي وبين جانبه
الإنساني صراع ! يالك من مسكين يابل . »

في آخر ذلك الأسبوع استدعى مستر
فورشن إلى اسكتلنديارد . وهناك وجد مستر
سدني لومس رئيس قسم التحقيقات الجنائية
يتشاور مع مستر إدس أحد القانونيين من
رجال الهيئة العليا لهذا البوليس .

وقال فورشن مبتسما « هأنت ذا يالومس :
كيف ترى الدنيا ؟ الحياة جد لا عبث ..
أليست كذلك يا لومس ؟ »

ووضع السيد الموقر سدني لومس منظارا
على أنفه وعبس له قائلا « لست رجل أمن
يا فورشن .. أنت مهيج ولا بد من اعتقالك
صونا للأمن . »

وقال إدس في قطوب .. « أما فأميل
إلى أن أسميه مفلق إدارات ! »

وأجاب فورشن : إني إذ أشكر كما ، أسأل
ماذا تشكوان منه ... إن دخينة من دخائمك
الضخمة لن تحدث لي ضررا يا لومس . ثم
تناول دخينة من صديقه .

وقال إدس « إن قضية واتن كانت قضية
مقنعة جدا حتى تدخلت فيها ؛ ثم إنها قضية
حكم فيها »

وأجاب رجى عابثا « والآن ترونهما لم
يقض فيها ، ما أجل ذلك منكما وما أشده

رأى ولتن يغادر شقة وت ، وهناك ما كان
من وجود الماسات في حجرة ولتن ؛ إن
الأدلة واضحة من غير الدخان . »

فقال فورشن : إني أعلم ذلك ؛ قلت إن الدخان
مسألة ليست بذات بال ؛ وهذا هو ما يهمني
منها . إننا نعلم أن ولتن لا يستعمل (روح -
تباك) ، ومع ذلك فهذا النوع موجود على
لفة القطن ؛ مما ينهض دليلا على أن هناك
شخصا آخر في القضية ، شخصا يتذوق
ما هو ألماني ، من قبيل ذلك الشخص الذي
يجب أن يستعمل مفتاحا ألمانيا .

وأجاب (بل) في تودة : « ليست هناك قط
آية علامة تدل على أن ولتن له شريك ،
ولكن ذلك ممكن بالضرورة »

ونظر إليه مستر فورشن نظرة عطف
وقال بل « يا صديقي العزيز .. لا بد أنك ترى
الدنيا شيئا عظيم الغرابة ؛ كلا إني لا أتجه إلى
وجود شريك ، ولكنني أظن أنه يجب أن
أتجه إلى تاخر الماس والصحفي ، وأحب أن
أسألهما أيهما يدخن (روح - تباك) . »

وتهد بل ثم قال « يجب أن يكون ثمة
بحث . إني أفطن إلى ذلك ياسيدي ، ولكنني
لا أرى هذا مما يفيد ذلك الطبيب المسكين
آية فائدة ، ثم إن البحث أمر غير حميد الآن
بالنسبة لإدارتنا هذه . »

وابستم له رجى ثم قال « صورة تاريخية

حشا لكما على الجدا ! »

وقال لومس في حدة « إنها الآن تبدو ضربا من الجنون ... إنها كابوس الليل » وأجاب رجي في جد عابس « أجل ... أجل ... أكاد أقول إن ذلك هو ما يراه الدكتور ولتن . ومهما يكن من شيء فقولا ماذا ذهبتم إليه ؟ »

فقال إدس « إنك على صواب فيما يتصل بالدخان ، خيرك الله . وكذلك فيما يتصل بالمفتاح فكلاهما من صنع ألمانيا فهلا أخبرتنى ماذا يعنى ذلك ؟ »

فأجاب رجي « إن سؤال صديقي الموقر أجدر أن يوجه إلى السيد وت والسيد جيرار ، وإنك لترى أن هذا أشبه بحال أليس في أرض المعجائب : الحكم أولا ثم التحقيق ! لم لم تدرس القضية قبل أن تحققها ، وبذلك كنت تستطيع أن تناقش وت وجيرار وهما تحت يدك رهن التحقيق ؟ »

فأجاب لومس « لا يمكننا أن نسألها الآن على كل حال فقد اختفيا ... غادرت شقته يوم المحاكمة ، وغادر جيرار الفندق في نفس الليلة ، وقل كلاهما إنهما غائبان إلى أمستردام ، وهاهو ذا ما أفاد به البوليس الهولندي : لم تفهم برقيتكم المؤرخة ٢٧ من هذا الشهر ؛ لا يُعرف أحد بهذه الأوصاف في أمستردام ، ولا يمكن أن نترصد القادمين »

وأجاب رجي : حسن .. حسن .. قوة بوليسنا الذكية العاملة ... إن في القضية ما يلد . أليس كذلك يا لومس أيها الرجل القديم ؟ »

وأثبت إدس فيه نظره وسأله « ماذا تريد أن تقترحه يا فورشن ؟ »

فقال فورشن « أريد أن أبين بطلان الأدلة بل فراغها فراغا مطلقا من أية قيمة »

وأوما إدس قائلا : هذا مسلم به . إن هذه الأشياء جميعا غير مقنعة ؛ فالدخان من حيث أنه دليل إدانة هو في صالح السجين ، وقد اختفى بعد المحاكمة أهم من تقدموا للشهادة ضده مما يحيط أمرهم بالشك ... على أنه بقي بعد ذلك تلك الحقيقة : ألا وهي وجود الماسات في حجرة السجين

فتبسم رجي قائلا : أوه ... أجل وضعها هناك شخص ما

فقال رجل القانون : دعنا نسمع رأيك صريحا ، هل تعتقد أن هذه القضية التي ذهب ضحيتها الدكتور ولتن قد دبرها أولئك الذين اختفوا ؟

فقال فورشن : هذه هي الفروض الاحتياطية ، لأنه ما من شيء آخر يفسر الوقائع . لقد استعملت أشياء ألمانية وليس ما يضل بين ولتن وألمانيا ؛ وقد حضر تاجر الماس إلى حيث كان يقطن ولتن فعلا ،

وتلمس سبيل التعرف إليه ؛ وانبعث صديق التاجر فجأة وجاء في اللحظة الدقيقة ليدلي ببرهان كان لابد منه ؛ وحين يطمئنان إلي ، أن ولتن قد أدخل السجن يختفيان ، ولا يبقى مما نعرفه عنهما إلا أنها ليسا كما زعما أول الأمر ... لذلك فالافتراض الوحيد الذى يتفق مع هذا كله هو أن هذين أرادا أن يضعا ولتن حيث هو الآن ... هل من اعتراض لديك على هذا يا إدس ؟

فقال إدس : إن هناك اعتراضا واحدا ، وهو أن نظريتك تفسر كل ما حدث ولكنها لا ترينا قط لماذا حدث أى شئ من هذا ، أعنى أنه تفسير يجعل القضية أكثر غموضا الآن منها فى أى وقت مضى . إنا نستطيع أن نفهم أن يسرق ولتن الماسات ولكن لا يستطيع أحد أن يفهم لم يريد أن يدخله هذان الرجلان أو أى امرئ غيرهما السجن فقال فورشن : أوه - يا صديقى هكذا تبلغ من القانون مبلغا عظيما . إن ما غاب عنك علمه لا يعد معرفة . إنك لا تدري لماذا يراد أن يبعد ولتن من الميدان ، ولست أدري أنا كذلك ؛ ولكن ...

فقال إدس فى تأكيد : ولم يدرك ولتن كذلك . إنه لم يشك فى هؤلاء ؟ ولم يتبين من دفاعه أن له أعداء . إنه أنكر أى علم له بهذه السرقة ، ولقد أصر محاميه

على أن اللص الحقيقى أخفى الماسات فى حجرته لأنه بوغت وخوف فقال لومس : أجل .. إن ذلك رأى متهافت كما ترى ... أف لهؤلاء المحامين .. أف لهم يا إدس .. قوم ثقلاء فأجاب إدس : إننا لا نهتم إلا بالبراهين فقال فورشن : ولماذا لا تستعملونها إذن ؟ لقد كان ذلك الرجل وت ممتعا جدا فى ساحة المحكمة حين قال إنه بدافع الرأفة قد عرض على ذلك الطبيب الذى ينكر الجمل عملا فى شركة المستعمرات الهولندية ؛ وهى على بعد كبير من إنجلترا كما تعرف يا إدس . ولم يشأ ولتن أن يقبل ذلك . وعلى ذلك كان لابد من إجراء آخر

ونظر إليه إدس مفكرا ثم قال : إنى أوافق على أن ثمة شئ فى هذا ، ولكن لماذا ؟ إنا نعرف أحوال ولتن جميعا . لقد كان حتى الآن حسن السيرة ، فكان فى المستشفى وفى الجيش وفى عيادته الخاصة مستقيما موثوقا به ، فلماذا يوجد له أعداء لا يألون جهدا حتى يلقوا به بعيدا عن طريقهم ؟ إن رجلا فى عصابة من المجرمين أو فى جماعة من الثائرين خليف أن يجد أحيانا من يكيدون له ليعاقبوه أو ليتقوا أن يخونهم ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون حال ولتن ، فإن حياته واضحة عادية . إنه

ند يكون للمرء أعداء شخصيون ولكنى
لست أذكر مثلاً لذلك غير هذه القضية
فأجابه لومس : أوه ... نعم هناك مسألة
بكبر : ولقد كنت أعتقد أبداً أن هذا هو
الدافع إلى مقتل برندن

وقطب إدس قائلاً : نعم ؛ كما تقول ولكن
ولتن لم يشك في مؤامرة كيدية ، وليس يعلم
أن له أعداء

فقال رجبى : كلا ... إني أميل إلى القول
بأن ولتن لا يدري ماذا يعلم . هب أنه وقع
عن غير قصد على بعض الأدلة ضد وت أو
بعض أصحاب وت ، فإنه لا يدري ما في
ذلك من ضرر ، ولكنهم يدرون

فقال لومس : لقد قتل أناس في ظروف
كهنه ولم يعلموا لم قتلوا

فصاح إدس : إن هذا ممكن لاريب ،
ولكن هذه الأقوال تذهب هباء فليس ثمة
ما أستند إليه

فقال رجبى : لست أرى رأيك ... إنك
كثير التواضع

وهز إدس كتفيه قائلاً : ربما كنت
كذلك ، ولكنى لا أستطيع أن أوصى
بمراجعة الحكم في قضية ولتن بناء على فروض
فصاح رجبى قائلاً : « سحقا للمراجعة ..

إني أريد أن يطلق سراحه »

فخملق فيه إدس ثم قال محتجاً : « ولكن

هذا شيء خيالي »

فقال رجبى « أريده حراً بريئاً .. يا إلهي ..
فكر في هذا المسكين ! كيف يندو في عداد
المجرمين لأن أولئك الأوشاب الصماليك رأوا
وجوده غير ملائم لهم .. إنك إذا خففت عنه
الحكم فحسب فإنما تقترف إثماً آخر ... إنه
يريد منك أن ترد عليه حياته »

فتنهذ إدس قائلاً : إنها قضية تعسة ،
ولكن ماذا أستطيع أن أصنع ؟ إني
لا أستطيع أن أعيد إلى المسكين شخصيته .
إننا حتى لو أطلقنا سراحه سنجد رجلاً
قد تحطم

فقال رجبى في رفق : يا زميلي العزيز ،
هذا ما قلته ؛ وهناك نقطة أخرى ، ماذا
يدفع مستر وت حتى يهتم مثل هذا الاهتمام ؟
ذلك ما يمكنني أن أعرفه

فأجاب إدس : ليس هذا من شأنى ،
ولسكنك لا تزال ترسل كلامك في الهواء
يا فورشن ، ماذا تريد أن أفعل ؟ يجب أن
أفعل شيئاً

فقال فورشن : هذا أمر مؤلم لكل رجل
رسمى خير . إني أرثى لحالك وكذلك يفعل
لومس أكثر منى . أليس كذلك يا لومس ؟
ولست واثقاً من أنك تستطيع أن تصنع
أى شيء في هذا الأمر

ثم اضطجع مستريح فورشن وراح يدخن

سيكارتته ويفكر

وتكلم إدس قال : إنك يا فورشن

خير من يعيننى

وقال لومس : الحقيقة التى أمامنا هى أن

جميع الأدلة ضد ذلك الرجل قد ثبت بطلانها

ويجب أن نواجهها . وخير أن تطلق

سراحه يا إدس

وشهق إدس قائلاً : لومس يا عزيزى ،

لست حقاً أستطيع أن أوافقك ؛ إن الدليل

الوحيد الذى ثبت بطلانه هو الدخان ولم

يكن جوهرى ؛ ويحيط الشك بالأدلة

الأخرى ، ولكننا لا نستطيع القول بأنها

باطلة ، ولقد أقنعت القاضى والمحلفين ؛ ولم

تسبق سابقة فى حالة كهذه بتخفيض الحكم

حتى يصبح كأنه لم يكن !

فقال لومس : لست أنظر فيما يعترضك

من صعب ؛ وإنما أرمى بذلك إلى معرفة

ماذا وراء (وت) من سر

وانبعث رجبى من تفكيره وتدخينه قائلاً :

أخرج ولتن وضعه تحت المراقبة ، ثم انظر

ماذا يفعل وت وشركاؤه . لا بأس : إنها

إحدى الطرق ، ولكنها مقامرة

فأجاب إدس : « وهى كذلك خارجة

عن الموضوع

فالتفت إليه رجبى قائلاً : ما عمك على وجه

التحديد يا إدس ؟ هل لى أن أعرف ما هدف

وجودك المبارك ؟ فنبه إدس فى برود إلى

أنه ليس ثمة من ضرورة تقضى بأن يفقد

الإنسان صبره

ورد فورشن بقوله : كلا ... لست

غاضباً ؛ وإنما أنت تحير عقلى الساذج . لقد

ظننت أن عمك هو أن تتحقق من العدالة

إذن فامض فى سبيلك

فأجاب إدس وقد احمر وجهه : هلا

تكرمت فذكرت ماذا تقترح ؟

فأجاب فورشن : سوف تقول إن ذلك لم

تسبق به سابقة . . لا بأس . دونك رأيى

الضعيف : أخبر الدفاع بالدخان ، وقل

إن ذلك يكفى سبباً لأن ترفع القضية إلى

محكمة الاستئناف . ثم أفض إلى الصحافة

بأن هناك شكاً حول إدانة الدكتور ولتن

و ... واحتمالاً بإعادة النظر فى القضية وكلاماً

آخر من هذا القبيل ، كلاماً طناناً محاطاً

بالغموض ، مما يجعل الصحافة تنشط فى

الحديث عن قضية ولتن . والتفت فورشن

إلى لومس باسمه وهو يقول « ألسنا نستطيع أن

ندبر ذلك يا لومس ؟ » .

فأجاب لومس : لقد فعلنا مثيل ذلك من

قبل .

وصاح إدس قائلاً : يا إلهى ، إنى لا قبل

لى بما يستدعى أية صلة بالصحافة .

فقال فورشن متهمكاً : بوركت نزاهتك

الرائعة ، سوف ندبر الأمر ، وليس يعنيننا ماذا تقول الصحافة ما دامت ستثير ضجة حول الموضوع . إن ذلك سوف ينبه وت ومن معه وسنرى ماذا يكون .

وبدت على إدس الحيرة والارتباك ثم قال في جد : أظن أنه من الجلي أن يخبر الدفاع بما كان حول الدخان حتى يمكن استئناف الحكم ، ولكنى لا أستطيع أن أسوغ شيئاً غير هذا بالضرورة .

فقال لومس مبتسماً : هذا صحيح يازميل العزيز ، ما من أحد يسوغ هذه الأشياء ، وما من أحد يفعلها ، إنما هى تحدث فحسب وخلص الرجلان من إدس وقال رجبى وكأنما يئن : وطنى ... أوه ، يا وطنى.. مثل هذا النوع من الرجال يحكموك !

بعد ذلك بيوم أو يومين فى أحد أصباح أبزيل ، كان مستر فورشن أمام سجن برنستون ، ودق الباب وهو يرتعد من البرد ؛ حتى إذا فتح له قصد مسرعاً إلى محافظ السجن يطلب منه الإذن بأن يلقى الدكتور ولتن .

فقال المحافظ وهو يهز رأسه : لست أظن أنك ستفيد كثيراً من لقائه ، فقد فقد الرجل رشده فيما يبدو ، وإن كل رجل مثله كان يشغل مكاناً طيباً خليق أن يصير

إلى ما صار إليه إذا ما جىء به إلى هنا ، ولكن الدكتور ولتن مسرف فى يأسه وتأله ، وحين أخبرناه أن فى الأدلة نقصاً ، وأنه يمكن استئناف القضية لم يبد أى اهتمام بذلك ، وبدأ عليه ما يبدو دائماً من البلادة والحزن . بكل ما فاه به قوله : « وما فائدة ذلك ؟ لقد قضيتكم على » .

فتهد رجبى قائلاً : يا له من مسكين تمس فقال المحافظ وفى وجهه الشك : ربما كان كذلك ، فقد لا يستطيع الرء أن يحكم على خلق سجين من أيامه الأولى فى السجن ، ولكنى عرفت أشخاصاً طالما أظهروا إلى أكثر مما يظهر هذا ، ما يجعلنى أصدق أنهم أبرياء .

وأدخل الدكتور ولتن على الرجلين وكأنه بقية رجل فى ملابس السجن . ونظر فورشن إلى وجهه الذابل الشاحب ومد إليه يده فلم يفتن إليها ، وقال فورشن : « اسمى فورشن وقد جئت من اسكتلنديارد . لقد اكتشفت ما حدث من خطأ فى الدخان ، وقد جعلنى ذلك أهتم بقضيتك كل الاهتمام ، ويقىنى حسباً أشعر أننا لم نعرف وجه الحق فيها بعد ، وإذا أنت أعنتنا على معرفة ذلك فإن فى ذلك عوناً لك » .

فقال ولتن : لن يستطيع البوليس مساعدتى ولن أقول شيئاً .

الذى صنعها . أتعلم شيئاً عن مستر وت ؟
هل خطر ببالك قط أنه أراد أن يزيفك
من سبيله ، إما إلى المستعمرات الهولندية
وإما إلى السجن ؟

فقال ولتن : ليس في نفسى شيء ضد
وت .

فتنهده فورشن قائلاً : أوه ... يا صديق
العزیز وكيف جاءت الماسات إلى حجرتك ؟
فأجاب ولتن في توحش : أجل ... كيف
جاءت ؟ أسأل مفتش البوليس . أسأل
مفتشكم الذى قال عن الدخان ما قال . أنت
رجل بوليس وتعرف كيف تدبر هذه الأشياء
فقال رجبى وهو يتنهده في عمق : آه ليتنى
أعرف . لو أنى عرفت ما كنت أنت هنا .
ولم يستطع فورشن أن يعود بشيء أكثر
من هذا من مقابله ولتن ، فخرج غضبان أسفاً .
ولما لقي لومس في الصباح التالى لم يكن قد
استرد هدوء نفسه . وكان لومس متطلعا
إليه في تحمس فقال : « أقبل فإنك الرجل
الذى أطلب الساعة ، ماذا كان رأى
السجين ؟ »

فهز رجبى رأسه قائلاً : لومس ! هل
رأيتنى قط يداخلى بعض الغرور بسبب ما
لشخصى من أثر حسن في النفوس ؟ شأنى
في ذلك شأن من يحس أن ليس في الناس
من يستعصى عليه ؟

فقال فورشن : اسمع يا بنى العزيز ؛ إنى أعلم
أن المسألة مكيدة خبيثة ، ولكن هناك
كثيراً غير هذا يتطلب البحث ، فإذا أنحت
لنا فرصة فربما استطعنا أن نجس القضية
كلها ، ونجعلك تقف ثانياً على قدميك ،
وهذا ما جئت من أجله .

فضحك ولتن قائلاً في انشراح : كلا .
شكراً لك .

وعاد فورشن يقول : فكر في الأمر فقط .
... إنى لا أستطيع أن أحدث لك الآن
ضرراً . إنى أبحث عن الحقيقة ، وأنا في
جانبك . هل لك أعداء ؟ ذلك كل ما أريد
معرفة . هل هناك من يهمله أن يخطمك ؟
أو من يريد أن يزيفك من الطريق ؟

فقال الطبيب الشاب : البوليس ليس غير
فأجاب رجبى يمجو ذلك : أوه ... يا بنى
العزیز ؛ هل حدث لك أى شيء لا يسرك
قبل هذه التهمة ؟

فصاح ولتن وقد صعد الدم إلى وجهه
الشاحب : ماذا ؟ ماذا تقول ؟ أوه ، هأنذا
أرى . إنى مجرم قديم ، أليس كذلك ؟
خير لك أن تنظر في سوابقى ، وتستطيع
أن تخترعها ، هذا سهل جداً

فقال رجبى في نبرة حزينة : ماذا يفيدك
هذا يا بنى العزيز ؟ إن البوليس لم يخترع
هذه التهمة . إن صديقك مستر وت هو

فأجابه لومس : لم أر من سلوكك مايسىء يا فورشن ، ربما كان في غرورك شيء صبياني قليل . وإنك معجب بنفسك ألسنت كذلك ؟

فقال رجي في لهجة من لا يريد أن يمزح : دعنا من هذا الهراء يا لومس . إذا شعرت ثانية بما لشخصي من حسن الأثر في النفوس فاذكر اسم ولتن . لم أترك في نفسي أي أثر ، ورأيتة عصيا .

فقال لومس في جد : إنك تدهشني ... ألم تعد منه بشيء قط ؟

فتهد رجي قائلاً : كثير جدا ... كثير جدا . إنه كئيب ، متجهم ، غبي . هذا ما أصف به صاحبنا الدكتور ولتن ذلك المسكين . لقد راح يقول إن البوليس هو الذي دبر كل هذا ، وإن المفتش هو الذي وضع الماسات في حجرته . . . لقد فقد المسكين صوابه وأصبح كالطفل الذي ير كل الكرسي الذي اعترض سبيله .

فقال لومس : لقد انتحرا المفتش يا فورشن ، لقد استدعيناها كما تعلم لنستوضحه ، فكان مضطرباً متهيج الأعصاب ، ولما عاد إلى منزله قتل نفسه .

فحمل رجي في محذته وأخذ يهتز في مقدمه من الدهشة . واستأنف محذته قائلاً : لم يكن ثمة شيء قبل هذا ضده ؛ وليس الآن

إلا مسألة الدخان . ألا إنه فعل شيئاً نكراً فقال رجي : إذا كان الدخان سبب انتحاره ، فإن شعوره بوخز الضمير هو أقوى مما يكون عليه رجل البوليس . إنه ليس شيئاً نكراً كما تقول . إنه جدير بالثناء . يا إلهي إذا قتلنا أنفسنا بسبب أخطائنا فمن يبقى في البوليس ؟ لقد ذكر ولتن المسكين أن المفتش وضع الماسات في حجرته ، ولكن هذا ضرب من الهذيان .

فأجاب لومس : إن المسألة كلها هذيان ، فيها أنت ذا تتخبط يا فورشن . إنك تقول إن انتحار المفتش بسبب الخطأ هذيان ، وتقول بإشارتك إلى الماسات ورأى ولتن فيها إن افتراض سبب آخر لا انتحاره هذيان .

وتتم رجي قائلاً : أيها المسكين ... أيها المسكين ... لم أتنحبط يا لومس وإنما أنا مغضب ، فإن ولتن غير مذنب ، ومفتشك غير مذنب . ومع ذلك فأحدهما في السجن والآخر قتل نفسه ، ونحن نسمى أنفسنا رجال بوليس ... أغلقت الحظيرة بعد أن سرق الحصان . هذا هو عملنا كما أظن ، ويا ليتنا أغلقنا الحظيرة حتى بعد أن سرق الحصان .

فقال لومس : لست مغضباً فحسب وإنما أنت مهتاج ، ماذا يمكن أن نفعل يا صديق فورشن ؟

كانت هذه الصحيفة المسماة (دبلي وتشان) تعطف أول الأمر كزميلاتهما على ولتن ، ثم انقلبت في اليوم الرابع تحمل عليه فراحت تحت عنوان : « فضيحة ولتن » فكتبت تحذر القراء مما يصطنع من عطف يقصد به أن يؤدي إلى الإفراج عن ولتن ، فهي حيلة من حيل السياسيين ورجال الثقافة الحديثة لحماية مجرم من العقاب ، وهي صورة جديدة للدعوة إلى سن قانون للأغنياء وآخر للفقراء ، وهي مؤامرة دنيئة يدبرها أصدقاء مذب لص ، هم من ذوى المكانة ، وعلى الشعب أن يقف مجتمعاً في وجوههم ، إذا أراد ألا تروع البلاد كل ليلة بمثل هذه السرقة الشنيعة .

وذهب مستر فورشن ليتعشى في نادي يجتمع به عادة عدد من رجال الصحافة ، وأخذ يسأل صديقا له هناك عما إذا كان يعرف من كتب ذلك الكلام في صحيفة دبلي وتشان ، وتعجب الصديق من شدة اهتمام فورشن بهذا الأمر ، ولكن فورشن أظهر له أنه قد استوقفه انحراف الصحيفة عن وجهتها الأولى ليس غير ، فأراد أن يفهم سر ذلك . وفي اليوم التالي حمل البريد إلى مستر فورشن رسالة قصيرة عليها توقيع س . و ، يقول فيها مرسلها إن الذي كتب ذلك الكلام في تلك الصحيفة رجل يدعى كب ،

فسأل فورشن : ألم يظهر شيء عن وت ؟ فقال صاحبه : كلا . إلا إذا كانت له يد في انتحار المفتش

فسأل فورشن : وهل توقن أن المفتش انتحر ؟

فقال لومس : خير لك أن تذهب فترى الجثة فإن الدليل مقنع تماما .

فسأل فورشن : أليس في الصحف شيء ؟ فقال لومس : كلام كثير بالضرورة ، ولكن لا أنتظر أدلة من الصحف .

فقال رجي : إنك دائما لا تقدر الصحف حتى قدرها بالومس .

وذهب فورشن فرأى جثة المفتش في المشرحة ، ثم عاد وفي وجهه أمارات التفكير العميق

فسأله مدير البوليس بل ، وقد كان في توديعه : أنت مقتنع ياسيدي ؟

فأجاب فورشن : مقتنع ؟ قل إني محقق ، فهذا ضحية أخرى للسيد وت وشركائه . ثم اتجه إلى لومس وقال إني ذاهب إلى منزلي لأنظر ماذا في الصحف .

وجلس مستر فورشن في بيته يقرأ الصحف وقد ذهب مذاهب شتى في التعليق على القضية ، وأشارت معظمها إلى أن في الأمر سرا ، وكانت كلها إلا صحيفة واحدة تعطف على الدكتور ولتن .

ولكنه من رجال السياسة . إنه بولشفي «
وأحس رجبى كذلك بشيء من الدهشة
ولكنه لم ييده وقال : بعض رجالك الذين
عملوا من قبل في أوساط إجرامية جريئة .
أسرع أبها الشيء القديم .

وفي صباح اليوم التالى دق جرس التليفون
في بيت فورشن ، وكان المتكلم لومس وأخذ
يقول : « أنت فورشن ؟ مستر فورشن
العظيم ؟ إني أتجه بقلبي نحوك ياريجند وإني
أحنى رأسي لك ... هلم إلينا هلم . »

ورحب به في مقر البوليس صاحبه ، بل
ولومس ، وبالغا في السخرية منه في مزاح
عابث ، وقال لومس « إنك تبلغ الغاية بينما
نكون في أول خطوة » وأجابهما فورشن
بقوله « كفى ... كفى . خبرني يالومس من
كوير هذا ؟

وقال لومس : حسبنا أنك أنت الذى
تخبرنا عنه ... ولكن وا عجبا ماذا جعلك
تجربى في أثر كوير هذا ؟

فأجاب فورشن : إنه يزعم أنه هولندى ،
وكذلك يزعم وت ، وهو يبيع الحلى وكذلك
يبيع الحلى وت . ولقد ألقى في روعى أنه
هو الذى وجه صحيفة ديلي وتشمان لتصبح نباحها
كى يبقى ولتن في السجن

فقال لومس : إذا فسرت لنا ماذا يعنى
ذلك فلك شكرى .

وإن له صلة جديدة برجل حديث عهد
بالنعمة في المدينة يدعى كوير .

وذهب فورشن إلى حى من أحياء التجارة
في المدينة فصادف صاحباً له من التجار يدعى
توماس أوين ، فسأله هل تعرف رجلاً اسمه
كوير ؟ فقال صاحبه إنه يعرف رجلاً يحمل
هذا الاسم يقول إنه يبيع جواهر وحلى من
روسيا ، وهو نحيف يبدو عليه الكبر ذو
لحية قصيرة مدببة ، أنيق اللبس ، يتكلم
الإنجليزية في طلاقة ، ويقول إنه هولندى ..
وأردف توماس قائلاً : وتستطيع أن تراه
بنفسك فإن له مكتباً هناك في المبنى الجديد
في مودلين لين .

وكان مستر فورشن يجمع شتات فكره
وهو في طريقه إلى منزله ، وعجب إذ وجد
كوير الذى يحيط به الغموض يزعم أنه
هولندى ، وت الذى اختفى يزعم كذلك
أنه هولندى ، وقال وت إنه تاجر حلى ، كما
قال كوير إنه كذلك تاجر حلى ! ولما بلغ
المنزل كلم لومس في التليفون يطلب إليه
مراقبة جوليوس كوير في مودلين لين وأن
يناط بذلك رجال مجربون يقظون .

ونم صوت لومس حتى في التليفون عن
الدهشة وهو يكرر قوله « كوير ؟ كوير ؟ »
ثم قال : ما المناسبة وما العلاقة يا فورشن ؟
قضية ولتن ؟ هل قلت جوليوس كوير ؟

فقال فورشن وهو يهز رأسه : هذا ما يحدث
في قصته... إن ولتن لا يدري ماذا يعاين وماذا
يجهل

فقال بل : ربما كان هو نفسه بلشفيًا ولو
قليلا يا فورشن

وضحك لومس قائلا : إن بل ذو موهبة
فيما أرى للملهة الدرامية

فأجاب فورشن : أجل ... أجل ... إن
في الحياة كثيرا من مواقف الملهاة الدرامية،
ولكنني على أي حال لا أتصور أن وت
وكوير وشركاءهما يلعبانها الآن ... أخسب
أنه لا بدلي من الذهاب إلى حيث يعملان .
وأثبت فيه لومس نظره وهو يقول « أنت ؟ »
ونفض بل قائلا : لن تذهب وحدك فيما
أحسب يا سيدي

فقال فورشن : حسن ... تعال معي
لتحرسني يا سيدي ... نعم إنني أريد أن
أرى هؤلاء يا لومس . إن ولتن رجل طب .
كما تعلم وأحب أن أرى المرضى أيضا

فأجاب لومس في تردد : يمكنك أن تحاول.
ذلك يا فورشن ، ولكنك تعلم أنه ليس
هناك على التحديد شيء ضد وت ، وليس
هناك مطلقا شيء ضد كوير ، ولست
على يقين من أن كوير لم تأخذه ريبة :
إنه يختلف إلى النادي الأوابي وقد كان هناك
ليلة الثلاثاء ، ولكن رجالنا لم يروه ليلة أمس.

فأجاب فورشن في هدوء : ليس في ذلك
معنى ... إنني أعرف ذلك . إلى الجحيم بهذا
كله .. ينبغي أن تفعلوا شيئا لأنفسكم . برروا
وجودكم ... هلا أخبرتنى يا لومس من هو
كوير ؟

فأجاب لومس : قد وضعه قسم السياسة
تحت المراقبة زمنا ... وقد كان يبيع حليا
روسية . وهم يعتقدون أنه بلشفي
وتتم رجي قائلا : هذا لا يفيدنا شيئا .

فقال لومس : لا ... ألا ترى من ذلك
ما قد يكون من علاقة بين وت والبلشفية ؟
ألا إنني أراك تصيد في غير صيد يا فورشن
معذرة فلم يعرف أحدهم رجالنا كوير .
ولكن واحدا منهم عرف وت ، وإن وت
هذا يعمل في مكتب كوير ... هذا مدهش
يا ريجلند . كيف فعلت ذلك ؟

فصاح رجي فورشن قائلا : وادأسي ..
أوه ... وادأسي ... كوير وسيط بلشفي ،
وهو يستخدم رجلا ليزيح ولتن من الطريق ؟!
إنه حلم فظيع

فقال لومس : أجل ... إنها مسألة معقدة ..
ليست من أفضيتك اليسيرة يا فورشن

وقال (بل) في تهيب : إذا كان الدكتور
ولتن على علم بمؤامرة من المؤامرات البلشفية
يا فورشن ، فإن ذلك يجعلهم يزيحونه من
الطريق .

تسمع غمغمة هنا وغمغمة هناك . تم عادت
وعلى وجهها اضطراب وتركتهما دون أن
تتكلم ، وسارت في ردهة فتبعها بل ثم رجي ،
واقترحا حجرة داخلية فوجدوا رجلا يصفف
شعره ، وما أن رآها حتى صاح بهما وقد احمر
وجهه : هذا اقتحام يا صاحبي .
فصاح بل باسمها : آه ... هاهو ذا صديقنا
مستروت »

فقال الرجل : لا بد أن هناك غلطة ...
إنك مخطيء ياسيدي . ما اسمك ياسيدي المدير ؟
أما أنا فاسمى سيجل
فقال بل : إذن لماذا سميت نفسك وت ؟
فأجاب الرجل : لست أدري ماذا يعني
كلامك .

قال بل : لست أنسى الوجوه ... وأستطيع
أن أعرفك أينما كنت ... أنت ذلك المستر
وت الذي اتهم الدكتور هوارس ولتن .
ولقد كان الوقت ...

فعاد الرجل يقول : ماذا تعني بذلك ياسيدي ؟
وتدخل فورشن فقال في ابتسام وهدوء :
آن أن تقول الحق ... وأن تفكر في نفسك أليس
كذلك ؟ لقد اطلعنا على أدلة اتهامك ولتن
وهي زائفة . لماذا لفقتها يا مستروت ؟

فسأل الرجل : ماذا تريد ؟
قال فورشن ... حسن ! أين صديقك
مستر كويبر ... خير لك أن يكون معنا هنا :

وقف مستر بل مدير البوليس لحظة أمام
المبنى الجديد في مودلن لين وتلفت حوله ،
وأشار إليه أحد رجاله هناك إشارة فهمها ،
ثم دخل البناء ومعه فورشن ، وصعد إلى
مكتب يوليوس كويبر .

ولقيهما فتاة جريئة سليطة اللسان ،
فقال إن مستر كويبر لا يقابل أحداً إلا
في موعد يحدد وقاطعها بل قائلاً :

« إنه سوف يقابلني » ومد إليها يده ببطاقة
فتناولتها وهي ترمقه في شراسة ، ثم اختفت .
وكانت فتاة أخرى تنظر إلى الرجلين من
وراء زجاج الحاجز الخشبي القائم لدى الباب .
وعادت الفتاة الأولى بعد لحظة قصيرة
تقول في جراءة « آسفة ليس مستر كويبر في
مكتبه وخير لكما أن تطلبيا تحديد موعد »
فأجابها مستر بل : هذا لا ينفع ...
ومن هنا ؟

فصاحت الفتاة « لا تزعجني من فضلك »
فأجابها بل في خشونة وهدوء : إنك لا تحبين
فيما أظن أن يحدث لك ما تكرهين .. أفاهمة
أنت ؟ ثم نظر إليها عابسا وقال : اذهبي
فقلولي إن بل مدير البوليس في انتظار أن
يدخل على مستروت

فأجابت في ثبات : ليس لدينا هنا من
يدعى مستروت . فصاح بها : إفعلي ماتؤمرين .
وذهبت فمابت لحظات طويلة ، وكانت

فأجاب الرجل : لقد سافر كويبر ياسبدي :
فضحك فورشن قائلا : لست أظن ذلك ...
وإنك لتظلم نفسك . أظن أنك لم ترد أن
توقع ولتن في الفخ فقل لي ماذا كان من
أمر كويبر في هذه اللعبة ؟ :

وتلفت وت حوله في حالة عصبية وقال :
لا نستطيع أن نتكلم هنا فالفتاتان تسترقان
السمع ، ولا بد أن أخرج معكما :

وما كاد يتأهب وت لمرافقتهما حتى دفع
باب الحجرة ، وانطلقت رصاصتان من
مسدس فأصابتا وت ، فانقلب على وجهه
والدم يسيل منه ؛ واندفع بل صوب الردهة
ومسدسه في يده ، وأكب رجي على الجريح
يسأله فقال لا هنا « كويبر ... كويبر »

فقال فورشن : أعرف ذلك .. وسنقبض
عليه ... أتعلم أين ذهب ؟

فقال وت في همس : إلى يخته ... إلى
يخته في جريفسند وقد أعده هناك . ثم أن
الرجل وتلوى فقد أصيب في كتفه وبطنه

وذهب رجي إلى التليفون وبينما كان
يطلب نقالة لنقل الجريح إذ دخل الحجرة
بل منقطع الأنفاس ، يتبعه عدد من رجال
البوليس في ملابسهم الرسمية وقال : لقد
هرب من ناحية بول كورت ، وإن أحد
رجالنا هناك ، ولكنه لا يعلم بحدوث شيء
وسوف يتعقبه فقط .. وأرجو ألا يفلت منه

فقد أفلت من رقابة رجالنا بالأمس
فقال فورشن : أبعد هؤلاء الفتيات
وضع حارسا على الباب . إني أريد أن
أتحدث في التليفون . وبينما كان رجال
الإسماف يحملون وت على نقالتهم ، كان
فورشن لا يزال يتحدث في التليفون وكان
يقول : أمفهوم هذا ؟ حسن إذن

وركب فورشن وصاحبه بل في
سيارة إلى جريفسند وقصدا إلى مخفر البوليس
هناك ، وما أن بلغا باب المخفر حتى قال لها
شاويش كان في انتظارهما أنتما رجلا
اسكتلندياردا ؟ فأبرز له بل بطاقة تثبت ذلك ،
فقال الشاويش : إن الأمور هناك على
الشاطئ في انتظاركما وسأصحبكما إليه

وأنبأها الأمور عند الشاطئ أنه علم أن
الرجل قد هرب في يخته المسمى سيرا وكان
قد أعده من زمن ليهرب به عند الاقتضاء
وسأل فورشن : هل أعددت قاربا
سريعا ندرك به سيرا ؟

فأجاب الأمور : ها هو ذا القارب
البخاري السريع

وركب فورشن وصاحبه في القارب
وحدث فورشن ربانه قائلا : إننا في أثر
سيرا .. أتعرف هذا اليخت ؟ .. نريد أن
ندركه وأكبر الظن أنه اتجه صوب شاطئ
هولنده .. أسرع ما استطعت

وأخذ القارب يشق الماء في سرعة عظيمة وجلس بل وصاحبه تحت مظلته ، ووقف على مقربة منهما بعض الجند تتدلى من أحزمهم المسدسات وفي يدي اثنين منهما بندقيتان كبيرتان . ونظر بل فإذا الجو أكدر ، وكانت الرياح الشرقية تحيل سطح الماء إلى موجات تعلو وتهبط . وبعد دقائق أبصر بل وصاحبه على بعد نقطة سوداء ، وقال الربان إنها سيرلا . وما هي إلا لحظات حتى أخذ يترأى اليخت ، وأخذ الربان يزيد سرعة القارب وما زال يجد في أثر سيرلا حتى أصبح يرى بالعين المجردة . فنادى ربان القارب البوليسى في بوق يطلب إلى سيرلا أن يتوقف ، وأخذ يكرر الطلب مهددا حتى توقف سيرلا . ولما كان القارب البوليسى يدنو منه سمع صوت رصاصة ورؤى دخان ينبعث منه فقال : بل أكبر الظن أن الرجل أطلق الرصاص على نفسه

وبعد لحظة أصبح القارب البوليسى محازيا لليخت الهارب . وخطا بل وصاحبه ومعهما رجال البوليس إلى ظهر سيرلا . وسأل بل ربانه : أين مستر كويبر ؟ فأجاب الرجل وهو يلحق شفثيه ولا يكاد يجدريقه : ليس معنا من يدعى مستر كويبر ولا نعرف شيئا عن هذا الاسم . إن معنا مستر هوتن وهو هولندي وإن هذا القارب ملك له ،

فسأله بل « أين هو » فقال الرجل « هنا في حجرة صغيرة وأظنه قتل نفسه » فقال بل « أحضره . . أسرع » وأشار إلى بعض جنده فتبعوا الرجل إلى تلك الحجرة . وبعد لحظة ألقى على ظهر اليخت رجل ممدد ينزف الدم من جسده فنظر فورشن فإذا هو بعينه يوليوس كويبر كما وصفه التاجر توماس أوين « نحيف يبدو عليه الكبر ، ذو لحية قصيرة مدببة . أنيق الملبس »

وجثا رجى فورشن إلى جانبه وجس نبضه وتحسس موضع قلبه ، وكان الرجل يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وصاح رجى قائلا : يا للعجب ! فسأله بل : ماذا تجد ؟ أما يفرغ لك عجب ؟

فقال فورشن : إن الرجل لا قلب له ! هذا شيء جد عجيب ! يا إلهي إن قلبه في جانبه الأيمن ! لقد أجريت له عملية في القعدة الدرقية . ثم ابتسم فورشن ابتسامة الرضاء فصاح بل : إذن فأنا أعرفه ولقد تذكرت الآن هيئته . إنه لوتن ياسيدى ! لوتن ذلك الشيطان المحتال . صاحب الاحتيال الكبير على المصرف الرئيسى . لقد اختلس خمسين ألف جنيه أو أكثر من ذلك . وقد حصل ذلك قبل عمالك في البوليس ، ولكن لعلك تذكر تلك القضية . . يا عجبا ! ماذا جاء به ثانية إلى هنا ؟ يا له من محتال جرى !

وقال فورشن متعجباً : أهذا هو لوتن ؟
الآن سوف أعرف كل شيء

قال فورشن : يقص على لومس كيف
عمل كويبر لوتن على الإيقاع بالطبيب الشاب
حتى أدخله السجن « لقد وافقني ولتن على
أن الشذوذ في وضع قلب كويبر لوتن هو
أصل الشر كله »

فقاطعه لومس قائلاً : أي صديقي العزيز
ما لنا ولهذا .. دعنا من صحته ومرضه ..

فقال فورشن : صبرا يا صديقي .. قلت
لك إن هذا الشذوذ في وضع قلبه هو أصل
الشر نخذ الحديث على سرده ..

فنظر إليه لومس في دهشة وأصغى إليه
في شوق فقال فورشن : وقع حادث
لكويبر في أحد الميادين فقد صدمت إحدى
السيارات سيارته ، واتفق أن كان ولتن
المسكين على مقربة من الحادث فأسمعفه
وعالجه . ولكنه تملكته الدهشة حين وجد
قلبه في الجهة اليمنى من صدره وعد ذلك
أمرا يهيمه كطبيب ، وكان قد عرف سائق
كويبر فتردد على ذلك السائق يسأل عن
سيده فأوجس كويبر خيفة فإن موضع قلبه
في الجهة اليمنى هو العلامة التي لا تخطئ
في الكشف عنه وهو لوتن المحتال القديم
لايوليوس كويبر .. وازدادت مخاوف لوتن

حين علم أن ولتن صديق حميم لذلك المفتش
المسكين الذي قتل نفسه . فأرصد لوتن وت
وشريكه ذلك الصحفي الهولندي فدبرا تلك
المؤامرة التي راح ضحيتها ولتن الطبيب
التمس ومفتشنا البائس ، فلقد أراد أن يجد
عملا لولتن خارج إنجلترا فلم يوافق الطبيب
الشاب فما زالا به حتى أدخلاه السجن .
وكان يخشى ذلك المفتش أن تؤثر صداقته
للطبيب في عمله فأوحى إليه ضميره أن يهتم
بجمع الأدلة ضده فكانت ورطته في مسألة
الدخان ، ولما تبين له خطؤه الذي أوقعه
فيه ضميره ، عاد ذلك الضمير فأوحى إليه
أن ينتحر ! فأضيفت مأساته إلى مأساة
الطبيب الشاب ! رأيت كيف كان ذلك
الشذوذ في وضع قلب لوتن هو أصل الشر كله ؟
ونظر لومس في وجه صاحبه لحظة ثم قال
في نبرة حزينة : « لست أدري ما إذا كان
أصل الشر قلبه أم الشذوذ في وضع ذلك
القلب ... لقد ذهب ضحيته وجلان ...
صديقان .. وأجهد البوليس مأجهد . يالهامن
مأساة ويا له من شيطان ! ولكن خبرني
ما حال ذلك الطبيب بعد أن غادر السجن ؟
فقال فورشن وفي وجهه أمارات الأسى :
أرجو أن يستعيد عما قريب ثقته بالحياة

« ذو القناع »

تابع الموت

للكاتب الروسي بريس باتوق

بقلم الأستاذ فوزي شاهين

والتاريخ ، وما كان الرجال وهم فيما هم فيه من هول يحملون بشئ من ذلك . .

كان الرجال يسرون خلف عربة المدفع التي تحمل جثة قائدهم صامتين والأسى يلفهم بردائه الأسود القاتم ، واستودعت الأرض بأطراف القرية جثة فيدور فوجانوف . وبعد أن أقيت كلمات الوداع وأطلقت آخر طلقة للتحية ، أسقط الكاتب من السجلات اسم الملازم فيدور فوجانوف ، ثم تابعت الفرقة سيرها لتستأنف حياة القتال الرتيبة حديث واحد هو ذلك الحديث الذي كان يدور في المساء سواء في فرق المدفعية المنتشرة على طول الجبهة ، أو في الخنادق المنتشرة هنا وهناك ، أو في المحطة القريبة من جبهة القتال — الحديث عن بطولة فوجانوف وميته الخالدة . انثالت الأسئلة على كل من حضر الموقعة ، وحاول كل أن يستعيد ما تستوعبه الذاكرة . وقال الذين لم يروا فوجانوف على قيد الحياة : لقد عاش بيننا ذلك البطل ومع هذا تركنا الفرصة تغلب ! أما أولئك الذين عرفوه فقد أجهدوا

تخص هذه الكلمات الأربع حياة الملازم فوجانوف : طفولته ومدرسته والكلية الحربية . أما الكلمة الرابعة فتحتاج إلى مجلدات ضخمة تنظم فيها الملاحم . كثيرا ما يحدث ألا تزيد الساعات الجديرة بالذكر في حياة الإنسان الطويلة على ساعات ثلاث . ولما كنا نتحدث عن فوجانوف ، فالساعات الثلاث الأخيرة من حياته هي ساعاته الخالدة أتبع لفوجانوف في هذه الساعات أن يرقى إلى أسمى مراتب البطولة الإنسانية ، إذ لا حياة ولا موت ، وإذلا مكان لغير الأبدية والخلود . . في هذه الساعات الأخيرة احترقت حياة فوجانوف ، ولكن الدبابات الألمانية لم تستطع تقدما

قابلت الفصيلة المرتدة عن الجبهة الأمامية المدفعية التي يترأسها فوجانوف ، وحلق فيهم الرجال تعروهم الدهشة وتهتز قلوبهم رعبا وحذرا . وكأنما كانوا يرونها للمرة الأولى ؛ ومنذ تلك اللحظة أصبح فوجانوف ورجاله موضوعا للأغنية والأسطورة ، وصارت مدفعيتهم التهالكة موضوعا للمناحف

بطلا . أفتريد منى أن أرسمه بأنف قبيح ؟
 كلا ! ليكن كاملا في كل شىء !
 ونشرت الصورة في الجريدة الإقليمية فقال
 كل من رآها : « الصورة الحية ! » واحتفظ
 كل منهم بالعدد تذكارا
 كان من بين مخلفات فوجانوف القليلة
 مسدسه ، وهو مسدس عادى كسائر
 المسدسات التى يحملها زملاؤه . وبالرغم من
 أن مقبضه لم يكن من فضة أو يتميز بالحلى
 والنقوش ، فقد اشتعل الجميع رغبة ، كل
 يطالب بالمسدس ليحتفظ به للذكرى كأن
 المسدس أصبح رمزا للمجد ، فصاح القائد
 بغضب عندما انتهت عليه الطلبات :
 ماذا دهاكم ؟ أليس لكل منكم مسدسه ؟
 وقرر القوميسيير أن يكون مسدس
 فوجانوف من حق القائد الذى تبلى مدفعيته
 أحسن بلاء . وهكذا تسابقت الفرق إلى الظفر
 بالمسدس الذى أوقفت رصاصاته زحف الألمان
 أعيد تنظيم فرقة فوجانوف ، وقبل بها
 بعض الجدد ممن لم يروا فوجانوف من قبل ؛
 ولكنهم منذ اللحظة الأولى سموا أنفسهم
 « الفوجانوفيين » لأن هذا هو اللقب
 الذى اختاره رجال الفرقة جميعا ، ولم يغضب
 ذلك القائد الجديد ، فقد كان المجد الخالد
 الذى أتيح لسلفه ينعكس عليه فيحيطه بهالة
 من نور ، فامتلا نفرا لوقوفه على رأس
 فرقة فوجانوف التى ذاع اسمها في كل مكان

أذهانهم مسترجعين ذكريات لقائه ، مستعدين
 كلماته حرفا بحرف ، سواء أكانت تمت إلى
 موضوع أم كانت من عادى الكلام .
 وتحدث طباخه عن الطبق المفضل لديه ...
 وبالرغم من أن تلك الذكريات لم تذكر
 بطولة الفقيه ، فقد كان الرجال حريصين
 استعادتها كما لو كانوا يجمعون كنزا ثميناً ،
 راغبين فى رسم صورة كاملة للشهيد يطبعونها
 على صفحة ذاكرتهم ، حتى إذا تقدم بهم العمر ،
 وجدوا ما يقصونه عن البطل لأبنائهم وأحفادهم
 هكذا بعث من جديد فيدور فوجانوف ،
 وبدأ يحيا حياة أخرى ، ولم يعد — كما كان
 فى حياته — ذلك الفتى الأشعث الشعر ، وإنما
 بدا فى نظر رجال فرقته أنموذجا رائعا لما ينبغى
 أن يكون عليه البطل . وعثر البعض على
 بطاقته الشخصية وقد خضب دمه مكان
 الجبهة والكتفين من صورته ، فأجمع الكل
 على أن تلك الصورة هى التى تشبه تماما ..
 تأمل دور كهوف — أحد الكشافة —
 الصورة مليا ثم استأذن فى استبقائها لديه
 تلك الليلة ، وسهر الليل بطوله يرسم لوحة
 مكبرة لفوجانوف ، ما كاد يتأملها زملاؤه
 فى الصباح حتى هللو قائلين إنها تشبه الأصل
 كثيرا ، إلا أن أحدهم اعترض على شكل
 الأنف ، فقد كان أنف فوجانوف أفطس
 قليلا ، ولكن الكشف رد عليه قائلا :
 — لقد عاش فوجانوف رجلا ومات

وبدأ الصحفيون يتقاطرون إلى المكان ،
كلهم يطمع في الحصول على نبأ جديد عن
البطل الراحل ، وأخذوا يجمعون ما كان
بالأمس نسيا منسيا ، فأصبح بين عشية
وضحاها قصصا خالدا . وهكذا انتشرت
أنباء حياة فيدور فوجانوف القصيرة التي
تلخصها أربع كلمات ، وأنباء موته الذي
يستحق أن تؤلف عنه المجلدات

طارت الأخبار إلى القرية الصغيرة
بسيبريا حيث ولد فيدور فوجانوف ،
وطالعت الأم القصة التي تمجد بطولتها ابنها ؛
ولكن المقالة التي ملأت صفحة كاملة بما
كانت تحمله من أسباب تبعث على الفخر ،
لم تكن تحدثها إلا عن أمر واحد : لقد
مات ولدها ! انفجرت الأم باكيا وتلقته
جارتها بين ذراعيها غير محاولة أن تخفف
عنها أو تقدم لها العزاء ، وقالت ببساطة :
— إبكي ما طاب لك البكاء يا ستيبانوفنا !
ينبغي أن تبكي ، ولكن من حقك أن
تفخرى أيضا !

وقطع مدرس القرية الدرس فجأة وهو
يقول بصوت مرتجف :

— أي أبناءى ! على نفس هذا المقعد
جلس من قبل فيدور فوجانوف البطل الخالد
وتطلع الصغار جميعا إلى المقعد الذي كان
يحتله البطل وقد توردت خدودهم تيبها ، وظل
المدرس فترة يرمق المقعد دون أن تستطیع عيناه
تحولا أو يواتيه الصوت ليستأنف الدرس

وعندما اجتمع فلاحو القرية اتفقت
كلتهم على أن يطلق اسم البطل على القرية ،
وأن يقام لفيدور فوجانوف تمثالا على
خضرة الوادى . وسرعان ما وفد إلى القرية
مثال سأل الأم أن تعيره مالدتها من رسوم ،
فنحت كل ما عثرت عليه ، ومن بينه صورة
لابنها عندما كان حدثا أشعث الشعر في زى
المدرسة ، وأخرى له وهو في البزة العسكرية ؛
ولكن الصور لم ترض الفنان ، فإنه لم يأت
إلى القرية لينحت تمثالا لطفل غر ، وإنما جاء
لينحت تمثالا لمحارب ملاً صيته الأسماع

ونفذ الفنان الفكرة التي طافت برأسه
كما تخيلها لفيدور . عينان واسعتان
متفتحتان للحياة ، وجهه عريضة تحدثك
عن عزم وقوة ، وقامة مديدة لمحارب صلب
العود ، كما كان يصبح فوجانوف لو امتد
به الأجل وا اكتمل نضوجه

كم أود لو أمتع ناظرى بذلك التمثال .
إننى أحسد فوجانوف .. ترى كم تبقى لدى
في الحياة من نسمات ؟ أقدر لى أن أعيش
ساعة .. شهرا .. عاما .. ثلاثين عاما ؟ لكن
فيدور فوجانوف سيظل إلى الأبد حيا ،
يشرف على قريته الخضراء ، نابضا بالحياة ،
خالد الشباب ، وستستعيد الأجيال المقبلة
قصة حياته القصيرة ، وميتته الخالدة ، وهم
يتناقلون بها جيلا بعد جيل .. هذا هو الخلود

فوزى شاهين

فكر في الحل



رواية شاب هادى

سمع إفرت مور مساعد الصراف في إحدى الشركات الكبرى وهو ينتظر في غرفة خارجية بالطابق الثالث ، صوت سيارة تقف عند باب الشركة في الساعة الثانية إلا قليلا بعد منتصف الليل . وبعد لحظة دخل عليه مأمور البوليس حيث كان ينتظر . فقال مساعد الصراف في هدوء : « جئت متأخرا » فينظر إليه المأمور نظرة فاحصة ثم سأله ما الحادث ؟ فقال في أسف ولكن دون أن يبدو عليه أى اضطراب : « لقد جمعنا الليلة قدراً عظيماً من المال ووضعت أوراق النقد في درج مكتبي هنا في غرفة داخلية لأعدها قبل أن أودعها الخزانة » ثم سحب المأمور إلى تلك الغرفة الداخلية وهو يقول : « وفي الساعة الواحدة والنصف سمعت وقع أقدام على السلم بأسفل البناء فبادرت بإطفاء نور الشقة إذ كنت وحدي في البناء كله ، وكان النور بحيث لا يرى من الشارع ولا من السلم .. وبعد لحظة أحسست بشخص ينسل في جراءة وفي غير بحث أو حذر إلى هذه الغرفة على نور مصباح كهربائى صغير ، ونظرت فإذا نور المصباح على مكتبي وإذا

به يخرج النقود في سرعة من الدرج ويدسها في حقيبة كانت معه وكان مقنعا وفي يده مسدس . وسمعت صوت سيارة قادمة ، فانتظرت حتى تقترب بحيث يغطى صوتها صوت قرص التليفون إذا أدوته . ثم أدت القرص وطلبتكم في المحفر العام مستغيثا في همس . ولما لم يكن معى سلاح لم أستطع مقاومة ذلك اللص . وبعد أن نزل بدقيقتين أضأت الشقة فقال المأمور أى رقم طلبت ؟

فأجاب الشاب في هدوء : الرقم العام للبوليس ٥١٢١٩ :

فسأله المأمور : ألم تغادر هذا المبنى طيلة هذه الليلة ؟

فأجاب الشاب : غادرته في الساعة الحادية عشرة إلى قهوة حيث أكلت شطيرة وشربت قدحا من الشاي ... وكان الصراف لا يزال هنا ومعه بعض الموظفين والخدم

فقال المأمور : ولم لم تتعش في مطعم ؟ فقال الشاب وما زال هادئا كل الهدوء : أحببت أن أعود مسرعا لأتم عملي ولكي يستطيع زملائي الانصراف :

فقال المأمور : ألبس قبعتك واصحبني إلى المحفر مقبوضا عليك :

لماذا ارتاب المأمور في كلام الشاب وقبض عليه ؟
الرواية : فكر في الحل ... الخ

تجد حل اللغز المنشور في العدد الماضى في ص ١٦ من هذا العدد

ذكر

مجلة الأدب الرفيع والأدب العالي

تدخل سنتها الحادية والعشرين في أول يناير المقبل وهي أقوى
في التحرير ، وأجمل في الأسلوب ، وأبلغ في التنويع
وأكبر في الحجم ، وأغزر في المادة

مبدؤها : وصل الجديد بالقديم ، وربط الشرق بالغرب على هدى وبصيرة
أفراها تردد فقها في دينك ، وعلمنا بلغتك ، وفهما لأدبك ، وسعة في ثقافتك

تظهر كل أحد من كل أسبوع



العدد الرابع - السنة الرابعة



سكرتير التحرير

محمود الحفيف

برل الاشتراك

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في الممالك الأخرى

٣ ثمن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصص والبرائح

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

صاحب المجلة

ومديرها ورئيس

محررها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

٨١ شارع السلطان

حسين بعبدين

تليفون ٢٧٤٩٠

العدد الرابع ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ - ١٥ يناير سنة ١٩٥٣ السنة الرابعة



فهرس العدد

صفحة	
٢	لا مفر أقصوصة مصرية للأستاذ محمود الحفيف
١٧	الترقة الزرقاء للقصصى الفرنسى بروسبير ميرميه بقلم الأستاذ محمد عبد الفتاح محمد
٢٩	الدليلز المكشوف أقصوصة مصرية للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله
٣٤	امراتان ورجل عن الأمريكية بقلم الأستاذة زينب الحكيم
٥٠	ملك آشوريا لتولستوى بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى
٥٧	الورقة الثالثة عشرة قصة بوليسية للكاتب الإنجليزى فيليب أوبنهايم
٨٠	فكر فى الحل

لا مفسر

للأستاذ محمود الحفيف

نهض الفتية واقفين في اعتدال وأمسكوا
عن الظياط والضحك حين أقبل عليهم
ذات مساء من أماسي مايو على أخو العمدة
وكانوا خمسين أو يزيدون قد فرغوا منذ
قليل من عملهم المضني وبدا في وجوههم التعب
إذ كانوا طيلة نهارهم يحملون مقاطف الفحم
واللبنات الثقيلة على كواهلهم إلى حيث أخذ
البنائون يرصونها على نظامهم طبقات بعضها
فوق بعض يتخللها الفحم ليجمعوا من ذلك
اللبن آجرا بالحريق

وكان الفتية قد تقاضوا منذ لحظة أجر
يومهم من صراف العمدة وكانوا جميعا في
الأجر سواء لافرق بين قويمهم وضعيفهم .
ولمذ تعودوا أن يظفروا كل مساء ببضعة
قروش زيادة على أجرهم من على أو الأستاذ
على كما تعود الناس أن يدعوهم في القرية .
وألقي الأستاذ إليهم السلام هاشا كما يفعل
كل أمسية ، وردوا مرحبين وإن بدا عدم
الازتياع على وجوههم لرؤيته في ملابس
المدينة فلمله مسافر الليلة ، ثم أخذ يضع
بنفسه في يد كل منهم ثلاثة قروش وهو
كمادته يحذرهم ضاحكا من المعسل والشاي

الأسود ، وهم يتظاهرون بالطاعة ويضمرون
المصيان حتى بلغ آخر الصف فالتفتوا ليروا
ماذا يضع هذا المساء في كف صابر . ونظر
الأستاذ إلى صابر معجبا وهو يقول له :
« أنت اليوم بخمسة رجال يا صابر وكنت
أمس بأربعة » ثم ألقى في يده قدر ما يلقيه
إلى خمسة منهم . فهلل وجه صابر الذي
يتفرق فيه ماء الشباب ولا يبدو فيه أثر
الجهد ، وقال وهو يرفع يده القوية التي يخططها
الوشم إلى رأسه بالتحية وقد التمت بنشوة
الفوز عيناه المليحتان : « وغدا بعشرة إن
شاء الله يا سيدى .. ربنا يطيل لنا عمرك »
وتفرق الفتية إلى دورهم وقد أخذت
تشرب كدرة الأفق حمرة الشفق .. وما
كادوا يتعدون حتى أخذ بعضهم يتغامزون
وبعضهم يتهامسون . وقال أحدهم في صوت
مسموع : « والله إنه يكرمه من أجل غني
نعيمة .. عينها الخضراوين وهذا .. العبيط
لا يفهم شيئا » وقال آخر : « حذار ، فإن شبل
ابن خالتها وراءك قادما من حقله » وقال
ثالث : « لا والله ! بل إن الأستاذ يحب صابرا
منذ صغره ويعجب بقوته ومواويله وأرغوله

ولم لا تفر بالحق فهو بخمسة منا أو أكثر»
وسمع شبل هذه العبارة فتال في غيظ وقد
مر بهم على ظهر حماره : « اليوم بخمسة
منكم وأمس كان بأربعة وغدا بسبعة ! والله
هذا كلام فارغ . ولست أدري ماذا يعجب
الأستاذ فيه ! »

ومر صابر بهؤلاء ولم يسمع ما يقولون .
والتفت شبل فنظر إليه نظرة كلها حقد
وبغض فضحك من رأوه من الفتية

كان صابر في الثانية والمشرين من
عمره ، ريان الشباب ، تأخذ المين قامته
المديدة في غير إفراط ، وجسمه الممتلئ في
غير بدانة ، وعضله المقتول في غير غلظ ،
وتعجب الناظر إليه فوق ذلك وسامة في
وجهه الأسمر ، وملاحه في عينيه السوداوين ،
ووشم أزرق في صورة عصفورين على عارضيه ،
وأسطر من هذا الوشم في ظاهر كفيه .
وقل في شباب القرية من يساويه في ضربة
فأسه وطول نفسه . يعمل طول نهاره ولا
يكاد يكل ، وإذا تحمس في عمله نسي نفسه
ففعل مالا يطيق غيره أن يفعل ، وإذا نافسه
في البأس والجلد منافس جعل كل هم أن
يفوز عليه ، فما هي إلا لحظات حتى يحمل
على الإذعان منافسه ، ويضحك منه ، ولقد
يتكاثر عليه المنافسون فإذا بهم تبهرهم قوته

وتخزيهم عزيمته . ولقد شاع في القرية
حديث بطولته كما شاعت فيها مواويله .
وإنه ليتغنى بالمواويل أثناء العمل فينصت له
الشباب مأخوذين بسحر صوته وقد ملأ
الطرب أجسامهم ، إنه كذلك يغنى غناء
هاو في بعض الأعراس فما أن يذاع أنه
سيغنى ذات ليلة حتى يقبل فتيان القرية على
دار العرس فيملأونها ويملاؤون الشارع
أمامها وتقبل الصبايا فيملأن الأسطح
القرية ومداخل الحارات . ويقترح عليه
الشباب أي معنى فما أسرع أن ينظم فيه
موالا جديدا وما أسرع أن يصلصل حلته
القرى بتطريب عجيب ، ينبعث من أعماق
نفسه قويا مجلجلا حتى لكأنه يهز الدور هذا

دخل صابر داره وفي يده منديل يحمل
فيه أشياء اشتراها في طريقه من دكان ،
وكانت تضيء ضمن الدار مسرحية ترسل
دخانها الكثيف في كوة صغيرة قد اسود
سقفها وجوانبها من كثرة ما علق بها من
الهباب . وكانت أمه جالسة مع أخته
فتحية بجوار المصطبة ، وكانتا تطعمان الحبز
القديد والمخلل . ورأى في نظرة أمه إليه
أنها كانت تترقب قدومه وإبه ليفطن إلى
ما تريد ، وقال لهما دون أن يحبيهما « ماذا
تأكلان ؟ » ووضع منديله على المصطبة

وقبل أن تجييه إحداها ذهب إلى عجلاته وكانت تحت عريشة بغير باب في جانب من صحن الدار ، ونظر فيما أمامها من علف ، وقلبه بيديه ثم عمد إلى مقطف بجوار المصطبة فأخذ منه بعض الفول ونثره على ذلك العلف ومسح بكفه على ظهر عجلاته وهو يسأل أخته هل سقيتها ؟ فأقسمت له فتحية وهى بنية خفيفة الروح فى الثانية عشرة من عمرها أنها سقتها ثلاث مرات وأشهدت أمها على ما تقول ، فأخرج لها صابر من منديله نصف رغيف وقطعة من الحلوى الطحينية ، وأعطى أمه مثل ما أعطى أخته ، وجلس على حافة المصطبة يأكل ما تبقى له فى المنديل

وقالت فتحية : متى تمطينى ثمن منديل لرأسى وقد وعدتنى بذلك ألف مرة ؟

فأجابها صابر : سأشترى لك منديلا يوم السوق ما دمت مهتمة بعجلاتى

فقالت أخته ضائنة : تقول هذا كل أسبوع ولا تمطينى شيئا .. ألسنت مثل ... ونظر إليها أحوها فى غضب فلم تقل مثل نسيمة . وفطنت أمها إلى ما تريد فتحية فشت فى وجهها كدرة وزمت شفقتها متكرهة كما تفعل كلما ذكرت نسيمة . فقال صابر لأخته وهو يشير إلى يديها يريد أن يغير مجرى الحديث ...

ومن اشترى لك هذه الغواثس الجميلة ؟ فضحكت فتحية ورن فى صحن الدار صوتها العالى وقالت : أنت اشتريتها .. ربنا يخليك يا صابر وأفرح لك بالمروس التى تحب .. ثم عادت تضحك فى كثير من الرعونة فخدجتها أمها زاجرة فأمسكت فى جهد . ثم تركت أمها وأخاها وخرجت إلى الحارة وقد سمعت صاحبات لها يتغنين ويلعنن ...

فقات أم صابر لولدها : يا صابر أبوك فى حاجة إلى جنيه . وقد ظل ينتظرك هنا طويلا ثم ذهب إلى الجامع

فتغير وجه صابر وكان لا يزال به أثر السرور مما قالت أخته ؛ وقال لأمه : ذهب إلى القهوة لا إلى الجامع .. جنيه ؟ ومن لى بهذا الجنيه ؟ ألا يكفى أنى أطعم نفسى ؟ إنى أعمل عمل الأجير طيلة نهارى ثم يأخذ أبى قروشى فيضيعهم فى القهوة ! حتام بأحذقروشى ؟ فقالت أمه : إن نصف الجنيه دين عليه يريد أن يؤديه ، وزيد أن نشترى بالنصف الآخر ذرة وقد أوشك أن يتفد ما عندنا منها . فنظر صابر إلى وجهها الضارع المصفر وإلى عينيها اللتين تمسكان الدمع فى جهده إلى بدنهما الذى نال منه الكدح وقال : غدا أحضر لك الجنيه .. ولكن اسمى : إنه إذا طلب منى شيئا بعد ذلك فلن أدفع أبدا فقالت أمه فى نبرات ملؤها الحماسة : الله

يخلف عليك يا صابر ويطول عمرك يا ابني
ويفرحك بنت الحلال

فقال صابر يداعب أمه ليضحكها : ومن
تكون بنت الحلال هذه ؟ ألا تعرفينها ؟

فما كادت تبقي أمه حتى حبست ابتسامتها .
وكادت تشيح عنه بوجهها وكان يقع عليه نور
المسرجة منذ أن اتجهت إلى ابنها فأمعن
صابر في مداعبتها قئلا : ولكني أعرف بنت
الحلال هذه وهي واحدة لثانية لها . فأشارت
أمه بكفها مغتازلة إشارت الرفض دون أن
تشكلم ، وضحك صابر ضحكة عالية فيها كثير
من عذوبة روحه ..

* * *

فرغ الفتية بعد بضعة أيام من عملهم
وجلسوا في آخر أمسية لهم متحلقين ، وقد
نفضوا التراب عن ثيابهم ووجوههم وكانت
تعلم وجوههم غبطة ؛ فقد علموا أن الأستاذ
عليا عاد من سفره وأنه سيعطيهم من ماله
الليلة عن يومهم هذا وعن الأيام التي غاب
فيها عن القرية ، وكانوا يتحدثون بما عسى
أن ينال كل منهم وما ينال صابر بوجه خاص ،
وكان شيء آخر يدخل السرور على نفوسهم
وإن لم يشيروا إليه في أحاديثهم . ففي القرية
الليلة عرس وسينفى فيه صابر ..

وبينما كان الفتية في حلتهم إذ أقبل شبل
ومعه فتى ليس في القرية من يجمل شره

وغدره ، هو سالم الذي ألقى في السجن
مرات فلم يزد السجن إلا عمدا وعتوا .

وأشار سالم بيده إلى صابر فخف إليه وإلى
صاحبه . ووقف ثلاثهم يتحدثون لحظة

حديثا غير مسموع ، ثم علا صوت صابر
في غضب ، فنهض الفتية من الحلقة واحدا

في إثر واحد ، وقد أحسوا أن في الأمر شرا
وتجمعوا حول صابر ومن معه ، وشخصوا

بأبصارهم إلى صابر والحق في معارف وجهه
والثورة ملء بدنه وهو يقول إنه لا يخشى

أحدا إلا الله وإنه لا يمرض في أغانيه بأحد
وإنه لا يعيبه أن يحمل الفحم والطوب : ولولا

أنه في ساحة العمدة لأراها كيف يرد على
إهاتهما إياه . ثم اتجه إلى شبل قائلا : هل

جئت بسالم لتخوفني به ؟ لم لم تحضر وحدك
إذا كنت رجلا ؟ واستخذى شبل كما

استخذى صاحبه . وأخذ سالم في مثل روغان
الذئب يتنصل مما نسب إليه ويعلن أنه

صديقهما معا وأنه يحب صابرا وما قصد إلا
الصلح بينه وبين شبل . وأنه لن يهدد أحدا

في ساحة العمدة
وعجب الفتية كيف يغضب صابر على هذه

الصورة وما عرفوه إلا هادئا صبورا ، عذب
الروح ، يصلح بين المتخاصمين ، ويطفى الشر

بنكاته . وتساءل بعضهم فقال صابر : هل
تصدقون أنني أعرض بينت خالتي في أغاني ؟

ثم اتجه إلى شبل قائلا : وما أنت وهذا ؟ ثم من أنت حتى تعيرني بعملى وهل يسير الإنسان أنه يأكل من عرق جبينه ؟

وما أن سمع الفتية ذلك حتى أقبلوا على شبل ينهروه ، وكاد يتفاقم الشر لولا أن أقبل على أخو العمدة فسكنت ريمهم وتسلل سالم وصاحبه

ثم تفرق الفتية إلا صابرا بعد لحظات وفي راحتهم من القروش ما ألجج بالدعاء لعل وأخيه العمدة ألسنتهم ، وفي نفوسهم من التطلع إلى العرس وغناء صابر ما أنساهم كلام شبل وما خفف عنهم تعب أجسادهم . وجلس الأستاذ على كرسيه ووقف صابر إلى جانبه وما زال أثر الغضب في وجهه على الرغم مما أصاب من نقود لو عرف الفتية مقدارها للمأثم العجب . وكان على يختص صابرا بمحبته ، وينزله من نفسه منزلة بين التابع والصديق ، ولولا العرف وما ينطوى عليه من سخف كثير لوضعه في موضع الصديق . ففي إجازاته لا يكاد يرى صابر إلا معه إذا لم يمنعه من ذلك عمل . يرسله على في أكثر أموره ، ويأنس بفكاهاته وأحاديثه عن القرية وأنبأها . وإن عليا ليعجب من تعفف صابر على مابه من خصاصة فما يطلب منه مالا أبدا مهما بلغ به العسر . ولا يطمع منه في متاع أو زاد كما يطمع غيره ، لذلك

ينتهز على فرص العمل فيضاعف له الأجر . والتفت إليه على فسأله : ماذا يسكر بك

يا صابر ؟ هل كنتم تتشاجرون ؟

فأجاب صابر : لا . . أبدا وهل تتشاجر

في ساحتكم ؟ إنما أحس بشئ من التعب

فقال على : أنت تحس التعب ؟ قل كلاما

غير هذا يا صابر . . لا بد أنك لم تر نعيمة

اليوم هذا هو السبب الحقيقي

فابتسم صابر ولم يجب . . وبعد لحظة قال

لعل : أرجو منك أن ترسل من يأتي بأبي

بعد أن أنصرف ، فتمنعه من السهر في

القهوة لقد رجوت ذلك كثيرا منك . . إنه

يرهقني بطلباته ويهمل القرارات التي

يستأجرها وماذا يعمل إذا تزوجت أو مت ؟

وضحك الأستاذ على قائلا : عجيب أن

يكون الولد هو الذي يدعو إلى استقامة

الوالد . . سأفعل ما تريد يا صابر . . قل لي

أصبح أنك ستغنى الليلة ؟

فابتسم صابر وقال : إني أغنى كما تعلم

يا سيدى غناء هاو ، فإذا أتاح لي المغنى

المستأجر فرصة غنيت . . على أن كل صاحب

عرس ينكدر خاطره إذا حضرت ولم أغن

ولهذا فلا بد أن ألبى . ولكن بعد أن يفرغ

المغنى الأصيل من غنائه

فقال الأستاذ على : سأحضر الليلة بنفسى

لأسمعك . لا تعلم أحدا بذلك . وسيكون

زروع . ولقد كاد يحجره الليلة إلى مشاجرة في
ساحة العمدة مع صابر بن جودة ... وكيف
يقوم ابنك غدا إلى عمله قبل الشمس وهو
لم ينم حتى هذه الساعة ؟ لقد اتفقت منذ
المغرب مع من يعينوننا ولدينا مزارعونا وهم
من أقوى الرجال

وهمت امرأته بأن تطفى الفانوس لتصرفه
إلى غرفته في أعلى الدار لينام ، مكتفية بنور
مسرحة في كوة عند باب السلم وأخرى في
مدخل الحظيرة . ولكنه استمهلها مغضبا
فهو خارج ليلتمس ابنه ، ودخل المنطرة
فأخذ هراوة في يده ومضى يريد الخروج فلم
يسكد يفتح باب الدار حتى وجد ابنه على
عتبتها ، فأمسك بتلابيبه يسراه وهو يسأله
أين كان حتى هذه الساعة ، ثم رفع هراوته
يريد أن يهوى بها على جسم الفتى وكادت
زوجته تصرخ ولكنها أمسكت بالهراوة ،
وظلت تتوسل إلى زوجها حتى أطلق ابنه
وقد عقدت المفاجأة لسانه . وكأنما أراد
شبل أن يطفى ثائرة أبيه ، فذهب إلى
الحظيرة فقلب العلف أمام الثور والبقرة وألقى
عليه بعض القول ، ثم فعل مثل ذلك بعلف
الجاموستين والحمير الثلاثة ، وأطما مسرحة
الحظيرة وأغلق بابها .. فقال له أبوه . إذا
تأخرت خارج الدار بعد ذلك كما فعلت الليلة
فلن تدخل داري ، وإذا بقيت على صلتك

أجرك مني لا من صاحب العرس
ونبتت الدهشة والغبطة في وجه صابر ثم
قال : هذا شرف عظيم لي ولصاحب العرس
والقرينة كلها

مضت ساعة بعد صلاة العشاء ولم يعد
شبل إلى داره . وكان أبوه الحاج عثمان في
الدار ينتظره قلما ساخطا عليه لتأخره ،
وكانت أمه تهون له الأمر ، وتلتمس الماذير
لتأخر ابنها ، وإيها لتعلم أين هو فهو في دار
خالته لا يكاد يتخلف ليلة عنها على الرغم من
ضيق محمد ابن خالته به ، ولكنها تقول
لزوجها لعله يلم ببعض الدور ليتفق مع من
يعينونه غدا في الحراثة ، أو لعله خف إلى
بيت أخواله ليعود حسنا ابن خاله ، وما هي
إلا لحظة ثم يرجع . ولكن أباد لا يقتنع
بهذا ويضيق بها في غضب قائلا وهو أمام
منظراته تحت فانوس يرسل ضوءه الخافت
في صحن الدار الواسع : إسمنى يا امرأة ..
ما دامت يدى هذه تلف عمامتى لا أسمح
لأحد من أبنائى أن يعصينى ... إن أخاه
الكبير هنا من بعد صلاة العشاء . أظن
أنى غافل عنه ؟ لقد سمعت الليلة في الجامع
أنه اتخذ سالم حماد صديقا له وليس في البلدة
من يجمل من هو سالم . إنه يستغفل ابنك
ليأخذ منه بما يستطيع أخذه من مال ومن

بسالم فلست إبني . أتعير صابرا بأنه أجير ؟
والله إنه خير من عشرة مثلك

ونظر شبل صامتا إلى أبيه وهو يصعد السلم ، حتى إذا خلا إلى أمه قال لها في صوت يخشى أن يجهر به وهي تلومه بنظراتها : حتام يعاملني أبي كأي طفل ! ونظرت أمه إلى بدنه النحيل الطويل ووجهه الشاحب وطاقيته الصغيرة ، وذكرت كيف كان كالمصفور في يد أبيه القوية وكيف كانت عمامة أبيه المتخذة من صوف غزله بيده ترتفع عن هذه الطاقية شبرين وتبدو كأنها قدر خمس مثلها

وقالت له أمه : ألم أقل لك كني ذهابا إلى دار خالتك ؟ أتذهب كل ليلة ؟ هل تخشى على نعيمة أن تطير ؟ متى تصبح عاقلا ؟ لقد سمعت أنها كثيرا ما تهرب من الدار إذا كنت هناك معتذرة بأي عذر ، وأنت لا تريد أن تفهم

* * *

امتألت الدكة الخشبية أمام دار العرس بشباب القرية ، وجلس نفر من الشيوخ على المصاطب أمام الدور القريبة ، وقد أضاء المصابيح القوية المتبدلية من الأعمدة الفضاء بين هذه الدور . وجلس على الأسطح في الظلام حشد من النسوة والصبايا ، كن يرين الرجال ولا يكاد هؤلاء يرونهن ، وفي

مدخل إحدى الدور الواسعة الظاهرة النعمة جلس على أخو العمدة على مصطبته مع صاحب الدار

وأخذ مغني العرس يبدى مواويله المحفوظة ويعيدها ويجمع « النقوط » من هذا وذاك . والناس ضائقون يسألون متى يبدأ صابر . وفطن أصحاب العرس إلى ضجر الناس ، فما كاد ضيوفهم يفرغون من شرب القرفة حتى دعا أحدهم صابرا ، فضج الشباب بأصوات الفرح ثم سكتوا وأرهفوا آذانهم . وتراحف النسوة والصبايا على الأسطح يقتربن ليرين صابرا وهو يغني ...

ووقف صابر في جلبابه الأبيض النظيف وعلى رأسه طاقية أنيقة بيضاء فيها قليل من صبغة زرقاء ، وعلى أحدها تقيه كوفية منقوشة من الحرير وفي يديه أرغول طويل . وكان مرفقه تحت أحد المصابيح فأضاء وجهه الأسمر الوسيم حتى ليرى المصفوران في عارضيه . ودار صابر بعينه في الجالسين لحظة ، وهو يختلس النظر إلى الصبايا على الأسطح عن يمين وشمال ، ثم نفخ في أرغوله لحنا قصيرا ، ما كاد يفرغ منه حتى وضع على خده الأيمن كفه وقد أظهر النور ما يخططها من وشم . وبدأ صابر بموال جديد فصاح في صوته الممتلئ الجميل قائلا : « صابر على الجربس . الحلو موش داري »

وانتظر حتى قرت أصوات الاستحسان فقال «أنا اللي قلبي انكوى لكني بإداري» وانطلقت صيحات الشباب واشتدت حماسهم ، وانبعثت بعض الزغاريد من الأسطح . ثم ساد السكون ؛ ونظر السامعون إلى المعنى الشاب وقد أحسوا أن معانيه تنبعث من قلبه كمهدم به إذ يغنى ، وبلاوا مبلغ تأثيره فيما تشكلت به أساريه فقد كان يبدو كأنما أخذته حال عن نفسه ثم صلصل حلقه بقوله « صابر على النار لا أهلى ولا دارى — ولا نعيم الصبا يطغى لهيب نارى » : وما أتم هذا البيت حتى تصايح الشباب كأنما طاف بهم طائف من الجنون . فلما سكتوا عاد الفتى يقول « صابر على النار » وتوقف قليلا فصاح أحد السامعين وهو رجل عرف فى القرية بحسن النكتة قائلا « صابر على النار ؟ لا والله بل على الجنة يا صابر بعد طول عمر .. وهل يدخل النار من يغنى هذا الغناء ؟ » وضج السامعون بالضحك حتى النسوة فقد تضحكن وعلا ضياطنهن . وثاب صابر إلى نفسه فأضاءت وجهه ابتسامة جميلة وأخذ صابر يغنى وقد ملأ السرور كل قلب ، ولكن ما راع الناس إلا النكتة سمجة باردة نطق بها ثقيل أحق فكادت تفضى إلى معركة بين الشباب وبين قائلها ، وكان لها من سوء الوقع فى نفوس الناس بقدر ما

كان لتلك النكتة الظريفة السالفة من حسن الأثر . فمندا وقف صابر عند قوله « ولا نعيم الصبا » سمع من يقول « نعيم أم نعيمة ؟ » وتلفت الناس فإذا بسالم هو صاحب النكتة . وأخرج أصحاب العرس ؛ وهم بعض الفتية بضرب سالم ، وأوشك العرس بذلك أن يستحيل إلى معركة ، لولا أن ظهر على قدامه سالما ونهزه وصرفه فى غضب وتوعده

ونسى صابر ما حدث وعاد يغنى حتى أتم مواله ، وقد أوشك الليل أن ينتصف . وأقبل عليه أصحاب العرس والسامعون يحيونه ويثنون عليه قبل أن ينصرفوا . ونادى على صابرا فمنحه جنيها ، وأخذه صابر فى استحياء وغبطة ، ورأى على فى وجهه شيئا من الانتفاض ، فعزاه إلى ما حدث من سالم فنصححه ألا يهتم بذلك فحسبه أن الناس جميعا كانوا يعطفون عليه وحسب سالم ما صبه الناس عليه من سخط وازدراء .

ومضى صابر إلى داره . ولكن شيئا آخر كان يقلقه ، فإن نفسه تمحده أن نعيمة لم تشهد هذا العرس . وقد التمسها بعينيه بين الصبايا على الأسطح فلم يجدها ، وما يذكر أنه غنى فى عرس وغابت عنه ، وإنها لتحرص أن تجلس على السطح لحظة أول الأمر بحيث يراها ثم تندس بين

الفتيات ، وإنها لتسترعى انتباهه عند انصرافها إذا لم يرها أول الليل . وبلغ داره فوجد نبأ ما فعل سالم عند أمه قد حملته إليها أخته فتحية . وسألته أمه لماذا يتحرش سالم به وحذرتة من شره وهي تغفم مغضبة كأنما تحدث نفسها قائلة : مالنا ولهذه البنت ياناس ؟ أليس ابن خالتها أولى بها ؟

ونظرت فتحية إلى أخيها باسمه ، فقرا في وجهها ما تريد أن تقول ؟ فدنّت منه حتى لا تسمع أمها وقالت : نعيمة لم تكن في القرخ . علمت من صاحباتها أن أباهما خرج عليها كما طلب منه شبل ابن خالتها . كادت نعيمة أن تبلغ الثامنة عشرة من عمرها . لو رآها من ليس يعرفها لخالها فتاة رائعة الحسن من بنات العلية في المدن زيت برى قروية ، قوحتها الأبيض التورد الجميل وعيناها الخضراوان المتألفتان وشعرها الأصفر الجزل ، كل أولئك قل أن يتفق لصبية من صبايا الريف . وهي إلى الطول أقرب منها إلى القصر . وإلى الامتلاء أدنى منها إلى النحافة ، بضعة غضة ... وإنها مع ذلك لدقيقة الخضر مستوية القد جميلة الأطراف ، تسترعى الأبصار يداها الصغيرتان وقدماهما الدقيقتان ، بقدر ما يسترعيها دلال مشيتها ومرح لفتتها

وجرأة نظرتها وسذاجة ابتسامتها . وإنها لتضحك في شيء من الرعونة وترفع صوتها الساحر العذب في الحديث حتى ليحسبها الجاهل لعوبا ماحنة ، إذ هي في الواقع محصنة ليست من المجون في شيء . ولعلها اكتسبت لون بشرتها ونعومة بدنّها وبضاضته وجمال صوتها ، من أمها ، فلقد كانت لأمها شهرة بهذا كله أيام صباها ، ولا يزال لها بقية منه ، أما جمال وجهها ووسامته فمن أبيها ؛ فوجهه على الرغم من كهولته ناطق بما كان من رونق شبابه وقسامة حياه ، وأما سذاجتها ومرحها فمن أبويها معا ، فأما ضاحكة أبدا عالية الصوت في الضحك والحديث خفيفة رعناء ، وأبوها عذب الروح ، يضحك ملء نفسه فقهقها إذا روى نبأ أو ضرب مثلا ، وهو على قلة ما قسم الله له من رزق وكثرة من يعول من عيال قانع دائما متفائل لا يتسخط ولا يشكو .. ذلك ما اكتسبته نعيمة من أبويها ، أما خضرة عينيها وصفرة شعرها فليس يعلم أحد مصدرها

جن بها صابر ثم أحبته وشغفها حبا حتى صار حبهما حديث القرية كلها ومضرب المثل للحب فيها ، فهي حلم شبابه وأمل عيشه وملهمة أغانيه . وإنها لتزهي بذلك ولا تنكره إذا داعبتها به صويحباتها فتضحك ويخفق قلبها وتشيع البهجة

والنشوة في جسمها كله . وإن كثيرا
منهن ليحفظن مواويله ويعدنّها عليها .
فتذكرهن بعض ما نسينه منها

وكثيرا ما لقيها صابر ولقيته في الحقول
على غفلة من الناس ؛ وكثيرا ما لقيها في دار
قرية له هي صالحة بنت أبي العيش ، مع
ابنتها زينب . وفي زحمة الأعراس كان يراها
وتراه وتسمع مواويله وتتفطن أكثر من
غيرها إلى معانيه ، وكثيرا ما أهدى إليها
من الغواش والمناديل التي تطرزها زينب
على قدر ما تتسع له قروشه . وكان أهل
القرية يتمنون أن تصبح له زوجا فهم يحبونه
ويعجبون به ويعطفون عليه لدمائته
واسقامته وبطولته ، فما عرفت القرية فزعا
من حريق أو غرق أو عراك إلا كان
صابر في طليعة من يدفعون البلاء في همة
وتحمس . ثم إن الناس يعلمون ما في قلب
نعيمة من حب له ؛ لذلك أحب أهل القرية
أن تزف إليه كأنما يرونها خير هدية تهدي إليه
ولكن خطيبها هو ابن خالتها شبل
سميت عليه منذ طفولتها ، ويريد أبواها
وأبواه ألا تكون إلا له ، وليس في جانب
صابر من أهلها إلا أخوها محمد فإنه يحب
صابرا منذ صغرها ولا يزال على مودته له
وإعجابه به ولذلك فهو متحمس لأن تزف
أخته إليه

أما أهل صابر ، فأمه لا تميل ميله من
أول الأمر مخافة أن يجره ذلك إلى نزاع
لا قبل له به مع شبل وأهل شبل . وأبوه
لا يلتقى باله إلى ذلك في كثير ولا قليل
وكانت نعيمة لا تطيق أن تسمع اسم شبل
وما تنسى مرح طبعها وصفاء نفسها إلا حين
يذكر لها صواحبها أنها سوف تكون له ،
فتغضب وتهم أن تعبر بالكلام عن غضبها
ثم تمسك عن الكلام في جهد

ولكن ابن خالتها واثق من الظفر بها
أو يكاد يثق بذلك ، فأبوها لن يعصى أمرا
لأبيه ، وأمها خالته قبل كل شيء ، وأين
صابر الذي يعمل حتى في حمل الفحيم والطوب ،
منه وهو ابن رجل ذي سعة في الرزق . وليس
ما يقلق شبلا إلا الأستاذ على فلعله بنفوذ
وجاهه يستطيع أن يحدث شيئا ...

بكرت نعيمة وأمها بعد أيام إلى دار خالتها
يعينانها في خبز طحينها الكثير ، وكان في
الدار غيرها بعض نساء الحارة وفتياتها ، كل
تعمل عملا يتصل بالخبز وكانت نعيمة على غير
عادتها عابسة صامتة ، وبخاصة كلما نظرت إلى
فهيمة زوجة ابن خالتها الأكبر حسن ، تلك
التي كانت تبغضها ولا تحب أن تراها سلفة
لها لطيشها كما اعتادت أن تقول ، وغيره منها
كما تقول نعيمة ضاحكة كلما علمت بذلك ، وكأنما

أغرى صمت نعيمة وعبوسها الفتيات بها فرحن
بما كسبها . قالت إحداهن لخالتها : متى
يعقد عقد نعيمة على شبل ؟

فضحكت خالتها قائلة : حالا بعد أن
تخضر الأرض . وضحك كل من في الدار
إلا نعيمة فما ازدادت إلا عبوسا وتبرما .
وكرهت أمها ذلك منها فلامتها أول الأمر
بنظراتها . ثم ما لبثت أن وجهت إليها سبلا
من ألفاظ السباب التي تجري بها ألسن
النسوة في القرية وقالت : هل تستأهلينه ؟
إن ظفرك بألف مثلك .

ولم تنفج شفتا نعيمة عن كلمة أو ابتسامة ،
وهي التي كانت ترى مرحلة أبدا . ترفع
صوتها بالضحك وتضحك كل من حولها .
ودنت منها خالتها وتناولت ذيل ثوبها . وقد
تدلت منه خيوط كأنها الأهداب الطويلة
فقطعتها مخافة أن تعثر بسببها ابنة أختها كما
قالت ، ونظرت نعيمة فوجدت خالتها تحتفظ
بهذه الخيوط في يدها فدهشت وقطبت
واصفر وجهها قليلا .

ودخل شبل الدار وقد ارتفع الضحى
يدفع حماره أمامه وقد جاء به من الحقل
ليحمل عليه علفا وطعاما . وضحكت بعض
الفتيات وسألته إحداهن لم لا يحبي عروسه ؟
فضحك أولا ثم ما لبث أن عبس وأشاح
بوجهه قائلا : عروسي ؟ عليها أن تتعلم من

الآن كيف تحمل الطوب والفحم هي الأخرى .
وتضرج وجه نعيمة وازداد تألق عينيها
الخضراوين من الغضب والتحدى الصامت
فبدت كأنها هرة وحشية . ثم سمعتها بعض
الفتيات تغمن قائلة : وأجمل الطين أيضا
لا دخل لأحد بي .

وسمعتها أمها فقالت : دعوها ... دعوا
هذه المجنونة التي لا تستأهل النعمة .. ومن
يتراءى دار العز هذه إلى ... ماذا أقول وهو
ابن خالتها .. عشنا حتى رأينا البنت تخالف
أهلها وتختار لنفسها ؟ ومن يقرها على قلة
حياتها ؟ تنكسر رقبتها .

وظلت نعيمة طول نهارها صامتة عابسة
حتى فرغت من عملها فسبقت أمها إلى دارها
وملء نفسها العجب من خالتها إذ تحتفظ
بتلك الخيوط التي قطعها من ذيل ثوبها

أخذ حديث صابر ونعيمة يملا القرية
بالشائعات ، فالفتيات يتحدثن بأنها قالت
لأمها إنها إذا زفت إلى شبل على رغم أنفها
فسوف لا تعيش معه وإن قتلت . ويتهامس
بعضهن أن حبها لصابر يبعث على الرية في
أمرها . والفتية يتحدثون بأن سالما يتربص
بصابر ، وأن بعض الناس شهدوا معه منذ
أيام رجلا غريبا فظيع النظر من الشاطئ
الغربي أو بر البحيرة كما يقولون ، وقال

أبي ؟ . وصرخت فتحية باكية وأخذتها
أمها بين يديها وهي تبكي قائلة : حسبي الله
يا ولدي على من يريدك بسوء ... يارب
أنت موجود .

ويعجب الناس إذ يرون صابرا وقد أخذ
يشحب لونه ويضمربدنه ! وقد ذهبوا مذاهب
شتى في تعليل ذلك . فقال بعضهم إنه الحب
ولوعته ، فقد حجبت نعمة في دارها ولم يعد
يراه . وقال آخرون بل إنه الخوف من سالم
وما يبيت له من غدر . وقال غير هؤلاء كلا
بل إنه المرض . فقد شاهدوه أكثر من
مرة منذ بضعة أيام يضع يده على جنبه ويتأوه
أثناء العمل . وهو الذي لم يكن يعرف
قبل ذلك ألما .

وينال بدنه القوى مابات يطرا عليه مما
يشبه العلة ، فيبدو أحيانا أنضر ما يكون
وجها وأحسن ما يكون عافية ؛ ويتراءى
أحيانا وفي وجهه سهوم وشحوب ، وفي
مشيته تخرج ، وفي عينيه ألم ، ولقد رآه إحدى
النسوة ذات مرة وهو على هذه الحال فهمست
تقول لصاحبتها : وا كبدي ... لقد أخذت
الكتابة تفعل فعلها فيه ... منهم لله القوى ..
واعيني على شبابك يا صابر .. كان الله في عون
أمة المسكينة ... من لها بعده غير الله ..

صالحة زوجة أبي العيش أرملة تقيم هي

بعض النسوة إنهن شاهدن بأعينهن شيخا
معمما بعمامة خضراء يحرق البخور في دار أم
شبل وذلك في غيبة زوجها وبنيتها ، وتها مسن
أنه كتب لصابر بما يجمله يرزح كاليت ، وأن
نعيمة سوف لا تطيق أن تسمع اسمه ،
وسوف تحب شبلا بقدر ما كانت تحب صابرا .
وقال غير هؤلاء إن سالم هو الذي يأخذ
المال من أم شبل ليعطيه لرجل يستحضر
الجن ، وقد رأى زوجها سالما في الدار مرة فقال
له لولا أنك في داري لحطمت رأسك وطرده
ثم انهال على ابنه ضربا حتى ما استطاع
الرجال أن ينقذوه منه إلا في جهد ، وهم
زوجته ليضربها فخال بينه وبينها أهل الحارة
وكان الأستاذ على قد سافر فعلم بعض
الفتية سفره بأنه أراد أن يعتمد عن القرية
ربما يدبر العمدة مكيدة يزج بها سالما في
السجن حتى لا يذكر اسم على إن عرف أمر
هذه المكيدة

وسألت فتحية أمها ذات يوم قائلة :
هل تنفع الكتابة فيعجز صابر أخى ويرزح
وهو لم يؤذ أحدا ؟

فقلت أمها : أية كتابة ؟ وما مناسبة
هذا السؤال يا بنيتي ؟

فقلت فتحية : أم شبل كتبت لأخى
والنبي يأمر ... والنبي اكتب لي حجبا ...
أيرزح صابر أخى ؟ وسن يطعمنا ومن يساعد

وابنتها زينب البالغة من العمر أربعة عشر عاماً في دار لها منعزلة في الطرف البحري للقرية ؛ بينها وبين الدور في هذه الجهة نحو فدانين من الأرض الزراعية الخالية من المباني ، وبينها وبين الطريق الزراعي العام نحو ثلاثين متراً ، وتكاد تحجب وجهتها عن المارين بهذا الطريق شجرة توت كبيرة تقوم على مقربة من بابها ... ولهذا الأرملة غير ابنتها زينب ابن يعمل خادماً في إحدى المدارس بعاصمة الإقليم ، ولا تكاد تراه إلا حين يزورها مرة كل شهرين أو ثلاثة .

وبين صالحة وصابر صلة رحم بعيدة من ناحية أخواله الذين طواهم الموت . وكانت نعيمة صديقة لزينب ، وكثيراً ما لقيها صابر في دار زينب إذ يسعى إليها بحجة أنه ينوب عند قريبته عن ابنها الغائب . وكان صابر يلم بداز قريبته هذه من حين إلى حين لأنه في طريقه إليها يمر بدار نعيمة فيتواعدان بنظراتهما على اللقاء أو يكتفي بأنه ينعمش روحه بنظرة منها وبخاصة إذا غابت عن عينيه يوماً أو يومين . ولكن صابراً لا يلم اليوم بدار قريبته وفي القرية ما فيها من حديثه وحديث شبل .

وجاءت زينب ذات يوم إلى صابر تنبئه أن أمها تريد أن تراه في دارها عقب المغرب وترجو منه ألا يتخلف أو يتأخر .

فلما غربت الشمس ، أخذت صالحة ترقب قدوم صابر أمام دارها ، حتى إذا غاب الشفق رآته مقبلاً . فلما ألقى إليها التحية قالت وهي بين التبرم من تأخره والارتياح لحيثه : أدخل فانظر من بالدار . فدخل صابر دهشاً وإن أحس قلبه ماذا تريد صالحة بعبارتها ، ونظر فإذا نعيمة بالدار تجلس مع زينب على حصير فلم يسكد يصدق عينيه ولم يدر أول الأمر ماذا يقول وكادت تخونه قوته ، ودخلت في إثره صالحة فقالت : جاءت نعيمة تأخذ مناديلها من ابنتي وقد طرزتها كما أرادت . وابتسمت نعيمة متظاهرة بالواقفة ، وفي لمح عينها أنها جاءت لترى صابراً حيث طلبت أن تراه .

وسلم صابر فردت زينب تحيته وغمضت نعيمة . ثم مضت زينب لتعد الشاي ، وانصرفت أمها إلى خارج الدار فقال صابر : نعيمة .. كيف أرد لك هذا الجميل ؟ لقد ضاقت بي الدنيا لغيالك عني .. كفا في جميلك هذا ولو مت غدا لخرجت من الدنيا مستريح البال ... لقد سمعت أنهم ححبوك ، وكنت أقضي الليالي ساهراً أتساءل كيف أراك ... كيف أرد لك هذا الجميل يا نعيمة ؟ .

وأخذت نعيمة تنكت التراب بعود قصير من القطن في يدها . وارتاع صابر لما رآه من هم في وجهها فأمسك بيدها التفضة

الجميلة ووضعها بين كفيه. القويتين وسألهما
بابك يا نعيمة؟ فرفعت إليه عينيها الجميلتين
قائلة: احذر من سالم يا صابر. ألم تفكر
في أن تلبس حجابا يحميك؟

: فضحك صابر قائلا: صدقيني. أبالاعبأ
بسالم هذا ولا بعشيرة من أمثاله، وما هو إلا
دجال يحتال على ابن خالك لا غير، وأنا أفهم
ألاعيبه. أما الحجاب والكتابة وكأها كلام
فارغ لا أصدقه، وما دمت لي يا نعيمة فلا أبالي
بشيء. ثم ضغط على يدها قائلا: لن أعيش
يوما واحدا يا نعيمة إذا صرت لنيرى.

وحملت نعيمة لحظة في وجهه، ثم انحدرت
دمعتان على خديها ولم تجب. وأطلق يدها
فأدخلتها في جيبها وأخرجت منه حجابا
وناولته إياه مبتسمة؛ فأخذه ودسه في جيبه
ضاحكا وهو يقول: سيكون حجابك أغلى
عندي من كل شيء، وسيحميني فلن أخاف
وشكرته بنظرة ثم قالت: عشت يا صابر،
وأنت ... أنت أغلى عندي من عيني

وهم صابر بأن يأخذها بين ذراعيه،
ولكن زينب أقبلت بالشأى. ونهضت
نعيمة معجلة إلى دارها معتذرة بأنها تأخرت
ووضعت يدها المرتعشة في يد صابر مسلمة
ثم تلثمت بطرحتها وغادرت الدار بسرعة

غاب صابر عن رفاقه أياما فلم يعودوا

يرونه في عمل أو يسمونه في عرس. وقال
أحدهم ذات مساء لصاحب له: يا أخى، يظهر
أن السحر والكتابة لهما أثرهما! فهذا صابر
الذى كان بيننا كالبكر قد برك ... أليس
في قلوب هؤلاء الناس رحمة؟

فقال صاحبه: ما الكتابة؟ وما السحر؟
هذا كله كلام فارغ ... صابر يشكو من
جنبه في مثل هذه الأيام من كل عام، وذلك
منذ أكثر من سنتين، ولكنه لم يهتم
لقوته وعافيته؛ ولأن الألم كان لا يمحى إلا
بضع ساعات. وقد رأيته منذ أيام وقد ترك
الطنبور في الحقل وعاد إلى القرية يلهث ويده
على جنبه وهو يكتم ألمه ويغالب مرضه؛ وقد
سألته فقال: إن مرض جنبه اشتد عليه.
والحقيقة أنه لو كان هذا المرض في جسم
غير جسم صابر لهدد من زمن؛ ولكنه كان
يتكلم على عافيته ولا يبالي ولا يعالج نفسه.
أما السحر وغيره فخرافات نساء... وقد سألت
الواعظ عنها فقال هذا جهل ووهم ولا يصح
أن نصدقه. وما دخل السحر في أن يتبول
صابر الدم والصدید؟ فقد حدثني محمد
شحاته أخو نعيمة أنه رأى في بوله كثيرا
من الدم

وذهب الفتيان إلى دار صابر ليعوداه
فوجدا فيها كثيرا من صحابته وسرا إذا
رأياه معافى لولا شحوب في وجهه وضمود

قليل في بدنه . وكان رفاقه يديرون (الجوزة) بينهم ويدخنون المعسل ويضحكون فرحا بشفائه ، وكانت فتحية تزيد النار في الكانون تحت قدر كانت كلما فرغت ملاءوها بما أحضروه معهم من الشاي وشربوه أسود كالمداد . وشرب صابر من هذا الشاي وقدمت له (الجوزة) وراح أحد الفتية يقلده وهو يغنى ولكن في صوت أشبه بتنساب الغراب شدا ما ضحك منه هؤلاء السامرون الذين أفرحهم شفاء صابر

وجاءت أمه حسونة بوعاء فيه ماء ونار فألقت فيه بالملح وأدارته فوق رؤوس الفتية، وهي تدعو أن يصيب الملح إذ يتطاير عين الحسود وعين من لا يصل على النبي

وكان محمد شحاته أكثر الفتية فرحا بشفاء صابر ، فأخذ الوعاء من أمه وأداره ضاحكا عدة مرات حول صابر ، وهو يقول مشيرا إلى ذلك الفتى الذي كان يقلده غناءه « سيغنى لك هذا ليلة زفافك يا صابر ليعلم الناس أن في القرية من يفوقك » وقال بعض الفتية « ستكون ليلة فرح صابر فرح البلدة كلها » وأشار أحدهم إلى عجلته في العريشة وقال « صارت العجلة تساوى مقدار المهر يا صابر » وقال آخر « لا.. مهر نعيمة أعظم من هذا .. إنها تساوى قدر وزنها من الذهب » ونظرت حسونة فإذا

جودة زوجها قادم من القهوة وقد تقدم الليل ، فأخذ الفتية ينصرفون إلى دورهم ولما خلت الدار منهم نظر الرجل إلى ابنه قائلا « الحمد لله يا صابر على شفائك .. الدار من يوم أن رقدت يا ابني وكأنها خراب ، والقيراطان إن لم نتدارك الذرة فيهما يعوض ربنا علينا »

فقال صابر « لا تخف يا أبى فسأدفع ثمن السماد حين أقبض بعض الأجر المتأخر لي عند عمر البناء وغيره .. وستصبح الذرة بإذن الله أحسن زرع في البلدة »

امتألت منظره الحاج عثمان بدر عصر ذات يوم بنفر من أقاربه وأصحابه وجيرانه حتى لم يبق مكان خال على دكة من دكها الخشبية التي تدور بمجدها وكان شحاته ... الخولى في ركن منها قريبا من الحاج عثمان . وكان شبل وابن خالته محمد شحاته يجلسان على مصطبة خارج المنطرة تحت نافذة من نوافذها

وبعد أن شرب الضيوف القهوة قال الحاج عثمان يخاطب شحاته « لم تقل لنا يا شحاته متى تبت في هذه المسألة . متى تذهب إلى دارك لتخطب البنت نعيمة لابن خالته ؟ أردت أن أكلك أمام أسيادنا

العرفان الزرقاء

للقصص الفرسى بروسيريه
بقلم الأستاذ محمد عبد الفناح محمد

التجار .. وكان الشاب ذو النظارة الزرقاء يحس بقلبه يضطرب بين جنبه حين يرى مخلوقا يدخل أو عربة تقف بالباب . بل إن ركبتيه كانتا ترتعدان . وقد لا يكون من المغالاة إذا قلت إن الحقيقة كانت للهفته تسقط من يده وتنحدر النظارة على طول أنفه ، فتبدو للعابر لو رآها هكذا أنها في وضع مهمل لا أقل ولا أكثر

وأخيرا دخلت امرأة مجللة بالسواد من باب جانبي لا يفري بمرافته ، وعلى وجهها نقاب صفيق ، وتحمل في يدها حقيبة بنية اللون تحتوى — كما عرفت بعد — على روب حريرى رائع وخفين من حرير الساتان الأزرق

دنت المرأة من الشاب ودنا منها . وتلفتا ذات اليمين وذات الشمال ؛ ونظرا ماشاءا أن ينظرا أمامهما إلى أن التقيا فتصافحا . غير أنهما تلبثا بضع دقائق دون أن ينطقا بحرف ، وكان جسداهما يختلجان لما يصطخب في صدريهما من انفعال .. انفعال أحتاح لى أصفه إلى دراسة علم النفس مائة عام سويا

انطلق الشاب يذرع رصيف المحطة فى قلق واضطراب . كان يضع على عينيه نظارة زرقاء . وكان يخفى أنفه بمندبل برغم أنه لم يكن يشكو الزكام . وكان يحمل بيده اليسرى حقيبة سوداء صغيرة ، تحتوى — كما علمت بعد — على « روب دى شامبر » من الحرير الأزرق وبعض السراويل التركية .. وكان بين الحين والحين يذهب إلى مدخل المحطة فيلقى على الشارع نظرة يفي بعدها إلى مكانه . وأخيرا نظر فى ساعته فوجد أن أمامه ساعة كاملة على بدء تحرك القطار . وهكذا نرى بعض الناس ، حرصا على اللحاق بالقطار يذهبون إلى المحطة قبل الموعد بساعة أو يزيد ، على حين نراهم فى بيوتهم يحترمون مواعيد طعام الغداء احتراماً شديداً ! وكانت مركبات الدرجة الأولى شبه خالية . فقلما وجد الإقبال على ركوب الدرجة الأولى

وحين أخذ الركاب يتقاطرون على المحطة ، أدرك الباريسى الأبيق ، من مجزداستعراض وجوههم ، أنهم من الفلاحين وصغار

قال : إذن « دومون » أيعجبك ؟

فغمغمت : دومون !

فقال : على حال كل ، لا تراعى ، فلن يسألونا عن شيء

ودق الجرس ، فاندفعت المرأة بقناعاتها المسدل على وجهها إلى إحدى العربات ومعها صاحبها . وعندما دق الجرس دقته الثانية ، أغلق عليهما جمال باب الديوان فتهتفا في جذل :
— وحدنا أخيرا !

ولكن بعد لحظة ، اقتحم عليهما الديوان رجل في الخمسين من العمر في رداء أسود ، عابس الوجه ، مقطب الجبين ، وانزوى جالسا في الركن القصي ... ودوى صفير القطار ، وبدأ يتحرك . وكأنا ضايقهما هذا المقتحم الثقيل ، إذ ابتعدا عنه ما وسعهما ، وأخذتا يتها مسان بالإنجليزية درءا للشبهات -
— سيدى !

انطلقت هذه الالفة من الراكب الثالث بالإنجليزية أيضاً ، ولكن في لهجة أسلم من لهجتهما :

ثم قال : إذا كان حديثكما مما تحرصان على كتمانها فاستعملا لغة غير الإنجليزية فأنا إنجليزي الجنس . وبعد فمذرة لاقتحامى الديوان عليكما . إذ كنت في العربية الأخرى . وكان بها رجل واحد ، ولا أخشى أكثر من السفر في عربة مع رجل واحد . لقد

وهتفت الشابة قائلة : ليون !

.. آه .. نسيت أن أذكر أنها كانت

فينانة الشباب ، رائعة الحسن

— ليون ! ما أشد سعادتي يا ليون ! آه !

هذه النظارة الزرقاء ! لم أكّد أعرفك بها فقال : وأنا يا حيّاتي كدت لأعرفك بهذا النقاب الصفيق

فقلت : إننى نشوى من الفرح .. هلم إلى مكاننا في القطار . ماذا لو برح القطار من دوننا ؟ ثم ضغطت على ذراعها قائلة : لقد دبرت كل شيء تديرا حسنا .. إننى الآن مع كلارا وزوجها في سبيلنا إلى عزبتهما حيث أقضى معهما ليلة أبرح في صباحها .. و ...

وضحكت ثم قنعت رأسها وقالت :
ولقد خرجت مع كلارا منذ ساعة . وفى الغد بعد أن أبيت معها الليلة الأخيرة ، وضغطت على ذراعها مرة أخرى ، ستة صبحنى كلارا إلى المحطة حيث أجد « أرسول » الذى أرسلته إلى عمتى .. أرايت كيف دبرت الأمر فأحكمت تديره ؟ هلم إلى شراء التذاكر .. محال أن يكتشفوا أمرنا . ولكن يا لله ! .. بماذا نجيب لو سئلنا عن اسمينا . لقد فاتنى هذا

فقال : ليكن اسمانا « مسيو ومدام دورو »

فقلت : لا ... غير هذا الاسم ، ففي حيننا بائع أحذية بهذا الاسم

كان النذر والشر تلمع بهما عيناه . ولعله قد
سال لعبابه حينها رأى هذه

ثم أشار إلى حقيبته التي كان قد ألقى بها
على المقعد أمامه . وأردف الرجل :

— أما إذا لم أستطع الدوم ، فلسوف أقرأ
وأخرج من الحقيبة غطاء لرأسه ثم أغلق
عينيه لبضع دقائق ، بيد أنه فتحهما في تبرم
وأخرج من الحقيبة نظارة وكتابا لاتينيا ،
ثم استغرق في قراءته . وقد حدث بينا كان
يبحث عن الكتاب أن قلب محتويات
الحقيبة ، وأخرج بعضها إلى المقعد ، وكان من
بينها حزمة من أوراق المند الإنجليزية . وقبل
أن يمدّها إلى الحقيبة ، أرى الشاب إياها
وسأله عما إذا كان يستطيع تحويل هذه الأوراق
إلى عملة فرنسية

فأجابه : أظنك تستطيع ذلك في مدينة
(انجلند) وكانت إنجلند هي المدينة التي يقصدها
الشابان . وكان بها فندق صغير ، ولكنه
نظيف أنيق . وكان غالبا ما يكذب بالزلاء
وبخاصة في عملة الأسووع . وكانت غرفه
نظيفة نسبيا . ولا يمكن أن تقرر طبعاً
بين فندق إنجلند وأند فادق باريس . وكان
ليون قد زار اند فادق هذا وكان بدون
نظارة زرقاء . وبعد أن أشاد بالفندق من
حيث الموقع والنظافة والخدمة ، تلمهفت
حبيبته إلى زبرده . هذا إلى أنها كانت في

حالة من السعادة والابتهاج حتى لترى أن
السجن مع ليون هو جنات النعيم

وأتخذ العطار سبيله لا يلوى على شيء .
واستغرق الإنجليزي في قراءة كتابه دون
أن يحفل بالنظر إلى رفيقيه في السفر اللذين
انطلقا يتناجيان في همس هو أسلوب العاشقين
منذ القدم . وقد لا أثير دهشة في نفس
القارى إذا قلت إنهما كانا عاشقين هارين .
أما ما يبعث على الدهشة حقاً والاستنكار ،
فهو أنهما لم يتزوجا ولا حتى أزما الزواج
استسلاماً منهما للعقبات التي تعترض زواجهما
وبلغوا طينتهم . وكان الإنجليزي هو أول
من غادر القطار ، وبينما كان ليون يساعد
حبيبته على النزول اندفع من عربة مجاورة
رجل هبط إلى الرصيف . كان صاحب الوجه
ذا عينين غائرتين ينبعث منهما الشر ، وذقن
مدببة . كان مظهره مظهر رجل مجرم بفطرته ،
وكانت ثيابه نظيفة تنفشاها البلى . وكان معطفه
أسود اللون يرمما ما ؛ أما الآن فقد أصبح
أحضر داكنا على السكتامين والظهر . وقد
ضمه إلى عنقه وربما كان ذلك ليخفي سترته
العتيقة البالية . وقد تقدم إلى الرجل الإنجليزي
وهتف في لوعة : عماء !

— فصاح به الكهل الإنجليزي وعيناه

تتقدما غضبا

— اغرب عن وجهي أيها الشقي

ثم هرول يبنى الخروج . فقال الشاب
في لهجة تجمع بين اليأس والتهديد
— لاتدفعنى إلى هاوية اليأس

فقال الإنجليزى لليون : ارفع بنظرك هذه
الحقيقية ثم ألق بالحقيقية عند قدميه ، وقبض
على ذراع الشاب الذى اعترضه وانتحى به
ركنا مهملًا ونهره فى خشونة ثم أخرج
من جيبه بعض الأوراق المالية ودسها فى يده
فأخذها دون أن يعنى بشكره وفارقه
ثم اختفى

وكان بالمدينة فندق واحد . إذن فلا عجب
أن اجتمع أشخاص هذه القصة مرة
أخرى بعد بضع دقائق . . وفى فرنسا
تكون أجمل غرفة فى الفندق عادة من
نصيب الرجل الذى يتأبط ذراع امرأة أنيقة .

حما يدل على أننا أرق شعوب أوربا جمعاء
وإذا كانت الغرفة التى أعدت لليون
وصاحبته هى أحسن غرفة فى الفندق ، فعلينا
إذن أن نصدق أنها كانت حقًا غرفة فاخرة .
كان بها سرير خشبي كبير ، وعلى نوافذها
أستار من الخمل نقش عليها بلون بنفسجى
أسطورة « بيراموس وتيسب » أما الجدران
فكانت مكسوة بورق بلون رسم عليه
أحد مناظر مدينة نابولى ، وتناثرت عليها
رسوم ووجوه مختلفة ، عمد بعض النزلاء
اللاجئين إلى تشويهها بإضافة رسم الشوارب

والغلابين إليها ، سواء فى ذلك وجوه الرجال
أو النساء . هذا إلى جمل حمقاء كتبت بالقلم
الرصاص على موضع السماء والماء فى
الرسم . وعلى أحد الجدران كان ثمة نقوش
أخرى تمثل بعض الأحداث التاريخية مثل
لويس فيليب وهو يحلف اليمين فى ٢٦
أغسطس سنة ١٨٣٠ ، ومثل اللقاء الأول
بين جوليا وبين القديس بربيه ... إلى غير
ذلك ... وكانت الغرفة مشهورة باسم الغرفة
الزرقاء ، ذلك لأن المتمعدين الكيرين بها
الذين يحفان بالموقد ، كاتا مكسوين بقطيفة
هولندية من ذلك اللون ، بيد أن اللون اختفى
منذ بعيد تحت كسوة جديدة رمادية اللون
لامعة يتناثر عليها تطريز على هيئة ورود
ملونة صنوفها مختلفة الأصناف

وترك ليون حبيسته تعنى خادمة الغرفة
بشؤونها ، وذهب إلى المقصف ليوصى بإعداد
طعام العشاء ، وكان يحس ضيقًا رغم وجوده
فى جو مشبع بروح الحب الندى وأنسام الهوى
العاطرة . وكان عليه أن يبدل جهداً فى إقناع
أولى الشأن فى الفندق كيما يعدوا له عشاء
خاصا . بل كان عليه أن يلجأ إلى الرشوة
لبلوغ قصده ولكنه دهش حين وجد أن
ذلك سهل ميسور دون حاجة إلى قوة
إقناع ، أو مال . فقد قيل له إن مائدة
الفندق العامة الملاصقة للغرفة الزرقاء مشغولة

الليلة بفرقة ضباط الفرسان الثالثة التي كانت ماضية لتحل محل فرقة الضباط المشاة ومعنى هذا أن الطعام الجيد سيتوفر الليلة في الفندق لهذه المناسبة

وقد أقسم صاحب الفندق بأغاظ الأيمان أن هؤلاء الضباط من بين جنود فرنسا أجمعين، يمتازون بأخلاق كريمة، وأن تصرفاتهم لا تدفع إلى الشكوى ولا الامتناع. وأكد لهم أنهم لن يزجوا السيدة وصاحبها بوجودهم على مقربة من غرفتهما، هذا ولو أنهم لا ينتهون من العشاء إلا قبيل منتصف الليل

واهتم ليون لهذا الأمر وحسب حسابه. ورأى من الأحداث كذلك، أن الرجل الإنجليزي نزل بالغرفة الملاصقة لغرفته. وكانت الغرفة مفتوحة في أثناء مروره بها، فرأى خلال بابها الكهل الإنجليزي جالسا إلى مائدة صغيرة عليها زجاجة من خمر وكأس مترعة، وقد علق بصره في سقف الحجرة في استغراق واهتمام كأنما كان يحصى عدد الذباب الذي كان يتوالب عليه ويحوم حوله. وقال ليون يحدث نفسه :

وماذا يهمنا أن يكون أى صنف من الناس جارا لنا ؟ سيستغرق الإنجليزي في سكره بعد قليل، أما عن الضباط فلسوف يرحلون قبل منتصف الليل وكان أول شيء فعله ليون حين عاد إلى

الغرفة الزرقاء، أن اختبر الأبواب. كان الباب الذي يفصل بينه وبين الإنجليزي من خشب سميك كما كان الجدار سميكاً أيضاً. أما الباب الموصل إلى مائدة الضباط فقد كان من خشب دقيق واكنه كان على أية حال ذار تاج ومفتاح. على كل حال كانت خلوتهما أمنع للفضول والتطفل من خلوة في عربة كل ما فيها من حواجز ستائر مسدلة. وبعد فكم من العشاق من يزعم حين يختلى في عربة أنه ابتعد عن أعين الدنيا بأسرها !

وأى خيال شاعر مهما أوتى من قوة التعبير، يستطيع أن يصور تلك السعادة التي يختلج بها قلبا عاشقين صغيرين التقيا بعد طول بعاد.. وأى لقاء ! لقاء في خلوة آمنة بعيدين عن أعين العواذل والرقباء والفضولين يطرحان متاعبهما وينفثان عن أشواقهما وينعمان بهوى ضارم مشبوب... ولكن كثيرا ما يتلمس الشيطان بعض الأساليب ليصب بضع قطرات من العلقم في كأس السعادة ذات الخدر الحالم اللذيذ... إذ حدث أنه بينما كان ليون ومالكه قلبه يتناولان عشاء متواضعا لذيذا توفر مما أعد للضباط، إذ امتعضا وتقززا مما اشتمل عليه حديث السادة في غرفة المائدة المجاورة من كلمات مكشوفة وألفاظ نابية. كانت أحاديثهم بعيدة كل البعد عن الممارك الحربية

والخطط الاستراتيجية .. ولملي لا أستطيع أن أزجي للقارىء الفاضل مثلاً من هذه الألفاظ . وكانت الضحكات الصاخبة تتفجر من حناجرهم بين الحين والحين . وكما أزعجتهم هذه الضحكات .. ولم تكن صاحبتها من ذوات المزاج الحاد ، وإنما هناك أشياء تزعج المرأة سماعها وبخاصة إذا كانت مع الرجل الذى تهواه . وصارت الحال لا تطاق . وحين بدأ الضباط يتناولون الحلاوى ، كان ليون فى سبيله إلى صاحب الفندق يرجو منه أن يطلب إلى هؤلاء السادة أن يكفوا عن إحداث كل هذه الجلبة وأن لا يسرفوا فى مجونهم الفاضح تلطفاً منهم لوجود سيدة مريضة فى الغرفة المجاورة

وچار صاحب الفندق — كما هى عادة أمثاله إزاء ضباط الجيش — كيف ينقل إليهم هذه الرسالة . وما كاد ليون ينتهى من رجائه ، حتى أقبل نادل يطلب زجاجة شبنانيا للضباط ، وخادمة أخرى تطلب زجاجة من النبيذ البرتغالى للكهل الإنجليزى ثم أضافت الخادمة :

علما بأننى قلت له إنه ليس لدينا خمر برتغالية . فقال صاحب الفندق معنفاً لها : — يالك من حمقاء ! مالك ولهذا . أهى معضلة أن نصنع خمرًا برتغالية فى فرنسا .. سأمزج له سريعاً زجاجة كأنها آنية لفورها

من البرتغال وبعد أن مزج الرجل الخمر المطلوبة ؛ ذهب إلى الضباط يبلّغهم رسالة ليون وهبت بين الضباط عاصفة حين سمعوا مقالة الرجل ، وانشق من بينهم صوت آمر ساد الصمت على أثره ونساءل هذا الصوت أى صنف من السيدات هذه الجارة المريضة . فقال صاحب الفندق :

— ثقوا يا سادة أنها جد قاتنة ، كما أنها خجولة كزنبقة طاهرة ، ولقد أنبأتني مارى جان أنها تضع فى بنصرها خاتم زواج ، لذا أعتقد أنها عروس جاءت مع عريسها لقضاء شهر العسل هنا كدأبهن دائماً فانفجر أربعون صوتاً تهتف :

— عروس ! لا بد أن تنضم إلينا وتشرب معنا . سنشرب جميعاً نخب العروس الحسنة . ولسوف نعلم زوجها كيف يتصرف معها وارتفعت أصوات الضباط تحمسا للرأى المقترح . فارتعد العاشقان حسبانا منهما أن الضباط سيقترحون عليهما الغرفة . ولكن عاد الصوت الأمر يزجرهم . أمرهم بالصمت ثم حادهم فى همس لم يصل إلى آذان من فى الغرفة الزرقاء . لقد اقترح عليهم وسيلة أخرى للتسلية ، لم يشوروا لها فرحاً ، وإنما تقبلوها فى تقدير وإعجاب

على أثر ذلك ساد صمت شامل ، وحمد

المنتظمة والمزججة أيضا ، حتى إذا وصل كل منهم إلى باب الغرفة الزرقاء صاح بأعلى صوته : « طابت ليلتك أيتها العروس »

والآن ... اختفت الجلبة وعم الصمت .. لا . عفوا فقد أخطأت .. إذ خرج الإنجليزى إلى الردهة وصرخ قائلا : « يا ساقى ! إلى بزجاجة من هذا الشراب البرتقالى المدهش ! » وأخيرا ، ساد الهدوء فى الردهة الصغيرة .

وكان الليل فى روعة وسحر وجلال ، وكانت الأنسام تهب طرقة ندية فتشير كوامن الشوق والحنين ، وكان القمر الزاهر يضيئ على السكون نورا فضيا ساجيا يوحى بالشعر ويبعث الأحلام .. آه ! وعلى ذكر القمر ، لا يذكر التاريخ متى بدأ هيام العشاق بالتطلع إلى القمر وبالتغنى بضوء القمر ...

فتح ليون وصاحبته النافذة وكانت تطل على حديقة صغيرة واستقبلا نسائم الليل الفواحة بعطر الأزهار المحملة بترانيم الأطيوار . ولم يطل بهما الوقوف فى النافذة .

كان فى الحديقة رجل مقنع الرأس يعقد ذراعيه على صدره ، وبين شفثيه سيجار مشتعل . وقد عرف فيه ليون ابن أخى الإنجليزى الولوع بالخمر البرتقالية الجيدة

إننى أكره ذكر التفاصيل كلها ؛ كما أنه ليس مفروضا على أن أذكر للقارىء كل صغيرة وكبيرة تحدث فى الفندق .. إذن

صاحبانا العاشقان للصوت الأمر صنيعه . وبدءا ينعمان بهمسات العشق ونجوى الغرام ، بيد أن نصب السفر وذلك الأثر الذى تركه عبث الضباط فى نفسيهما ، لم ينجابا عنهما إلا بعد فترة طالت على عاشقين . وإن اثنين فى مثل سنهما الشابة الزاخرة ، لا يجدان كبير مشقة فى التخلص من متاعب تتحالف على هارين فى الهوى ، وسرعان ما أوغل كل منهما فى الاستمتاع بوقته واغتنام لذة ساعته

وخيل إليهما أن ما يخشيانه من الضباط قد أنجب وأنجلى ؛ ولكن ما كان هذا مع الأسف إلا هدنة قصيرة إذ حدث فى تلك اللحظة المرموقة ، تلك اللحظة التى كانا يحلقان فيها فى آفاق من السعادة المطلقة أن تفجر صوت أربعة وعشرين بوقا مصحوبة بأصوات أخرى من آلات نحاسية فى نشيد مشهور بين الفرنسيين هو « النصر لنا » وكيف يطبق أى مخلوق مهما أوتى من قوة الاحتمال ، مثل هذه الجلبة الهادرة

وانقلب العاشقان المسكينان إلى حالة تدعو إلى الرثاء

ولكن .. كان ما أعقب ذلك أدهى وأمر .. إذ خرج الضباط فى النهاية من غرفة المائدة وتقاطر مرورهم بخطواتهم

حسبى أن أقول إن الشمعة الموقدة والمثبتة على رف الموقد فى الغرفة الزرقاء ، كانت قد أوشكت على نهايتها حين انفجر من مخدع الرجل الإنجليزى الذى كان يشتمله الصمت حتى الآن ، صوت جلبة شديدة ثم صرخة مكتومة وبضع كلمات مبهمه كأنها سباب وشتائم

واستولى الفزع على الشايين فى الغرفة الزرقاء ، ولعل صوت السقوط كان قد أبقظهما من النوم ؛ إذ أن هذه الجلبة المجهولة قد كست وجهيهما بالحنق والسخط على حظهما التمس . وتكلف ليون ابتسامة تخلفها قوله : — إنه صاحبنا الإنجليزى يحلم وما كان قوله هذا إلا لإبعاد الخوف عن رفيقته ؛ ولكنه هو نفسه كان يرتعد فى شكل ظاهر . ومرت دقيقتان أو ثلاث ، سمعا بعدها بابا فى الردهة يفتح فى حذر — على ما يبدو — ثم يغلق فى هدوء وكأنا كان امرؤ يسير فى الردهة خفيف الوطء مضطرب الخطى ، كأنه فى أغلب الظن يحرص أن يمر دون أن يسمع وقع خطواته أحد . وصاح ليون فى سخط وتبرم قائلاً : — أى مكان هذا المكان الملعون ؟

فقلت : — بل إنه الفردوس
ثم ألقت برأسها على صدر ليون وتشاءبت
قائلة : ما ألد النوم !

وتهدت ثم رقدت وسرعان ما غلبها النوم ثانية . بيد أن ليون كان متوتر الأعصاب . وبدأ خياله يصوره أشياء لم يكن ليعبأ بها فى ظرف غير هذا ... ارتسم على صفحة ذهنه المرهق ابن أخى الرجل الإنجليزى المنحوس . لم تكن قد أعجبت به نظرتة إلى عمه فى أثناء توسلاته حين كانا يتحادثان فى المحطة . كان يسأله نقودا ولا ريب . وليس من العسير على شاب ملأ اليأس صدره أن يتسلق من الحديقة إلى نافذة الغرفة الملاصقة ، ثم هو ما زال فى الفندق فقد رآه فى الحديقة منذ قليل .. من يدري .. ربما ... أجل ربما ... بل من المؤكد أنه كان يعلم بحزمة الأوراق المالية فى حقيبة عمه . ثم هذه الضربة الشديدة التى تشبه سقوط هراوة ثقيلة على رأس أصلع ، وهذه الصرخة المكتومة ، وهذا الأنين الأليم ، ثم هذه الخطى الزاحفة الحذرة ، إن لابن الأخ هذا لنفس مجرم قاتل .. ولكن كيف ؟ إن فندقا غاصا بالضباط ليس بالمكان اللائق لارتكاب جريمة ... ثم إن الرجل الإنجليزى ، وهو متشكك مرتاب ، لابد أنه قد أغلق بابه جيدا ، ولاسيا وهو يعلم أى نوع من الرجال يحوم حوله .. إنه لا يثق به ، وآية ذلك أنه لم يشأ الذهاب إليه ويبدد الحقيقة .. حين دعاه ،

ولكن يا الله ! لماذا يتقرب الإنسان عن أوهام
تنغص عليه وقته الهنيء إبان سعادته ؟

هذا ما دار بخاطر ليون ... ومن بين
أفكاره هذه التي لا أحب أن أجعل القارئ
يميل من الإطالة في وصفها ، والتي مضت
تتتابع في خياله كمرأى الأحلام ؛ ألنى بصره
يتجه دون قصد منه إلى الباب الفاصل
بين الغرفة الزرقاء وبين غرفة الإنجليزى

ويخلق بنا أن نشير إلى أن الأبواب في
فرنسا لا تكون محكمة وإن أغلقت .
كان بين هذا الباب وبين أرض الغرفة
فتحة ارتفاعها نصف بوصة . وعلى حين
فجأة ومن خلال هذه الفتحة تبدى له شيء
قاتم اللون يبرق من طرفه ما يشبه سلاح
مطواة انعكس ضوء الشمس على نصلها .
ومضى هذا الخط القاتم من طرف ، اللامع
من طرفه الآخر ، يزحف في بطاء تجاه خفيين
من الساتان الأزرق ألقيا في إهمال على مقربة
من الباب .. ما هذا .. أترأه حشرة زاحفة ؟
كلا .. ما هو بحشرة ، فما له هيئتها ..
الآن أقبل خطان .. بل ثلاثة بنفس الجانب
اللامع البراق تزحف إلى الغرفة الزرقاء .
وكانت حركتها سريعة بفضل انحدار أرض
الغرفة .. الآن قد برح الخفاء .. إنه سائل ،
وإن لونه ليدو الآن واضحا في ضوء
الشمعة .. إنه دم .. وبيننا كان ليون جامدا

لا يتحرك ، يحدق النظر في فزع إلى الشيء
الرهيب ، كانت الشابة مستسلمة لنوم هادئ
وأنفاسها الدافئة المنتظمة تلفح عنق
الرجل الهلوع

وكان ليون شابا متزن التفكير ، يدل على
ذلك أنه أمر أول ما نزل بالفندق بإعداد
طعام العشاء .. لذلك وضع لكل أمر
احتماله ؛ ولم يفقد حضور بديهته ورباطة
جأشه في هذا الموقف .. لم يأت بأية حركة
تدل على انفعاله ، بل صعدت جميع الدماء
إلى رأسه لاستنباط حيلة تخلصه من ذلك
الموقف الصعب الذى يحيط به

ولعل القراء الأعزاء وخاصة السيدات
منهم ينكرون على ليون هلمه وانهيأ أعصابه ،
ولعله يقال إنه كان حتما عليه أن يسرع إلى
غرفة الرجل الإنجليزى ليعتقل قاتله ، أو على
الأقل كان عليه أن يقرع جرس غرفته ويشيرها
ضجة في الحانة كلها . ولكن ليون له
معاذيره ؛ إذ يجب أن يدرك القراء أن حبل
الجرس في الفنادق الفرنسية ، إن هو إلا
بعض زينة غرف النوم والمخادع ، وغالبا
ما يفتقر إلى آلة معدنية تقوم بالغرض المنشود ،
كما يجب أن أضيف بكل تحفظ ولكن
بإصرار على رأيي ، أنه ليس من السهل على
عاشق يستقر على كتفه رأس حبيبته النائمة
أن يزعمها بأمر جريمة حدثت في الغرفة

واحدة ... إنها غلطتك ، وإنها لنتيجة غلطتك »

ومن بين كلمات مثل هذا السؤال الذى ظل يدور فى ذهنه قوله « ماذا أصنع فى هذه المشكلة ؟ » غالبا ما يلمح الإنسان بصيصا من الأمل ... وقال ليون لنفسه يلمس مخرجا : « ماذا لو أسرعنا بمناذرة هذا الفندق اللعين قبل أن يكتشفوا ما حدث فى الغرفة المجاورة .. ولسوف تضيع آثارنا . فما من أحد يعرفنا هنا .. ما رأونى إلا والنظارة الزرقاء على عيني ، وما رأوها إلا والقناع على وجهها . ولا يفصلنا عن المحطة سوى خطوات قلائل . وفى ساعة نكون بعيدين عن هذه المدينة الشثومة . » ... وبينما كان يدبر أمر فراره إذ وقع بصره على الساعة فذكر أن ثمة قطارا يمر بالمدينة فى الثامنة يقصد باريس حيث يستطيع هو ورفيقته فى زحمة تلك المدينة العظيمة أن يختفيا إلى الأبد .

فطلما أخفت باريس المجرمين والأشقياء . من يستطيع فيها أن يعثر على شخصين بريئين ؟ ولكن ماذا تكون الحال لو دخل امرؤ غرفة الإنجليزى قبل الساعة الثامنة ؟ هذه هى المشكلة .. ولكن هل يستطيع غير هذا ؟ وبذل جهدا كبيرا للتخلص مما ران عليه من روع وفزع . واستيقظت رفيقته لأول حركة بدرت منه ، فقبلته ، بيد أنها صاحت عندما

المجاورة قتل فيها إنجليزى .. فما يستحق مقتل أجنبي كل هذا العناء .. هذا إلى أنه ماذا كان يحدث لو أن ليون صاح بملء صوته وأيقظ الفندق كله . سيأتى رجال البوليس والمحققون ، وبدلا من أن يسأله عما رأى وما سمع ، سيراهم بدافع الفضول يستجوبونه هكذا : « ما اسمك ؟ وأين أوراق شخصيتك ، والسيدة .. ما اسمها وما علاقتها بك . ولماذا تقيان معا فى هذه الغرفة الزرقاء .. عليكما أن تثبتا للمحكمة أنكما ساعة الجريمة كنتما فى مكان كيت وكيت ... الخ »

كان هذا أول ما خطر ببال ليون .. وكم فى الحياة من مشكلات ! .. والآن ! ترى أيهما أفضل ، أن نترك أجنبيا يقتل ، أم أن نجلب العار والفضيحة على امرأة حبيبة ؟ لا ريب أن ليون تصرف كأي رجل آخر يكون فى موقفه

تلبث فى مكانه كالصنم . وبدا كأنه مخبول العقل وهو يرنو إلى الخفين الأزرقين ، والمجرى الأحمر الصغير الذى مسهما .. وتصبب المرق البارد من جبينه ، واشتدت ضربات قلبه كأنما ستمزق صدره . وانتابه إحساس بالخوف شديد ، وتلاحقت فى ذهنه أخيلة أفزعته ، وهب من أعماقه صوت راح يهمس فى كل كيانه : « سينكشف الأمر فى ساعة

مست خده البارد وهتفت في لهفة :
 — ماذا جرى ؟ إن جيبينك بارد كالرخام
 فقال في صوت يرتجف :
 — لا شئ إلا أنى سمعت جلبة في
 الغرفة المجاورة

وغادر فراشه ابتغاء إخفاء أى أثر يجعلها
 تعلم . أخفى نعلها الأزرقين ، ووضع مقعدا
 كبيرا يخفى به خط السائل الأحمر الذى
 تجمع الآن وأنشأ ما يشبه بركة صغيرة على
 بلاط النرفة ، ثم فتح الباب وأنصت في
 الصالة ، ولس في نفسه جرأة جعلته يختبر
 باب غرفة الإنجليزى .. ألفاه مغلقا .. كان
 الهدوء يطوى الفندق كله . وكان نور القمر
 ينبثق ، وبدأ بعض الخدم يجهزون
 الجياد في الإسطبل ، وفي الطابق الثانى كان
 ثمة ضابط يهبط الدرك وخلفه جلبة من
 مهمازيه

عاد ليون إلى الغرفة الزرقاء وقص على
 رفيقته الأمر كله في أسلوب ملتبس مخفف
 كان من الخطر البقاء ، وكان من الخطر
 الإسراع في الرحيل .. بل كان الخطر كل
 الخطر في البقاء في الحانة حتى يكتشفوا
 ما حدث في الغرفة المجاورة . ومن العبث
 أن تفصل وصف الخوف الذى نشأ في صدر
 الشابة العاشقة من سرد الخبر . هاتيك
 الدموع الغزار التى انهمرت ، وتلكم الآراء
 التى قلبت . وكم من مرة ألقى كل من

العاشقين بنفسه في أحضان الآخر . وكم من
 مرة همست الشفاء المرتجفة « غفرانك
 يا حبيبى ! » ... « اصفحى عني يا حبيبتي ! »
 ولقد استقر في روع الشابة الحسناء أنهما
 سيؤخذان بتهمة قتل الإنجليزى ، فأقسما أن
 يموتا معا ، وأحى كل منهما على نفسه باللوم
 وأبعد التبعة عن صاحبه ، والتحما في عناق
 طويل مخافة ألا يسمح لهما بذلك عند إنزال
 القصاص ، وسقيا شدة الوجد بالدموع الغزار
 وأخيرا وبعد تبادل الهمسات وتقليب
 الرأى عرفا بين غمرة من العناق والقبل أن
 تدبير ليون أن يرحا بقطار الثامنة هو أنسب
 التدابير ، ولكن أين هم من الساعة الثامنة
 الآن ؟ ما زال ثمة ساعتان طويلتان

وكم كانا يرتجفان ويستولى الرعب عليهما
 حين يطرق آذانهما وقع أقدام في الردهة ،
 كل ضربة حذاء تسرع إلى خيالهما بتهاويل
 رجال البوليس وتصاويرهم ، وحزما أمتعتيها
 في أقل من رد الطرف ، وأرادت الشابة أن
 تحرق الخفين الأزرقين في المدفأة ، ولكن
 ليون أخذها ومسحها في طرف ملاءة
 السرير ، ثم قبلها ، وغيبها في جيبه ، ولقد
 دهش حين شم فيهما رائحة « الفانيليا »
 رائحة كانت تحبها رفيقته كما كانت تحبها
 الإمبراطورة أوجيني ...

الآن استيقظ كل نزلاء الفندق ، وتناثرت
 إلى أسماع ليون ورفيقة، ضحكات الخدم

وترانيم الوصيفات ، وأناشيد الجند وهم ينظفون أثواب ضباطهم ... ودقت الساعة سبع دقات ، وأراد ليون أن يجعل حبيبته تتناول قدحا من القهوة ، ولكنها أشارت إلى حنجرتها كأنما تلهب فلا تسبخ شيئا ما وضع ليون نظارته الزرقاء على عينيه ، ثم هبط يدفع حسابه ، وأبدى له صاحب الفندق معاذيره عما حدث من جلبة وضوضاء ، فلم يفهم ليون ما يعنيه الرجل ، فإن كان يقصد جلبة الضباط وتصرفهم ، فقد كان ذلك نعمة كبرى قياسا إلى ما حدث في غرفة الرجل الإنجليزي ... ومضى ليون يؤكد له أنه قضى ليلة هادئة هائلة

وتابع صاحب الفندق يقول :

— أما عن جارك الإنجليزي فلا يستطيع الآن مضايقتك ، فهو الآن يقينا نائم كالقتيل هنا اعتمد ليون على مكتب الرجل اتقاء السقوط ، ورفيقته التي أصرت على مصاحبته شدت هي الأخرى على ذراع ليون وأثبتت القناع على وجهها

واستأنف صاحب النزل حديثه في خشونة :

— إنه نبيل إنجليزي ، ولا يرضى بغير الأجود في كل مطالبه ، وهو مهذب لاريب في ذلك ، ولكن ليس كل الإنجليز مهذبين ، فبالفندق الإنجليزي آخر كأنه مجرم سفاح ، كل شيء في ناظره مرتفع الثمن : أجر

الغرفة ، وثمان العشاء ... وقد أرغنى بلسانه السليط وعينه المتوهجتين أن أستبدل له مائة وخمسين فرنكا بورقة مالية من فئة الخمسة جنيهات الإنجليزية ... انظر ياسيدى ! ها هي ذى الورقة أرجو ألا تكون زائفة ونظر ليون إلى الورقة في يد الرجل فرأى في أحد أركانها بقعة حمراء فهم ليون منها كل شيء وعاد الرجل يقول :

— أظنها صحيحة . أوه ! مازال الوقت متسما . فما يصل القطار إلا في الثامنة . بل كثيرا ما يتأخر عن مواعده . آه ! عفوا ياسيدتى .. ألا تجلسين ! يبدو أنك متعبة هنا دلفت خادم عفراء مكتنزة . قالت :

— أسرع بماء ساخن لشاي اللورد ، ثم باسفنجة أيضا فقد انكسرت زجاجة الخمر وغمرت غرفته جميعا

وترك ليون نفسه يسقط بين ذراعى مقعد كبير ، كذلك فعلت صاحبه ، بنفسها ، وأحسا كلاهما برغبة شديدة في الضحك ، وتغير رأيهما ، فلن يبرحا بمثل هذه السرعة وأمسكت الشابة بذراع ليون وهزته في ابتهاج شديد . وقال ليون لصاحب الخان :

— يقينا لن نبرح قبل المساء . وعلى ذلك فجهز لنا غداء فائرا في تمام الساعة الثانية عشرة

محمد عبد الفتاح

الدهليز المكشوف

للاستاذ محمد عبد الحليم عبدالله

أخذت روائح الرضا تهب على أسرة
النجار مرة أخرى بعد أن مسح الزمان على
الوالد بيد على أطرافها مرهم قليل . وبدأ
عقدهم يلتئم كل مساء في دهليز دارهم
المكشوف الذي يقع تحت ناظري مباشرة
كلما أطلت من نافذتي نحو الجنوب

كنت أراهم في ليالي الصيف مفترشين
الحصير تنصب عليهم أشعة القمر فتغنيهم
عن المصباح أو تلمع في كانواهم جمرات
الخشب فتلتقي عليهم بوراً أحمر إن لم يكن
هناك قر . يتبادلون الحديث الساذج المنطبع
بطابع الرضا والمسألة والإيمان بالقضاء والقدر،
تلك المعاني التي تمشي في الريف جنباً إلى
جنب مع دقيق الذرة ومع الجبن والرايب!!
مسح الزمان على جراح الوالد فتمثل
مصابه . تمثله وتشرته نفسه أيا كان طعمه
لأنه من البلايا التي لا تنسى

كان نجارا في القرية يصنع ما يصنعه
هنالك كل نجار . في أدواته حشونة أدوات
أصحاب الحرف في الريف لأن عمله لا يعدو
أن يكون إصلاح ترس أو تركيب يدفأس أو

صنع وتد لحوان أو شيئا من هذا القبيل
فهو لا يصنع خوانا ولا صوانا ولا أثاثا مما
خلقته الحضارة . ثم أعفاه الزمان من هذه
الحرفة التي بلغ حد نقيته عليها أنه أقسم
ألا يعلم ابنه إياها ! لكن طريقة الإعفاء كانت
كريمة فلقد كف بصره فجأة حين نجم في
عينيه ما يسمونه « ماء » ... علة تستل نور
الأبصار برفق خبيث ثم تدع المقلة وكأها
سليمة فتخدع فيها العيون السليمة

وأصبحت أسرة النجار منذ ذلك الحين
موضع رعاية أهل البر لأن الرجل لم يكن
ذا ولد يمكن أن يعوله ، ولأنه باع أدوات
النجارة بثمن بخس زكاه في نفسه أنه لم يعد
محتاجا إلى قدوم ولا منشار . وأسند إليه
أهل القرية عملا يتناسب مع ما أهدها إليه
القضاء . يتناسب معه تماما ويكاد يكون
« مؤهلا » مشروطا لمن يقوم بمثل هذه
الوظيفة فلقد عينوه « ملا » يدير مضخة
كابسة ترفع الماء إلى صهريج المسجد
لكن حسن النجار ما كان يرى وحده
في طريق ...

كان لا بد له من فترة حتى يألف حياته الجديدة ... أعنى حياة الظلام الدائم . فكان ابنه « ربيع » يسير إلى جواره يهديه سبيله لأن الذين ينطقون النور في أبصارهم وهم كبار يحتاجون إلى فسحة من الوقت لتمكن بقية الحواس من أن تتحمل ما كانت تتحمله العين قبل ذلك . لا بد من وقت للداخل في دنيا الظلام على كبر حتى تتدرب أذنه على قياس المسافات فيعرف عرض الطريق من أحاديث المارة على جانبي الطريق ، وطول المدى بينه وبين الكاب النابح من صوت نباح هذا الكلب ، وارتفاع النخلة أو الشجرة من همس الريح في ذوائب إحداها . ولا بد للأنف كذلك من مدة ليتدرب على معرفة الأماكن والأوقات فيشم رائحة الربيع كما يشم رائحة الشتاء ، ويميز رائحة الصبح كما يميز رائحة المساء !! وهذه هي سنة التعويض التي يجرى بها قانون الحياة !!

كان « ربيع » في السادسة من عمره ، صبيحاً مليحاً ، يستأثر بقلبك منه وجه مستدير أسمر تشغل عيناه منه مساحة كبيرة كأنها لم تترك لبقية أعضاء الوجه مكاناً فشغل الفم والأنف مساحات صغيرة . وكنا لا نراه إلا باسماً تطرف أهدابه باستمرار إذا ما نظر طرفاً حلو تراسلها ابتسامة دأمة فيتألف من ذلك كله معنى يستطيع ربيع أن يتوودد

به أقسى قلوب الناس . أما الجميل الشاذ في ابن النجار ، فقد كان شعره : لم يكن يذهب إلى الحلاق لأن أمه كانت تقوم بهذه المهمة . كانت تجز رأسه بالقص فتري ضربة هنا وضربة هناك ، وشطبا في الشعر كأنها شطب السيف ، وفي أعلى الجمجمة « شوشة » وفي أعلى الجبين « شوشة » كذلك ... منظر شاذ قد لا تتصوره عينا مدني لكنه أحلى من الشهد موقعا في قلوب الناس وبخاصة إذا ناست هذه الخصلات مع هبات النسيم

كان أكبر أبناء أبيه على حداثة سنه ، كما كان المحور الذي تدور حوله آمالهم وآلامهم وبخاصة بعد أن فقد الأب نور عينيه ، وكان اسمه إذا ما جن الليل وجلسوا في الدهليز المكشوف ينادى ألف مرة كأنما كان — كما يقولون عنه — إداماً لحبزهم وسكراً لسايقهم وكمكهم في ليالي العيد ، ومسكناً لآلامهم إذا ما ثارت في نفوسهم حوادث الماضي وقد رأيت من منذ أسبوع مضى وهو واقف إلى جوار أبيه في ضحى يوم العيد . وكان يجمع بيده الصغيرة الملايم فيعطئها للوالد ، وأقراص الفطير وأطواق الكمك فيضعها في غرارة شدت إلى حامل الأرجوحة . تلك الأشياء التي يقدمها الصبيان أجراء الركوب أرجوحة الصناديق التي يملكها النجار والتي

صنعها أبام كان مبصرا وطلّى خشبها بألوان
زاهية فيها سداجة واضطراب لكنها
يسحران لب الصغار . وكان على « ربيع »
جلباب جديد أحمر ، وعلى فمه تسامة جديدة
بيضاء ، وفي قدميه حذاء قديم أسود ، واسع
قليلا ، فهو يثير به التراب إذا ما خطا على
الأرض .

* * *

هذا هو الدهليز المكشوف يقع تحت
ناظري وقد أطلت عليه من الشباك . وفي
السما قوس هلال ضئيل لم يستطع نوره أن
يبين الأشباح في دار حسن النجار بوضوح
كامل . لكن الذي أثار فضولي وهيج
انتباهي أن سحابة هم كانت ترفرف على
المكان .

كان جوهم ثقيلًا تمشى في نواحيه وحشة
كثيرة . وهناك قدر على النار يسطم بخارها
مختلطا بدخان الحطب « وقوالح » الدرة ،
والأم منحنية على وليد صغير يتمص درها
ويصرخ بين فترة وفترة فتسد فمه بإلقامه
الثلدي . أما الأب فكان منزويا ساكنا وعلى
الحصير بين أيديهم رقد ابنهم ربيع .

وطالت جلستي في النافذة حتى هجعت
القرية فلم يعد ينهي إلى مسمعى إلا أصوات
بعض الفلاحين وهم يجأرون بالغناء على
صرير الطناوير التي تروى الأرض في موسم

التحريق وبعض ضفادع طال سمرها في البركة
القريبة . وانطفأ الكانون ونام الرضيع ثم
نادت الأم ابنها الأكبر لينهض فينال شيئا
من لحم الدجاجة التي ذبحتها من أجله !!
ولكنه أجابها بأنين وتلملل وضجر ، ولم
يطل بينها النقاش لأن الأب تحسس رأس
ولده وقال مخاطبا زوجه : دعيه مرتاحا .
ثم رفع رأسه إلى السماء وقال مخاطبا ربه :
يا إلهي ... أنت جاهي !!

وساح ديك مع الفجر واتصل صياحه
بعويل امرأة حتى كأنه امتداد لهذا الصباح
فهبت مذعورا وأطلت على دهليز حسن النجار
لأنني لم أكن نسيته أذا به مريض ، فرأيت
على نور أول شعاع من الفجر شبحي
الأبوين وهما يتنزيان كما تنزى كرة المطاط
بين الأرض ويد اللاعب ، لم يكن أحدهما يقول
شيئا جديدا ولا غريبا عما تعودا أن يقولاه !
بل كانا يناديان على التوالى أوفي نفس واحد ،
باسمه فحسب ، كأنهما كانا يتوقمان أنه سيجيب !!
ثم درج الزمان في طريقه غير ملتفت
لشيء وأظلم المساء الأول بعد غياب الصغير
عن دار أبيه ، وانصرف بعض النسوة
وبعض رجال كانوا يمزون ، وخلت الدار
بالزوجين وأطلت من نافذتي كأنما لأسهر على
وحدتهم من بعيد فرأيتها ينطويان على
نفسهما ويتكور كل منهما في ركن ويستسلم

ولم يقو حسن النجار بعد ذلك على إدارة المضخة ملء الصهريج لأن قواه قد خارت من أثر الصدمة . ولم يكن هناك من يهديه السبيل بعد أن خرجت زوجته إلى العمل في الحقول

وحرّم أهل الحارة على أبنائهم أكل التين الشوكي مدة طويلة . ولم بعد أحدهم يسمح لولده أن يتسلل من مرقده في الصباح الباكر ليسبق غيره إلى جمع البلح من تحت أقدام النخيل حتى لا يفضى به المسير إلى تلكم الروة العالية التي تغطيها أشجار التين في جهامة وجفارة فيلتقى مصير ربيع بن حسن النجار .

تسلل إلى هناك متسلحاً بقطعة من الصفيح زاحفاً على بطنه كما تفعل القنفاذ حتى لا يراه عين الخمير . وجعل يعمل السكين في الثمار ويأكل حتى تعسب شعاع الشمس من خلال ألواح التين . ولم يكن الصبي يعلم أنه ظلم نفسه وأنه أكل فوق ما يطيق وأنه ملأ بطنه « زلطا » وحصا سيكون آخر ما تزود من الدنيا . ثم ... ثم رانت الوحشة على الدهليز المكشوف !!

قلت لطبيب المستشفى المركزي بعد أن رأيت على وجهه دلائل الألم :

إن رأيت في مشكلة النجار قديم يرجع عهده إلى تاريخ موت ابنه ؛ فقد كان الرجل

للنوم في سكون بائس . لكن الحال لم تدم على هذا المنوال فتمد بدا الجزع واضحا على الأب في الليالي التالية ؛ أما الأم فقد كان حزنها كثيباً صامتاً كأنه حزن المقابر . لكن حسن النجار كان يقضى الليل في حركة وكلام لا ينقطعان ، اللهم إلا فترات من السكون خيل إلى أن الرجل كان يناقش فيه قضية نفسه ثم يعلن نتيجة النقاش جملاً قصيرة لعلمها عتاب تشوبه الشكوى أو شكوى يمازجها العتاب فيقول : يا إلهي ... ضاع عكاز الأعمى ... وبقي الأعمى بلا عكاز !! ثم يقوم ليقطع الدهليز في جيئة وذهاب ويداه ممدودتان أمامه كأنما ليتقى بها شيئاً ، يفعل ذلك وهو يردد : عكاز الأعمى يا إلهي ... عكاز الأعمى يارب !!

كنت في نافذتي أتدبر القضية التي يتدبرها حسن النجار في ضميره وأحاول أن أصدر فيها حكماً ولكنني لا ألبث أن أتنحى عن الموضوع لأنني لست جديراً بأن أحكم فيه . لكن معنى واحداً سيطر على إحساسي حتى استرقني وجعلني عبداً له ، وهو أن الموت ضرورة لهذا الرجل . كنت أراه يجد السير في طريق له شعبتان إحداها جنون وإحداها هلاك .. فتمنيت أن تهديه قدماء اللتان تقودهما الأقدار إلى الشعبة التي تفضي به إلى الموت فإنها خير على كل حال

وفي ضلوعه وأحشائه إصابات عميقة . وقال
أهل القرية : إن يد أحد الصبيان العابثين
هى التى قادته نحو هذا المصير يوم قال له
الشقى : اتبعنى يا سيدى أهدك سبيلك .
فذكر الرجل ابنه فسأله عن اسمه ، فأجاب
العاث كاذبا : اسمى ربيع . فحن الأعمى
وتحسس رأسه فألقى على جبينه « شوشة »
فتبعه فى غمرة من الذكرى حتى قاد خطاه
إلى أعماق الهوة . وكان هناك صبيان آخرون
شهدوا المنظر لكنهم تفرقوا من الذعر فى كل
صوب كما تتفرق العصافير عند فرقة الرصاصة !
وقد حرصت — وأنا جاره — على أن
أتحرى صحة الرواية ، لكننى رجعت بفكر
مبيل وخاطر متشتت ، وخيل إلى أن كل
حادثة تقع مرتين على الأقل ، مرة فى عالم
الحقيقة ومرة أخرى فى خيال الناس
ولكن كل هذا لا يغنى بعد أن وصل
النجار إلى ما وصل إليه

وضعت عند رأسه بعض فاكهة حملتها
على أمل أن يفيق فيطعم منها شيئا لكنه كان
يجد السير نحو النهاية المحتومة
رأيته آخر ما رأيته يمد يده إلى الأمام
على هيئة من يتحسس الطريق وهو يقول :
العكاز ... عكاز الأعمى ... ! ! قدمت له
عصاى على الرغم من أننى فاهم كل ما يقصد .
فأمسك العصا بين كفيه وقبض عليها بقوة .

يتعذب إلى حد جعلنى أدرك مغزى « خلق
الموت والحياة » . أجل يا سيدى إن الموت
شئ يجب أن يخلق . فhez الطبيب كتفه
وقال بصوت لا يخلو من العتاب : أحدثنى
عن الموت ؟ أتحدث عنه طبيبا والموت هو
المحور الذى تدور حوله أعمال كل طبيب ؟ !
فقلت : عفوا ، بل قصدت أنه نعمة بالنسبة
لذلك النجار

لم يتكلم منذ دخل المستشفى بكلام مفيد
بل كان يخلط فلم يفهم عنه جيرا به شيئا .
وها هو ذا فى فراشه اليوم يحيط به « برافان »
ليعزله عن بقية الحجرة حيث الحياة مرجوة
والشفاء مرتقب . وكان لا بد للنجار أن
يدخل هذا المستشفى لأنه كثيرا ما ضاق
بالوجود فاستعان بعصاه وخرجها دائما على وجهه
حتى إذا ما استقبل الفضاء وأحس حلاء
الحقول رفع عقيرته صائحا بملء حريته
مناديا ولده فلا يرد عليه إلا الصدى

كان يفعل ذلك من حين إلى حين حتى
تردى ذات يوم فى حفرة عميقة على جانب
الطريق وعلى رأس مزرعة . حول أحد
الفلاحين طينها إلى لبن استعمله فى البناء
ثم تركها ترتدم رويدا رويدا كلما شاء أن
يلقى فى جوفها شئ

واستقر فى أعماقها النجار وأصابه منها
ما أصابه . ثم ابتسلوه وعلى وجهه دم وطين

افتراسان ورجل

بقلم الأستاذة زينب الحكيم

أقع في حبه كما برهن واقع الحال على ذلك ،
ولاسيما أن مظهره الخلاب ، وشخصيته
الجذابة جعلته من نوع الرجل الذي يسترعى
انتباهي كثيرا . وقد ذكرني بغتة بزوجي
« جيف » الذي قتل في الحرب . ولم أفطن
إلى ذلك ، الحب متى وقعت فيه ، وظلت هذه
اللحظة غامضة إلى أن جلاها لي النبا الذي
سمته في آخر الأسبوع الماضي ... وهو أن
زوجته « لي » تنتظر مولودا .

فإن ما انتابني من ألم خائق ، وما تبع ذلك
من اضطراب عواطف لم يدع لي مجالا للشك
فيما وقعت فيه . نعم وقعت في الحب الثاني ،
وتأكدت أنه سيجلب إلى عذاب القلب في

كان عليها أن تتظاهر بالصدقة كلما دفا
قلبا للحب . ونرى في هذه القصة صراحة
المرأة وثورتها إذا هي بحثت عما يموضها
مما تفقد .

قالت « نانس » : لن أنسى أبدا ذلك
الصباح الذي أتى فيه « بوب » للعمل في
مكتبنا . وكانت ذكرى اليوم الذي أحبيته
فيه أكثر من ذلك أهمية ، فقد عرفت
من قبل أنه متزوج .

ولكن الحب على ما يبدو شيء ليس في
مقدور البشر ضبطه . وقد حدث أنني عندما
قابلت « بوب » كنت وحيدة وغير سعيدة .
وفي هذه الظروف كان من المستحيل ألا

— خلاص !

وأظلت على الدهليز المكشوف في مساء
نفس اليوم فلم أر إلا كانوا لا نار فيه ،
وحصيرا ينعكس عليه ضوء القمر ، وامرأة
حانية على وليد ترضعه في سهوم بعد أن تفرق
من حولها النسوة

محمد عبد الحليم عيد الله

وكانت هناك كلمات ضعيفة لم تستطع أن تخرج
من بين الشفتين إلا هواء ... هواء فارغان
كل صوت . وأخذت يدها بعد دقائق تتخلجان
عن المصا قليلا ... قليلا ... قليلا
فالتفت خلفي فإذا بالطبيب ينظر إلى وهو
يسأل سؤال العارفين :

— خلاص ؟ فأجبت :

هذه المرة أكثر مما يجلب السعادة .

لقد كنت أنا و « بوب » صديقين من أول يوم تقابلنا فيه لنتقسم العمل المتشابه في مكتب رئيس مقاطعتنا ، ونيط بي تلخيص المسائل ، وتزويدها بما يلزم من تمهيد في كل عمل توليناه . وأعجبنى منه تركيز انتباهه إذا ما درس أى مشكل جديد ، وسرني سرعة تفكيره .

واتذكر أول محادثة لنا غير رسمية ، عندما تناولنا سيكارتي في فترة راحة أثناء قيامنا بعمل مرهق فقد قلت له : إياك تذكرني بالرحوم زوجي ، ودهشت من نفسي بعد أن قلت له ذلك ، فلم يكن من عادتي أن أتحدث عن « جيف » بهذه السهولة للغرباء ، وقلت مستطردة لأحفي دهشى من اعترافي : لقد كان له مثل موهبتك من القدرة الخارقة على كل عمل تولاه ، فقال « بوب » : لا بد أنه كان رجلا عبقريا . لم أكن أعلم أنك متزوجة ! وهل حدث ذلك من مدة طويلة؟ فأجبت : نعم كنت متزوجة ولكنه مات بعد سنتين من حياة زوجية سعيدة ، وتراني لا أستطيع شرح موته بهدوء مع أحد . فغير « بوب » موضوع الحديث . وكانت تعلم « نانس » أن زوجته معه في واشنطن ، وسبق أن تكلم أمامها عن بيض مشاكهما البيتية ، وطلب إليها غير مرة

مقابلة زوجته مؤكدا لها أنهما سينسجيان معا . وأخيرا قابلت نانس زوجة « بوب بريسكوت » في حفلة ساهرة ، وكان « جاك أنسلو » يرافق نانس حينئذ ، وقد وصلا متأخرين ، ووجدنا جموعا من الناس يتنقلون بين المحترات ، ولكنهما لم يريا بعد أسرة بريسكوت . وفجأة سمعت نانس صوتا ليس غريبا عنها بالقرب منها ، فوجدته « بوب » مخاطبا إياها « ها أنت ذى هنا . لقد ظننت أنكما اعتذرتما من عدم المجيء » ، والتفت إلى زوجته « لى » قائلا : عزيزي « لى » أريد أن أعرفك باثنين من أصدقائي « نانس ورن » و « جاك أنسلو » ، فسلمت عليهما محبة ولحت « نانس » في مهارة لم تخف عليها ، وعرفت « نانس » من هذه الحادثة أنهما الن تكونا صديقتين . وصدق حدسها مع الأسف ، ولكنها عولت على أن تحب « لى » زوجة « بوب » لأنها أحبته هو . وقد كانت لى ذات جمال يسترعى النظر وطلعة بهية ، ووجه يكاد يكون شرقيا مع شعر ناعم أسود معضوب حول عنقها . ولكنها كانت من نوع المرأة السفاسطة المشاكسة المتحفزة . وقد قابلت نانس من أمثالها كثيرات من قبل

اقترح « بوب » أن يذهب أربعتهم إلى المطعم لتناول العشاء ، وأسرع جاك إلى تأييد

الاقتراح ، أما « لى » فقد كانت تسلم بما اقترحه زوجها .

ووصفت نانس جاك قالت : لقد كان رجلا لافتا للنظر وعلى جانب كبير من الظرف ، ولكن لن أتصور أن أقع فى حبه أبدا ، لذلك لم يزعجنى مارأيته من عبث « لى » معه تلك الليلة ، وإنما الذى أقلقنى حقا ، وضايقنى فعلا ، هو ما يمكن أن يحدث هذا السلوك من رد فعل لزوجها . على أن « بوب » لم يبد أى علامة تدل على أنه لحظ شيئا على سلوك زوجته ، وقد يكون بالفعل رأى شيئا . وحاولت جاهدة أن أجد موضوعا أستطيع نقاشه معها .

وأخيرا سألتها : هل تحبين وشنطن ؟ فأجابت : وهل يحبها أحد ؟ على أى قد آلف الوجود فيها بالتدريج كما يقول « بوب » ولكنها تظهر فى عيني مملة الآن .

فقال « بوب » : إن هذه هى المرة الأولى التى عاشت « لى » فيها بعيدة عن أسرته ؛ ويلزم للإنسان بعض الوقت ليلائم بين نفسه والبيئة الجديدة .

فقالت « لى » : لست أعتقد أنى أريد أن آلفها .

فقال « جاك » : هذا شيء مما أعرفه عن النساء إنهن يحببن العزلة ، ويردن المدينة التى سبق أن عرفنها ، والأصدقاء

ذاتهم ، والنادى نفسه من المهد إلى اللحد . فضحك « وب » وضحكنا معه . وقالت « لى » فى انسجام — إنى متأكدة أيضا أنك تعرف أشياء أخرى عن النساء يا جاك ، فقال فى حذر : ولكنى لن أزعجك بما أعرف . وعادت نانس إلى منزلها وقد كوت فكرة محددة عن « لى » . وأكثر من هذا أنها بعد أن تقابلت معها ، كان من الصعب عليها أن تنزعها من أفكارها ، فلم تعد بعد الآن نكرة ، ولا امرأة ليست لها أهمية بالنسبة إلى . إن لها شخصية خاصة ، وهى جميلة وأناية ، وهى بلا شك امرأة قاسية ، ولكنها فى الوقت ذاته تحمل سعادة « بوب » فى يديها الدقيقتين .

ورأت « نانس » « لى » ثلاث مرات بعد ذلك ، مرتين منها فى حفلى ككتيل صغيرتين ، وكانت المرة الثالثة فى منزلها عندما كانت وزجها يكرمان « بتي وليمز » لانضمامه لموظفى المكتب ، وكان « بتي » وزوجه « إيدث » الصديقين الجيمين لأسرة بريسكوت ثم علمت نانس بالتدريج شيئا عن نشأة « لى » فقد سبق أن اشتعلت فى إحدى شركات الإعلانات قبل أن تنزعج ، وكثيرا ما اشاعت أنه كان فى مقدورها أن تبرز فى عملها ، لولا وقوع « وب » فى حبها ، ونقلها بعد الزواج إلى وشنطن ، مما أساء إلى مشاعر زوجها .

ر بعد دقيقة مشت « لى » متكاسلة لتلتحق
« بإيدث » وفتاة أخرى فى الرواق .

قالت « نانس » شمرت بإضطراب عصبى
فى أعماق ، ودق قلبى دقات خاطفة من الألم ،
وبغمة تغير كل شيء ، ولم يبق اليوم هادئا
سعيدا ، فكأنما التقت زوبعة بمصادفة فى
أحشائى ، وكأننا تمزقان جسمى إربا .

وكان المدعوون يتداعبون أو يجاهدون
راجعين إلى الماء ، بينما حضر إلى جاك
واجتذبنى من كرسى قائلا : إنك شاحبة
كالشبح أرحو أن تكونى بخير . فأجبت
لماذا ؟ طبعاً أنا بخير ، وكل ما أحتاج إليه هو
أن تلوح الشمس وجهى . واتخذنا طريقنا
نحو الجماعة ، وشعرت وأنا أسير معه على
الشاطئ الرملى بأن قواى ستخوننى إذا
ماخضت فى الماء ، ومع هذا حاولت ، بل
جازفت بنزولى فى الماء ؛ ولكنى بقيت
بقرب الشاطئ وسبحت فى أنصاف دوائر
بلا غرض ، فقد تردد فى خاطرى أنى أحب
« بوب بريسكوت » ، إنى أحب « بوب
بريسكوت » ورددت أمواج الماء هذا اللحن
الرخيم : — أنى أحب « بوب بريسكوت »
و « لى » زوجته تنتظر مولودا .

وبينا كنا نتناول بعض الشراب على
الشرفة فى المساء ، وقف « بوب » إلى
جانبي لحظة وقال : إنى سعيد برؤيتك

واختار الموظف الجديد وزوجته منزلا
صيفيا ، ودعوا فريقا كبيرا من أصدقائهما
فى آخر الأسبوع للسباحة ، وذهبت نانس
وجاك إليهما يوم السبت مبتدئين الرحلة من
وشنطن متأخرين ، ولدى وصولهما وجدا
جميع المدعوين قد حضروا ماعدا أسرة
بريسكوت ، لأنها لم تتحرك من وشنطن
إلا ظهرا ، وعندما وصلا كانت « لى » فى
حالة نفسية سيئة ، أما بوب فكان ممتنع
الوجه بادى الهزال ، فاستقبلهما بتي باهتمام
وسأل بوب عما أخرهما واطمأن عليهما .

لقد كان فريق من المدعوين مضطجعين
على كراسى الشاطئ فى الرواق الرملى الذى
ترى على بعد خمسين ياردة منه مياه الخليج
الزرقاء المترققة كالبلور الصافى . وقال
« بوب » إن « لى » مريضة ولعله كان من
الواجب ألا نحضر اليوم ، فقالت « لى » مكررة
ولم لا ؟ إذهب للاستحمام ، وسأجلس
هناك حيث أستطيع رؤيتك ، أو قد أشغل
نفسى « بالحياكة » أليس هذا هو ماتعمله
الأمهات المترقيات للمولود المنتظر يابتي ؟
فقال بتي : أعلم أنك تكرهين السباحة
على أى حال فلا تبظاهرى بالتضحية .

فقالت مخاطبة « بوب » عجل بارتداء
لباس البحر . وسراك فى الماء .

ففعل ما أمر به وتوجه توال إلى مبنى الحمام

« يا نانس » ، وكانت تحيط بعينيه هالات
سمراء ، وبدا عليه الوهن أكثر مما بدا
عليه حين أتى ، كما بدا عليه القلق والهم .
ودبت الرعدة في قلبي وذلك ما لم يحصل
في اليوم السابق . وكنت مرتبكة بحيث لم
أجد كلاماً أقوله له . ومر بنا جاك في تلك
اللحظة ، ففضيت إليه واجتذبتته إلى الداخل
ليتحدث إلينا ، فكان مساء لا تنسى ذكرياته
المؤسسية . فقد حدث أنه بعد أن تحدث إلى
« بوب » لحظة ، رأيته يضع كأسه وقد
فرغت إلى النصف وراء شجيرات الأوصى
التي في الطنف . وبعد دقيقة يصل إلى « لي »
ليحاول أن يأخذ كأسها من بين يديه اليسك
هو بها ، فتقول في خفة : أتركني فساأحتسى
كلما أردت ذلك

ولم يقل « بوب » شيئاً وحرك كتفيه
في يأس ومشى بيديه فارغتين . وهنا كانت
اللحظة التي أيقنت فيها أن شعورى المتأثر
بموقف لي منى ، قد زاد وبدأت أكرهها ،
لأنها زوجة الرجل الذي أعجبت به ، والمرأة
التي استولت على من أحببت ومغافستي
الوحيدة فيه ، وهى المرأة التي ستنجب
ابنه . وبلغت المنافسة بيننا أشدها ؛ ولكن
كان من حقها كل شئ ، وكان الترجيح
في جانبها

فكان لها أن تعنف أو تعير « بوب »

وأن تفتك به أو أن تفسد حياتها كلها ،
وكان عليه أن يحتمل لأنها زوجته ، وسيكون
لها سلاح آخر من الأغلال أقوى ، توثقه به
إلى الأبد إذا ما رزقت مولودها المترقب .
وقد أتخيل أن « بوب » يضيق ذرعه ،
ويضعف احتمال بهذه الحال ، وقد يطلقها ،
ولكنى لا أتصور أبداً أنه يضحي بابنه

ضاقت نفس « نانس » بهذه الحالة
ال عاطفية العسيرة التي أحاطت بها من كل
جانب وازدادت سوءاً إثر كراهيتها
لمواجهة « بوب » في مكتب العمل .
مما جعلها في موقف شاذ ، ونفسية
مريرة ، وحياة قلقة ، فلم ينمض لها
جفن طوال ليلة الأحد . على أنها استطاعت
أن تدارى موقفها إلى حد كبير في اليوم
التالى عندما ذهبت على عادتها إلى مكتب
العمل ، وحيث « بوب » بابتسامة لطيفة
كادت تكون طبيعية ، عندما أسرع إلى مكتبها
ليجمع بعض التقارير الخاصة بالمؤتمر ، الذى
سينعقد في مكتب الرئيس

وتعددت هذه المؤتمرات بحيث ضاعفت
العمل بالكتب أياماً كثيرة ، ولم تهدأ الحالة
نوعاً ما إلا في يوم الخميس ، وحينئذ سنحت
الفرصة « لبوب » بأن نتكلم عن شئ
آخر غير العمل ، وكنت قد عكفت على
حياة الغرام التي تبينتها في نفسى بالنسبة لبوب

أثناء الأربعة الأيام الماضية ، فشعرت بشيء
 قليل من الهدوء النفسى . واقترح « بوب »
 فى ذلك الصباح أن نذهب إلى المقهى لتناول
 فنجانا من القهوة . ونفذنا الاقتراح فوراً ،
 وحينما كنت أضع جزءاً من السكر فى فنجانى
 شاردة الذهن لحظت أنه كان يلقى على نظرة
 فاحصة ، فتقابلت نظراته بابتسامة ، فسألنى
 فيم كنت أفكر ، قلت : كنت أفكر
 فى حبي الشديد . فقال : شكراً لك « يانانس » ،
 إنك صديقة مخلصه ، وأعتبر نفسى موفور
 الحظ لأن أنخذلك صديقة . فقالت شكراً
 لك « يا بوب » إلى بدورى شديدة الاعتزاز
 بهذه الصداقة . وساد الصمت بينهما فترة ،
 إلى أن تشجعت نانيس فأضافت جملة أخرى ،
 فقالت : إني معتبئة كل الغبطة لأنك و« لى »
 سترزقان مولودا . وما كدت أنتهى من
 هذه الجملة حتى لحظت على وجهه نوعاً من
 الوداعة لم أعهده من قبل ، ولكن كان
 تأثيرها مريراً على ، فكانت كسكين اخترقت
 قلبى . وساد الجوفرة سكون أخرى ، وبدأ
 « بوب » الكلام هذه المرة ، وسألنى :
 ألك أولاد يا نانيس ؟ إنك لم تحدثينى عن
 أحد منهم — وكم عجبت لذلك . فهرزت
 رأسى سلباً ، وقلت : هذا موضع ندمى
 دائماً . فقال : وهكذا انتهت الحال على هذه
 الطريقة ، فقلت فى صوت هادى نعم : لو

كان لى طفل لموضنى جانباً من فقد « جيف » ،
 ذنبه جزء منه كان يجب أن يستمر حياً ،
 فضلاً عن أن وجود الطفل كان شيئاً مهماً
 بالنسبة لى شخصياً — لذات الطفل . وكم
 وددت أن تكون لنا ذرية صالحة ، ولكن
 حياتنا ما كادت تبدأ حتى انتهت ، فقدمت
 جيف فى الحرب . فقال « بوب » ولكن
 تنشئة الأطفال وحدها أمر شاق جداً
 يا نانيس ، فقالت لم أكن أتصورها سهلة
 ولكنى كنت أستطيعها . فقال : لا ريب
 كنت تستطيعينها لأنك شجاعة ، ولك
 مقدرة على هذا العمل الذى ربما أرهق زوجك .
 فقالت لست أظن ذلك ، لقد فهم أحدنا
 الآخر ، وكنا صديقين كما كنا محبين . فقال
 مبتسماً : لقد كان زواجك سعيداً إذن . ثم
 أضاف : لست أدرى إذا كانت زوجتى
 تفهمنى دائماً ، أو أفهمها أنا أيضاً . وأخشى
 أنها تظننى أبله لأنى شديد الشغف بابنى ، ولو
 أنه صغير الجسم بصورة غير مألوفة ، فوزنه أربعة
 أرطال ونصف وقد وضعه الأطباء فى بيئة
 أشد شهاً بمحسنى التفرغ زيادة فى الحيلة .
 على أن طبيبه الخاص يؤكد أنه بخير ولا
 خوف عليه . فسألته : وكيف حال « لى »
 فقال إنها بخير ، وأشغل نفسى كثيراً
 بإعداد النشرات عنها وعن المولود
 وعلى الجملة لم يدع « بوب » كبيرة ولا

صغيرة لم يخبر نانس بها . وشعرت نانس أنها تعيش حياتين ، حياتها الخاصة وحياة « لي » ، ولهذا عولت على أن تتخذ خطوة حاسمة مقررة أنه من السخف المروع أن تقع المرأة في حب زوج امرأة أخرى ، وقررت أيضا التخلص من احتمال آلام منصبها الراهن في العمل الذي يسبب مقابلتها « لبوب » باستمرار مع معرفة الكثير عن حياته الشخصية والتي لا يخصها نصيب منها ، وأصرت على أن ترحل عن وشنطن ، حتى تبعد عن كل شيء ، ولتعيش بعيدا على ذكرى حبها الثاني

وبكرت في صبيحة أحد أيام نوفمبر لتري مدير المكتب ، وطلبت إليه قلمها . فظهر عليه التعجب والدهش لطلبها ، ولكنه قال : سأنظر فيما يمكنني عمله من أجلك ، وأشار إلى أنه ربما استطاع تحويلها إلى عاصمة الولايات

لم يخبر « نانس » « بوب » بما انتهى إليه قرارها ، مفضلة إرجاء ذلك حتى يتم النقل . وفي الوقت ذاته كان « بوب » مضطرا للسفر بالطائرة إلى الشاطئ الغربي في منتصف نوفمبر بتكليف رسمي لإلقاء محاضرات . وشغلها فرز التقارير التي قد يحتاجها في رحلته طيلة عصر اليوم السابق ليوم الرحيل وسأله « نانس » إذا كان فرحا بالرحلة !

فأجاب سلبا ، وقال كم وددت لو كانت الرحلة قد انتهت وعدت منها اليوم ! لأنني أكره فراق « تدي » ولدي العزيز ، الذي لم تريه حتى الآن . وسألها متى تزور أسرته ؟ قالت : لقد أرسلت بعض الأزهار إلى « لي » بالمستشفى وهدية للمولود ، ولم أحاول رؤية الطفل مؤجلة الزيارة الشخصية خشية أن تخونني رزائي عند رؤيته ، وكذلك منعني كثرة العمل

فقال : هذا عذر واه ، وعلى أية حال يمكنك تأدية الزيارة وأنا مسافر . فوعده أن تفعل ذلك ، وحددت يوم الأحد مقدرة أنه سيسهل عليها رؤية الطفل لأول مرة من غير أن يكون أبوه المزهوبه واقفا إلى جانبه وتركت « نانس » نزلها في الساعة الرابعة مساء ، متجهة نحو جسر « تافت » تاركة رسالة مع عامل التليفون بأن يخبر « جاك » بأنها ستعود في نحو الساعة السابعة فقد كان بينهما موعد للعشاء

وكان اليوم صحوا لطيفا مشمساً من أيام أواسط نوفمبر ، واستقلت السيارة العامة « إلى جورج تون » وقطعت مسافات طويلة في رحلة موققة ، تفرجت أثناءها على جزء كبير جدا من وشنطن التي ينتظر أن ترحل عنها قريباً وفي نفسها لوعة لذلك قالت « نانس » عندما نزلت من السيارة

مشيت أمام الأبنية الثلاثة الضخمة الموصلة
إنزل أسرة « بريسكوت » وأشارت إلى
أن كل إنسان يعرف وشنتن يقدر
ما تكون عليه « جورج تون » ، فهي
خليط من الأسر والبيوت القديمة العظيمة ،
والأسر العريقة الصغيرة ، وهي صفوف من
الأبنية ، ولفت نظري أحدها ، كان لون
طوبه أخضر ناضرا ، وتحيط به ممرات على
جوانبها أشجار الزينة ، وله مداخل أنيقة
ترتفع درجة أو درجتين على مستوى
الشارع ، وفي زحابة حدائق صغيرة جميلة
التنسيق منمكة داخل أسوار مرتفعة

وكان المساء يتقدم بينا اقتربت « نانس »
من منزل « بوب » ، وكان منزلا صغيرا
مكونا من حجرة واسعة ، وثلاث أخرى في
الداخل بنى على سطحها ست غرف ومعهما
الحمام والمطبخ وقد أجراها مفروشة

قالت نانس : ودهشت إذ رأيت جرائد
الأحد مبثرة في المدخل ، فجمعتها ثم طرقت
الباب ، فلم أتلق إجابة لمدة دقيقتين ،
ولكني سمعت صوت كرسي تحرك على
أرض حجرة عارية ، ورأيت ضوءا أشمل
في حجرة الاستقبال ولو أنني لم أستطع رؤية
شيء مما بداخلها فقد كانت نوافذها مغلقة .
وطرقت الباب مرة ثانية ، وبعد لحظة
سمعت مفتاحا يتحرك في قفل الباب ، ثم

فتحت « لى » وحيثني بنظرة عابرة ، وكانت
مرتدية معطفا منزليا ذهبي اللون وعليه
تطريز جميل من قماش الكريب ، ولكن
كان عليه بقعة كبيرة في أحد جوانبه
أصابته ، كأنها كانت تطهو وهي ترتديه ،
ورحبت بي في صوت كدت أنكر أنه صوتها
الذي أعرفه ، قالت : ها أنت ذى ! تفضلي ،
وقادتني إلى حجرة الاستقبال ، فوجدت
بها امرأة شقراء جمالها لاف ، ترتدي
سروالا رصاصيا وصدارا أخضر اللون ،
وكانت مضطجعة في إحدى زوايا الكنبه
الكبيرة وممسكة بكأس في إحدى يديها ،
وبسيجارة في اليد الأخرى أطفأتها بينما
كانت لى تقدمني إليها

قالت « لى » هذه « جيرى » صديقة
قديمة ، أنت أمس فقط في طريقها
إلى نيويورك

ثم قالت : وهذه « نانس » « يا جيرى »
تعمل في المكتب الذى به « بوب » .
وجلس على كرسي ، بينما جلست أنا على
الكنبة إلى جانب « جيرى »

ولحظت أن « جيرى » تفحصني متعمدة .
وأخيرا وضعت كأسها على المنضدة ، ثم
نهضت قائلة : سأعد لك كأسا فأى مزاج
تفضلين : الماء أم الصودا ؟ فقلت الصودا ،
مفضلة قبول الكأس على الاعتذار منها

ودار نقاش حول هذا

وذهبت جيري إلى المطبخ حين جلست
«لى» فى مكانها مظلمة النفس واضعة
رأسها على متكأ التمدد . ودرت بنظري فى
حجرة الاستقبال الممثلة ! فأيقنت أنهما
كانتا تعاران الخمر طوال يومهما ، كما كانت
صحف السبت ملقاة فى كومة على الأرض
بجانب الكنبه ، واكتظت منافض السجائر
بالأعقاب حتى شوهدت أعقاب السجائر
جانبا كبيرا من المناضد التى تحملها ، كما
كانت مقاعد الزهريات بحجرة المائدة مغطاة
بأوراق الأزهار المتناثرة من بقايا
الورود الذابلة . وكانت هناك أكواب
كثيرة مهملة هنا وهناك ، بالإضافة إلى
ثلاث زجاجات من آثار غذاء الطفل . وقد
ذكرتنى هذه الزجاجات «تدى» فسألت
وكيف حال الطفل ؟ فأجابتنى «لى» إنه
بخير — ينام كل الوقت أو يأكل —
واستفسرت عما إذا كان نائما الآن ! فقالت
إنه فى الطابق العلوى ، ثم أومأت ها هى
ذى «جيري» ! ونادتها فى رقة قائلة : كوني
ملاكا يا عزيزتى وزيدى كاسى قليلا . وما
لبثت الرءوس أن حميت ، ثم أعقبتها ساعة
من الكابوس مزعجة ، فقد كانت «جيري»
من ذلك الصنف الذى يهذى إذا ما لعبت
الخمر رأسها — واحتكرت الحديث —

ولما تعبت من كثرة الكلام عن نفسها
وعن عملها فى فن الإعلان بالإقاضة المملة ،
تناولت «لى» وأسرفت فى وصف نبوغها
لما كانت موظفة ، وأشادت بتعدد مريديها
فى حلقة الرقص ، ثم عرجت على تقدم حياتها
الحاضرة ، وقللت من قيمة ربط حياتها
بزوج وبابن ورعاية منزل ، وأنكرت أن
تقصر ذكاءها على معالجة مثل هذه الأمور التافهة
فقالت «نانس» فى شئ من الحدة :
ليس من الضرورى أن تجلب الوظيفة
السعادة فى الحياة . ولكن «جيري»
عارضتها فى ذلك قائلة : إذا لم يكن من مزايا
الوظيفة العامة إلا التسلية والتنشيط لكفى .
لقد كانت «لى» وكذلك كنت أنا من أسعد
الموظفات ، ولم يحدث أن صادفتنا ظروف
كرهت إلينا ما أخذنا على عاتقنا أداءه ،
وأمنت «لى» على قولها ، وأضافت : أما
الحياة الآن فملة وسخيفة . ودهشت
«نانس» من لون حديثهما ، وأرجعت
ما فيه من شطط إلى ما فعلته الخمر برأسيهما
ولكنها حنقت فى الوقت ذاته على «لى»
التي لا تقدر النعمة التي من الله عليها بها
— وهى الزوج والولد — وقد حرمتها
هى وكانت خير من ترعاها وتشكر الله عليها .
وعلى حين بغتة سمعنا صراخ طفل ينبعث
من الدور العلوى

فقلت «لى» بصوت قلق : إنه «تدى»
 جوعان مرة أخرى . واستأذنت « نانس »
 فى أن تراه ، فأجابتها « لى » إلى ما أرادت
 قائلة : اصعدى إلى فوق وألق نظرة على —
 الغول — ، وبعد أن همت لتصعد معها
 جلست ثانية ، ونادت « جيرى » وسألها
 أن تغذى الطفل هذه المرة لأنها متعبة جدا
 ولا تستطيع أن تصعد السلم ، وتمتت قائلة :
 هناك كثير من زجاجات التغذية بالثلاجة ،
 نعم كثير منها ، لأنى أملأ زجاجات طول
 اليوم ، وهذا هو العمل الابتكارى اللعين
 الذى أؤديه الآن وأضيع وقتى فيه

وصعدت « نانس » بينما اتجهت
 « جيرى » إلى المطبخ ، وكان السلم من
 النوع الذى يرى عادة فى المنازل العتيقة ،
 ذلك النوع الشامخ العميق الدرج وكان
 موضلا إلى صالة صغيرة ، وأرشدنى صوت
 بكاء الطفل إلى حجرة نومه ، وكانت أشد
 شئ شبيها « بالسلاخانة » فكان السرير
 الكبير غير مرتب ، والأحذية والملابس
 الداخلية مبعثرة على الأرض . كما كانت
 منضدة الزينة مغبرة بالمفار وبأنواع
 المساحيق ، ومحملة بشتى زجاجات العطر
 والحلى ، والمجائن والذرور ، وزيت للطفل
 وزجاجات أخرى فارغة

وأخيرا وجدت الطفل البائس فى مهده

بالزاوية المقابلة من الحجرة ، وكان نائما على
 بطنه ، ويبكى بحدة ، ولم يظهر من جسمه
 إلا جزء من مؤخرة رأسه وقبضة إحدى
 يديه فوق البطانية ، وكانت هذه الأجزاء محترقة
 فوقفت هناك أنظر إليه فى ألم ،
 وانهمرت دموعى غزيرة عندما لمست يدي
 رأسه الناعمة ، وكم حمدت الله أنى كنت
 منفردة بنفسى فى تلك اللحظة

وسكت الطفل قليلا ، واستأنس بأن
 أحدا قريبا منه ، وفى عجلة أتت « جيرى »
 تترنح على السلم ومعها زجاجة غذائه ،
 وأرادت أن تضعها فى فمه وتعود مسرعة ،
 فقلت لها : أقدر أنه مبلل الثياب ! فقلت :
 هو دائما هكذا إما مبللا أو جوعان . فلما
 استوثقت من قولها أشرت بتغيير ملابسه
 فطلبت إلى أداء هذا العمل ، وأسرعت إلى
 كومة من الغسيل النظيف ملقاة على أحد
 الكراسى ، وناولتنى ما لزم للطفل ، ثم
 طلبت إلى أن أباشر تغذيته أيضا لأنها تخاف
 من الأطفال بوجه عام ، وتفزعها رؤية
 « تدى » بشكل خاص لضالة حجمه . فلم
 أرفض ، وحملت الطفل المسكين إلى كرسي
 بقرب النافذة لأعطيه غذاءه ، وغابت
 « جيرى » ناحية غرفة الحمام ، واستمتعت
 بصحبة الطفل فترة ، كما عشت فى لحظات
 من أغرب ما صادفت فى حياتى كلها ، فقد

جلست في منزل امرأة غريبة عني ، وعنيت
 بطفل امرأة أخرى ، ومع هذا خيل إلى أني
 في منزلي والطفل ولدي ، وتمثل لي الخيال
 حقيقة لا ريب فيها ، بحيث أنني عندما
 نظرت إلى وجه « تدي » شعرت بالزهو
 والرضا اللذين تشعر بهما كل امرأة إذا
 ما وضعت طفلها الأول ، مع امتزاج هذا
 الشعور بالحب الصادق والحنو الدافق
 والشفغ الذي بدأت به حياته . كما أنني
 أحسست حينئذ بأنني إذا لم أعقب طفلا
 فيكفي أنني عرفت من تجربتي مع « تدي »
 كيف يكون شعور الأم التي رزقها الله ولدا
 وفرغت زجاجة غذائه ، وظهر عليه
 الاستعداد للنوم ثانية . وكم كرهت أن
 أتركه من بين ذراعي ، ولكن كان من
 الضروري أن أضمه في مهده ليسترخ .
 ووقفت أنظر إليه دقيقة أخرى قبل أن
 أتركه لينام وقدت أني ربما أرى هذا
 المخلوق ألف مرة وقد لا أراه مرة ثانية .
 ولكني حرصت على أن أثبت في ذاكرتي
 إلى الأبد صورة ابن « بوب » كما رأيتهما
 اليوم ، فقد كان ولدي أيضا اليوم
 وكنت قد انتهيت من دس الأغذية
 حوله ، حين عادت جيري إلى الغرفة آتية
 من الردهة متجهمة الوجه من الإسراف في
 الشراب ، وأقلق تفكيري ترك الطفل في

رعاية امرأتين ثملتين ! واستفسرت من
 « جيري » ونحن في طريقنا إلى السلم إذا
 كانت « لي » بخير ؟ وعيا إذا كانت غير
 متأثرة من الإسراف في الشراب ؟ !
 فأجابتنى مغرقة في الضحك : « لي » !
 « لي » ؟ إنها لا تفقد شعورها أبدا ، وقد
 عرفتها من سنين طويلة ، وعجيب أني لم أرها
 مرة ثملة مهما احتست من الشراب . فقلت :
 وهكذا أنت واثقة من طبيعتها ! حسن .. إن
 أزيدك توصية بالابتعاد إلى الطفل فإنه يحتاج
 إلى رعاية ، فلا تقصرا .. قلت هذا وخيل
 إلى أن عينيها متقدتان غيظا ولكني لم ألاحظ
 نبرة الدفاع في صوتها إذ قالت : ولكنه ابن
 لي أليس كذلك ؟ وعليها أن تعني به ياسيدة
 « نانس » يازميلة « بوب » في العمل بالكتب
 بالطبع قالت هذا بطريقتها الخاصة لتشير
 من طرف خفي ، بأن لا أتدخل في شؤون
 الغير ، ولكني حاولت هجوما آخر قبل
 أن أنهزم فسألتها إذا كانت تسمح لي بإعداد
 فنجانين من القهوة أو شيء من الطعام لهما
 قبل أن أفارقهما ، فلم توافق على أن أشغل
 نفسي حتى ولا بالتفكير في هذه المسائل .
 وأكدت أنها ستعني بالطهو اليوم لتعطي
 « لي » فرصة للراحة ، ودعتني أن أبقى
 للعشاء معهما ؛ وقالت : إنك طيبة القلب
 ورحيمة بالأطفال كذلك . فشكرتها معذرة

بأن لدى موعدا للمساء في الخارج ويجب
أن أذهب حالا

وسلمت على «لى» وقد صاحبتنى إلى
إلى الباب بخطوات كأنها ثابتة

وما كادت تغلق الباب خلفى حتى شعرت
بأنه كان يجب على أن أبقي . وبينما كنت
أتردد في الأمر مرت سيارة أجرة ووقفت
أمامى في الطريق المهجور ، فصعدت إليها
بدون تفكير ، وبلغت مسكنى سالمة ، وأقنعت
نفسى بأنى عملت كل ما كان ممكنا عمله في
الظروف التى وجدت فيها من ضبط النفس ،
وهدوء الأعصاب ، ولم أهول فيما رأيت
من سلوك الأم للطفل نظرا لإيمانى في
كراهية «لى» خشية أن أتهم بالتحامل عليها .

على أن القلق على «تدى» ساورنى ثانية
بعد أن ارتديت ملابسى استعدادا ل موعد
المساء ، وتصورت في وضوح أنه من الممكن
جدا أن يسقط الطفل من بين يدي المثلتين ،
وقد تهملان غطاءه فيصاب ببرد شديد ، أو
قد تتمثران به على السلم الذى لادرزين لها
وخلصنى من وساوسى هذه جرس
التليفون ، وكان المتحدث «جاك» الذى
أكد أنه سيحضر في تمام الساعة السابعة
والنصف ليصطحبنى في سيارته لتناول
المساء . فلما انتهت المحادثة ، جال بخاطرى
أن أترك رسالة تليفونية «لأيدث ويلر»

لتمضى مساءها عند «لى» زيادة في الحيلة
نظرا لمساها وصديقتها عليه من حال ،
فوجدتها وزوجها في الخارج ولن يعودا إلا
متأخرين فأسقط في يدي وتركت الأمر لله
لا ريب فى أن «جاك» أعد لنا عشاء
شهيا فى تلك الليلة ، ولكنى كنت فاقدة
الشهية ، ولا بد أن صاحبتى كانت مملة ،
فقد تركت فى أفكارى كلها حول ذلك
المنزل فى جورج تون ، ولم أذكر عن ذلك
شيئا «لجاك» وعدنا إلى مسكنى حوالى
منتصف العاشرة ، وودعنى «جاك» عند
بابه ، وآويت إلى فراشى فورا لأكون
مستعدة لعملى فى صباح الغد

وبشرت عملى فى اليوم التالى وقد طلبت
إلى الله أن يكون طالعه سعيدا ، ولسكن
القدر إذا نفذ فقد نفذ ، وودق جرس التليفون
بالمكتب قبيل العاشرة بوضع دقائق ، فجأوبه
«بتي» وبدأ أنه سمع خبرا مروعا ، ثم
سمته يقول سأحاول الاتصال «بسانديجو»
لأخبره على الفور ، وقرر «بوب» العودة
فورا على الطائرة ، ووضع «بتي» سماعة
التليفون فى قنوط ونظر إلى «نانس» فى
يأس وأفضى إليها فى صوت مختنق بأن ابن
«آل بريسكوت» قدم مات ! فأجابته محنقة:
لقد مات بسبب «لى» . وأمسكت بطرف
الدرج حتى لا تسقط من فوق مقعدها . ثم

سألته : وكيف اكتشف موته ؟ قال : وجد هامدا في مهده هذا الصباح مخنوقا أو شيئا من هذا ، ولم تستغرب الأمر ، فلقد حسبت أنه كثيراً ما التف بالفراش واختنق غير مرة . وقيد موت الطفل بسبب حادث ، وشيع الجثمان في جنازة بسيطة بعد صلاة قصيرة . وخاتمتني شجاعتى فلم أحضر الصلاة في الكنيسة على الجثمان . وعاد « بوب » إلى مكتب العمل بعد أيام قلائل ، وطلب إلى أر أذهب معه لتناول فنتيجان من القهوة قرابة منتصف اليوم . فلما جلسنا منفردين في أحد أركان المقهى أسر إلى في إيمان : أن الله أراد بى رحمة واسعة ، منذ رأيتك « يانانس » . وظهر عليه أنه كان يجاهد في إخراج الكلام وهو يشرب القهوة في ذهول ، كما كان وجهه شاحبا هزينا متعبا ، وانطبقت شفته على خيط رفيع مر . وبدأ في نظري أكبر سنا مما كان قبل أسبوع ، وعاودنى الحنين المضى إلى ضمه بين ذراعى

وكنت أقدر أننا لا بد أن نتكلم عن موت « تدى » وإن لم يكن اليوم ففى وقت قريب ، ولكنى كرهت ذلك الحديث على أية حال . وأرقنى ضميرى وأسرف فى اللوم ، حتى رغبت رغبة شديدة فى الاعتراف لبوب رجاء أن يغفر لى تركى الطفل فى تلك الليلة حتى أريح ضميرى ! على أن

أى أعترف من جانبى كان لا بد أن ينال « لى » وبقدر ما كرهتها ولعنتها واعتبرتها التهمة الأولى فى موت الطفل ، أحجمت كل الإحجام عن أن أفشى بذلك زوجها . وأخيرا قال « بوب » أريد أن أتحدث عن « تدى » « يا ناناس » الذى لا يغيب عن بالى أبدا ، فقلت : بالطبع أقدر عواطفك تماما وشعورك المرهف النبيل ، كما أحس بإيحاشه لك ، ولهفك على ولادة كبذك ، الذى كان عمره كعمر الزهر فأنست به قصيرا ثم غاب مسرعا وإن هذا أشد على النفس مما لو لم يرزق الإنسان ذرية قط . فقال « بوب » إنك على حق فيما تقولين ، فقد كان هذا الولد كنزا بين يدي واختطف منى بغتة ، وأشد إيلاما من ذلك أننى دائم التفكير فى أن موته ما كان ليحدث لو بقيت أما فى المنزل لأعنى به !

فطلبت إليه فى توسل ألا يعنف نفسه ، فإن الآجال محدودة . وقد يحدث الموت بدون سبب . ولا بد أن تتقبل هذه الأوضاع برضا فنظر إلى فاحصا وقال : إن ضيقى ناتج من أنى مخزن فى ذهنى كثيرا من الشكوك والمخاوف ، فقد أصيب زواحى بالمشاكل ، ولعلك حذرت ذلك ، ولكن شرب « لى » الخمر هو مسألة المسائل ، ثم أوما للحظة وواصل حديثه بعدها فى حرارة وأدب :

قال : لست أقصد أنها مدمنة ، ولسكننا كثيرا ما تشاجرنا من جرائه . ورجوت بعد أن وضعت الطفل أنها ستقلل من الشرب ، وكانت فعلا عند حسن الظن بها فقد وعدتني بأنها لن تشرب عندما ودعتها قبل السفر . ولكن لم تتوفر لها الظروف لتبر بوعدها ، ففسدت حضرت « جيري » صديقتهما القديمة ، والتي كانت صداقتها مضرّة بهما معا . وفي هذا اللقاء . اقترحت « لى » أنه لا بد من أن تشربا إحياء لاستئناف اجتماعهما ، ولا شك في أنه كان اجتماعا فاسدا مسيئا للخراب . وعلى هذا لا أستطيع أن أخالف حدسى في أن ذلك سبب موت الطفل العزيز . هذا وأن احتساء بضع كؤوس بسيطة من الخمر شئ ، أما احتساؤها حتى العريضة فشئ آخر . آه لو أيقنت أنهما لم تكونا كذلك عندما فارق الحياة ! وتردد برهة ثم سألتني مصمما قال : لقد زرت منزلنا في يوم الأحد الماضى فأخبرنى « يانانس » كيف كان الحال آنئذ . وشعرت « نانس » بأن اللحظة الحاسمة قد أزفت ، فإما أن تخلص « نانس » « لى » أو تتحداها بقول الصديق ، وبذلك تهدمها إلى الأبد في نظر زوجها . وأخيرا اتخذت قرارا حاسما وقالت الشئ الغريزى الذى تقررته أية امرأة مخلصّة في حبها لرجل فكذبت عليه لتخلصه من

آلام ظنه بأن إهمال « لى » كان سبب موت ابنه وقالت : لقد كان بخير عندما تركته — وأكدت له ذلك قدر ما استطاعت — كما كان كل شئ على ما ينبغي ، فلا داعى للوم « لى » على ما حدث

فجلس « بوب » ينظر شزرا في الفضاء ، وخشيت عليه الضر ، فقلت بصوت مهدج دون إرادتى : لا تدع الحزن يولد مرارة في نفسك يا بوب . وستفجر السعادة ثانية ، وسيكون لك أطفال آخرون أكبر قيمة وأكثر معزة عندك ، بسبب أنك احتسبت هذا الطفل بالذات

ونظر إلى لحظة ، وكأما كانت عيناه الرماديتين تفحصان وجهى ، ثم قال : فى بطاء بعد أن هز رأسه : إني أشك فى أنى سأعقب أى أطفال بعد الآن يا نانس فإن « لى » تريد أن تعود إلى العمل (الوظيفة) وتقول : إن العمل قد ينسبها كل الذى حدث ، كما أنها من أولئك النساء اللاتى يردن أن يكون لهن مستقبل ملحوظ ، وقد تكون على حق فى هذا !

فسألته نانس عما إذا كان عارضها فيما انتوته . فقال : ليس هذا من شأنى ، وعليها أن تقرر مصيرها بنفسها ، ولا سيما وأنى فى هذا الوقت لا أهتم لشئ ، بعد موت تدى الذى أصابنى بذهول ووحشة وشعور شديد ،

ولم يعد لدى ما أعيش من أحله بعد الآن
فقلت نانس : قلت لنفسى إنه تكلم
بحذر وفى مفضض ، وعبر بصوت حزين
لا يقصد إلى أى معنى ، وليس فى ذلك من
عجب ، فإن الحزن يقضى على أى عهد متين
بين شخصين . ولكن ربما زالت شكوكه
فى لى بعد أن تنكسر حدة المصيبة كما يذهب
معه شعوره باليأس والمرارة لفقد الطفل

ومن يدرى ؟ فقد أستطيع أنا المرأة التى
أحبته فى يأس ، أن أحبه من الزواج امرأة
أخرى إذا ساعدنى الحظ وقد رلى أن
أبلغ ما أريد ، فسأ كفر عما أجرت إهالى تدى
ومرت بضعة أسابيع ، وحدث ذات يوم
بينما كنت وبوب نجلس فى مكتب العمل
إذ دق جرس التليفون ، وكانت المتحدثه
لى زوجته . ولم يكاد يتبادلان بضع جمل ،
حتى شعرت بدقات قلبى تزايد فى اضطراب .
وفهمت أن الفرصة الذهبية التى أحبها لى
لتحظى حياتها الزوجية كانت على شفا حفرة
سحيقة ستطرحها فيها ، وسمعتة يسألها :
أين أنت ؟ قالت : إنى فى الباخرة (ماى فلور)
مع جيرى : فسألها : ومتى ترحل السفينة ؟
وعقب ذلك فترة صمت طويلة شعرت أثناءها
بموجة من التزمّت تسود الخجرة . وأخيرا
قال فى صوت كأنه يخاطب نفسه : ما مقدار
ما احتسيت يالى ؟ إلك مخطئة إذا حسبت

أنى متطفل عليك بهذا السؤال ، وقد وعدتني
بأن تتقلى ملاحظاتي بصدور ربح ، ثم قال
فى جفاء : وهكذا قد ربت لك جيرى
برنامج الرحيل إلى نيويورك معها ، كان على
أن أقدر هذا من قبل ! هكذا قد صممت قبل
أن تناقش الموضوع معى !؟ حسن لا أريد
أن أعترض سبيلك فى تكوين مستقبلك —
إن كان سيكون لك مستقبل — وقد نلتقى
عندئذ . ثم ألقى السماعة

و كنت أسير فى طريق نحو الباب ،
فسألنى فى ذهول : أذاهبة لتتغدى ؟ فقلت
لا ، أريد أن أرى الرئيس لبضع دقائق
ولما قابلته أخبرته بأنها لا تريد النقل
الآن فقد غيرت رأيها . فلما عادت إلى
المكتب ... قالت : لقد وجدت بوب واقفا
عند النافذة ينظر محمدا ، ثم خاطبني فجأة :
تعالى نتناول الغداء معا « يا نانس » ،
وسنذهب إلى ناحية ما من المدينة . إنى
أريد أن أتحدث إليك ، بل فى الواقع أريد
أن أسكى بين بديك ! فقلت : إنى أسمح لك بأن
تفضى إلى بما تريد كلما أردت ، وكان موقفه
هذا أكبر مشجع لى على إبداء أى تصريح
« لبوب » ، ولن يكون الأول والأخير
فقد عولت على مضغفة الجاهى وحمودى
العملة بشكل واضح صادق لمنافستى إياها
فى حب زوجها

قمت على الفور : ليس في ذلك ريب ،
ومددت إليه يدي ، وأمسكت بيده ،
ونفضت من مقعدي ، وقلت إني أعتدك
بالسعادة ، فقال : إني فعلا أشعر ببعض
الاطمئنان الآن ، وكان يداعب أصابع يدي
ولكنني ارتعبت فجأة من هذا التماس ،
وسحبت يدي من يده

فلما نظرت إلى أعلى ، رأيته يرمقني
بابتسامة لطيفة ، ووثقت من أنه قدر أني
أجيبته جبا غامرا في صمت ، شهورا بل
أعواما

يا إلهي — لقد واثقني الفرصة التي
سأعوضه فيها من كل ما فقدت . وسأ كفر عن
كل ذنوبي إن كان لي ذنوب ، وسأصلي من
أجل (ندي) و(لي) وسأشكر الله أن جعل لي
الحق في بوب فسأطوقه بذراعي ، وأغدق
عليه من القبل ، وأبدد قلقه وأعوضه
أحلاما سعيدة

زينب الحكيم

عن مجلة modern romances الأمريكية

كانت « لي » بنيويورك منذ شهرين
وما زالت في عصمة « بوب » وربما حاولت
التمسك به على الرغم مما بينهما من تباعد ،
إذ ربما لا تزال تحبه على طريقتها المهلكة ،
أو قد تلتحق بالوظيفة وتحتفظ بزوجها في
الوقت نفسه ، أما أنا شخصا فلا أريد إلا
« بوب » كما أني على استعداد لأن أمنحها
كل ما أمتلك . والمهم هو أن أتجنب على
كل ما يحدث حتى أكون المرأة التي لا بد
أن يحتاج إليها ويحبها

وقال بوب مرة أخرى عندما كان بجانب
منضدي : ماذا حدث لك يانانس ؟ إنك
متلاثة العنين بشكل غير عادي ؟! فقالت
في بشر : ليس بي من شيء ، ولكن أشعر
بسعادة مفاجئة ، فسألها لماذا ؟ قالت :
لست أعرف تماما لماذا ، وهل يجب أن يذكر
المرء أسبابا لشعوره بالسعادة ؟! فقال :
ليس ذلك ضروريا ، واختلجت ابتسامة روحية
حول شفتيه ، ثم قال : وهل تعتقدين أني
سأشعر بالسعادة ثانية بسبب أو بدون سبب؟



ملك اشوري

لتوسرى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

ينظر إليه بعينين تنبعث منهما الرزاة
وتفيض الوداعة ويسيل اللطف !

لم تمض برهة حتى علا صوت الشيخ
وهو يسأل في هدوء :

أتود أن تقتل لايلي ؟

فأجابه الملك والدهشة تتنازع مشاعره :

أجل . ولكني لا أجد وسيلة لذلك !

فقال الشيخ : ولكنك أنت لايلي

فأجاب الملك : هراء . لايلي هو لايلي ..

وما أنا إلا أنا !

فقال الشيخ : بل إنك ولايلي شخص

واحد ! ولعله الوهم الذي يصور لك أنك

لست لايلي !

فبلغ العجب والدهش بالملك إشرخادن

حدا جملة يصبح بالشيخ قائلا :

ماذا تعني ؟ ها أنذا جالس هنا على

أرائك ناعمة لينة ، محاطا من كل جانب

بالعبيد والقيان ! وسأقيم الغداة مأدبة نعمة

أدعو إليها خاصتي وصحبي المخلصين ، فتلهو

ما يشاء لنا اللهو ونقصف كحاننا كل يوم !

أما لايلي فهو ملق كالطائر المهيض الجناح ..

لم يكد « إشرخادن » ملك أشوريا .

يفوز بالنصر المبين على مملكة عدوه السلطان

« لايلي » وينزل به هزيمة نكراء ، حتى

تملكه الطغيان والانتقام ؛ فاطلق يخب

البقاع ويحرق البلاد ويشيع الفناء في كل

الأرجاء ؛ لم أضمن في إزال ثقله بهذه

المملكة ، فأسر رجالها وسبي نساءها ،

وساقهم أمامه كالبهاثم إلى مقر ملكه ،

حيث ضرب رؤوس الجند وذبح فريقا من

الأمرء والرؤساء ذبح الشاة ، وسلخ

بشرة بعضهم ومازالت عروقهم تنبض بالحياة !

ولم يسلم الملك لايلي نفسه من شر ثقله

ونذر عدوانه . فقد حمل مكبلا بالأغلال

حبيسا في قفص كالوحوش الضارية

وبينما كان الملك إشرخادن ضجيجا في فراشه

الوثير ذات ليلة يستلهم فكره ويستوحى

جناحه وسيلة بشعة للقضاء على لايلي ؛ إذ

طرق سامعه خفيف يدنو منه ويرف من

حواله ! فانتبه بفتة وفتح عينيه فترأى له

شيخ مهيب الصلعة عظيم الوقار ذو لحية

مرسلة وخطها الشيب فزاد من هيئته وجلاله

حبس في قفصه بترقب مصرعه بين لحظة وأخرى ! حيث يسلخ جلده ويملق من لسانه في الفضاء فيظل يناضل حتى يطويه الموت بعد عذاب أليم فيرمى جسده للكلاب الجائعة تنهشه نهشا وتمزقه إربا !

فتبسم الشيخ ، وقال في صوت تشوبه سخرية هادئة :

أتحسب أن في وسعك أن تعدمه الحياة ؟
فأجاب الملك : فما حال آلاى المقاتلين من أعدائى الذين بطشت بهم وسللت أرواحهم من أجسادهم فجعلت منها روابى وأكواما . إن الحياة ما زالت تمور في جسدى أنا.. أما هم فقد صاروا أثرا بعد عين !
أما في هذا دليل مبين على أن في قدرتى أن أسلب الحياة ممن أشاء !

فقال الشيخ : أو تحسب حقاً أنهم صاروا أثرا بعد عين ؟

فأجاب الملك : أجل .. إذ أن طرفى لا يقع على أحد منهم ، بعد أن أذيقوا من العذاب ألوانا مريرة .. بينما أجسد نفسى سعيدا في قصرى ناعما بالحياة !

فقال الشيخ : ما هذا إلا وهم وخيال .. وما عذبت إلا نفسك !

فقال الملك : إني لا أحير لك فهما ولا أستطيع لك إدراكا أيها الشيخ
فقال الشيخ : أفى نفسك رغبة إلى الفهم

وشغف بالمعرفة ؟

فأجاب الملك : أجل أيها الشيخ الوقور !
فمد الشيخ أنامله مشيرا إلى عين يرفض منها الماء وهو يقول : تعال معى ! فنهض الملك من رقدته ودنا من العين .. فواصل الشيخ حديثه :

هيا انزع ثيابك وغص في هذا الماء
فصدع إشرخادن بما أمره الشيخ الذى مالئ أن قال - وهو عملاً إبريقاً من الماء -
يجب عليك أن تمد رأسك تحت الماء
عندما أصبه .

وأمال الإبريق على رأس الملك فما إن وضع إشرخادن رأسه تحت الماء المنساقط حتى اكتنفه إحساس غريب وانتابه شعور مبهم .. هو أنه ليس إشرخادن بل كائنا آخر
فقد رأى نفسه - وما برح هذا الشعور المبهم مسيطر عليه - راقدا على سرير نفخ ضخم .. وإلى جانبه امرأة ذات فتنة باهرة وجمال جذاب .. لم يقع طرفه عليها من قبل بيد أنه ألقى في روعه أنها زوجته

وبعد عنبة قامت المرأة ، وهى تقول في صوت رقيق عذب :

زوحى العزيز لابل .. لقد برح بك التعب من الأعمال التى قمت بها أمس
فأغرقت في نوم عميق عو غير عادتك .. ولم أحاول إيفاظك حتى تصيب من الراحة

قسطا يرول معه ذلك العناء.. غير أن الأمراء ينتظرون أن تشرفهم بلقائك في القاعة الكبرى.. فيها ارتد ثيابك واسع إليهم فأدرك إشرخادن من هذا القول أنه لا يلي.. بيد أنه لم يتوله المعجب.. وإنما الذي أثار دهشته هو أنه لم يدرك ذلك الأمر من قبل.. وقام إلى ثيابه فلبسها وانطلق في سبيله حتى بلغ القاعة الكبرى حيث ألقى الأمراء يترقبون حضوره.. فلما ولج بابها نهضوا جميعا وحضوا هاماتهم حتى كادت أن تلامس الأرض تحية وإجلالا لملكهم لا يلي.. ثم اتخذ كل منهم مجلسا بعد أن أذن لهم بذلك وتهيأ أكبرهم سنا للحديث.. فقال وفي صوته حدة لا تخفى :

إن الصبر قد عيل يا مولاي إزاء تلك الإهانات التي يلاحقنا بها الملك الأثيم إشرخادن.. وشق على أنفسنا احتمال الضيم وتقبل العدوان الذي يلاقينا به في كل مكان ومن الواجب أن نرد إليه إهاناته بمثلها.. فنشنها عليه حربا عوانا — يكون فيها القضاء عليه والفناء للسكر.

فلم يصادف ذلك الرأي هوى في نفس الملك لا يلي.. بل أمر أن تبعث من لدنه وفودا إلى الملك إشرخادن لتحتج عنده على ما حدث فيصالحها على الخير !

وما انتهى من النظر في شؤون الدولة

وقضى فيها بما ارتآه حتى أحس في نفسه رغبة إلى الصيد والقنص فأمر بأن تعد العدة لذلك، ثم انطلق — يحف به الأمراء — إلى الغابة.. ورمى بسهامه قطيعا من الخمر الوحشية فأصاب الكثير منها وعاد إلى قصره.. فأقام مأدبه أعقبها حفلة راقصة أناحت له لهما ومتعة

وفي اليوم التالي يادر إلى إيوانه حيث فصل في الشكايات التي ترفعها رعيته إليه، وحكم في القضايا الهامة التي تعرض عليه.. بما هداه إليه الحق والعدل، بعد أن حقق أقوال المدعين واستبان منهم الصدق ! فلما فرغ من شؤون ملكه.. مضى إلى مسلاته الحبيبة (الصيد) فأصاب رميته لبؤة عجوزا، فقتلتها وحمل معه شبلها ! واثنى إلى قصره المنيف حيث أولت له ولأصدقائه الموائد الحافلة.. وهيئت لهم الحفلات الرقصة التي تتلوى فيها القيان عن دلال يثير الإعجاب وإغراء يبعث النشوة.. وتطرب النفوس بأغاني المشردين وألحانهم.. ثم قضى الملك ليلته مع زوجه الحسناء الفاتنة التي ملأت قلبه حبا لها وشغفا بها !

وانقضت أيامه على هذا المنوال.. ينهض بأعباء الملك ومهامه في الصباح وينثني إلى اللهو والمرح في المساء.. ويهجم إلى زوجته

إذا ماجن الليل ! حتى إذا ما انتهى شهر ..
آبت الوفود التي بعثها إلى الملك إشرخادن
فإذا بها مجدوعة الأنوف مقطوعة الأذان
مشوهة الوجوه .. وأخبره الرجال أن الملك
إشرخادن قال لهم إن الذي حل بهم سوف
يلقاه الملك لا بل نفسه .. إذا لم يبادر برفع
الهدايا إليه ، ويبيث له بالجزية من الذهب
والفضة وأشجار السروا ، ويسمى بذاته
ليؤدي له فروض الطاعة والولاء

فشارت لذلك نفس الملك لا بل —
إشرخادن من قبل — وعصف به الغضب
وهزه الحنق .. وجمع الأمراء وعظماء الدولة
فأشاروا عليه بأن يشن على إشرخادن
الحرب ، ويبتدره بالهجوم في عقر مملكته
قبل أن يسبقه إلى ذلك ... فوافقهم الملك
على قولهم ، ومشى على رأس جيش في سبيله
إلى مملكة إشرخادن ، واستغرقت الحملة في
سيرها سبعة أيام .. كان الملك إبائها يطوف
بالجنديش حذوهم ويث فيهم الجاس ويشير
في قلوبهم القوة والشجاعة ريستحتهم
إلى النصر ...

وفي اليوم الثامن .. التقى الجيشان ..
والتجم الجمعان في واد عميق .. يتدفق في
وسطه نهر تنحدر مياهه في شدة وفي عنف ..
وقد حارب الجند في بسالة فائقة وقاتلوا في
شجاعة خارقة ... ولكن الملك لا بل

— إشرخادن من قبل — شاهد جنود
عدوه تنحدر من سفوح الجبال كالنمل
وتتدفق كالماء ، فلم يلبثوا أن هزموا جيشه
وأزلوا بعسكره خسائر فادحة .. ولكن
جنوده — على الرغم من ذلك — لم ينروا
عن القتال لحظة .. بل صالوا ودافعوا إلى
آخر رمق في الحياة أو إلى أن يقبض عليهم
ويجردوا من سلاحهم ...

وكان الملك لا بل نفسه يحارب في جرأة
ويقاتل في بأس على صهوة جواده الأشهب ،
بيد أنه ما لبث أن خر صريعا ووقع
في الإيسار ...

ثم حمل إلى مدينة إشرخادن في قفص
يحرسه بعض الجند الأشداء ، وسيق معه
كل من ظل على قيد الحياة من رجاله ومن
رحن سبيا من نسائه .. حتى إذا كان اليوم
التاسع .. بلغوا بهم المدينة بعد رحلة
شاقة عنيفة !

وقد عانى لا بل — في محبسه — ما أصابه
من جروح وآلام ، وكابد ما ألم به من
قرصة الجوع وحرقة العطش .. غير أن كل
ذلك لم يكن يقرن بالذلة التي برحت به والعار
الذي استشمرته نفسه لما باء به من هزيمة
وخسران ...

وكان كل ما يطيقه إزاء أعدائه — وقد
جردوه من قوته ومرغوا عظمتهم — أن

التي أحيط بها وراح يخبط رأسه
فيها مبتغيا الموت غير أنه لم يجد لديه القوة
التي تعينه على ذلك .. فانقلب يئن في يأس
وانكفاً ينتحب في لوعة !

وأخيرا أتاه رجلان من الجلادين ..
فقيدها بحبال غليظة ، وانطلقا به وها
يدفعانه أمامهما إلى ساحة الإعدام ..
حيث ألقاها ملطخة بالدماء مليئة بجثث
رجاله وقد علموا من الرقاب ثم أبصروا
من حديد قد ركز في الأرض ، فأدرك أن
الموت يترقبه من فوقه ، ومالبث الجلادان
أن أمسكا بلابلي من حباله ورفعاه إلى أعلى
ثم خليا بينه وبين الأرض ، فهوى فوق
الوتد ! ..

فصاح لايلي : إنه الموت .. فرحماك
يا إلهي ! ثم انفجر باكيا من الألم ، والدم
يتدفق من جراحه ونسي ما كان من عزمه
على التجلد ، وراح يتضرع إلى ربه أن
ينجيه من هول هذا العذاب ، وأخذ يتوسل
إلى من حوله أن يرحموه ! دون جدوى !
غير أنه مالبث أن صرخ من فرط الألم
والفزع لا يمكن أن يكون هذا حقيقة !
إنه حلم .. لا بد أني نائم .. وطفق يكافح
في غير هوادة حتى يفيق إلى وعيه ويشوب
إلى رشده !

يحرمهم اللذة في رؤيتهم له يئن ويتأوه ..
فتجلد وكنم في قلبه أشجانه وأمسك على
نفسه آلامها ... وتحمل في بسالة وشجاعة
كل ما أذاقوه من عذاب !

وظل عشرين يوما يتوقع الهلاك بين
هشية وضحاها .. قابما في قفصه ينظر ذويه
ورجاله ... وهم يساقون إلى الموت زمراً
ويسمع صراخهم وهم يعذبون في غير رحمة،
فيفت ذلك من عضده ، وكان حراسه يأتونه
بنبأ قتلهم وسلخهم — وهم أحياء — وقطع
أيديهم وأرجلهم من خلاف ! بيد
أن كل ذلك لم يجعله يسفر لهم عن الفجيعة
التي تحتاج نفسه أو يكشف عن الحزن الذي
يخنق فؤاده ... بل إنه رأى زوجته الحسنة
— أحب الخلق إلى قلبه — يقودها بعض
(الخصيان) .. فأدرك أنها في سبيلها
لتكون حظية (إشرخادن) .. فلم يوهن
هذا أيضا من تجلده وإظهار عدم المبالاة
لأعدائه ...

ولكن الذي أثار حفيظته وأفقده
هدوءه ، قول أحد حراسه له في سخرية :
كم أرئى لك يا لايلي ! أين ما كنت
تشمخ به من ملك وتختال فيه من سلطان !
فحينئذ حز في نفسه ما آل إليه أمره .. وعز
عليه فداحة ما فقده .. فأخرجه ذلك عن
طوق احتماله وتجلده ، فأمسك بالقضبان

فإذا به يلتقي نفسه شيئاً آخر .. لا هو
بإشرخادن ولا هو بلابلي ! بل حيوانا !
فتولاه العجب وتملكته الدهشة ! كيف
أنه لم يكن يعرف من قبل أنه حيوان
لقد كان قائماً في واد نضير يرعى العشب
الأخضر ، ويذب الموام عن جسده بذيله
الطويل ، ولكن أه ! إنه رأى إلى
جواره جحشا رمادى اللون مرقش
الظهر .. طويل السوق رفيهما .. يرتع
حواليه ، ثم مالبت أن أقبل عليه ودفع
رأسه في بطن أمه (إشرخادن) وتناول
بشفتيه الصغيرتين ثديها ، وراح يمتص
منه اللبن !

ففطن (إشرخادن) إلى أنه قد صار
أتانا ! وأن ذلك الجحش الذى يرتع
فى ظلها ولدها ، فلم يثر ذلك فى نفسه
لواعج الحزن ولم يحرك دواعى الاستغراب
بل أشاع فى نفسه بهجة وحنوا !

وعلى حين غرة ! برق شئ فى الهواء ثم
أصابه فى جانحته ونفذ فى لحمه فأحس له ألما
بالغ الحدة فانطلق يمدو بمد أن أرهف أذنيه
نحو الجهة التى أتاه منها السهم إلى وجهة
أخرى ! وجحشه الصغير يتواثب وهو
يجرى إلى جانبه !

فما كادا يبلغان القطيع الذى نفرا منه منذ
حين حتى أصيب الجحش فى عنقه بسهم

آخر جملة ينخر صربعا والدم ينزف من جرحه
غزيراً فلم يتخل إشرخادن — وهو أتان —
عن ولده بل مكث جواره لا يحير لأله
ما يخفف من شدته .. فحاول الجحش أن ينهض
على قوائمه الطويلة الرفيعة .. ولكن مالبت
أن تهاوى إلى الأرض خائر القوى واهن
الجسد ! فأسرع نحوه مخلوقان يسمى كل
منهما على ساقين — من البشر — وعجلا بذبحه
فى غير شفقة .. فما لبث إشرخادن أن ردد فى
اضطراب وهلع : « كلا .. لا يمكن أن يكون
هذا حقيقة ! إنه رؤية حالم .. فما أنا بلابلي
كما أنى لست «أتانا» .. وإنما أنا إشرخادن ! »

حاول إشرخادن أن يخلص نفسه مما
اكتنفها .. فأخذ يناضل وراح يصرخ ..
فما لبث أن ألقي ذاته واقفاً فى ماء العين !
وما برح الشيخ قائماً يصب قطرات الماء على
رأسه من إبريقه ! فهتف وما زالت جوارحه
تختلج بالخوف وقلبه يخفق بالروعة : آه ..
يالها من رؤيا مخيفة .. أى فزع عانيت منها !
كم استغرقت من الزمن ؟! فأجابه الشيخ فى
هدوئه وابتسامته : زمن ؟! إياك لم تكند
تضع رأسك تحت الماء المتقاطر حتى جذبتك
فى شدة ولم تمض لحظة .. أنظر .. إن الإبريق
مازال مملوءاً بالماء .. أفهمت ؟!

لم يجب إشرخادن ! فقد جمد لسانه فى

وأنت تريد في خيرها وسعادتها على حساب
حياة غيرك وشقاؤونهم !
إنك بهذا تصغر من شأنها وتجعلها
ضئيلة حقيرة !

إن إفناء الحياة التي تكمن في الخلق
أعظم وأجل من أن يستطيعه فرد من البشر
في مثل قوتك وملسكوتك .. إن حياة
هؤلاء الذين ذبحتهم لم تزل إلا في نظرك
أنت ! إنها لم تفن ولم تصبح أثرا بعد عين
كما خيل إليك . أو اعتقدت أن بإمكانك إطالة
حياتك وتقصير حياة الآخرين .. هه ! إنك
إذن لساذر في وهمك .. فما أنت بمستطيع ذلك !
فالحياة لا تعرف أوانا أو مكانا .. إن حياة
لحظة مثل حياة آلاف السنين .. وحياتك
مثل حياة الآخرين على حد سواء ! ولا يملك
أحد للحياة إنهاء أو تبديلا .. فهي الشيء
الوحيد الأبدى الوجود . الدائم الخلود !
لم يكد يفرغ الشيخ من حديثه وينتهي
من حكمته حتى تلاشى بفتة من حيث أتى !

وفي اليوم التالي أصدر إشرخادن أمره
بإخلاء سراح الملك لايلي ومن بقي من
الأسرى والسبايا .. وبإعادتهم مكرمين
معززين إلى بلادهم .. وأعلن في الناس أنه
لن يعدم إنسانا بعد اليوم ! ثم دعا ابته
(أشور بانينال) فقلده السلطان .. و نادى

فيه وراح يمد إلى الشيخ نظرات من الدهشة
والفرع .. فواصل الشيخ حديثه بعد هنيهة
قائلا : هل أدركت الآن ؟ وعلمت أن لايلي
هو أنت ؟ وأن جنده الذين قتلهم هم أنت
أيضا .. ليس الجند وحدهم .. بل الحيوانات
التي تربىها بسهامك فتوردها مورد الهلاك ،
وتتخذ من لحومها طعاما لك ولأضيافك ..
ما هي إلا أنت ؟ لعلك كنت تحسب أن
الحياة لك وحدك .. بيد أنني - وقد حسرت
حجاب الوهم والتصور الكاذب عن
بصيرتك - جعلتك ترى أن الشر الذي
تحاول أن تصيب به غيرك من الخلق إنما
يرتد إليك ويحقق بك أنت !

إن الحياة واحدة عند الخلق جميعا .. وما
حياتك إلا شطر ضئيل كل الضالة - من
هذه الحياة العامة ! وليس في وسعك أن
تؤثر إلا في شطرك هذا وحده .. زبيده أو
تنقصه .. وتسيء إليه أو تسعده !

إنك تستطيع أن تقوم من نصيبك هذا
بإزالة الحدود التي تفصل بين حياتك وحياة
الآخرين فتنظر إلى حياتهم كما تنظر إلى
حياتك ، وتحب لهم ما تحب لنفسك ، وتسعى
بينهم بالودة والعطف والحنان ! بهذا يمكنك
أن تضاعف نصيبك من الحياة !

واعلم أنك تؤذي نفسك وتضر حياتك
باعتقادك أنها هي الوحيدة في هذا الكون .

الورقة الثالثة عشر

للطبيب الإنجليزي فيليب روبرايم

قال إنه يرجو أن تتصل به في سرعة
فقال سلين لرفاقه وهو يتهدد أسفا :
احتفظوا بمكاني على مائدة اللعب فسألم
الدور الثاني ولست أدري لم يطلبني منشجهم
هذه الساعة من الليل وعلى هذه الصورة !
وأمسك جاسبر سماعة التليفون وقال :

إنه أنت يا منشجهم كما أظن ؟
فأجاب منشجهم : هل يشغلك الآن
عمل هام يا جاسبر ؟

فقال جاسبر : لا .. لقد كنت بسبيل
أن ألعب البردج

فقال محدثه : وكنا هنا كذلك نلعب ،
ولكن يظهر أن القدر تدخل بيننا ..
أستطيع أن توافيني على عجل في رقم ١٦
بأبنية كنتجهم ؟

فأجاب سلين وفي لهجته شيء من الفتور :
أقصد الآن أم ترى أنه يمكن أن أتى
بعد حين ؟

فقال منشجهم : أقصد أن تجي هذه
اللحظة . اركب أسرع سيارة أجرة تصادفك .
فقد حدث هنا أمر لا نستطيع أن نفهمه وأعتقد
أنك خير من يعيننا . إني شديد الأسف .

بينما كان جماعة من الرجال بينهم جاسبر
سلين يتأهبون ذات ليلة ليلاءبوا الورق في
حجرة بأحد الأندية إذ دخل النادل الحجرة ،
وفي وجهه سمة المستعجل فنادى السيد جاسبر
قائلا سيدي إن شخصا يطلبك في التليفون
على عجل

ولكن جاسبر تباطأ مفكرا ثم قال :
تليفون في مثل هذه الساعة ؟ أعرفت
من المتكلم ؟

فأجاب النادل : إنه لم يذكر اسمه ياسيدي ،
ولكني أظنه صوت لورد منشجهم . ولقد

به ملكا على (أشوريا) بدلا منه
أما هو .. فانطلق إلى صومعة في الصحراء
فلزمها يفكر ويتأمل فيما تلقاه من حقائق
وما بلغه من علم .. ثم مالبث بعد حين أن
راح يجوب البلاد ويجول في البقاع .. يدعو
الناس إلى الخير ويأمرهم بالمعروف .. ويعلمهم
أن الحياة واحدة في كل الخلق .. وأن الإنسان
إذا ما أراد أن يصيب غيره بأذى فما يصيب
إلا نفسه .. ولا يحيق الشر إلا بصاحبه !

مصطفى عجل مرسى

ولكن ...

فقال جاسبر : سأحضر الآن

وأرسل جاسبر اعتذاره إلى رفاقه وأسرع
فارتدى معطفه وقبعته واستقل أول سيارة
صادفته إلى كينجهم . وكان البناء الذي
يقصد إليه جاسبر صغيرا بالنسبة إلى ماحوله .
كان يتألف من طوابق ثلاثة ، أما أسفله
فكان دكا كين كله . وكان الطابق الأول
مكاتب مختلفة ، وكان الثاني شقة مسكونة .
وكان لورد منشنجهم الأعزب يسكن في
الطابق الثالث

ولاحظ سلين وهو يدخل هذا البيت
أن ثمة بعض القلق والضيق يبدو على
وجهي عامل المصعد وحارس المبنى .
على أن سلين لم يسأل أحدهما عن شيء .
ودخل المصعد مسرعاً ثم خرج منه عند باب
الطابق الثالث ولقيه خادم منشنجهم في
مدخل الشقة وأخذ منه معطفه وقبعته ، ثم
تقدمه إلى حيث كان يجلس سيده ، فنهض
منشنجهم وفي وجهه خيرة وقلق وفي عينيه
دبول واستقبل صديقه وأجلسه على مقعد
بجوار مائدة اللعب ، وكان يجلس حولها
رجال آخرون ولم يكن يشغل المقعد
الرابع أحد

وقال منشنجهم لصديقه : حسنا فعلت
إذ جئت الآن . إنك تعرف هذين فيما أظن

فأوماً سلين برأسه موافقا ، وتبادل
إيماءات التحية مع الرجلين ، وكان أحدهما
جورج برت أحد كبار وزارة الخارجية
وكان الثاني مارتن فبس عضو البرلمان
ورئيس كثير من الشركات الهامة ومن
ذوى الشهرة العالمية في شؤون المال . وقد
لاحظ سلين منذ دخوله الحجرة أن هناك
شيئا ما يتصل بذلك المقعد الخالي

وقال جاسبر مازحا ماذا تصنعون هنا ؟
أتدبرون مؤامرة لقطع بعض الرقاب ؟
فأجابه منشنجهم : إننا نخشى أن يكون
هناك من يفعل ذلك غيرنا ... لقد جلسنا
نلعب منذ ثلاثة أرباع الساعة وكان يلعب
معنا كارتريت . إنك تعرف روني كارتريت
بالضرورة .

فأجاب سلين : نعم . . أعرفه
وعاد منشنجهم يقول : ما كدنا نوزع
الورق حتى دخل الحجرة خادمي تومسن
يقول إن شخصا يريد أن يكلم كارتريت في
التليفون فنهض كارتريت معتذرا إلينا ،
وكانت ورقاته بيده وكان يرتبها وهو يغادر
الحجرة ... وأنت تعلم أن التليفون في
الحجرة الصغيرة المجاورة .. إنني أعلمك بهذه
التفاصيل إذ ليس لدينا ما نعتمد عليه غيرها ،
وربما وجدت في أمر تافه مما أسرد ، ما يعينك
على الفهم ...

فقاطعه سلين قائلا : نعم ... نعم ...
استمر .

فقال منشنجهم : وانتظرنا دقيقة أو دقيقتين .. ثم مضت خمس دقائق ، ثم عشر ، ولم يعد صاحننا وأخذ القلق يساور هذين الصديقين فهضت لأنظر أين ذهب كارترت . ولكنى لم أجده ، ورأيت ورقاته على المنضدة الصغيرة بجوار التليفون . فناديت باسمه فلم يجب أحد ، ثم بحثت عنه في الشقة كلها وبحثت معى خادمى تومسن فلم نعثله على أثر . ونزلت إلى الطابق الأرضى وسألت حارس البنى وكان بحيث يرى كل داخل أو خارج ، فقال إنه لم يغادر حجراته منذ أكثر من ساعة ولم ير أحدا يدخل البيت أو يخرج منه . وخلاصة القول ياسيدى أنها قصة جد سخيفة .. ولكن كارترت قد اختفى في غير سبب

فقال سلين مبتسما : أظن أنه في هذه المدة لم يبعد عنا بعدا كبيرا !

فأجاب منشنجهم قائلا : وهذا يسهل عليك البحث عنه . إنك تعرف جغرافية هذا البنى فيما أعتقد . فالدكا كين في الطابق الأرضى وهى مغلقة منذ أكثر من ثلاث ساعات ، والمكانب في الطابق الأول وليس فيها أحد منذ ساعتين على الأقل . أما الطابق الثانى وهو الذى يقع تحت شقتى هذه فتسكن

فيه الأميرة مادزويل وهى سيدة عظيمة الثراء مزيج في جنسيتها من الروسية والبولندية . ويجعلنا مقامها هنا ترى دنيا العلية وحسبك أن بعض زائريها من قصر بكننجهام نفسه وسأله سلين في اهتمام : أيعرف كارترت تلك الأميرة ؟

فأجاب منشنجهم : كلا إني واثق من أنه لا يعرفها فقد سألتني حين كان هنا آخر مرة قبل هذه عمن يسكن في الشقة التى تقع تحتنا . والآن ماذا ترى أيها الصديق ؟ الدكا كين مغلقة والمكانب مغلقة خالية ، وشقتى لم ندع فيها مكانا إلا فتشناه ، وشقة الأميرة لا يسكن فيها غيرها ، وهى كما قلت لك سيدة معروفة ، تعيش عيشة هادئة ولا تخرج قط من مسكنها بالليل .. فأين ذهب كارترت إذن ؟

وأشعل جاسبر سلين سيكارة ولبث لحظة يفكر ، ثم نهض كأنما وصل إلى رأى ، وذهب إلى حيث يوجد التليفون ، فوجد ورقات كارترت في موضعها كما ذكر منشنجهم ؛ ولكنه حين عدها وجدها اثنتى عشرة فقط ، فأخذ يبحث عن الورقة الناقصة تحت المنضدة وحولها وفوق البساط وتحت أطرافه ولكنه لم يجد شيئا . ورد الورقات إلى موضعها ، وتناول سماعة التليفون ووضعها على أذنه وأصغى فلم يسمع شيئا ،

فضغط على زر التليفون ولكن في غير جدوى . وظل لحظات يمالج التليفون ولكنه رآه وكأنه قطعة من الحديد ليس غير . فنادى تومسن فسأله قائلاً « أهذا هو التليفون الذى دق حين استدعيت كارترت ليتكلم ؟

فقال تومسن : هو بغير شك يا سيدى ، فليس فى الشقة غيره ، إلا امتدادا له يدق فى حجرة النوم

فقال سلين : أرجو أن تذهب فترى هل فى الجهاز الآخر خلل ؟

وعاد الرجل بعد قليل يقول : لم أستطع أن أحدث أية صلة يا سيدى وأظن التيار مقطوعا عنا من مكان ما

فأوماً سلين برأسه ثم قال : إن هذا التليفون قد عبث به عابث فكيف كلنى فيه لورد منشنجهام ؟

فقال تومسن : تكلم اللورد فى التليفون الذى فى الردهة السفلى للبيت حين ذهب ليسأل الحارس

فسأله سلين فى اهتمام : أواثق أنت من أن كارترت رد على طالبه فى هذا التليفون ؟

فقال الخادم : واثق كل الثقة يا سيدى ،

فقد كنت أسمع صوته فى وضوح

فسأله سلين : ألم تسمع ماذا قال ؟

فأجاب الخادم مستنكرا : إني لم أصغ إلى

حديثه يا سيدى

فقال سلين فى هدوء : هذا حسن .. أبلغنى اللورد أن مستر كارترت قد اختفى وسألنى أن أبحث عنه ، فإذا عرفنا من كان يكلمه سهل علينا الأمر

فقال الخادم : آسف يا سيدى إني حقاً لم أسمع شيئاً من حديثه

فسأله سلين : ألم تلاحظ شيئاً من الاضطراب على وجه مستر كارترت أثناء الحديث أو بعده ؟

فقال الخادم : لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال كذلك يا سيدى ، فقد كنت مشغولاً أنظف المائدة فى حجرة الطعام وكل ما أعرفه أنى سمعت صوت مستر كارترت وهو يتكلم فى التليفون ، وبعد دقيقتين خرجت من حجرة الطعام فلم أجد بجانب التليفون إلا تلك الورقات على المنضدة

فسأله سلين : وماذا كان من أمر معطفه وقبعته ؟

فقال الرجل : إنهما لا تران هنا ، وإذا كان لى أن أجرو فأشير إلى شئ فذلك أنه لم يكن ليحاول الخروج من غيرهما فالليلة باردة جداً والسماء تساقط الصقيع

فغمغم سلين قائلاً : حسن ... إن من الخير أن يبدأ الإنسان بفرض محدد أيا كان . فليكن هذا الفرض أن كارترت لا يزال فى

هذا المبنى وأنا إذا التمسناه هنا وجدناه
ودخل سلين على صديقه منشجهم
وصاحبيه ، فسأله : ماذا ترى ؟

فقال سلين : إنك على حق فيما قلت فقد
اختفى كارزيت بالمعنى الدرامى الكامل للاختفاء
فلا يزال معطفه وقبعته بالردهة ولا تزال
ورقاته على المنضدة وقد قطع تليفونك

ونظر الرجال بعضهم إل بعض فى قلق ثم
قال جورنج برت : إن المعجزات لا تحدث
فى هذه الأيام . ولا بد أن هناك حلا يسيرا
لهذه المشكلة

فقال سلين : أرجح ذلك كثيرا فهيا بنا
ننظر ماهذا الحل . وقد اقترح بادیء الرأى
أن تفحص امنسجهم أنت وصديقاك هذه
الشقة فحسا جيدا بينما أذهب أنا فأستفهم
الحارس ، وإذا لزم الحال فسوف أشاغب
الأميرة بكلمات بعد ذلك

فوافق منشجهم على ذلك ودعا صديقيه
ليصحباه . ونزل سلين إلى الحارس فوجده
رجلا لا يمكن أن يرتاب فيه بأن يتآمر تأمرا
من أى نوع أو يهمل عمله . وقد أكد فى
غير تحفظ أنه منذ أن جاء ضيوف منشجهم
لم يدخل المبنى أو يخرج منه أحد . وقال
عامل المصعد إنه منذ أن صعد هؤلاء إلى
مضيفهم لم يدع إلا لينزل بمنسجهم إلى
مدخل المبنى ليسأل الحارس .

وصحب سلين عامل المصعد إلى الطابق
الأول ، ففحص الأقفال فوجدها كلها مقفلة
ولم يتبين أى شعاع من النور داخل المكاتب
فماد ثانيا مع العامل إلى الطابق الأرضى
وسأل الحارس عن أصحاب تلك المكاتب
فإذا هؤلاء قوم معروفون بين محام وتاجر
فراء ووكيل شركة أفلام ، وقد غادروا المبنى
جميعا هم وموظفهم منذ الساعة السابعة

فقال سلين : إذن ليس هناك من قاطن
لهذا المبنى إلا لورد منشجهم فى الطابق
الثالث والأميرة فى الطابق الثانى فخبرنى ماذا
تعرف عن هذه الأميرة

فأجاب الحارس وقد أخذ صوته وهيئته
يبان على احترام شديد : إنها أرملة ياسيدى
وإنها روسية الجنسية على ماأظن وقلم يخرج
من بيتها ، ولكن زائريها كثيرون وكلهم
من العلية . رهى سيدة كريمة رحيمة من
خيرة من سكنوا هذا المبنى . وكثيرا ما ترى
السادة والكبراء هنا فى زيارتها «
فقال سلين : هل يقيم أحد معها ؟
ومن خدمها ؟

قال الرجل : إن لها رفيقة ، وهى سيدة
شابة تلازمها دائما . ويخدمها رجلان
وثلاث نساء

فقال سلين : إنها إذن ليست فقيرة مثل
معظم الروس

فأجاب الرجل : فقيرة ؟ كلا ... إنها تشتري دائماً ما تحب من زهر ومن خمر، وخير المأكولات من أرقى المحلات التجارية. ويأتي الحائكون والحائكات إليها هنا . ولها سيارتان وتجدها في الأوبرا أو في غيرها من دور التمثيل تتخذ أحسن مكان منفرد .

فقال ساين : شكري لك عظيم على ما أخبرني به . ولو أن ما قلته لم يصل بي إلى رأى فيما أنا مشغول به فهو مفيد على أى حال .

ثم دس سلين في يد الرجل ورقة مالية . فلما نظر فيها وجدها من فئة الجنيه قتال في دهشة هذا أكثر مما استحق على إجابتي عن بعض الأسئلة

فقال سلين : هو لك عن طيب خاطر إذا أجبت عن سؤال واحد هو الأخير. إن لديك هنا جهازا جديدا من أجهزة التليفون لتحويل التيار إلى الشقق والمكاتب المختلفة ، وهو جهاز نافع . والآن هل لك الآن أن تخبرني لماذا قطع السلك الموصل إلى شقة منشجهم ؟ أنظر هنا فوق الجهاز بوضعتين تجده مقطوعا واستدار الرجل في سرعة ونظر ، وفغر فاه ، وأخذت عيناه تطرفان في دهشة وقال : ليرحمي الله . لقد كان الجهاز سليما حين رأيته قبل هذا ... أقسم أنه كان سليما .

فقال سلين : لقد كان سليما عند التاسعة والرابع ، لأن لورد منشجهم كلمني في النادي

وقتئذ . فمن نزل هنا إلى البهو غيره ؟ وشملت الدهشة الحارس من أقطاره ولم يستطع أن يحول بصره عن السلك المقطوع إلا في جهد ثم قال : لم ينزل هنا أحد غير من اعتدنا أن نراهم أنا ووليم عامل المصعد ؛ لقد نزلت رفيقته الأميرة وخرجت إلى الشارع وممها الكلبان الصغيران كما تفعل أحيانا ونزل أحد الخادمين فدخن سيكارة ثم وقف ينتظر عودتها خارج الباب . ولست أذكر أحدا غير هذين يا سيدي . وإني واثق أنه لم يدخل المبنى أحد من الخارج ولا غادره أحد فلم يعد إليه

فقال سلين : حسن . لنقف عند هذا فلست تعرف من قطع التليفون . وهذا جانب من ذلك اللغز الذي حيرنا . . ولكنك تبدو ذا بصيرة فما رأيك في كارتريت وأين تظنه ذهب ؟

فأجاب الحارس : إني أظنه قد ألقى بنفسه من إحدى النوافذ يا سيدي . فإني لا أستطيع أن أتبين طريقة غير هذه لخروجه من هذا المبنى وآخر احتمال لحل هذا اللغز أنه ربما كان كارتريت صديقا للأميرة وأنها هي التي طلبته في التليفون ، فنزل إلى شقتها وأصابه هناك إغماء أو شئ من هذا القبيل وهو احتمال غير مقنع ولكن ماذا لدينا غير هذا مما يمنع ؟

وأوماً سلين موافقاً ثم سأل الرجل قائلاً:
أظنك باقياً هنا ساعة على الأقل ؟

فقال الرجل في تأكيد : سأبقى هنا حتى
تنزل مهماً مكثت مع صديقك

وصعدت سلين إلى شقة منشنجهم ، وكان
الرجال الثلاثة ينتظرون وقد فرغ صبرهم .

فقال منشنجهم : إنهم لم يدعوا موضعاً إلا
فتشوه فلم يعثروا على أثر لكارتريت . وسأل
صاحبه هل وفق إلى شيء فأجابه سلين أنه
لم يهتد إلى شيء بعد . وأن آخراً مل له هوشقة
الأميرة وأنه لا بد أن يذهب إليها

فقال منشنجهم : إذن فتجرع شيئاً من
الشراب فأبك في حاجة إلى كل عصب من
أعصابك لتفعل فعلاً كهذا في الساعة
الحادية عشرة

فتناول سلين كأساً من الويسكي وجلس
يفكر على متكى أحد المقاعد لحطة . ثم أخذ
يسأل منشنجهم عن كارتريت فقال :

ألم يكن ثمة ما يقلق كارتريت أو يكربه ؟
فقال منشنجهم : كلا بل .. إني مارأيته
أكثر تحمسا لعمله منه في هذه الأيام وأشد
اطمئناناً وثقة

فسأله سلين : أليست له علاقات نسائية ؟
فأجاب منشنجهم : ليس حوله إلا امرأة
واحدة هي زوجته الجميلة الهادئة التي تخلص
له الحب والتي يبادلها حب بحب

فقال سلين في عزم : إذن ليس أمامنا إلا
أملنا الأخير وهو شقة تلك الأميرة فإلى هناك
ونزل سلين إلى شقة الأميرة وإنه ليسأل
نفسه ألا يشعر بالمرض من كثرة ما حصر
ذهنه في حوائب هذه الشكلة ؟

ثم وقف لحظة أمام باب الشقة مفكراً
قبل أن يغمز زر الجرس . ولم يكديغمز الزر
حتى فتح له الباب أحد الخادمين

فسأله سلين عن الأميرة هل هي موجودة ؟
فأجابه الرجل وفي نظرائه الدهش إنها
موجودة ولكنها لا تقابل أحداً إلا عن
موعد . فقال سلين : إنه يريد أن يراها
لسبب طارئ ؟ ومد إلى الرجل يده ببطاقته .
فأخذها الرجل ودخل الشقة ووقف سلين
ينظر لدى الباب

وسمع سلين صوتاً نسوياً في إحدى الغرف
في نبرة دهشة ، ومد قليل عاد الخادم فقاده
إلى هذه الغرفة ، فإا هو بين أثاث فخيم يدل
على بسطة في الثراء ، وأحدث عيناه امرأتين ،
إحداهما الأميرة فيما يبدو ، وكانت ترتدي
ثياباً سوداء لا بهرج فيها ولكنه رأى الحلي
القيمة الجميلة حول جديدها وفي أذنيها ، وقد
أزاحت شعرها الأشهب عن جبينها في هدوء
ولمحتة بمينها السوداءين . وأما الثانية فشابة
تلبس كذلك الملابس السوداء ، قوية معارف
الوجه ، سوداء الحاجبين ، ضيقة المحجرين ،

وأكد الحارس كما أكد عامل المصنع أنه لم يخرج من البناء ، فلم تر منطقيا إلا أنه غير بعيد منا ، كما تحتم هذه الحقائق

فقلت الأميرة : هذا سر جد عجيب

وإنه لسر غامض

فأجاب سلين وهو ينظر إلى وجه الفتاة الجامد فكانت تصغى دون أن يبدو في أساريرها أى اهتمام : إن كارترت لم يغادر البناء فأين هو ؟ إننا لم ندع موصفا في شقة منشجهم إلا فتشناه ، والمكاتب التى تحت شقتك كلها مغلقة وقد غادرها أصحابها وموظفوها كما يؤكد الحارس منذ أربع ساعات أو خمس ، وليس ثمة فيها ما يدل على أن بداخلها أحدا . وعلى ذلك فلا يبقى أمامنا إلا شقتك فى المبنى كله ، فأرجو منك أن تأذن لى بأن أفتشها مصحوبا بأحد خدمك

ورفعت الأميرة حاجبها دهشة وتغصنت جبهتها ، وتلقت عينها ، واختلجت ابتسامة طفيفة فى جانبى فمها ثم قالت : ولكن ذلك أمر لا يصدق العقل ، فأى أوكد لك ياسيد جاسبر وأنا واثقة كل الثقة أنه ما من رجل دخل شقتى الليلة ، فأنا لا ألقى زائرين فى هذه الأيام إلا أصدقاءى المقربين ، ولم أغادر شقتى .. ولست أعرف صاحبك هذا الذى تبحث عنه ذلك الذى يدعى ... ماذا تسميه ؟ كارترت ؟ فإذا يدعوك إلى أن تتخيل أن

صغيرة المينين ، وكانت تقرأ كتابا فى يدها وبدأ عليها أنها قوطعت حين كانت تجهر بقراءتها ونظرت إلى سلين دهشة تتساءل بعيدتها .

وقال سير جاسبر سلين : أرجو أن تقبلى يا سيدتى معذرتى عن إقحام نفسى عليك فى مثل هذه الساعة . وليس لى إلا أن أدع سبب مجيئى على هذه الصورة لتقديرك فهل تأذنين لى أن أشرح هذا السبب ؟

فأجابت الأميرة فى صوت كان على الرغم من لهجتها الأجنبية جميلا موسيقيا : « بكل سرور » ثم أشارت بيدها إلى مقعد قائلة هل تفضل فتجلس ؟ ونظرت إلى الفتاة فقلت : هذه رفيقتى ولا عليك من وجودها معنا فقص على ما تريدمنى فى مثل هذه الساعة من الليل

فقال سلين : إنه أمر سوف يبدو سخيلا منى مضحكا فيما أرى ولذلك أراى مضطرا أن أقدم له بمقدمة ... إن صديقى الذى يسكن فى الشقة العليا ، لورد منشجهم كان وثلاثة من صحابته يهيا للعب الورق منذ ساعة ونصف أو ساعتين فيما أظن ، وبينما كانوا يوزعون ورقاتهم إذدق جرس التليفون فدعى الخادم أحدهم ويدعى كارترت ، فخرج من الغرفة ليتكلم فى التليفون ، ولكنى لم يعد إلى رفاقه والتمسه لورد منشجهم فى شقته فلم يجده

صديقك . وأعدك أنى لن أمدعنى فى غرفتك
إلى غير ما جئت من أجله

قابتسمت الأميرة قائلة : أخشى أنك لن
تجد فى شقتى ما يستريحى بصرى كثيرا ياسيد
جاسبر . قتشها كما تريد ، وأرجو أن أراك
قبل أن تخرج

وكان جرابلنج خادما حسن المران فى عمله
وهو فيما يبدو إما ألمانى أو روسى . ولم يكن
هو الذى أدخل سلين الشقة . ويظهر أنه
رئيس الخدم . ولما دعت الأميرة وأشارت
عليه بما يعمل لم يبد على وجهه الصلب شىء
من الدهشة

وكانت غرفة نوم الأميرة آية فى الرونق
والفخامة ، ولم يكن فيها ما يدل على أية
زيارة للرجال . أما غرفة أنا فكانت أقرب
ما تكون إلى غرفة خادمة فليس فيها إلا
سرير من الحديد ، على أن غطاءه كان من
قماش ثمين . وقد علق فوق السرير صليب
حديدي وصورة جميلة للسيدة العذراء .
وكانت هناك غرفة أخرى للنوم غير مستعملة
فيها أثاث غير ذى قيمة كبيرة ، وبعض
التحف الفنية . وقد فتح جرابلنج الأصونة
فكان ملؤها الصينى الفاخر وأنماط من
الكؤوس والزجاجات . أما قسم الخدم
فكان عاديا وقد قتشه سلين شبرا شبرا ،
لم يدع موصفا حتى مكان التليفون الذى

يكون فى شقتى بأى وجه من الوجوه ؟
فقال سلين : أيتها الأميرة .. إن هذا
الاقتراض يبدو لنا غريبا بقدر ما يبدو لك ؛
ولكن أرجو منك أن تتبينى وجهة نظرنا .
إنه ليس بعقل أن يذوب رجل أو يستحيل إلى
هواء . وهذا الرجل الذى نلتمسسه لم يغادر
هذا المبنى ، وما تركنا موصفا فى المبنى
إلا قتشناه إلا شقتك هذه ... لولا هذا
ما وضعت نفسى منك فى هذا الموضع ، ولما
افترضت هذا الفرض الذى أعرف أنه يبدو
غير معقول

ونظرت الأميرة فى بطاقة سلين وقالت
مفكرة : أظن أنى أعرف اسمك ياسيد جاسبر .
إنى قلما أبرح مسكنى ولذلك ترى دائرة
معارف ضيقة . ولكن يخيل إلى أن ثمة
شيئا مألوفا حول هذا الاسم .. أتكتب مثلاً ؟
فقال سلين : أكتب بعض مقالات عن
الإجرام من نواح مختلفة ولكن ذلك نادر
جدا ؛ إلا أنى أعرف الكونتس مونزينى
وأظنها صديقة لك

فقلت الأميرة : آه .. ألجا عزيزتى ... إنها
صديقتى حقا . حسن ! ليكن لك ما أردت
ياسيد جاسبر . إنغزى الجرس بأنا . إننا سندع
هذا الرجل يفعل ما يحب وليصاحبه جرابلنج
فقال سلين : إنى أشكرك أعظم الشكر
أيتها الأميرة وسيشكر لك لورد منشنجهام

لا يتسرع إلا للشخص

وقال جرابلسج في احترام : لم يبق بعد ذلك مكان ياسيدى ، لقد دخلت كل حجرة وكل صرفق وفتحت كل صوان

فدس سلين جنيتها في يده وهو يعبر عن أسفه لما ساقه إليه من تعب من جراء هذا التفتيش ، وقبل الرجل الجنيه ، ثم فتح باب الصالون وقد تقدم سلين إليه ، والتفتت الأميرة وعلى ثغرها ابتسامة ضئيلة . وقالت في لهجة ساخرة : إنك لم تثر على صديقك مستخفيا تحت سريري أو قابعا في خزانة ملابسى ... لعل صديقك حسن الهيئة ولا ريب أنى فقدت بفقده شيئا يؤسف عليه

فبدا على سلين سمة الاعتذار ثم قال : لم يتح لصديقي من حسن الخظ ما يسوقه إلى شفتك ، وإنى أرجو أن تقبلى معذرتى وشكرى فقدت له الأميرة يدها مسلمة ، ونظر إلى الفتاة فلم يجد ملاحظها معبرة عن شئ ، وقالت الأميرة : أرجو أن تعود لزيارتى ذات يوم يا سيد جاسبر لتخبرنى على الأقل ماذا كان من أمر صاحبك المختفى

فأجاب سلين : إنذنى لى أن أعبر لك عما يبعثه عطفك من عميق الأثر فى نفسى

وكان فى طريقه إلى الباب والحيرة تأخذه من أقطاره ، فإن كارتريت بلا شك غير موجودا بهذه الشقة ... وثباطاً سلين الرجاء

فقد وقعت عيناه على شئ بعث هزة فى جسده وشعاعاً من الأمل فى ذهنه . كانت باقة كبيرة من الزهر موضوعة فى أصيص على منضدة قرب الباب فرأى سلين ورقة من أوراق اللعب مكورة بجانب هذا الأصيص ، فال على الباقة ليشمها وتناول هذه الورقة دون أن يفتن أحد إلى ذلك فقد كانت الفتاة تتأهب لتستأنف القراءة ، وكانت جرابلسج يفتح الباب ، وكانت الأميرة متجهت نحو صندوق كبير للسكائر تخرج سينكارة منه

كان منشنجهام وصاحباه فى شقة ينتظرون عودة سلين ولم يبق فى نفوسهم صبر . فلما دخل عليهم كانت ورقات اللعب لا تزال فى مواضعها على المنضدة فنظر إليه منشنجهام متسائلاً بعينيه ثم قال : هل من جديد ؟

فقال سلين : إلى بعض الويسكى والصودا . فأسرع منشنجهام فناوله كأساً ثم عاد يقول له : هل من أمل ؟

فأجاب سلين : لست أدرى ... دعنى أتفكر لحظة . وليعد كل منكم ورقاته

فأخذ كل منهم يعد الورقات وفى وجوههم دهشة من طلبه . ثم قال كل منهم : ورقاتى ثلاث عشرة

وأخذ سلين يعد ورقات كارتريت وأخذ

خادمها فلم أدع شبرا إلا قتشته . ولقد قالت لي إنها لم تنلق زائرا في ليلتها ولم تبرح صالونها وإنها لا تعرف أحدا باسم كارتريت . ومع ذلك فإن هذه الورقة التي كانت في يد كارتريت حين غادر هذه الحجرة قد وجدتها في صالونها

وضغط منشنجهم براحتيه على فؤديه قائلا : أعم كلامك يا سلين . إنك تمضي بنا إلى الجنون

فقال سلين : وأنا أحس أني خطوت خطوات في هذا السبيل . لا بد لي من العودة إلى الحارس وإني لأثق في قوله إنه لم يخرج أحد من باب المبنى وإنه لا يخرج للمبنى إلا هذا الباب

وقال حوريج برت في شيء من التردد : ألا يمكن أن يكون قد ألقى بنفسه من النافذة ؟

فأجاب سلين : على كل حال إن خطوتنا التالية هي أن ننظر حول البناء في الشارع ونزل منشنجهم وصاحبه سلين إلى بهو المبنى يقصدان إلى الشارع فسألها الحارس : هل وجدا صاحبها المختفي ؟ فقال منشنجهم لم نجده بعد . لا تترك مكانك . سترجع بعد قليل

وبحثا في الشارع فلم يجدا شيئا وأخذ سلين بنظر إلى النوافذ من شقة منشنجهم

أحضرها من جانب التليفون في الردهة ثم قال اثنتا عشرة وأخذ الورقة المكورة من جيب سرواله وأضافها إليها قائلا : وهذه الثالثة عشرة . وكان ظهر هذه الورقة كظهر الورقات جميعا

وحلق الرجال الثلاثة في وجهه وصاح منشنجهم قائلا : ماذا تعني بذلك ؟ ثم مد يده يأخذ الورقة المكورة ، فقال له سلين انتظر لحظة ، ثم أخذ الورقة . قائلا : إن هذه هي «الدوه» فهل في ورقات أحدكم «دوه» ؟ فنفي الجميع ذلك . ونظر سلين في ورقات كارتريت فلم يجد بينها ذلك «الدوه» فقال : إذن فهذه ورقة كارتريت لا ريب . لقد وجدتها على منضدة في شقة الأميرة ، بينما كانت الورقات الاثنتا عشرة هنا في الردهة على منضدة بجانب التليفون وساد الصمت لحظة ولم يستطع أحد أن يستنتج شيئا من هذا أول الأمر . ثم قل منشنجهم : ماذا حمل كارتريت ينزل إلى شقة الأميرة دون كلمة منه لما ؟ وقال حوريج برت : ودون أن يرجع إلينا . وتساءل مارتن فبس قائلا : أهو هناك الآن ؟

فقال : كلا .. ليس هناك إلا إذا كان استحال إلى هواء أو قطع مائة قطعة وأحرق في مائة مكان ! لقد دهشت الأميرة من طلي نفثيش شقتها ثم أرسلتني في صحبة

للرجال الثلاثة : من شاء منكم أن يأتي معي فليأت ، فإني ذاهب إلى باب مكاتب ميشيل فصنع لدى هذا الباب ، فإن لم أسمع شيئاً فلست بفاعل أى فعل .

وخرج ثلاثهم في أثره ، ونزلوا على السلم يمشون على أطراف أصابعهم ، حتى بلغوا باب ميشيل فنظروا في اللوحة فقرأوا عليها « ميشيل وولده » . ثم وقفوا صامتين لدى الباب يمسكون أنفاسهم . وجثا سلين لحظة ووضع أذنه على الأرض ، ثم نهض في سكون تام . ورأى أصحابه في عينيه تألقا وفي وجهه سمة الأمل والانتعاش . وأشار إليهم أن يتبعوه ونزلوا معه إلى البهو . وكان الحارس لا يزال في مكانه وعامل المصعد على كرسيه بالقرب من مصعده .

وقال سلين : أيها الحارس ، خذ حذرك فإن ثمة ما يرب في مكان ما بهذا المبنى . فقال الحارس في كثير من الارتياح : أين ياسيدي ؟

فأجابه سلين : دعك من ذلك الآن . خذ هذا المسدس ولا تسمح لأحد أيا كان رجلاً أو امرأة أن يغادر المبنى بينما أنكلم في التليفون

فقال الحارس : لا حاجة بي إلى المسدس فلن يستطيع أحد أن يمر من ههنا رغماً إرادتي فقال سلين : اسمع نصيحتي . ماذا يكون

إلى الطابق الأرضي ، ثم ذهب فاستدعى الحارس إلى حيث كان يقف منشنجهم . وأشار سلين إلى أعلى قائلاً : إن هذا الضوء الخافت في شقة الأميرة على ما أظن ؟ فقال الحارس : نعم يا سيدي

فسأله سلين : ولئن هذه المكاتب التي تقع تحت شقة الأميرة ؟

فقال الحارس : لرجل يدعى ميشيل هو وكيل في تجارة الفراء والأشياء الشرقية فقال سلين : صف لي أى رجل هذا

فأجاب الحارس : أحد أولئك الأجانب . ممتلئ الجسم ذو لحية ، وملابسه من نمط أجنبي . وله سكرتير وكاتب على آلة الكتابة وأخذ يقل اهتمام سلين بالنوافذ . واتجه وصاحبه صوب البناء وتبعهما الحارس .

فدخلوا ثلاثهم وقال سلين للحارس سأصعد إلى شقة صاحبي وأعود بعد لحظات وأرجو أن تظل يقظاً فقد يحدث حادث كما أرجو ألا تسمح لأحد مطلقاً بمحادثة المبنى

ولما دخل منشنجهم وصاحبه الشقة ، سأل سلين : أليس لديك سلاح من أى نوع ؟ ومصباح كهربائي ؟

فقال منشنجهم : لدى مسدس وعدد من المصابيح الكهربائية

فقال سلين : إلى به وهات مصباحاً منها ولما أخذ سلين المسدس والمصباح قل

موقفك إذا كان من يريد أن يخرج يحمل سلاحاً
ثم أتجه سلين إلى منشجهم قائلاً :
سوف أطلب اسكتلنديارد وسأطعمك على
كل شيء في وقته المناسب .

وأوما منشجهم قائلاً : افعل ما ترى
فإني أكل كل شيء إليك أيها المحوز المحنك
ومشى سلين نحو التليفون ولكنه مال به
أن وقف فجأة . وأحس كل رجل في هذه
الجماعة كما لو سرت إليه هزة كهربائية !

إن وقوفه شيء لا خطر له ولكنه أحدث
في نفوسهم من الأثر كما لو أن قوة خفية
شلت الحركة في أبدانهم . وسمعوا جرس
المصعد يدق !

وساد الصمت لحظة ثم قطعه سلين بقوله
يسأل الحارس في استنكار : من تراه يغادر
المبنى في مثل هذا الوقت من الليل ؟
فأجاب الحارس : لا أستطيع أن أتصور
من يكون هذا

وصعد عامل المصعد . وما هي إلا لحظات
ثم هبط المصعد ، وفتح العامل الباب فخرجت
منه أنا ، تلك الفتاة التي كانت تجلس مع
الأميرة ، واتجهت صوب باب المبنى وفي يدها
مظلة ومعها كلبها ، ولكنها لم تكذب تخطو
بضع خطوات حتى اعترض سلين سبيلها
قائلاً : آسف ياسيدي .. أظن أن كلبك
يستطيع أن يستغنى عن رياضته هذه الليلة ،

وقد خرج مرة قبل هذه فيما أظن ؟
فنظرت إليه بعينين تقدحان شررا وقالت :
إنه يخرج عدة مرات كل ليلة ، وقد تأخر
هذه الليلة لأنك أنت الذي أخرتنا بمجيئك إلى
شقة الأميرة ، ولا بد له أن يعدو إلى
زاوية الشارع .

وأرادت أن تخطو ولكن سلين لم يتحرك
من أمامها وقد عاد يخاطبها قائلاً : إن الكلب
على كل حال أمر لا أهمية له وإنما المهم أنه
قد صدر أمر ألا يغادر هذا المبنى أى شخص
حتى ينجلي ما نحن بصدده .

فألتمع الغضب والشر في عينيها وقالت :
وأى أمر هنا يمكن أن يصدر هذا الأمر ؟
ثم حاولت ثانية أن تمضي في سبيلها ؛
فأمسك سلين بعاتقها وقال : إنه لن يسمح
لك أيتها الفتاة أن تبلغى الشارع ولا أن
تعودى إلى حيث كنت .. أيها الحارس
شدد الرقابة على هذه الفتاة ريثما أعود

وفتحت الفتاة فمها تريد أن تصرخ ،
ولكن الحارس أسرع فوضع يده على
شفتيها ، بينما ذهب سلين إلى التليفون .

وعاد سلين بعد أن طلب سيمبسون مفتش
البوليس في اسكتلنديارد ليحضر ومعه ثلاثة
أو أربعة من رجاله . وكانت الفتاة لا تزال
تحاول التملص فقال لها سلين : لن تجدى
محاولتك شيئاً وخير لك أن تقولى أين مسر

كارترت

فأجابت في عنف : ومن لي بأن أعرف
مستر كارترت هذا وأين يوجد ؟

وتركها سلين حيث كانت واقفة ، وأخذ
بذرع الردهة جيئة وذهابا ، وهي تنظر
إليه بعيني نمر : وبعد ربع ساعة وصل
سميسون مفتش البوليس ومعه أربعة من
رجاله ، فلما رأى سلين سأله قائلا : ميشيل
وولده ؟ هل قلت في الطابق الأول ؟

واتجه سلين إلى حارس البنى قائلا :
اعط المفتاح العام للمفتش أيها الحارس

وتناول المفتش المفتاح من الحارس ،
وصعد هو واثنتان من رجاله ومعه سلين إلى
الطابق الأول وتركوا رجلين يحرسان مدخل
البنى ، وفتح المفتش شقة ميشيل وولده

ودخل الجميع الشقة وغمز المفتش زر النور
فوجدوا في أول حجرة بعض المكاتب
وبعض أظاظ من الفراء معلقة على الجدران
ثم رأوا النور في حجرة داخلية ينبعث ثم
ينطفئ في مثل لمح البصر ، فاندفعوا إلى
تلك الحجرة وفي أيديهم المسدسات وأضاءوا
نورها . فوجدوا هذه الحجرة خالية وفي
وسطها رجل على كرسي ثقيل وقد شد بحبال
إلى هذا الكرسي ، وكان هذا الرجل هو
كارترت بعينه ! وما كاد كارترت يرى
سلين حتى صاح به : ها أنت ذا يا صديقي

سلين ؛ أسرع بإرسال بعض الجند إلى
مدخل البنى .. انظر إلى السقف تجد هذه
الفتحة الموصلة إلى مطبخ الأميرة ، وقد أنزلني
منها خادما على سلم من الحبال ، وقد صعد
عليه هو وميشيل الآن وأخشى أن يهربا

فقال سلين ضاحكا : لا تخش شيئا
يا كارترت فسيجدان البهو محروسا . كان
الله لك .. أي فخ هذا الذي وقعت فيه ؟

وتقدم سلين فقطع الحبال
وقال منشجها مضاحكا : يالك من تعس ..
ماذا جاء بك إلى هنا ؟

فأجابه كارترت : وأنت من جاء بك
لتسكن فوق شقة عصابة من البلاشفة

كان سير جاسبر سلين ضيف الشرف في
الليلة التالية في بيت أحد الوزراء ، وكان
كارترت أحد الضيوف ، فأخذ الوزير يثنى
على سلين ويصف ما أداه إلى الدولة من
صنيع بالتبض على هذه العصابة وقال إن رجال
البوليس كانوا على علم بحركات هذه العصابة ،
ولكنهم لم يكونوا يعلمون أين تقيم .
ولم يكن يدور بخلدنا أن الأميرة ترأس
هذه العصابة ، التي كانت تعد البلاشفة هنا
وفي روسيا بكثير من الأنباء أسبوعا بعد
أسبوع .. ثم اتجه الوزير إلى كارترت وسأله
عما إذا كان قد أطلع سلين على سبب اختطافهم

إياه... فقال سلين إنه لم يطلعه بعد .

فقال الوزير : كانت إحدى السفن في طريقها إلى هنا . وكانت تحمل مايساوى مليون جنيه من ذهب روسيا . ولم يعلم السفير الروسى ماذا انتهى إليه رأى مجلس الوزراء بشأن هذا الذهب . هل تضع حكومتنا يدها عليه ؟ وكان لا يستقر من فرط قلقه ، وكان كارترت هو الرجل الوحيد خارج المجلس الذى يحيط علما بقراره فتعقبوه منذ أيام حتى أوقعوه في حبائلهم بحيلة غريبة أدع له أن يصفها لك .

فقال كارترت : استدعيت فى التليفون من شقة منشجهم فإذا المتحدث يلقي إلى كلمة السر التى كانت بينى وبين وزارة الخارجية ويطلب لقائى فى شقة الأميرة ، فما كدت أدخل الشقة وأسلم على الأميرة وكان خادمها يقف ورأى حتى غبت عن وعي . ولم أصح

إلى نفسى إلا فى تلك الحجرة التى وجدتني فيها موثما بالحبال . وكان ميشل وذلك الخادم يضعان مسدسيهما على صدرى لأفنى إليهما بقرار مجلس الوزراء . وكان يصعد أحدهما إلى شقة الأميرة ويدع الآخر يتهدنى تارة . وكانا يجتمعان على تهديدى تارة أخرى ، حتى أحسا بقدومك ومن جاء معك من البوليس ففرا إلى شقة الأميرة ، وكادا يهربان لولا ماأخذت من حيلة .

ثم ضحك كارترت ومال برأسه وقد أسند مرفقيه على مائدة الشاي قائلا : والآن خبرنى ياسيد سلين كيف عرفت بالله أنى دخلت شقة الأميرة حتى تشك فى شقة ميشيل وولده ؟ فضحك سلين وقال : ورقة « البوه » ورقتك الثالثة عشرة . . أفهمت ؟ « ذو القناع »

من وراء المنظار

فصول انتقادية فكمية من حياتنا الاجتماعية

للاستاذ محمود الحقيف

كتاب فى ٢٤٠ صفحة على ورق أبيض جميل

ثمنه ٢٠ قرشا — عدا أجرة البريد

يطلب من إدارة الرواية ومن المكتبات الشهيرة

لا مفر

نقية المنشور على صفحة ١٦

هؤلاء ليكونوا علينا من الشاهدين «

وأخذت شحاتة ربكة أول الأمر ثم قال

« وفيه العجلة ؟ الأفضل أن ينتظر قليلا »

فقال الحاج عثمان « كن صريحا وتكلم

أمام هؤلاء الرجال . لقد كنت أشد منى

رغبة في أن تزف نعيمة إلى شبل فماذا جرى

بعد ذلك ؟ »

فقال شحاتة « أتريد الحق ؟ البنت

بجنونة هذه الأيام وأخوها محمد أجن منها

والأفضل أن تأخذها بالخيالة والسياسة »

وضحك شحاتة في صوت مسموع كأنما

يريد أن يخفف وقع كلامه على صاحب الدار

فقال الحاج عثمان « ماذا تقول يا رجل ؟

لم يبق إلا أن البنت تفرض إرادتها على

أبيها .. ومحمد ما شأنه ؟ هل هو أبوها ؟

أنا لا أَرْضَى لك بهذا ... إما أن تكون

أنت الرجل وإلا ... »

فأجاب شحاتة : ماذا أصنع يا إخواني ؟

سألت الواعظ فقال إن الشرع لا يسمح بأن

تزوج البنت رغم أنفها ، ومن تزوجت بهذه

الصورة فزواجها باطل فهل تتبع ...

وقاطعه الحاج عثمان قائلا : الله ... الله ...

متى أصبحت رجل شرع ... وهل يسمح

الشرع للبنت بأن تختار من تريد ؟ ما هذا

الكلام ؟ والله لو أن عندي بنتا تفعل هذا

لدفنتها حية ... ألا تخشى الفضيحة يا رجل ؟

وضحك شحاتة ضحكات متتابعة فضاق

به صاحب الدار وقال له : إما أن تصرح بما

في ضميرك وإلا فلتقفل هذا الباب .

فقال شحاتة : انتظر حتى يعود الأستاذ

على أخو العمدة وبعد ذلك نتكلم .

فأجاب رب الدار في غضب : وما دخل

الأستاذ في هذا ؟ ثم تدارك كلامه قائلا :

أقصد أنه لا يمنعك من أن تزوج ابنتك لمن

تشاء ، وهم على كل حال هو وأسرته رؤساؤنا

وكبراؤنا من قديم ... ولكني لأرى لهم

دخلا في أمر كهذا .

وكان النسوة يسترقن السمع خارج المنطرة

وقالت أم شبل لزوجة ابنها حسن دون أن

تعبأ بوجود ابن أختها : وهل يستطيع شحاتة

أن يبت في هذا ؟ الكلمة في داره كلمة أختي ..

وخير للحاج ألا يتعب نفسه . والله لولا

أنها بنت أختي ما قبلتها لابني .

وكأنما ألهم زوجها ما تقول ، فقد صرف

الحديث عن وجهه ، ثم انفرط عقد المجلس ،

وأخذ الرجال يتحدث بعضهم بعضا في مختلف

الشؤون حتى قربت الشمس من المغرب

فأخذوا ينصرفون . وكان شحاتة أول من

تسلل من النظرة .

عاد على من سفره فافتقد صابرا بضعة أيام ثم سأل عنه فسمع إجابات مختلفة ، فمن قائل إنه سافر ليعمل في عمارة تبني في مدينة قريبة وسيعود بعد أيام ، ومن قائل إنه عبر إلى الشط الغربي ليعمل في البحيرة فقد ضاق بالعيش في قريته لأن أباه يأخذ ماله فينفقه في القهوة على جلسائه ، وهو يريد أن يقتصد مهره مما يكسب . ولقد دهش على مما سمع ولكن دهشته لم تطل . فقد مر به محمد شحاته فقال له إن المرض قد اشتد على صابر بعد أن شفى منه ، وأمه لا تحب أن يراه أحد حتى يبرأ مخافة أن يشمت به شبل وأهله ، ولذلك فهي تخبر من يسأل عنه أنه سافر في عمل مع البنائين وسيعود بعد أيام

وشخص على بين المغرب والعشاء وحده إلى دار صابر ، فألني فتحية وحدها على مقربة من الباب وقد وضعت رأسها بين رجليها في صورة حزينة زاد معنى الحزن فيها ضعفين غناء لداتها وضحكهن على مقربة منها

وطرقت فتحية الباب ونادت أمها ففتحت لها ، فقالت الصبية وهي تدفع الباب « اتفضل يا سيدي » . فقال على « ياساتر ..

مساء الخير يا حاجة » وأخذت حسونة ربكة أول الأمر ثم قالت « مساك الله بكل

خير يا سيدي ... أهلا وسهلا » وتناولت يده وانحنى لثلمها فجذبها في رفق وعيناه على صابر ، وقد تمدد على المصطبة ونور المعلقة في الكوة فوق رأسه ؛ وكان صابر راقدا على ظهره ووجهه إلى أعلى ولم يستطع أن يلتفت فدنا على منه وقال وهو يتكلم بالبتسام « لا بأس عليك يا صابر .. ما بك ؟ » ورد صابر في صوت خافت قائلا « لا أراك الله ما أنا فيه يا سيدي ... أشكرك ... جنبي كأن فيه سمارا »

وجلس على على حافة المصطبة عند قدمي صابر ، فإذا هو حيال منظر كم تمنى لو لم يره . ولكم حاول جاهدا أن يمسك دمه وأن يتكلم دون أن يهدج صوته . أهذا هو صابر الذي كان مضرب المثل في قوة البدن ونضرة الوجه ؟ ! إنه يرى يديه من تحت الغطاء نحيلتين معروقتين كأنهما يدا شيخ ! ويرى وجهه الذي كان يترقرق فيه ماء الشباب وقد غدا مسنونا مصفرا كأنما غفره الموت بترابه . ثم إنه يرى في أسارير هذا الوجه الذي يقع عليه نور المعلقة ما لم ير مثله قط لا في حقيقة ولا في خيال من صورة الألم البشري ، ويستمع إلى أنات صابر وهو يكتمها تجلدا وإشفاقا على أمه فيهتز قلبه اهتزازا

وقال على وهو بهش لصابر متكلفا ..

« لا تخف يا صابر كن جدعا » فقال صابر
في همس « لست خائفا . سير يحنى الموت ...
لا يذل الإنسان إلا المرض »

وتبعته فتحية عليا إلى خارج الدار فنادها
ووضع بعض القروش في يدها الصغيرة
فقلت في غير مناسبة « بعنا العجلة ياسيدي ...
عجلة صابر أخى فإن أبى عليه إيجار لم
يسدده ... ولم يكن عندنا ذرة ولا فلوس
للحكيم والدواء من يوم أن مرض صابر
وانقطع عن العمل ... وكان صابر يربى
العجلة ليدفع ثمنها مهرا لزميمة فهو يحبها
ياسيدي وهى تحبه ... ولما سحبت العجلة
إلى السوق لم ينضب صابر أبدا . ربنا
يشفيه ياسيدي ! من لنا غيره ؟ »

وانفق أن التقى على فى هذه الليلة
بالطبيب فعلم منه أن مرض صابر حصاة فى
الكلى وخير علاج له أن تجرى له جراحة ،
فاعترم على أن يرسله فى غده إلى المستشفى
فى عاصمة الإقليم . وقضى على ليلته مكتئبا
يسأل نفسه كم فى القرية من أمثال صابر
ممن يعيشون على عملهم يوما فيوما ، فإذا
أقعدهم المرض عن العمل لم يجدوا مايا كالون !
وطاف بخساطره قول صابر لا يذل المرء
شىء مثل المرض . وهزت نفسه من أعماقها
دمعتاه اللتان أجدوتا وهو يدس له النقود
تحت المحدة ، ولم يغيب عنه ما وقع عند ذلك فى

كن رجلا كمهدى بك يا صابر .. كل
إنسان يمرض ويشقى ... فهمس صابر كى
لا تسمع أمه قائلا « لا ... لا مفر
من الموت هذه المرة » وقالت حسونة
« منهم لله .. يا رب أنت حسبي على الذين
فعلوا هذا بولدى ... أنا مسكينة يا رب
وأنت عالم بى .. يا رب أنت حسبي » ثم
كتمت نسيجها إشفاقا على ابنها ومسحت
دموعها بكفها

قال على « أرى هنا دواء فى زجاجة على
الرف فهل رآه الطبيب ؟ وماذا قال ؟ »
فقلت أم صابر « ذهب ابنى إلى الطبيب
قبل أن يشتد المرض فأعطاه هذا الدواء ولم
يقبل شيئا »

فقال على « إن شاء الله يشفى ...
لا تخافى يا حاجة »

فقلت حسونة « ربنا موجود ياسيدي ،
ربنا يقيك ولا يسيئنا فيك »

وغافل على المرأة وأخرج من جيبه
بعض أوراق النقد فدسها تحت محدة صابر ،
ونظر فإذا بصابر يفر زفرة خفيفة ثم تنحدر
دمعتان على خديه .. وغمغم صابر ببعض
كلمات الشكر ، ونهض الأستاذ ليخرج
فقال « سأقابل الطبيب وإن شاء الله ما هناك
إلا الخير » وأمسك بيد صابر مسلما وهو
لا يقوى على النظر ثانية فى وجهه ، وقال

من خلق الرجال . وإنه ليس له أن يفرح فإنها
علمت من أخته فتحية أنه شفى بعد أن
نجحت الجراحة وأنه عما قريب سيعود
إلى القرية

قالت زينب : فسألها شبل وماذا يأكل
في داره حين يعود ؟ فقالت نعيمة : إنه رجل
وإنه يأكل من عرق جبينه ولا يعتمد على
مال أبيه

فقال شبل : ويحمل الطوب والفحم ..
فأجابه نعيمة : وأي عار في ذلك ؟ ألم يكن
أبوك يعمل أجيرا في شبابه قبل أن يشتري
ما يملك من أرض ؟ فتأثر شبل وسمعت خاتله
ثورته فأظهرها على ما قالت نعيمة فأهوت
عليها ضربا بعصا أخفقتها من يد شبل ، ولكن
نعيمة انتزعت العصا من يدها وحاولت أن
تكسرها على ركبتيها وأجهت إلى شبل قائلة :
قل ماتشاء فليس يهمني ماتقول .. وماذا أفاد
ما كتبته أمك ؟ ثم استدارت وقالت لأُمها :
والله لو قتلتموني ما أرجع عن رأيي .. ألم
تزوجي أُنْتِ أبي على الرغم من أهلك كما
أخبرني الناس ؟ ثم ألم تهدي أهلك بأنك
تحرقين نفسك إذا منعوك عنه ؟

قالت زينب : فاستخذت أمها واستخذى
شبل . وحضر أخو نعيمة فكاد أن يضرب
شبلا لولا أن جاء أبوه شجاعة فنهزه وأخرجه
من الدار واعتذر لشبل عما فعل ابنه

نفس الفتى من معنى أبكاه . وحين أوى إلى
فراشه تذكر وحصة الكلى في خاطره أنه
رأى صابرا منذ سنتين في الحقل وقد جلس
على حافة قناة كأنما يقى ووضع فيه في قليل من
الماء في قاع القناة كان نصفه طينا فشرب منه
وعجب يومذاك كيف يفعل ذلك ولا يصيبه الضرر

فقدت دار شجاعة الخولى ما عرفت به بين الدور
من مرح أهلها ورضائهم عن حياتهم . وأحس
أهل الحارة بالكآبة تغشى هذه الدار ، فالرجل
دائم الخلاف مع امرأته ، وامرأته عابسة
مهمومة أبدا ، وابنها لا يكاد يكلمها أو ينظر
إليها ، ونعيمة التي كانت بهجة الحارة والتي
كانت لا تدخل دارا إلا ملأها مرحا لا ترى
اليوم إلا صامتة محزونة . ولكن الناس
لا يحارون في تحليل ذلك فهم يعرفون أن
الرجل لا يريد أن يكره ابنته على الزواج من
شبل عملا برأى الواعظ . والمرأة يؤلمها ويشير
عنادها أن ترى الرجل يخالفها بعد موافقة
وهو لم يكن يرد لها طلبا مهما كان ... وكثيرا
ما يشتد الجدل بين الرجل وزوجته حتى
يوشك ذلك الجدل أن يستحيل إلى معركة
وتحدثت زينب بنت صالحة مع بعض
النسوة فقالت : إن نعيمة ثارت في وجه
شبل وعنفته منذ أيام في دارها حين ذكر
صابرا أمامها بالسوء وقالت له إن الشمنة ليست

وشاع حديث زينب في القرية ، وأخذ أصحاب صابر يرتقبون عودته فقد آلمتهم شماتة شبل كما آلمهم حزن نعيمة وشقاؤها وقال من زاروه منهم إنه بخير وإنهم فرحوا حين رأوه فقد أخذت تعود إليه عافيته . وقد أوصى الأستاذ على به الأطباء وزاره أكثر من مرة فاهتم به كل من في المستشفى

تمرت نعيمة ولم تعد تدعن لأُمها فتبقى في الدار لا ترحل ، وشكتها أُمها إلى أبيها فأدار لها ظهره قائلا : ومن تخافين على ابنتك وصابر في المستشفى لا يعلم إلا الله متى يعود ؟ ويرى الناس نعيمة صامته ، تنسجم الأنباء عن صابر ولا تتكلم ، ولا تجرؤ الفتيات أن يعاينها اليوم وللمن يرثين لها

وكانت عائدة من دار زينب ذات ليلة بعد المغرب مهمومة تدور طرحها برأسها ووجهها في صورة حزينة فصادفها على وقد نزل من سيارته على الطريق الزراعي ، فأحست أنه قادم من زيارة صابر ، فنظرت إليه في لهفة . وكان على يعرفها منذ صغرها وكثيرا ما كان يداعبها ، ولم يزل يستوقفها ويضاحكها كلما رآها حتى أصبحت فتاة ناهدا . وإنه ليذكر يوم أن رآها أول مرة وهي في العاشرة أو دونها قليلا فاستوقفها وكانت مع عدد من البنات وقد استرعت بصره بينهن بحمال

وجهها وخضرة عينيها وصفرة شعرها . فسألها عن اسمها فجرت ضاحكة واندست بين أنرابها ولم تجب ...

ونادها هذه الليلة وقد رأى اللهفة في نظراتها ومد إليها يده مسلمات عليها ولثمتها . وأحس أنها تريد أن تسأله عن صابر ، ولكن الحياء يمنعهما فقال لها ضاحكا : احزري من أن أنا قادم . فابتسمت ولم تتكلم وارتسم على وجهها شيء من الاطمئنان ، فقال : إنه بخير وعما قريب تجديته في البلدة . وتخرج وجهها الجميل وتألفت بالغبطة والشكر عيناها وأدارت وجهها عنه في حياء تحاول أن تخفي سرورها . ولما مد إليها يده مودعا لثمتها مرتين في حماسة تعبر له بذلك عن عظيم شكرها إياه

لم يكن يعلم أحد في القرية متى يعود صابر من المستشفى ، وإن كان صحابته وأهله يعلمون أنه تماثل للشفاء . ومضت أيام بعد شفائه ولم يعد . ثم ما لبث أصحابه أن أصبحوا يشفقون عليه من العودة ويتمنون لو امتد أجل بقائه في المستشفى !

وأنزلت سيارة عامة صابرا ذات مساء على الطريق الزراعي في مدخل القرية ، وسار نحو داره من طريق ضيق قلما سلكه من قبل ، هو أقرب الطرق إليها . وراه بعض

الناس قبل أن يقرب من داره ، فكانوا يسلامون عليه مظهرين فرحهم لشفائه ولكنه كان يلمح في وجوههم ما يشبه الرثاء له ، كأنما يخفون عنه مالا يحبون أن يفاجئوه به ، ورأى ذلك جليا في بعض الوجوه فقد كان يرسم عليها في وقت واحد السرور لشفائه وذلك الرثاء الصامت الحزين الذي ينفذ إلى قلبه فيختلج بين أضلاعه ، حتى لقد انتحى بأحدهم ناحية وسأله قائلا « هل ماتت أمي فإني قدرت أنها ستموت وأنا في المستشفى » ولكن صاحبه أكد له أن أمه وأباه وأخته بخير ...

ودخل صابر داره ، فلم يجد إلا فتحية ، فأقبلت عليه مسامة ، وأسرعت فأوقدت المعلقة في الكوة ، فرأى في وجهها رثاء وحزنا كانا فيه أبلغ مما رآه منهما في وجوه الناس ، فدق قلبه وسألها عن أمه فقالت إنها في إحدى الدور القريبة وإنها ذاهبة لتدعوها ... فسألها أخوها ماذا تعمل أمه في تلك الدار ، فبدأ الخزي على وجهها وقالت بعد تردد « تقترض بعض المال لنشترى ذرة »

ثم جلست بجانبه على المصطبة تنظر في وجهه وقد ابيض وانضح لون العصفورين الزرقاوين في عارضيه ، ثم قالت في سداجة لا تخلو من ألم وغمظ « نعيمة تزوجت

يا صابر وزفافها الليلة بعد العشاء » فأسند صابر ظهره إلى الحائط وقد جف ريقه وارتعدت يداه . ومضت أخته تقول وهو ينظر إليها صامتا هادئا « وكانت تبكي ليلة الحناء وتلطم وسط النساء والبنات بيديها قبل أن يحنوها ؛ وكانت أمها تشتمها ونعيمة تقول يا خبيتي يا سوء حظي .. ماذا صنعت يا رب ؟ وبكت بعض البنات والنساء لبكائها . وسمعت من زينب أن أباها لطمها على وجهها حين رفضت أن توكله للعقد وقال لها ستفنعينني في البلدة والله أذبحك وأدفنك الليلة . فلم ترد وظلت تبكي فتعال له الحاج عثمان زوج خالتها تعال إلى المأذون فهي موافقة ونحن شاهدون .. وقالت زينب أيضا إنها ظلت تبكي طول النهار . ورأيتها أنا بنفسى المصر وحولها بعض أقاربها فقالت لأخيها محمد وبعض أصدقائه أليس فيكم رجل ؟ خذوني إلى جهنم .. يا رب أريد أن أموت .. ماذا جنيت يا رب ؟ ثم لطمت وجهها ودعت على أبيها بأن لا تطلع عليه الشمس .. » ثم أجهشت فتحية وقالت « وسمعت بأذني سلفتها زوجة حسن تقول لها « أتبكين لأنك ذاهبة إلى دار خالتك دار العز بدل دار الفقر ؟ وماذا كنت تجدين حول صابر وأهل صابر إلا الجرع والشقاء والعمل مع البنائين ؟ »

فربت صابر على كتف أخته يكفكف دموعها وقال لها في صوت خافت « إذهبي فأخبري أمك بمجيئي » وما كادت تبتعد أخته عن الدار حتى خرج هائما على وجهه لا يدرى إلى أين يتجه ولا أين يبيت ليلته ، فما يطيق أن يبيت في البلدة ، وكان يقف كلما مشى بضع خطوات يريد أن يرجع ليرى أمه ، فإذا عساها تصنع حين تأتي فلا تجده في الدار ؟ ولكنه كان يعود فيمضي مسرعا وما زال مترددا بين المضي والعودة حتى اقترب من محطة السكة الحديد فقابلته إحدى الفتيات فعرفته في الظلام وسلمت عليه هاشة فرحة بشافته ، ولكنها انزعجت لما تراه في وجهه من ذهول واضطراب ، فأدركت ما به . وسألته إلى أين يذهب فقال « سأعبر النيل إلى البحيرة لأعمل هناك » فقالت له « بعد أن تسترد عافيتك ، وهل تقوى على العمل إلا بعد أيام ؟ أمن أجل بنية كهذه تهجر البلدة ؟ العرائس كثيرات يا صابر وأنت ظفرك بألف .. تعال .. تعال ارجع معي » ومدت يدها تمسك كفه فدفعها في رفق وابتسم في هدوء كأنه لا يحس شيئا من ألم أو يأس وهمس بقوله « قولي لأمي إني عائد قريباً و .. وقولي لنعيمة تعيش في هناء مع زوجها

إن كانت تحب أن ترضيني »

سمع الناس الزغاريد بعد العشاء تبعث من ناحية دار الحاج عثمان . ولكنهم مالبثوا أن سمعوا صياح امرأة ينبعث من ناحية أخرى متتابعا متقطعا وتبينوا فيه حرقة الحزن وشدة الجزع . وتساءل الناس ، فقال بعضهم إنها أم صابر كما أخبرتهم بعض النسوة فراح يؤكد هؤلاء أن ابنها مات في المستشفى . وقال البعض إنه جاء الليلة وإبهم رأوه بأعينهم فلمله مات في الدار . ووقف القوم حيرى حتى جاء رجل من ناحية تلك الدار فأخبرهم — وهو يكرر قوله : لا حول ولا قوة إلا بالله — بأن صابرا قتل في المحطة وقد شاع أن سالما هو الذي قتله

وما هي إلا لحظات حتى أسرع كثير من الشباب والرجال والنسوة صوب المحطة ، وقد سبقتهم إلى هناك حسونة أم صابر صائحة مولولة ومعها بنتها فتحية تبكي وتصرخ ، بينما كان أبوه لا يزال في القهوة لا يعلم شيئا

ووقف الجميع منصتين متراحين حول خفير « المزلتان » وهو يحدث الأستاذ عليا وكانت تضع بعض ألغاز الخفير في صرخات حسونة وقد أحاط بها بعض النسوة وأمسكن بذراعيها إشفاقا على وجهها من

اللطمات وهي تقول ولدى ... ولدى . في مرة تقطع أغلظ القلوب ، ودموعها تفرق حديها الدابلين

قال الخفير : لقد كان صابر يحدثني وكان هادئاً مبتسماً ، وقد رثيت له حين علمت أنه عاد الليلة من المستشفى وحين فطنت إلى أنه لم يطق أن يبيت في القرية ، ورحت أهون له الأمر فنظر إلى لحظة وقال يخفى عني ما فطنت إليه من سبب لهجرانه البلدة : ما بقيت بالبلدة وإن استطيع العمل لأكسب قوتي قبل شهر على الأقل كما قال الطبيب ؟ وماذا أصنع يا أخي ؟ هل أتسول وأنا الذي ما أخذت قرشاً إلا بفرق جيبني ؟ ثم تهتد تهتدة طويلة وزم شفتيه كأنما اغترم أمراً وأومأ برأسه مرات وعاد يقول : ما أوجع

الشماتة في الجسد الحر ... هيه كان الله لأمي وصفر القطار واقترب فإرا عني إلا صابر يلقى بنفسه تحت عجلاته . ودق الخفير كففا بكف يعبر عن دهشته ، وأجهش أكثر الفتية والرجال ، ونظر من كان منهم قرب القضبان إلى غطاء يغطي جثة صابر وقد وضع قريبا فانوس ووقف حولها موظفون المحطة والحزن في وجوههم . وبات بعض أصحاب صابر إلى جانبه ... إلى جانب جثته حتى يسمح بنقلها . وعاد الآخرون إلى القرية واجمين دامعين ، فلما مروا بدار الحاج عثمان لم يبالكوا أنفسهم فخطموا المصباح القوي المعلق بيأسها وغفروها بالتراب

محمود الخفيف

رواية شاب هادئ



حل اللغز الذي نشر في العدد الثالث من الرواية تحت هذا العنوان لقد ذكر مساعد النصاراف أنه أطفأ النور حين سمع أقداما على السلم في أسفل البناء ، فكيف استطاع إذن أن يرى في الظلام رقم التليفون حين استدعى البوليس ؟ هذا دليل على اختراع القصة كلها . ولذلك أقن المأمور أنه هو السارق

فكر في الحل



صبة عارية في الحمام !

دخل مأمور البوليس الحمام فوجد جثة بول لوكن عارية وتحت ذقنه جرح طويل يصل ما بين أذنيه والدماء تغطي أرض الحمام الفسيح . فتناول الموسى من فوق حوض الاغتسال وفتحته ونظر في شفرته الحادة ثم ثنى سلاحه وأعادته إلى مستقره في المقبض ووضعها ثانية على حافة الحوض

ونظر المأمور إلى الجثة لحظات ، ثم أتجه إلى الطبيب وكان بجانبه فتسائل بعينيه وهزات من رأسه ، فقال الطبيب إنه يشم عقب سيجارة ، فبحثا عنها فوجداها تحت الجثة . ثم انجها معا إلى المسالون . حيث سأل المأمور سيدرك كنديرك رئيس الجوقة الموسيقية التي كان بول لوكن أحد أعصائها عما يعرفه عن الحادث ، فقال رئيس الجوقة : بعد « البروفة » عادت إلينا « أنا » إحدى مغنيات الفرقة من شقتها في الطابق الأعلى وتناولت عشاء خفيفا معنا أنا وبول في

شقتنا هذه فنحن نقيم هنا معا . وبعد أن شرب بول كأسا من الخمر ذهب إلى الحمام ، وما هي إلا لحظة حتى سمعنا صوتا كالذي يحدثه سقوط جسم على الأرض ، فأسرعنا إلى الحمام وفتحنا الباب فيا هول ما رأينا .. ولم نستطع الدخول فأغلقت الباب واستدعيت الطبيب والبوليس

فسأله المأمور : ألم تلاحظ وجود رائحة دخان في الحمام ؟

فقال رئيس الجوقة : نعم شممت نوعا من الدخان كان يحبه بول

وسأل المأمور الطبيب في كثير من الإشفاق : هل تألم بول كثيرا أيها الطبيب ؟ فقال الطبيب : لا .. لقد مات قبل أن يشعر بالألم شديد كما ثبت لي من فحص الجثة فقال المأمور لرئيس الجوقة : وهذا بالإضافة إلى غيره يجعلني أرى الحادث قتلا لا انتحارا ... فاصحباني أنت وصاحبتك إلى المخفر مقبوضا عليكما .

الرواية : أي قرينة أخرى غير موت بول السريع جعلت المأمور يرى الحادث قتلا لا انتحارا ؟ فكر في الحل يا سيدي القاري فإذا عجزت عنه فانزأ في العدد القادم

ذكرى

مجلة الأدب الرفيع والأسلوب العالي

تجددت

في الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم
لساير العهد الجديد الذي بدأته مصر في الثقافة والحضارة

سبروها : وصل الجديد بالقديم ، وربط الشرف بالغرب على عدى وبصيرة
أقرأها : تزدد فقها في دينك ، وعلمها بلغتك ، وفهما لأدبك ، وسمة في ثقافتك

تظهر كل أحد من كل أسبوع

مطبعة الرسالة



المجلد الخامس - السنة الرابعة



سكرتير التحرير
شمس الحبيب

برل الاشتراك

٩٠ في مصر والسودان
١٣٥ في الممالك الأخرى
٣ ثمن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصة والتمثيل

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

صاحب المجلة
ومديرها ورئيس
تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

٨١ شارع السلطان
حسين بابدين
تليفون ٢٧٤٩٠

العدد الخامس ١٢ جمادى الآخر سنة ١٣٧٢ - أول فبراير سنة ١٩٥٣ السنة الرابعة



فهرس العدد

صفحة	
٢	زاهر الحى أقصوصة مصرية للأستاذ محمود تيمور
١٤	عينان للكاتب الهندى ك. ت. محمد بقلم الأستاذ محمود الحفيف
٣١	ولدها أقصوصة مصرية للأستاذ كمال رستم
٣١	وأخيراً استجبت قصة أمريكية بقلم الأستاذة زينب الحكيم
٤٠	لوسى للقصصى الإنجليزى سومرست موم بقلم الأديب عبد الوهاب محمد
٤٨	الأم للقصصى الألمانى فيلكس سالتين بقلم الأستاذ على كامل
٥٤	أثر الحجر للقصصى الأرمنى باروخان بقلم الأديب ن. ب. ناظريان
٥٨	فتاة السرك أقصوصة مصرية للأديب محمد أبو المعاطى أبو النجا
٦٤	اعتراف القاتل لجى دى موباسان بقلم الأديب عبداللطيف حسن الأرنؤوط
٧٠	الرتلاء للقصصى البرازيلى اويجنس لاسا بقلم الأستاذ إسكندر كرجاج
٧٣	طبيعة الرجل للكاتب الانجليزى رايس ديفز بقلم الأديب حسن فتحي خليل
٨٠	فكر فى الحل بقلم الأديب

زَامِرُ الْحَيِّ

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ تَيْمُورٍ

كنت وأنا في أوج الصبا أسكن حى
«درب سعادة» ، ذلك الحى العتيق الذى
تتراحم دوره ، ويتضايق طريقه ، حتى
لكأن الدور على جانبيه توشك أن تتعانق
ولم يكن رواد هذا الحى كلهم من سكانه ،
فمن بين أهليه طوائف من الناس تختلف
إليه طرفى النهار وبعض الليل ، لا يكادون
يقطعون عنه فى يوم ، ولا يخفى عليهم من
سكانه أحد ، أولئك هم الباعة الجوالون ،
والمفاة من طلاب الصدقات ، وغيرهم من
المرتقة بفنون الملامى وألوان التسلية
وضروب الإضحاك والتفككه

وقبيل الصيف ، أظلتنى أيام الامتحان ،
فالزمتنى الدار أستذكر وأستوعب ، فإذا
ثقلت على الوطأة ، وداربى رأسى ، خرجت
إلى الباب أتخذ به مقعداً يشهدنى
مواكب الطريق

وفما أنا جالس ذات يوم ، صاحخت سمعى
رنات لحن حنون تبعها صفارة من مكان
قريب ، وما برحت هذه الرنات الشجية
توارد على مستبينة وضاحية ، حتى تجلى بها

زامر للحى لم يكن لى به عهد
وجه ضامر عليه سماحة ، ترينه لحية
خفيفة كساها الخضاب ، وزى على سداخته
بادى النظافة رائق الهندام ، ومشية وادعة
مسترخية تتطلع فيها أنظار الرجل إلى
السما ، كأنها تستعمل منها ما يستوى عليه
النعم من إبقاع

وراعنى من لحن ذلك الناي أنه كان
حزين النبرة ، ينبض باللوعة ، وكأنه ينطوى
على سر حبيس يحاول أن يصونه ، ولكن
السرى أبى إلا أن يتسلل فى حنايا النغم ،
كأنما هو نفثة مصدور

صادف هذا اللحن من نفسى هوى ،
بل مس من قلبى الشغاف ، فجعلت أحرص
على الجلوس ساعة الأصيل ، أرتقب صاحب
الناى فى مواعده المألوف ، فإذا مر بى الصوت
وغاب عن سمى الصدى ، أحسست بروحى
تبعه ، هائمة منه

وعلى مر الأصائل تم التعارف بينى وبين
شيخ الناي ، أستوقفه بفض وقت ، وأدعوه
إلى الجلوس بجانبى فى الأحايين

يتفقدني ، فأخذت بكتفه أبادره بقولي :
أنت هنا ؟ .. أطل انتظارك إياي ؟
— حضرت منذ قليل ، وأطلقت صوت
النأي يدعوك

— كنت في المسجد ... لماذا لا
أصادفك فيه ؟

فوجم الرجل ، واكفهر وجهه ، ثم
رجفت شفتاه دون كلام ... فحدث
إليه أقول :

ماذا يقعد بك عن المسجد ؟
— المسجد ؟ المسجد ؟

واستبان الرعدة في صوته وهو يقول :
إنما الأطهار من عباد الله هم الذين يؤمنون
بيوت الله

وما عثم أن استدار عني يفتل ماضيا ،
وهو يلوح لي مودعا بيده . فاقبضت نفسي
مما رأيت ، وبلغت بي الحيرة في شأن الرجل
كبير مبلغ ، وأقسمت لأعرفن من جلية
أمره ما يخفى

ما بال صاحب النأي يتحدث عن الأطهار
كأنهم من طينة غير طينته ، وكأنهم على شاكلة
غير شاكلته ؟ ومن الأطهار إن لم يكن من
بينهم هذا الرجل الذي تنطق سماته وقسماته
بالطيبة والصلاح ؟ ومن أولى بالصلاة من
ذلك الذي يأكل لقمته من كسب حلال ،
في عفة نفس ، وشرف سعي ، لا يشرك

وكان كلانا يأنس بصاحبه ، يجاذبه ألوان
الأحاديث ... أما هو فلا تفرغ له جمعة من
الطرائف والنوادر والحكايات ، يحسن
كيف يرويها خلاصة الوصف ، شائقة العرض ؛
وأما أنا فلا أمل سؤاله في شأنه : كيف
كانت أطوار حياته ، وأية آفاق تقاذفته ؟
فيجيبني إجابة القل الكتوم ، يضمن
بالإفاضة ، ويتحرز من التصريح

ومما كنت التزمت في هذه الأيام التي
أتأهب فيها للامتحان أن أؤدي الفرائض
في أوقاتها لا أتهاون . وكان على مقربة من
دارنا مسجد صغير أقصده طالبا صلاة
الجماعة ، وحضر وقت المغرب وأنا بالباب
أتحدث إلى شيخ النأي ، فدعوته معي إلى
المسجد ، فأشرأب تائه النظر في كبد السماء
وهو يقول مججما :

أعفني ...

ثم لم نفسه يهم بالمضي عني ، وهو يقول
قم لصلاتك .. إني ذاهب في سبيلي !
وهرول في مشيته تخفيه طيات الطريق ،
فوقع تصرفه من نفسي موقع الغرابة ،
واستربت بأمره ، ولكنني شغلت عنه
بإقامة الصلاة

وفي أمسية من الأماسي ، قفلت من
المسجد بعد أداء فريضة المغرب إلى الدار ،
فلمحت شيخ النأي يحوم حول باب الكاؤه

الناس في نقائص الناس ؟

ولبت صاحب الناي على حاله فترة من الزمن ، وهو لغز عصي يستغلق على ، وكأنما زادني هذا الإيهام الذي يكتنفه إقبالا عليه ، وتعلقا به . ولكنني مع ذلك تهيبت أن أقتحم عليه سره ، خشية أن يضيق بي ، فينفّر مني

وتواصل الود بيننا ... أسبغ عليه من عطف ولطف ، وأبته الحديث في خاصة أمرى ، وأطلب مشورته فيما يساورني من مشكلات دنياى . وهو يحضنى النصيح ، ويقدر ثقتي به ، ويكبر ما أستودعه من سرى ، حتى شرع يرفع الكلفة بينه وبينى وكان في الحين بعد الحين يسترسل في إنشاد بعض الأهازيج الريفية التي تنطوى فيها لواعج الحب وتباريح الهيام . وكان هذه الأناشيد تترجم بالكلام ما كان الناي يرسله من أنغام ... فإذا فرغ من إنشاده ، بعث من أعماق صدره تهديدات حارة ، وأفاض في حديث عاطفى مشبوب ، يقص على ما يلقاه الماشقون من ضروب الوجد والحنين ، وما يعترض طريقهم من عقبات وأشواك ، وأنا أخالسه نظرات تستشف ما وراء تلك النفس المعبدة الحيرى !

وبينا كنت يوما جالسا إليه ، وقد ترنم بالنزل ، وقص على ما قص من مصارع

العشاق ، جذبت يده إلى ملاطفا ، وأنا أحلق فيه ، وعلى فمى ابتسامة ، وقلت مباغتاً في صوت رفيق :

يمينا لقد كانت لك عصفورة .. عصفورة طارت من عشك !

فرعدت يد الرجل في يدي ، وزوى بصره عني ، وجمجم يقول :

عصفورة ؟ عش ؟ أية عصفورة ؟ وأي عش ؟

واستأنفت أقول :

يمينا لقد لوعك الحب ، وإن قلبك لينطوى على جرح دفين !

فأطرق يشد على يدي قائلا :

دعنى بربك دعنى .. خلنى وما بى ... إنه سرى !

ثم تغشاه الصمت هنيهة ، وأنظاره تسبح في أعراض الأفق ، وإذا هو تنفرج شفاته ، رقيق الصوت ، حزين اللهجة ، كأنما يناجى نفسه .. يقول :

« .. يحكى أن .. يحكى أن فتى يدعى «سرحان» درج في قرية تسمى «الشباريق» وكان أخوه الشيخ «محمد الرخ» إمام المسجد الكبير في القرية يكفله منذ الطفولة وتدا أحسن تنشئته وتربيته ، فعلمه القراءة والخط ، وأحفظه ما استطاع أن يحفظ من كتاب الله ، واستعان به في خدمة المسجد

وأداء الأذان في مواقيت الصلاة

شغف هذا الفتى منذ صباه برجل ينتسب إلى بعض الطرق الصوفية لا يخلو من لوثة ، أكبر همه النفخ في صفارته ، وترديد الأذكار ليل نهار ، فاتخذ الفتى أستاذا له ، لقن منه فن الصغير ، وروى عنه الأغاني والترانيم

ويوما ، والفتى في نحو السابعة عشرة من عمره ، وقف على رأس الطريق ضحوة يرقب ، فإذا أخوه الإمام قادم بعد غيبة عن القرية نحو شهر . . وراع الفتى أن يرى أخاه قد اصطحب إحدى النساء منتقبة تكسوها الملاة السوداء

من تكون ؟ إن امرأة أخيه قضت نجبتها منذ أشهر قلال ، وما كان لأخيه أن يصطحب من النساء إلا ذوات القربى ، وليس يلوح على هذه المرأة أنها من أهله . . وبينما الفتى في دهشته ، إذ دنا منه أخوه يرغب إليه في أن يحمل عن صاحبته ما في يدها من صرة المتاع ، وهو يقول له :

صافح زوج أخيك !

وعقدت البغلة لسان الفتى ، فشى عاثر الخطا تتنازعه خجلة وفضول . . وهمهم يريد التحية ، ولا يدرى بأى قول نطق ، وما لبث أن تناول صرة المتاع مسرعا إلى الدار

كانت عروس الإمام في زهرة الصبا وضيئة الطلعة ، ما كاد الفتى بمايشها أياما حتى أنس بها أنسا لم يحسه لأحد من قبل . وكما تقادم العهد جد من ألفة الفتى لها ما يملأ نفسه ها ، وبأن له أخيرا على غير شك أنه يهواها ، وأن الهوى يذويه ، فغاله الأمر واستنكف أن تكون له هذه العاطفة النسيمة نحو زوج أخيه . . أخيه الذى هو في مقام أبيه ، ولى نعمته في عيشه كله

وعالج الفتى أن يرد عن قلبه ذلك الهوى الغشوم ، فحرص دوما على ألا يخلو بزواج أخيه ، وتحاشى جاهدا أن يطارحها الحديث ، فكان كأنما ينفخ في النار ، يزيد لها من ضرام ولم يجد بدا من أن يقبر في أعماق نفسه سره الفاضح ، لا سلوى له إلا صفارة من قصب ، يودعها نفثات ملهوفة من صدره المقروح

وضاق الفتى ذراعا بما كان يلحظه من رعاية زوج أخيه له ، وبرها به ، ولا سيما في منيب أخيه . . فإذا خصته بشئ من طريف ما تظهو من طعام ، تأبى أن يقربه ، متاسسا ألوان المعاذير ، وإذا تعالت يممض الأسباب لإطالة حديثها معه ، تعتمد اقتضاب الكلام ، بغية الإفلات

وذات يوم ، والشمس على أهبة الغروب كان الفتى خاليا بنفسه خلف الدار ، آخذا

بصفارته يثبها بجواه ، وهو تائه الفكر
هيمن ، فاستشعر على حين بغتة بأن خلوته
بشوبها طارق . وما إن تلفت حوله حتى
لمحت عينه « هنية » زوج أخيه تواربها
كومة من حطب عن كشب ، وهي ترنو
إليه في سكينه وخشوع ، فملكته رعشة ،
ونفض من فوره بقول :

أنت هنا ؟

فأجابته في صوت عطوف :

حضرت منذ قليل

فقال لها في اضطراب :

ما أتى بك ؟

فكسرت عنها ، وهي تقول :

جذبني صغيرك

ورآها تهدى إليه حتى واجهته ، فقلقت

قدماه ، ينبغى هربا ...

فأمسكت « هنية » بطرف كفه تقول :

ماذا يملكك ؟ لتلبث قليلا ...

فصاح الفتى صيحة مختنق ، وهو يدير

عنها بصره ، وينحيا عنه بيده ، قائلا :

دعيني ... دعيني ...

فهممت تقول له في مسكنة وانكسار :

ماذا يبعثك على كرهى ؟ لم تضيق بي ؟

واستبدت بها نوبة من البكاء والتخيب ،

فأحس الفتى شغاف قلبه يتهتك ، ورأسه

تغلي مراحله ، واقترب منها يقول في تلعثم :

أنا أكرهك يا « هنية » ؟

فأشرعت إليه عينا تشرق بالدمع ، وفي

نظراتها تعرف واستخبار ، فوقف حياها

يحكم أوصاله ، ويقهر عاطفته ، فإذا هي

تلقى برأسها على صدره ، ويداها تتشبثان

بمنكبيه ، وجفناها ينسدلان . وخيل إليه

أنها توشك أن تنهوى ، فألقى نفسه يطوقها

بذراعيه ، وكانت بينهما فورة من تقبيل وعناق

وأنبهتهما من نشوة الصبوة أصوات

حملها النسيم من بعيد ، فتطلعت أعينهما

هنا وهناك ، فاستبان لهما على جسر

الترعة أشباح سيرها وئيد ، فارتجفت « هنية »

وهي تقول :

هذا أخوك في صحبة بعض مستأجرى

أرضه .

وقفزت تدخل الدار ، فآخذ الفتى طريقه

في الحقول يطيل سيره ، وهو يحاول أن

يراجع صحوه من سكرة تلك الساعة

وماد الفتى إلى الدار ، فوافق أخاه جالسا

إلى صينية الطعام ، وقد شرع يصيب عشاءه ،

فلما وقع بصر الشيخ على أخيه ، صاح به

وفي قوله رنة فرح واستبشار :

أين كنت ؟ ما أطيب الليلة ! ... أقبل ...

أقبل ...

فوقف الفتى حائرا لا ينيس ، وواصل

الشيخ قوله متضاحكا :

سنة كلها خير وبركة ... لقد أجرنا الأرض الليلة بقيمة فاقت ما كنا نؤمل ... الحمد لله ... تعال نأخذ نصيبك معي من الطعام فجلس الفتى إلى الصينية قبالة أخيه ، وطفو يأكل ، يده إلى فمه تلقى باللقيات وترجع إلى الصينية تصيب منها عودا على بدء ، وذلك على غير وعى منه ولا تيقظ ، عبثا يحاول أن يهلم ما تشعث من فكره ، ويضبط ما يحتاج من أعصابه

وفي الفينة بعد الفينة تهل « هنية » على الحجرة بجديد من الصحف تارة وبقلة الماء تارة ، وهي تسير ممتعة الوجه ، مسترخية الجفنين ، لا تستطيع لخطوها وزنا وما إن تقبل على الحجرة ، حتى ينعكس الفتى رأسه ، ويمضى في الطعام متشاغلا به عجلا ، ولم تكن « هنية » تلبث إلا ريثما تبضع الأشياء في مواضعها ، وتعود أدراجها على الفور

أما زوجها الشيخ ، فكان متطلقا يثرثر في حديثه عن الإجارة ، وهو بما طفر به مغتبط تياه

وبغته ، والفتى منكب على صفحة طعامه ، تطن حول سمعه كلمات أخيه لا يبي منها حرفا ، أزغجه من غفوته سقطة جسم في الحجرة ، وتحطم بعض الأنية . فالتفت يتفرق الأمر ، فإذا أخوه بهض مسرعا إلى

زوجه ، وقد تهاوت على الأرض ، وانزلت من يدها الصحف ، وسمع أخاه يقول :
ما بك يا « هنية » ؟
فاعتدلت المرأة تصلح شأنها ، وهي تهمهم :
لا شيء ... أصابني دوار
وأنهضها الشيخ بين يديه ، وصحبها إلى مخدعها قائلا لها في تحنن :
استريحى قليلا ...

ولزمها حيناً يعنى بها ويلاطفها ، والفتى ما كثر في مكانه يرقب ما يجري مخبول النظرات ، كأنه تمثال من حجر ، لا يملك لنفسه من حراك

ورجع الشيخ إلى مكانه من صينية الطعام يستأنف عشاءه ، وقال للفتى :
أجهدت المسكينة نفسها في أعمال الدار ولما لم يبادلها أخوه الحديث ، ممسكا عن الطعام ، أردف قائلا وقد رفع إليه بصره :
مالك لا تأكل ؟

فعالج الفتى أن يجيب ، وبعد لأى قال متحشرج الصوت ، يزيغ بصره عن أخيه :
اكتفت ؟

وأعجب ما كان من أمر الفتى أنه كان في هذه الساعة لا يطيق أن ينظر إلى أخيه ، وأن يتابع الحديث معه ... إنه ليجد في نفسه طارئا من الشعور بأنه يمقت أخاه ، وينكر عليه حظه من الحياة !

وهب واقفا يطلب الخروج ، فسمع
الشيخ يقوله له :

إلى أين ؟

— إلى المسجد ، لأغلق بابه ...

وأدبر عن الدار ، تقوده قدماه إلى البقعة
التي كان فيها منذ قليل مع « هنية »
يستمرثان متعة اللقاء ... وما هي إلا أن
طاف يبصره يمنة ويسرة ، ثم انخرط في
نشيج وبكاء ، وظل على حاله فترة ، وكان
روحه تذوب في مسيل الدموع !

ولا ينسى الفتى كيف قضى تلك الليلة
العسراء ، فقد مرت به ساعاتها أوقات تقاذفه
الأركان والجدران ، خلف الدار ، فإذا غلبته
إغفاءة تمثل له شبح أخيه الشيخ شائه الوجه ،
تتلظى عيناه ، في يده يلتصع سيف المسجد
الخشبي ، وما يلبث أن يهوى به على جسد
الفتى في قساوة وضراوة يقطعه إربا إربا ،
فيصحو الفتى مذعورا محموم الأوصال كأنما
يريد أن ينسلخ من جلده

ولم تسكد تنجلي عنه ظلمات الليل ،
وتنضج جبينه أنداء السحر ، حتى سكنت
سورته ، وغشيه سبات ثقيل ... فلما علا
الضحى ، وأراد أن ينهض ، خاتته قواه ،
واستشعر الخور يملك عليه جسده كله ،
فجلس إلى جذع من جذوع النخيل ، والفتور
ينجاب عنه شيئا بعد شيء . وفي الحين بعد

الحين تسنح لمخاطره بعض الصور ، فيثور
عليه الضمير ، وتخزه ندامة

ونادى المؤذن لصلاة الظهر ، فلباه الفتى
قاصدا المسجد ، وهناك وافق أخاه ، فسارع
إليه يعتذر من التخلف بألوان من
الأكاذيب ... وما عثم أن هبط على يد أخيه
مرتجفا يقبلها غير مرة ، وهو يقول :
سأكون دائما طوعك ، أبتغى مرضاتك ..
فكن راضيا عني

فقال له الشيخ في تحنان :

أنا راض عنك دائما ... هداك الله ،
ووفقك للخير ، وعصمك من الشرور
والآثام ...

فسما الفتى بعينه إلى وجه أخيه ،
فطالعه قسماته تتجلى فيها عجة وإخلاص ورضا
وأبى الفتى أن يريم المسجد بقية يومه .
فلما أسدلت العشية أستار الظلمة ، كان الفتى
قد أقسم بينه وبين نفسه على أمر ، وعول
على أن يبر بقسمه أبد الدهر ... لقد لطف
الله به فيما جرى من ملاقاته الأئمة لزوج
أخيه ولن يعود لمثلها ما بقيت فيه حياة

وتوالت على الفتى أيام قضى أكثر
ساعاتها في المسجد ، يطيل الصلاة ، ويكثر
التسبيح ، وكان لا يتوخى الدار إلا عند
الضرورة القصوى ، بمحض من أخيه
لا بد ... فأما « هنية » فكان لا يكلمها

إلا لما في اقتضاب ، متحاشيا أن تلتقي
عينها بعينه ، وأما صفارته فقد هجرها
في مرمى بعيد ، لا ترطبها أنفاسه العذاب !
وانقلب الفتى ناسكا وقور السميت ، صلب
القسمات ، يريد نفسه على ألوان من التقشف
والشظف ، ولكنه أدرك من أمره أنه كان
سريع الذهول ، طالما أخطأ في صلاته ،
وطالما شرد فكره وهو آخذ في تسبيحاته ،
فإذا هو تراءى له أطياف لا يكاد يتبينها حتى
ترتعد فرائصه ، وهو يهمهم :

إنه معها ... إنها له ...

ويرجع إليه ما غرب من صحوه ،
فيضرب جبهته بيده ، هاويا على سبخته ،
يستغفر الله العظيم !

وتواردت الأيام على الفتى تدور به في
آفاق شتى ، يقبل على عبادته حيناً ، وتلعب
به الوسوس والتصورات حيناً آخر ، وهو
في عامة أمره يجاهد نفساً باتت فريسة
الحيرة والقلق !

وبينما يكون الفتى مطمئناً إلى أنه ملك
زمام شعوره ، إذا به بفتة يروعه هتاف تتردد
أصداؤه في أنحاء صدره ، فيدوى في مسمعه
صوت يقول :

إنه معها ... إنها له !

ويخرج هاأنا على وجهه ، لا يعرف إلى
قرار من سبيل

و ذات عشية ، وقد جهده نوازع نفسه
الجياشة ، وطال به التطواف في أطراف
الحقول ، تحت جناح الليل ، ألقي نفسه بعد
لأى تجاه المسجد ، فدخله في استسلام ،
واستلقى على الحصير يبيع لأوصاله أن
تسترخي ، ولوعيه أن يغيب ...

وفيا هو على حاله تلك ، إذ شعر بيد تلمس
كتفه ، فرفع جفنيه يتبين في ضوء القمر
المنساب من الكوة ، وما هي إلا أن وثب
مذعورا كأنما لسعته عقرب !

إنها « هنية » عينا ، زوج أخيه ،
يلسحها في تلك الساعة الواغلة في صميم الليل ،
وفي ذلك المكان الذي ليس فيه شواء
وسألها في تلعم :

فيم جئت ؟

— لم تحضر إلى الدار طوال يومك !

— وما شأنك بي ؟

فتدانت منه تأخذ بكتفه وهي تقول
مبهورة الأنفاس :

لم يبق لي صبر .. جئت لأراك في خلوة ..

— أنسيت يا « هنية » أن لك زوجاً هو

أخي ... أنت له ... أنت له ...

— بل إني لك دون سواك !

وتشبثت بصدره تتعالى تهدياتها وهي

تقول :

لا تكن جافياً قاسي القلب ... كفى

ولم تجد المرأة بدا من التسلل ، صاعدة
إلى سطح المسجد ، على حين أتخذ الفتى
طريقه إلى الباب يفتحه ، ودخل أخوه
مقطب الجبين يقول :

أما زلت تنام في المسجد يا سرحان ؟
أليست لنا دار تسمعك ؟

— سرقنتي إغفائة ، بعد صلاة العشاء
قامتد بي النوم على الرغم مني ...
وجلس الشيخ صامتا بعض وقت ، ثم
استأنف يقول في قلق :
لقد صحوت من نومي ، فلم أجد هنية
في الدار ...

فقال الفتى مأخوذا يماي التللفظ :
كيف ذلك ؟ أين ذهبت ؟
فقال الشيخ هين الصوت :
خرجت ... أتكون قد ذهبت لتملأ
الجرة ؟ أتكون في بيت جارة لها تخبز ؟
فهمهم الفتى :

لا بد أن يكون ذلك ، لا بد ..
وخلا الشيخ لنفسه صامتا هنية ، ثم
نهض قائلا :

هلم إلى الصلاة يا سرحان
ومثل الفتى عن كئيب من أخيه يركع
ويسجد ، وكانت صلاة آثمة باركها الشيطان
وشرع الناس يتوافدون على بيت الله ،
يؤدون له مكتوبة الصبح ، والفتى يقامى

ما كابدت لأجلك من عذاب !
وانتفض جثمان الفتى انتفاضة عارمة
زلزلت كيانه ، وأوقدت فيه نارا حامية ،
فدارت يدها على الفور بالمرأة تطوقها وتهصر
عودها ، وهوى عليها يقبلها منهومة شفتاه ،
وهو يردد في أنفاس تتلاحق :
أنت لي ... لي أنا وحدي !

وليث الفتى مع هنية ساعة من ساعات
النزام العنيف ... ساعة رائعة يستطيع
الفتى أن يقسم لك غير حاث أنه قد أصاب
فيها من النعيم ما لم يصبه أحد منذ خلقت
الأرض ... إنها في حساب الزمن ساعة ،
ولكنها في الحق أحفل عنده بالمتعة
والنشوة من أعمار طوال

نام الفتى وصاحبه متماثلين ، لا يعنيهما
من الوجود شيء ، حتى لاحت في الأفق
تباشير الفجر ، ولم توقظهما إلا طرقات
بالباب . يتبعها صوت ينادى :

يا سرحان ... افتح يا سرحان ..
فقال المرأة للفتى في همس راجف :
هذا أخوك ...

وتواصل الطرق على الباب ، وتابع
الصوت نداه :

يا سرحان ... افتح يا سرحان ...
فوجد الفتى نفسه يجيب على الصوت :
سأفتح ... سأفتح ...

له ، فأفضى إليها يبعض الأمر ، وناط بها
تدبير المخرج

فنهضت المرأة ناشطة إلى دار الشيخ
تهنى إليه الخبر . وما أسرع أن تقلت هنية
إلى دار زوجها تحوطها العناية والتعهد

وأشاعت « أم عبد الجليل » أن هنية
قدمت عليها قبيل الفجر لتخبز ، وصعدت
إلى سطح الدار ، تجلب منه الوقود ، فزلت
بها القدم ، وسقطت تلك السقطة الحاطمة
ومضى يومان ، تكابد فيهما هنية آلاما

ميرحة ، والفتى عائد بتلك البقعة الخالية
وراء الدار ، حيث ارتشف أول قطرة من
غرامه المحرم . فكانت تنوبه ثورات تحتد
به ، حتى ينحى على شعره تقطيعا ، وعلى
جبهته لكما وجيما ، وهو ينغمم تحتنق
الصوت . .

أنا الذى يجب أن يعذب ... أنا الذى
يجب أن يموت !

وقضت هنية نجحها فى الغداة ، وشيعت
جنازتها إلى جبانة القرية على النحو المألوف
فى عرف الريف

وتجد الفتى أول الأمر ، يكبت مشاعره
فى جهد ، فقام بما وكل إليه من شأن المأتم
ولكنه كان يؤدي عمله فى تبلد ووجوم .
وكثيرا ما تزدحم عليه التصورات والأخيلة
فيحس كأنما هو يهوى من حلق ، أو كأنما

من حاله محنة عسراء ، فما شهد أخاه ييارح
المسجد حتى انسل صاعدا إلى السطح وهو
يتلفت ، وما كان أشد دهشته حينما ألقي
السطح خاليا ليس فيه من إنسى . فتوف
يبصره غير مصدق ، وجعل يذرع السطح
متأملا كل رقعة فيه ، حتى كأنه اختبل
وانتهى به الطواف إلى حافة السطح
خلف المسجد ، وأفلتت منه نظرة إلى
الأرض ، فندت من حلقه صيحة مصعوق
وسرعان ما ألقي نفسه ينحدر على الجدار ،
حتى بلغ مسقط هنية فإذا هى ملقاة تن فى
خفوت ، فأقبل عليها فى هلع ولهف ،
وهو يسألها :

ما بها ؟

فماجت أن تجيب فى عناء :

لقد تحطمت يا سرحان ... تحطمت ..
وكانت تمض على شفتيها فى عنف ،
لتكتم التأوه ، فاحتضنها الفتى يواسيها ،
ولا يدري ماذا هو قائل ؟ وماذا هو فاعل ؟
فسمعها تهتمهم :

أوجاعى لا تطاق ... إني أموت !

وما وجد الفتى بدا من أن يحتملها فى
رعاية واحتراس ، والأسى يمزق نياط قلبه
ورأسه تتضارب فيه المخاوف

وانتهى بها بيت « أم عبد الجليل »
وكانت مستودع سره ، عطوفا عليه ، وفيه

هو تنخسف به الأرض

وبعد أيام عراه انقلاب ، فلم يعد يطيق
اللبث في مكان ، وإذا هو يهيم على وجهه
في المطارح القصية ، كأنه ثور انفك من
قيوده ، فهاج وماج

وأسله ذلك بعد حين إلى انهيار وخول
فلزم الدار أكبر وقته ، وهو يحاول جهد
إمكانه أن يتجنب مواجهة أخيه ، فإذا التقيا
على رغم منه وكره ، أحس كأنما أخوه
يوشك أن يسأله :

كيف سولت له نفسه أن يفعل ما فعل ؟
وعلى مر الأيام أحس الفتى بأن سره
ينمو في صدره ، ويكاد ينطق بجزيرته
الشؤمي ، وأن العيون من حوله تقول :

خذوه !

وكان إذا برح الدار ، تنقل في أرجاء
القرية ، متنكبا عن المسجد لا يقربه ، فجاءه
أخوه ذات يوم يسأله :

فيم تخلفه عن بيت الله ؟

فلم يجد الفتى مندوحة من الذهاب إليه
ومعاودة القيام بعمله فيه ... وفيما كان
روح وبجي ، تتمثل له مشاهد ليلته التي
قضاها مع هنية فيه ، فينقبض صدره ،
وتغيم عيناه ، وتنهشه الأفكار السود

ولما جن به الليل في المسجد ، أحس
الخوف يدب في أوصاله ، ويتسرب في كيانه

ولكأن أشباحا مفزعة تدف حوالبه ،
وهمسا راعبا يطن في أذنيه

وما كاد المسجد يخلو من قصاده ، حتى
عمد إلى الباب ليوصده ، وبينما هو في طريقه
إليه استشعر خفق أقدام فوق سقف المسجد
فأرهف السمع ، ولقلبه وجيب دءوب .
فألقي نفسه يهرع إلى السطح صاعدا ،
وترأى له على الحافة طيف يتردد ، فأقبل
نحوه ، فأنهوى الطيف دفعة ، ورن في أذن
الفتى وقع سقطته ، وتتابعت إليه أناته
بتوجع . فأنحدر الفتى على الجدار ليبلغ
مسقط الطيف ، فإذا هو في البقعة السالتى
احتوت هنية منذ أيام جسدا ملقى بئن
في خفوت

وحوم الفتى بسينيه على حذر ومخوف
يبحث عن الطيف ، فلم يجد له من أثر . وما
إن خطا خطوة حتى صادف أخاه الشيخ
قادما من جانب المسجد ، فبوغت بمرآه ،
وما عثم الشيخ أن قال في استنكار :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! .. أنت
هنا ؟ ... فيم بقاؤك في الظلام ؟ !

فوجم الفتى واقفا يدور رأسه ، وتويع
عيناه ، ويبدو ارتباكه واضطرابه ...
واستأنف الأخ قائلا :

ماذا بك ؟ ما الذي تخفيه عني ؟ .. تكلم !
فصاح الفتى في غير وعي :

ونكس زامر الحى رأسه ، وقد نال منه
الجهد ، قتلت وقد شجاني حديثه :
لماذا لا يستغفر الخاطى ربه ، مستأنفا
تقواه ؟ إلى متى يتخلف عن بيت الله ؟
فرفع الرجل وجهه إلى ، وقد برقت
السموع فى محجريه ، وهمهم :
أترى يغفر الله له ما قارف من إثم ؟
أترى ينفسح لمثله المسجد الطهور ؟
وما هى إلا أن اجتذب صفارته من
صدره ، وانكب عليها يوقع الحنا رفيقا
يتفطر من ضراعة وندامة وحنين !

محمود تيمور

لا تسألنى ... لست مجيبك ... هذا
قضاء الله !

فتعجب الأخ من قوله ، وتدانى منه
يتفرس فيه ، فرده الفتى عنه يصيح مخنوق
الصوت :

لا تقربنى ... لا تقربنى !
وانطلق يهيم على وجهه كمن أصابته جنة ..
وكان هذا آخر عهده بأخيه ، وبقرية أهليه
وتقاذفته البلاد على تنائى أطرافها ، يحيا
حياة الطريد الشريد ، لا أنيس له ولا سمير
إلا تلك الصفارة الحنون
وما هو ذا يستقر به الطاف فى هذه
المدينة ، حيث تراه ! ...

مختارات من الأدب الفرنسى

شعرونثر

مجموعة من أروع القصص القصيرة. وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

تاريخ الأدب العربى

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، وتحليل موجز ،
واستيعاب مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

للاستاذ أحمد حسن الزيات

عَيْنَانِ

لِلطَائِبِ الْهِنْدِيِّ كَتَبَ . ت. مَحْمَدُ
بِقَلَمِ الْأَيْتَاذِ مُحَمَّدٍ الْحَفِيفِ

ترى في مما يسترعى انتباهك بوجه خاص ؟
إني بعد هذا كله آدمي كسائر الناس .
أنا رجل قصير ؛ سواد بشرتي كسواد
الفحم ، تحملى ساقان غير متكافئتين طولاً .
أما رأسي المهول فإنه قمة لما في بدني من تشويه
وقبح . وفي وجهي عینان صغيرتان
مستديرتان في محجرين عميقين ، وأنف أفطس ،
وفم واسع غليظ أشبه ما يكون بفم الضفدعة .
وفوق ذلك ترى جهتي الضيقة بين أذنين
أكبر حجماً مما تكون في العادة الأذان .
وتجد كذلك في وجهي علامات تريك مبلغ
ما صنع الجسدري النهم بلحم وجهي حين
بليت به وأنا في الثانية عشرة من عمري .
وفي رجلي اليمنى عرج بسبب سقطة سقطتها
وأنا صغير . حقا إني كومة من القبح . ويقول
لي الناس إني لأول وهلة أمثل لمن يراني
صورة قرد أسود . وليس يضحك الناس
حتماً إذا أبصروا قرداً . وإنما ينبعث ضحكهم
حين يرونني لأنني أشبه القرد وأنا إنسان !
وبينما كنت سائراً في الطريق ذات يوم إذ
سمعت من يقول عني لصاحبه : إن هذا

كل من لهم عين يبصرون بها يضحكون
منى إذا رأوني . ولقد يضحك بعضهم
ضحكات راعدة . وإن لديهم لأبناء مضحكة
يروونها عني . ولكني أعلم ما يقولون وأعلم ماذا
يجعلهم يضحكون كما تنهق الحمر

إن من أسباب ضحكهم وسخريتهم منى
أن لي أيضاً حبيبة كما يكون لأي امرئ
حبيبة . وأكثر من ذلك مدعاة لسخريتهم أني
تزوجتها ! كيف أصبحت عاشقاً وكيف
أصبحت زوجاً ؟ إنهم يجعلون من ذلك
قصة يسوقونها مساق العجائب التي يضحكون
منها ثم يفرقون في الضحك . فإذا استفهمتهم
عن هذه الأعجوبة المضحكة ، أجالوك على
لتنظر إلى نظرة ! وإني لأقف أمامك فإذا

كانت هذه القصة إحدى خمس وأربعين اختارتها
جريدة هيرالد تريبيون الأمريكية للنشر في مجموعة
أصدرتها في كتاب وذلك من بين أكثر من ستين
ألف قصة أرسلت إليها من جميع أنحاء العالم في
مسابقة كانت أعلنتها في القصة القصيرة .
ونذكر بهذه المناسبة أن القصة التي نشرناها
في الممد الثالث تحت عنوان « لماذا » هي التي فازت
بالجائزة الأولى في هذه المسابقة العالمية .
وستنخير من هذه القصص الخمس والأربعين
ما ترجمه للقراء بين حين وحين .

إني لست ألومهما كليهما . وقيم اللام ؟ لقد ولدت . ومن يدري فلعلهما لم يريدوا ولم يتوقعا أن أولد . ولقد حاولنا أن نحفظ بهيكل العائلة ، أنا الذي لم يذو عودي ، وأمي التي لم يهو فرعها ، ولم لا ؟ أما ينبغي لهذه الشجرة العائلية أن تنبثق منها أفرع جديدة . وأن تبقى حية نامية ؟

ولقد أخذت أمي تثير في نفسي الإحساس بالعائلة ، ذلك الإحساس الذي يهيجس . في نفس كل رجل لأنه كائن اجتماعي . فسألتني أمي قائلة ذات يوم : ألم يأن أن تيجي إلى بيتنا بمروس ؟

ولم يفاجئني سؤال أمي ، فأجبتها وأنا أهدهد قلبي المحزون : نعم يا أماه حين تسنح الفرصة

وأخذت أمي تستشير جاراتها اللاتي أبيضت رؤوسهن . وقضت في ذلك عدة أيام . ولما كانت تعود إلى يوما بعد يوم ، ومض الألم في معارف وجهها ، أصبح مزاجها مشكلة تحيرني . وكنت أسألهما كل يوم : ما خطبك يا أماه ؟ فتجيبني قائلة : أوه ...

لا شيء يا بني . وكان يخفق مع هذه الإجابة قلب أم يفعمه اليأس وقلة الحيلة . وتصرم أسبوعان ، ولم تغد أمي تغادر الدار . وأخذ يضحك مني حتى لم يكونوا يضحكون من قبل ! ونظر إلى ذات يوم

الرجل يذكركني بأحدب نوردام ! ومع أني لست أحدب لم أقف مرة لأحتج على مثل هذا . ولست أنا على كل حال من يقطع ماذا تذكر الناس صورتي أو من يذكرونه حين يرونني . على أن ضحكهم مني قد علمني عن نفسي الكثير . وإني لأنكمش حتى ليتداخل بعضي في بعض إذا أبصرت الغانيات يخطرن في حللهن المزركشة الزاهية الألوان ، لأنهن يشحن عني في سرعة كما يفعل البراهمة إذا وقعت أبصارهم على بومة هم منها يتطيرون . وهن حين يرفضن في كبرياء أن ينظرن إلى نظرتهن إلى آدمي ... ويأبين أن يرعين شعوري كإنسان ، حينذاك أشعر أشد ما أشعر بحالتي المحزنة

ولما كنت قد وهبت حاسة إدراك الجمال كما يوهب أي إنسان ، فإني كذلك أستمع بالنظر إلى ما هو جميل ، ولكن الناس يعدون ذلك مني جريمة لا غفران لها . وقصاري القول إن دنيانا هذه تعلم في جلاء أن أمثالي من البشر لا يستحقون أن يعيشوا فيها

لقد مات أبي قبل أن يشرق فجر الذاكرة في نفسي . وهكذا لم يبق لي مما يسمى حياة عائلية إلا حياة أمي المعجوز . وليت شعري على أي أبوى تقع تبعه قبحي المرعب المحزن ؟ أتقع التبعة على أبي ؟ أم تقع على أمي ؟ كلا

رجل وخط الشيب رأسه فقال في كثير من الشفقة على : ياله من مسكين ! لم جهدت أمه لتحصل له على عروس ؟ يا إلهي لم يخلق رجل مثل هذا ؟

وبدأت أستعمل الأصباغ وأتخذ وسائل الزينة سرا . ولبست الملابس الأنيقة ، ولكن ذلك لم يزد الناس إلا سخرية مني وجعل ضحكاتهم أعلى مما كانت . فهل أصبحت أشد قبحا ؟ ذلك ما تبينته بعد حين . فإن الاستحمام لن يجعل من الغراب بحمة كما يقولون

لكي استأنف ما بدأت من قصة . حي أقول إنى أخيرا ، أنا الذي ذكرت لك من صفاتي ما ذكرت ؟ أنا أيضا ، وحدث لي حبيبة ! وأكبر ظني أنك تتوق إلى معرفة قصتي أو الجانب الإنساني من حياتي وأنت لم تعد تطيق صبراعنها . إذن دون هذه القصة لقد طالما تطلعت أن أحب وأن أكون محبوبا . أليس ذلك طبيعيا ؟ وإن قصة حي لقصة عجيبة حقا . فهي تدور حول شابة أحببني ثم ارتضتني زوجا دون أن تلقى بالها قط إلى هيأتي التي نفرت مني جميع الأعين وكرهتني إلى كل الأنفس .

لقد انتهت محاولة أمي لتحصل على عروس بالإخفاق ، فلن ترضى امرأة أن تصبح زوجا لامرئ هو في خلقته بين القرد والإنسان

ولقد أدى بها ألمها من هذا الإخفاق إلى ضرب من الإعياء ، أراه طبيعيا في سن متقدمة كسنها . ثم برحت بها العلة فلم يعطى يرجى لها شفاء ... وأخيرا فإن أمي هذه ، أمي التي كانت تبرد حشاي وتثلج فؤادي المحترق بما تسبغه على من حنانها ، أمي الحبيبة التي ظلت تربط بين نفسي وبين هذه الحياة البغيضة برباط ذهبي من حبها ، أمي التي كانت حياتي ، والتي ترى نوعا من الجمال حتى في قبحي المروع .. أقول إن أمي هذه قضت نحبها من فرط الحزن وخلفتني وحيدا . ولست أذرف الدموع عليها ، فإن تألمها لي لم يدع لها فضلا من قوة لتحمل أكثر مما تحملت .

لم تطل بي الوحدة ؛ فقد حدث بعد أيام أن سمعت نقرات عكاز على الأرض أمام بيتي أعقبها صوت فتاة تقول : أعطني شيئا ياسيدي . شيئا أمسك به حياتي ، وكانت فتاة شحاذة . وعادت تقول : إنى ضريبة أيها السيد فهل من صدقة ؟ فنظرت إليها ثم نظرت إلى عيبتها فبعث مرآها الرثاء في قلبي .. وتفكرت وأنا أنظر إليها وقد نسيت حالي . فقلت لنفسي : يالها من مسكينة ! إنها شابة ولكن ليست لها عينان . فليس يمكنها في حياتها هذه إلا السمع . اللمس ولم تكن هذه الفتاة ذات حسن . ولكن

في المدينة . ولما همت بالخروج سألتها أن
تجى ثانية إلى

وأخذت ليلى تجي إلى بيتي من حين إلى
حين ، ثم أصبح ذلك عادة لها . وصرنا
نتحدث في أشياء كثيرة ، وأحسست أني
أنخفف من أثقال قلبي ومن أعباء حياتي .
وصرت أجد في بعض ساعات الحياة ما يرضى
المرء بالعيش !

والأسفا على عيني ليلى ! لو كانتا تبصران
لرأيا ذلك من جمالها . أليست نظرة المرأة كفيلة
بأن تفقد الرجل صوابه ؟ ومع أنني علمت
ذلك من تجارب غيري من الرجال فأنا
أستطيع أن أدرك معناه . إن قلبي المحروم له
كذلك آمانياته ؛ على أنه ليس بغيب عنى مبلغ
ما في أمنيته هذه من حماقة ... ولكن لم
أعنى ذلك ؟ لعلها لم تكن تتخذ الشحاذة
سبيلا للعيش لو كان لها عينان . ولو أنها
أخذت الشحاذة مولا ، فما كانت لتقبل مني
إلا ما أعطيتها من صدقة . كلا ما كانت عيناها
لتجعلها تجي إلى بيتي وتحدث إلى كل
يوم .. إلى أنا الذي عرفت من صفاتي ما عرفت
ولحظ الناس لقاءاتنا . ولكننا لم نكون
موضع حسد عند أحد . ولقد كنت بسبب
خلقتي التي هي مزيج من القرد والإنسان
موضع سخريتهم من قبل كما علمت ؛ والآن
أمدتهم قصة حبي لفتاة غنياء وتعلقى بها

سمها المتناسق الأعضاء كان يوحى إلى
في روعة الشباب . يالها من بائسة ! إن
ي لمعطف عليها وإنه ليتجه إليها
قلت لها في رفق : تستطيعين أن تدخل
وأن تجلسي هنا لحظة . فدت يدها تتحسس
موضع الباب ، ففهمت وأمسكت بيدها
وقدتها إلى داخل البيت . وكانت هذه أول
مرة تلمس فيها يدي يدها فتاة ، وكان ذلك
وقلبي مثقل بما ينطوى عليه من عواطف
حرينة مكبوتة . ونظرت ثانية إلى وجهها .
فوجدت رونق الشباب في هذا الوجه
البائس ، على الرغم من هاتين العينين اللتين
انطفأ نورهما . ولم يكن صدرها الناهد بميدا
عن صدرى .. وأخذت تسرى في بدني رعشة
كما لو كنت أرتعش من البرد ، قبل أن ألتبه
إلى حالتي هذه . ثم ارتهكت مفاصلي ،
وأحسست بشفتي تنفرجان ، وبأنفاسي تسرع
كما لو كدت ألث .

وقدت الفتاة إلى مقعد في نهاية الشرفة
وقلت لها : تستطيعين أن تجلسي هنا . هل
أحست بارتعاش يدي ؟ لست أدري .
وأعطيتها بعض ما طهوت من طعام
وعملة صغيرة

وقالت لي إن اسمها ليلى ، وأنها تعيش
مع أمها المعجوز في كوخ ذي سقف من
الطين على مقربة من أحد المصانع الكبيرة

بشيء جديد يضحكون منه ! ولشدهما ضحكوا
من هذا الائتلاف بين العمى والقبح ! . إنه
لشيء مضحك .. أليس كذلك ؟

وسألت ليلي ذات يوم قائلاً : ليلي ...
ما ظنك بي ؟ وملاثنى فرحاً ابتسامتها التي
يمازجها الحياء ، فقلت لها : تعلمي يا ليلي ..
إنى أريد أن أعرف رأيك . فقالت في رقة
شديده : هل قلت عنك قط إنك رجل سيء ؟
وأحسست روح الإخلاص في كلماتها
فلأثني ذلك غبطة . وبدأت فسالها دون
سابق قصد ، في لحظة من جيشان العاطفة
أتجيبني يا ليلي ؟ وأحت رأسها في حياء
دون أن تتكلم . وشعرت أن كل ما في الحياة
من جمال وسحر قد اجتمع في هذا المنظر
وانصرفت ليلي عقب ذلك . ليلي ! هاأنذا
كذلك قد أصبح لي اسم أهتف به في شرف
في هذه الدنيا الفسيحة الموحشة ! أجل أصبح لي
من أنتظر مقدمه في لفه ومن أتحرق إلى
لقاءه . وأصبحت حياتي حلوة ممتعة يشبع
فيها الأنس . تلك حياتي التي كنت لا أجد
فيها من قبل إلا الانقباض والعزلة .. أليس
ذلك حظاً عظيماً ؟

إن الذين يسخرون مني هم أعدائي . فإذا
يكون الحال لو أنهم تحدثوا إلى ليلي عن
قبحي وصوتي ! لها هذا القبح ؟ أترأهم فعلوا
ذلك ؟ من يدرى فلعلهم فعلوه . ولكن

لاضير ، فكيف تميز ليلي الحسن الجذاب من
القبح المنفر إذا كانت لا تستطيع أن تميز
النهار من الليل . لقد أخبرتنى أنها ولدت
عمياء . ولست أقول إن ولادتها عمياء هو
حظي الحسن ولكن هل كان ذلك
سوء حظها ؟

وجاءت ليلي في اليوم التالي ولقد كنت
أفكر في زواجي بها وكيف أحقق ذلك
الزواج . أليس يقتضي زواجنا أن يشهده
نائب عن الله كما يحدث في كل رباط مقدس
بين رجل وامرأة ؟ ولكن ما من قسيس
من قساوسة الله يقبل أن يشهد زواجنا :
وإن لذلك لسبباً . إن هؤلاء القسيسين
الذين ينوبون عن الله وجهة نظر دنيوية
لا يفتأون يسمونها روحية . إنى ويلي
زوجان غير متكافئين في نظر هؤلاء . ولذلك
فلن يقدموا لنا معونة مهما قيل لهم في
وضوح وجهر أنه ما من أنثى غير ليلي
ترغب أن تكون زوجاً لي في هذه الدنيا التي
يزيد فيها النساء على الرجال . وفي مثل هذه
الأمور ليس غير نحدي كلمة أولئك الذين
يقولون إنهم ينوبون عن الله والذين يتولون
هذه النيابة في أسماء مختلفة . ولعلك لم تحط
بعد علماً بأنني مسلم

وسألت حطيتي قائلاً : ليلي أتقبلينني زوجاً ؟
وشعرت أنها ارتاعت لسؤالها هذا

أأخذتها منه دهشة . وقد جعلها لا ريب
تذكرها أنى مسلم تفكر طويلا قبل أن
تجيب . ثم سألتني ماذا تقول ؟ وشعرت أن
هناك حدا لما تشمر به هذه الشحاذة العمياء
من عطف على . وعدت أقول لها : ليلي !
حسبك أن تذكرى أنى آدمى قبل كل شئ
وأن الله أرسلك إلى . وما التقاليد والطقوس
إلا من صنع الناس . ونظرت في توسلى
إلى شفيتها المرتعشتين ، وأحسست إحساس
القاتل ينتظر كلمة القاضى . أجل فكانت
هى التى تقضى بأن أحيأ أو بأن أموت .
وظلت ليلي صامته . فقلت لها : تكلمى
يا ليلي إنى أريد أن آويك وأن أحميك
فعدبنى بأن تهينى السعادة

فقلت أخيرا : سوف أجيب سؤلك ،
لقد سمعت من الناس كثيرا من عبارات
الازدراء يرموننى بها ، فكلما مررت بهم
قالوا : هذه حبيبة نصف القرد ؛ وأظنك
حسب أقوالهم لم تظفر بأى قسط من الجمال
فسألتها : وماذا تشمرين نحوى يا ليلي ؟
فقلت : لست أفهم معنى ذلك الجمال
الذى يتحدثون عنه . ولم أر بالضرورة قردا
وعلى ذلك فليست أبالى بما يقولون ؛ وهل كنت
أشعر خلاف ذلك حتى ولو أنهم قالوا إنك
أعظم الناس وجاهة ؟ بقلبي وحده رأيت
الدنيا . وبقلبي أرى الجمال والقببح . إنك

مسلم وأنا هندوكية ، فإذا لم يكن لديك
ما يمنعك من زواجنا فليس لدى ما يمنعى .
لقد حسبت أنه ليس فى هذه الحياة من
يجبى فى إخلاص ، ولكن ..
فقاطعتها فى لهفة : وما محل « لكن »
هذه الآن ؟

فقلت : أجل . هناك « لكن » غليظة
وراء تلك الحرفة المهيضة حرفة التسول .
ليست لدى وأأسفاه أنوثة طاهرة أقدمها
إليك ؟ لقد كان يظما قلبي إلى الحب على
الرغم من أنى عمياء . ولكن وعاء الشحاذة
— وكثيرا ما كان بيت فارغا بالرغم من
شحاذة اليوم كله — كان يضحك ضحكة
شيطانية ساخرة من فراغ بطنى وبطن أى
فلم يكن بد من أن أذعن لطلاب الشهوة
من تلك المخلوقات التى كانت تطرق بابنا
ونحن فى هول الليل . وليس ثمة من فائدة
إذا شعرت نحوى الآن بالاشمزاز بسبب
ذلك . إنه ما من رجل يصع شيئا فى وعاء
شحاذة فتاة بدافع البر . ولقد ظننت أول
الأمر أن ما أبديته نحوى من عطف كان
من هذا القبيل وأرجو أن تنفردلى هذا
الظن السيئ . على أننى اليوم لا أشعر نحو
آدمى غيرك باحترام ومحبة

وقد عقدت الدهشة من كلامها لسانى
لحظات وصدمنى قولها صدمة شديدة فبقيت

ساكتا لا أحير كلاما . وأخيرا قلت لها :
ليلي : إن ما ذكرته هوقصة أناية الرجل ،
تلك الأناية الرخيصة المنحطة ، ولن نخطر
لى هذه القصة على بال بعد الآن . ولم تجب
ليلي بشئ وظلت صامته حتى انصرفت

وحدث الزواج بعد بضعة أيام ، وأحدث
فى القرية ما أحدث من عجب وإثارة فكر
وفضول . فلقد التقينا أنا عبد الله وخطيبتي
ليلي ولم يشهد التقاءنا أحد ، ولم يتم على
عقدنا شهيد يتوب عن الله ، ولا زكأنى
ولا زكاهما . وأقسمنا كلانا أن نكون
شريكين فى الحياة

وازدادت جلبه الضحك من حولنا ،
وازداد فضول الناس وعلت قهقهتهم حين
جاءت ليلي وأما لتعيشا معى فى كوخى .
وأصبح الذين يجعلون من أنفسهم أوصياء
على المجتمع وإن لم يعترف بهم أحد أو
يسندهم قانون ينظرون إلينا ويعرضون
لزواجنا متسائلين فى دهشة ! ولم يفطن
هؤلاء الناس إلى أن وراء هذه القصة ،
قصة حبنا وزواجنا قلبين يحترقان . وحاولت
أن أخفف عن ليلي ، وأن أذهب عنها
الحزن فقلت لها : ليلي ! دعى الناس يضحكون
فإنهم لا ريب مجانين

وأخذنا نعيش معا . وليست أقول إن
حياتنا الزوجية كانت حياة سعيدة من جمع

نواحيها . كانت معيشتنا زوجين مثارا
شديدا للجانب الإنسانى من نفسيتنا . هذا
ما أصف به حياتنا الجديدة . أما عن الناس
فإن ما تواضعوا عليه من أخلاق اجتماعية
وتقاليد دينية ، يتخذون حولنا مظهرا
انتقاميا فظعيا فلا معونة لنا من أحد ولا
تعاون معنا فى أية صورة ؛ وليس ثمة ما يشعرنا
أو يوحى إلينا أننا نستطيع أن نعيش
سعيدين . ولكننا أردنا أن نعيش وقد
أخذنا أهبتنا لنواجه ما يصادفنا من مصاعب
وحدث بعد ذلك حادث جديد . إن
ليلي بسبيل أن تصبح أما . إن تكوينى فى
صورة فردية آدمية ، وإن عماها لم يحولا دون
أن أكون أبا وأن تكون أما . ولقد
تجاهلنا أحاديث الناس وسخرياتهم . وماذا
يهمنى من الناس ؟ إن ما لم أكن أحلم به
من ضروب المسرات قد ظفرت به تباعا
فقد أصبحت محبا ثم صرت زوجا . وهأنذا
بسبيل أن أغدو أبا . لقد توجهت بقلبي إلى
الله شاكرًا نعمه ، فما أعظمه سبحانه ...
يا عيني ليلي اللتين انطفأ فيهما النور ..
إليكما ترجع ههنا !

ولكن المرض . انتاب ليلي وبينها وبين
أن تضع ما فى بطنها شهران . واستدعيت
طبيبا ففحصها ورحت أتوسل إليه أن
ينقذها ، فقال : ليس فى الأمر ما يخيف

وسوف أشفيها . ثم سكت لحظه وسألني :
 أهى عمياء منذ ولادتها ؟ فلما قلت له : نعم
 فحس عينها ثانية ثم قال بعد أن تفكر
 لحظة : إني قادر على أن أرد إليها بصرها
 بعملية جراحية ولكن ذلك مستحيل الآن
 فلندعها حتى تسترد عافيتها بعد أن تضع حملها
 وهزت كلمات الطبيب قلبي من أعماقه
 وهزت شباب نفسي وهزت حياتي كلها .
 ماذا يقول الطبيب ؟ إنه يستطيع أن يعيد
 النور إلى عيني ليلى ! فإذا أبصرت ليلى
 أتراها ترتجف حين تراني وهي لا تعرفني
 إلا بأنني رجل له قلب جدير بأن يحب ؟
 أتراها ساعة تستطيع أن تبصرني تبقى على
 محبتها أيى واحترامى ؟ ماذا ينبغي أن أقوله
 للطبيب ؟ لقد أردت أن أصبح قائلاً لنفسي :
 لا ، إن عينيها لا تطلبان النور . ولكنى
 وجدت نفسي أقول : ليلى ! يقول الطبيب
 إنه يستطيع أن يرى عينيك من العمى !
 ورحت أردد في صورة آلية ماسمته منى
 ولكن كيف أئين لها أن إعادة النور إلى
 عينيها إنما يهدد حياتي من جذورها ؟ أأمنع
 النور عن عينيها ؟ ما هذا الذى أفكر فيه ؟
 وأى شئ يقف الإنسان دون بلوغه ليحتفظ
 بنور عينيهِ ؟ أليس شفاء الإنسان من العمى
 إذا أتيح له حظا دونه كل حظ ؟ إن ليلى
 التى عرفت قلبي وفهمتني من هذه الناحية

حق الفهم لا تدرك الناحية الذنوية من
 نفسى . لقد قالت لي : إذا كنت أستطيع أن
 أسترد بصرى فأنى راغبة فى ذلك كل الرغبة
 ألا تجد سعادة فى ذلك ؟ إنى إذا استطعت
 أن أراك فسيجعلك ذلك تحبني أكثر
 مما تحب

ورأيت الرضا والأمل فى وجهها حتى فى
 مثل تلك الحال من المرض والألم ! أكان
 ذلك لمجرد أن حياة جديدة توشك أن تنبثق ؟
 وكتب الطبيب الدواء وشرح لى كيف
 أسهر عليها وكيف أعطيها دواءه وقال :
 تعال عندي حين تسترد عافيتها بعد الوضع
 وسأحدثك عن تلك العملية حديثا مفصلا
 ولبثت ليلى هادئة . ولكن رأسي كانت
 تعصف به العواصف من فرط تفكيرى ، وكأن
 نارا تلهب ذهني . فذهبت إلى نهاية الشرفة
 وهناك جلست وحدى . إني لا أستشعر
 شيئا من الراحة إلا فى كوخى هذا الصغير .
 وسوف أحرم حتى من هذا القدر الضئيل
 من هدوء البال . ما أضيق مضطربى فى هذا
 الوجود ! ... كلا ... كلا .. إنك لن ترد
 إلى ليلى بصرها أيها الطبيب ! لقد تأمرت
 مع أعدائى الذين يمتهنوننى على قنلى ، ولكنك
 لن تقتلى فسأعجل أنا بقتلك !

لماذا قذفت بالنار على حياتنا ؟ كلا ..
 لست بملوم أيها الطبيب ... إن واجبك أن

وكذبتها فقلت : نعم لقد كنت نسيت
وسأذهب فأراه اليوم وأنظر ماذا يقول . ولقد
كنت أعلم أنى كاذب وكنت كالذى يتقاذفه
الموج . فخرجت من كوخى وعدت إليها
بعد ساعتين أقول لها : لقد مات الطبيب .
وكان ذلك قصارى من القول فإذا عسى أن
أقول أكثر منه ؟ لقد ظننت أنى لن أستطيع
أن أقول حتى هذا الذى قلت ! ولقد عجزت
حتى عن أن أظهر بمظهر الزوج الذى يجب أن
يفرغه ويحزنه بئاً كهذا ، نبأ موت الطبيب
الذى كان يزعم أن يشفى زوجته من العمى !
وكان على بعد ذلك أن أحتفظ فى قلبى الذى
يشحنه الألم بذلك السر الذى تولد من القسوة
والأنانية .. آه .. لقد كان حملاً أثقل من أن
يقوى قلبى على حمله ، وإن ما فعلته ابتغاء الأمن
والهدوء قد قضى قضاء مبرماً على راحة ضميرى
وهدوء بالى إلى الأبد

وأخذت الأيام التعسة تتعاقب يوماً فى
إثريوم . وقد حدث أن رأيت ذات يوم حين
عودتى إلى كوخى منظراً خليقاً بأن يمزق
نياط القلوب ، فقد نسيت أم ليلى أن تخرج
من الحجرة طستاً واسماً من النحاس كان فى
وسطها . واندفعت ليلى صوب سرير ابنها
وكان يبكى ولم تستمن بمكازها فمثرت بالطست
فارتمت على وجهها وتفجر الدم من جبهتها ،
وكان جرحها عميقاً فحملتها إلى المستشفى

تحدب الأمراض . وإن العمى لمرض من
أقبح الأمراض وأشدّها سوءاً ، ولست
بمستطيع أن تقف حياله مكتوف اليدين .
وعلى ذلك يجب أن تهب لها النور وإنك لاتدرى
شيئاً عن حياتى ... ليلى عزيزتى تستطيع أن
ترى ؟ يا إلهى هب لها هذه النعمة التى يجب
أن يسعد بها كل آدمى ... ولكن يجب أن
أكون تراباً قبل هذا .. قبل أن تستطيع
ليلى أن تدرك بعينها ما ذا يكون الرجل
القردى ! وبذلك أعيش فى ذاكرتها وأنا
ذلك الرجل الذى له قلب والذى أحبها فى
إخلاص وآواها . ليت شعرى هل يبقى إلى
الأبد حبها الحالى إياى وما تراه فى من جمال ؟
إن قلبى ليكنى بين أضلعي !

ووضعت ليلى غلاماً .. وعاد فضول الناس
يتعقب هذا الغلام الذى عده سفيحاً . وضحك
بعضهم مقهقها كما تنهق الحمر ! أليس ذلك
أمراً يحمل على الضحك وعلى الاستغراق
فيه ؟ ولكن هذا الغلام الذى ولد لأب قبيح
الشكل وأم عمياء برى براءة كل مولود .
ولقد ورث هيئة أمه وعيني أبيه !

واستردت ليلى عافيتها ، وما كادت تحس
القوة حتى ذكرتني بما حملتني أنا نيتى على أن
أمسك عن الإشارة إليه ، فقالت ألا نذهب
الآن فنقابل الطبيب ؟ ولم تدر أى عاصفة
بعثتها كلماتها فمضت بقلبي

وكانت الشمس قد جنحت للمغرب وأخذت ليلى تنتحب . وأخذت أحس مرارة الألم . وشعرت بأن سرى الذى ينوء به قلبى يوشك أن ينبعث منه على رغى . ورأيت ألا قبل لى بأن أظل قائما حيث كنت . وجاءت أم ليلى بالغلام فوضعتة إلى جانب أمه . وبدأ يصرخ هذا المخلوق الضئيل ولعله اختنق فى ذلك الجو الدرامى الذى أحاط بنا . وراحت تبكى كذلك أم ليلى . ووجدت نفسى بحيث لا أستطيع أن أملك لهم شيئا ولا أملك لنفسى نفعا

وذهبت نفس ليلى الصافية إلى بارئها فى هدوء . ولست أذكر ماذا فعلت حينذاك . لقد وقفت نبضات قلبى ، وزلزل حوله قلبان . وعندئذ غربت الشمس وتكاثفت حولى الظلمة . ولا يزال أولئك الذين لم يدركوا ما كان وراء قبضى الرعب من آلام وآمال والذين لم يقفوا على قصة حبي المعجبية ، يضحكون منى كلما رأونى . وإنى لأسأل نفسى أحيانا : ترى ماذا كانت تصير إليسه قصيتى لو أننى كنت أعهى كذلك ؟

محمود الخفيف

أتراك تشعركا لو أردت أن تضحك الآن؟
لم يعد لدى ما يدعونى إلى الشكوى . ومن ذا الذى يبالي بشكائى ؟

ليلى يا عزيزتى .. يا حياتى ... يا دنياى !
لقد استدعانى أحد الأطباء وقال لى : لا بد أن سقطتها كانت شديدة مرعبة فإن جرحها خطير . ومضيت إلى ليلى وكانت راقدة تتلوى من فرط تألمها وحدثها فقالت وهى تجهش :
أجئتني ؟ إني ذاهبة .. آه لو كنت أستطيع أن أراك مرة واحدة بعينى !

وبدت لى رغبة ليلى هذه الأخيرة امتحانا لمبلغ تحمل . أتراها حزينة لأن الطبيب الذى كان قادرا على أن يرد بصرها إليها قد مات ؟
لقد لاذت بالصمت ...

فقلت لها : ليلى لا تحسبى أن رؤيتك إيائى بعينيك أمر جدير بالأهتمام ، ألم ترى بقلبك النقى الكبير إنى أعلم أنك وحدك فى هذه الدنيا التى رأيتنى كما ينبغى أن أرى . وإن الناس لا يستطيعون أن يرى بعضهم بعضا بأعينهم ، وعلى ذلك فلتطبى نفسا يا عزيزتى ، وستبرئين من مرضك عما قريب وأصغت ليلى إلى ثم أعقب ذلك صمت .



ولكنهم

للاستاذ كما لرستم

أيها الأصدقاء ! لا تهزأوا بي إذا قلت
لكم إنني كنت بسبيل أن أرتكب يوما
جريمة مروعة ! .. إنكم لا تستطيعون أن
تصوروا أن مثلي يقدم على قتل ذبابة ؛
ولكن الحقيقة أنني كنت سأقتل .. لا
رجلا رشيدا .. بل طفلا غريبا لا تعدو
سنه الرابعة !

دعوني أقص عليكم قصتي فهي لا تخلو
من عبرة وعظة !

كنت في السادسة والعشرين حينما غزا
الحب قلبي ! ولم أكن محدود الطالع لأنني
لم أحب عذراء بل تملتت بسيدة فارقت
زوجها بعد أن استولدها طفلا ! وكانت في
التاسعة عشرة حينما تعرفت بها ! ولم
يكن في سماتها شيء ما ينبغي عن أنها سيدة .
كانت تبدو عذراء أكثر من العذارى ..
في جمالها ورشاقها .. وروحها العذبة !
واندفعت إليها اندفاعا جنونيا .. اندفاع
العاشق المسبوه المسلوب الإرادة والعقل !
ومع أنها أنبأتني منذ كان ثفاؤنا الأول أنها
أم لطفل ؛ إلا أنني لم أجِد في قولها خطرا

يهدد حيننا على الإطلاق !
جری كل شيء في مجراه الطبيعي ..
وشعرت أنني في حبها أسعد من على بسيط
الأرض حظا وجدا ! كنا نلتقي في الأماكن
العامة والنزهات الخلوية .. وكان حديثنا
هو حديث الحب الشائق ، ولم يحدث
أن فكرت في طفلها .. فإن حدث هذا كان
تفكيرا سطحيًا لا يبلغ أغوار النفس ..
وأعماق الشعور ! ومع هذا كانت العقبات
تعترض بسبيل سعادتنا ! كنت أعلم أن
أسرتي المحافظة سيهولها العمل الذي كنت
بسبيل أن أقدم عليه ؛ فقد كنا أجمعنا أمرنا
على الزواج .. وكنت أعلم أن هناك غير
ظروف الأسرة ظروفًا أخرى قاسية تجعلني
أروى النظر في هذه الخطوة الجريئة .. خطوة
زواجي من سيدة !

إن الناس سيديرون الحديث عن زواجي
ويذهبون في تأويله كل مذهب .. ولن يخلو
الأمر من فضولي سمج يلقى على مثل
هذا السرايل :

— لم تزوجت من ثيب .. والنداري

كثيرات ؟

ومع أن حياتي الخاصة حرم مقدس ليس لفضولي أو متطفل أن يدس أنفه فيه إلا أن الناس درجوا منذ قديم الزمان على أن يدسوا أنوفهم في حياة الناس رضى هؤلاء أم كرهوا !

كانت هذه الحقائق القاسية تكدر هنائي وتبكر صفوى حينما أخلو إلى نفسى .. ولكننى كنت أنسى كل شئ .. كل شئ حينما أكون بين ذراعيها المبتلين !

وعن لى أن أشرك بعض الصباح .. بعض الأصدقاء في مشكلتى .. وأن ألتبس لديهم صواب الراى فأنكروا على زواجى من ثيب قائلين :

— أياكون أول « بختك » سيدة ؟

كنت لا أعى ما يعنون .. ماذا لو بنيت بثيب أو بفتاة ما دمت أحبها ؟

ترددت طويلا قبل الإقدام على الزواج من حبيبتي ، وشرعت أقابل بين زواجى منها وانفصالى عنها . فلما رأيت أن مجرد خاطرة الفراق عملاً نفسى هلما وقلبي رعبا لم أجده معدى من التسليم بنصيبي القدر وقلت لنفسي إننى مشغوف بها مصبوب عليها ومحال أن أفترق عنها دون أن يؤثر ذلك في نفسي وأعسابى !

وشئت أن أنمق من موقفها بالقياس

إلى ولدها فيما لو تزوجنا فأكدت لى أنها راضت نفسها على العيش بعيدا عنه وأن جدته كفيلة به وقالت والابتسامة الآسرة على شفيتها :

— لن تشعر أبدا بأن لى طفلا !

وتزوجتها !

وبقى زواجى منها سرا مغلقا حتى بالنسبة إلى أقرب الناس إلينا .. ولم أكن رقت أمرى لاستقبال حياتي الجديدة فقبلت أن أدعها بعض الوقت عند أسرته .. وبما أوفق إلى مسكن خاص بنا !

والآن تدبروا أيها الأصدقاء موقفى ...

وانظروا كيف أن خطأ يسيرا قد يكون له كل الأثر في تشكيل حياة الإنسان وتغيير مجراها .. لقد رأيت نمة طفلا غيورا تدفمه النيرة العمياء إلى إتيان أعمال شيطانية ولدت في نفسى نحوه شعور المراء والكراهة والمقت .. هذا الطفل الغرير في الرابعة من عمره لم يكن يدعنا لحظة واحدة نخلو إلى نفسينا .. ونهنا بحبنا

فما كانت تحتويننا حجرة إلا رأينا الباب يصطفق في قوة وعنف ثم تجتلى الطفل واقفا أمامنا بسجنته البغيضة يشرع عينيه إلينا في خقد جنونى ! لم يكن طفلا غريرا بل ماردا صغيرا ! ويظل هذا المارد الرجيم ماثلا أمامنا ليس فيه سوى عيني تدهحان

بالشرر وأراني دون وعي ولا تفكير أراخى
عن أمه ذراعى .. وقد زكت في نفسى
ضده ثورة عارمة .. بينما تصعد إليه بصرها
وتقول له في غضب يشيع فيه الحنان المستور
— ألم أقل لك لا تدخل إلى هنا ؟

ثم تأخذ في ملاطفته إلى أن يزابل الغرفة
ولكنها بمرور الأيام وترادف الحوادث
أدركت بغريزة الأنثى التي لا تخطئ أنى
بدأت أصحو من هدأة الحب الحالم .. وأنى
شرعت أميز الأشياء .. أدركت أن الطفل
الذى لم يكن له أثر في حياتى صار له الآن
كل الأثر

وفي يوم كانت فيه مشاعرى مهتاجة ..
وأعصابى ثائرة، فلم أستطع أن أحتفظ بسمت
المجاملة التى ألفت أن أكسوها وجهى
كلما تلمت الطفل . وقد وقع أن رأيت أحتوى
أمه بين ذراعى فاتجه إلينا وفي عينيه تصميم
وعزم ثم أرمى بكيانه الصغير على أمه
وشرع يجذبها من شعرها ليحررها من بين
ذراعى .. وراحت هى ترسل ضحكاتها
الناعمة السعيدة ؛ وكأنما أدرك الطفل قصور
وسيلته وعجزها فأنهال على ظهرها بقبضتيه
الصغيرتين ضربا ولصقا .. وفي غير وعي
ولا إدراك أهويت بجمع يدي على رأسه
في ضربة مغيظة محنقة . كانت قد أثارت
الكراهية الثاوية في أعماق فى ثور مجنونة

ضد هذا الطفل المدلل .. الطفل الأمين !
تراخت قبضة الطفل .. وراح يحدق في
في ذهول وضعف .. ووقف منا غير بعيد
لا ينتحب ولا يبكي .. وإنما ينظر إلى
وفي عينيه ذلك البريق الإجمالى .. هذا
الطفل الذى كان لا يعدو الرابعة .. والذى
كان الكلام يتعثر على شفتيه ، عدده
غريبى ، فى حبها وحنانها وتفكيرها !
وأدركت بصرى عنه .. وصعدت إليها ..
فاجتليت فى عينها نظرة قاسية .. سرعان
ما تحولت إلى نظرة عاتبة !

وكان فى هذه اللحظة أن عرفت أن حى
لها مهدد بوجود الطفل .. ولم أستطع أن
أدارى عواطفى فعلا وجهى وجوم .. وفترت
قبلاى وخات من الشغف والانفعال ورأيتها
تضمنى إلى صدرها فى قوة وانساب إلى
صوتها الناعم وهى تقول :
— أيها الطفل الكبير .. أفتار من
صغبرى وأنت تعرف أن لك حى كله ..
لك وحدك ؟

ولأول مرة أيقنت كذبها !
وتطلعت إلى ولدها ونهرته ولكنه ظل
واقفا لا يريم فقالت فى غضب :
— أخرج ...

فضى الطفل فى خطوته المتعثرة صوب
الباب وقد استدار إلينا بجسده الأعلى وفى

عينيه نظرات التحدى والمقت !

وتشكل تفكيرى منذ كان هذا الحادث
وشرعت أرنو إلى المستقبل بغير العين التى
اعتدت أن أرنو بها فى الماضى .. لم يعد هو
المستقبل السعيد الهائى الذى طالما رأيته
فى أحلامى ! وإنما هو مستقبل ينفذ بالفشل
ويوحى بخيبة الرجاء !

وكان أقسى ما يحز فى نفسى أن أعلم أن
طفلا صغيرا هو سبب شقوتى وتعاستى وأنتى
لا حيلة لى فى مقاومته ومناهضته لأنه يتصل
بأمه بأسمى المواطف وأرفعها وأبقاها على
الدهر ! وغدا الطفل هو شاغلى الأول ..
كما غدوت أنا شاغله الأول كذلك ! وبات
وكده أن يعكر الصفو الذى يكون بينى وبين
أمه .. وكنت أعجب لدهاء الطفل ومكره
المبكرين فما أن يرانى أخلو إلى أمه حتى
يطالبها بمطالب لا تكاد تنتهى :

— أوى ... أريد أن آكل ...

— أوى ... أريد أن أخلع الحذاء ...

— أوى ... أريد قرشا ...

— أوى ... أريد أن أنام ..

ولم يكن يرغب فى هذه المطالب ، إذا حضرت
له أمه الطعام عزف عنه واجتواه ! وإذا خلعت
له الحذاء عاد فسألها أن تعيد وضعه فى
قدميه .. وإذا تقدمته قرشا ليزايل الغرفة
وقف فى مكانه لا يريم ! وإذا حاولت أن

تهدده لينام ظلت عيناه يقطرتين كأنه
ذئب صغير !

كننا نجلس هى والطفل وأنا ... ثلاثة
نفوس مضطربة ثائرة ! هى تأخذها اللهفة
على ولدها وتحقد على ! والطفل ينفار منى
ويحقد على ! بينما كنت أنفس على الطفل
حب أمه له فحقدت عليهما معا !

وبدأت تعشش فى رأسى الأفكار السود !
بدالى أن شعورى بالضجر لأبنى تزوجت
من ثيب لم يكن أمرا ذا بال بالقياس إلى
ما قاسيته من هذا الطفل الذى أنجبته من
زوجها الأول !

زوجها الأول ... لم لا يضم هذا الرجل
إليه ابنه بعد أن تزوجت أمه ؟ أيها الأصدقاء
تدبروا هذه الحقيقة المؤلمة وانظروا كيف
أن بعض الرجال لا يفكرون بالمستقبل ! هم
يتزوجون وينسلون ثم يطلقون ! ثم تكون
هذه النتيجة للوخيمة .. أطفال هجرهم
آباؤهم . أو تزجت عنهم أمهاتهم ، فتتصدق
نفوسهم الصغيرة ويلقى بهم إلى قلوب غير
رحيمة .. وأيد غير أمينة ... وإذا يحرمون
من الحنان ذلك النبع الصافى ! وهل أملك
إلا أن أعترف بأننى كأحد الذين قدر عليهم
أن يدفع إليهم بطفل من هذا القبيل ، لم
أكن أشعر به فى أعماق نفسى سوى
شعور الاقت ؟

وأقسم لكم غير حاث أنى حاولت
جاهدا أن أجرد من نفسى هذا الشعور
البغيض .. ولكن ذهبت محاولتى كلها
بددا وقبض الريح !

هجرت هذا البيت اللعين حالما عثرت
على مسكن لنا ... وتنفست الصعداء ...
وبدأت أرسم فى خيالى صورة زاهية للمستقبل
المائى السعيد .. هذا هو العش الجميل الذى
كانت صورته تومض فى خيالى .. ها هو ذا
يصبح حقيقة واقعة .. فلا طفل صغير يعكر
هناؤنا ولا أى شئ ...

ودرجت الأيام ولم أر الطفل ... فتبددت
طائفة من هواجسى وأوهامى ... ولكنى
من فرط هلى من الطفل ... تحكمت فى
نسلى من أمه .. كان قد وقر فى ذهنى أنها
ستغير من طباعها وتبدل من سلوكها متى
حملت منى فتطالبنى بأن أضم إليها ابنها ؟
وبعد أن يتعمد ما بينى وبينها .. كيف يمكن
إلا أن أخضع لإرادتها وأنصاع إلى أمرها ؟
وراحت فى أعقاب ذلك تحاول جاهدة
أن تكشف لى عن مفاتها .. وأن تؤكده
لى صدق عواطفها ... إلا أن هذا زادنى
حرصا على حرص ... وأبدالم أفكر فى أن
أغير سلوكى معها . فظللت دائما الحريص
على ألا أنجب منها أبدا ! وبقيت هكذا وقتا

غير قصير موزع النفس مشترك الذهن ...
تتنازعى عوامل الثقة بها والريبة فيها . وغدا
ما بينى وبينها أعصاب حبيب ! فأينا قد
سيطرته على أعصابه كشف عما استتر من
مشاعره ؛ ولكنها كانت حديدية الإرادة
فولاذية الأعصاب .. ولم أكن دونها صلابة
وعزما .. فاستمرت الحرب الخفية بينى
وبينها .. وعلى شفى كل منا للآخر
ابتسامة كبيرة !

وأحضروا الطفل بضع مرات إلى منزلى ،
وكانوا يتركونه إلى أن يأتى المساء فيعيدونه
إلى جدته .. كان هو الطفل الغيور الشرير
الذى يلتمس السبيل إلى التحرش بى !
ووقر فى ذهنى أن والد الطفل لا جرم
بجرم ! إنه كان مزارعا . الانتقام شرعته ..
والفأس أداة هذا الانتقام ... فالذى يجعل
هذه البذرة لا تنحدر إلى ابنه وتترعرع !
والولد كما يقولون سر أبيه ! أى عدل
أيها الأصدقاء فى أن أتحمّل دونه هذا
العيب الكبير ! لماذا يتزوج الرجل وينسل
كالحيوان .. ثم يترك ولده مضيقا مهيبض
الجناح للغرباء ... لأن كان والده برما بابنه
فصدور الناس به أشد ضيقا وبرما !

ورأيتنى بعد هذا تنمو بنفسى وغبية
طائشة ... رغبة مجنونة فى أن أخرب هذا
الطفل وأعذبه وأشقيه ! .. الطفل الذى

وارتدت إليه العافية الغاربة ليطالعي
بسحنته البغيضة . وابتسامته الخبيثة
من جديد !

وجاءتني أمه لتقول لي بعد أن غدا سلبا
معافى :

— سيبقى هنا تحت ملاحظتي وإلا انتكس !
واحتدم الغضب في صدرى لأننى كنت
أنتظر يوم رحيله في صبر أرعن فصحت بها :

— لن يبقى غير هذه الليلة . أتعرفين ؟

وشاع الغضب في وجهها وهى تقول

— بل يبقى . وإلا ذهبت معه إلى أمى !

— اذهبي معه إلى الجحيم !

وزايلت المنزل كأشقى ما أكون إنسانا !

وانطلقت إلى الطريق محتضنا أفكارى !

كانت في الجو نذر عاصفة مقبلة من بعيد !

ولسكننى ظلت ذاهلا بإفكارى عن العاصفة

والوجود والخلق جميعا ! تحقق لي أننى جانبت

الصواب حينما لم أقدر عاطفة الأمومة . كنت

في غمرة عاطفتي سادرا في أوهام الحب وسابحا

في خيالاته فلم أدرك هذه الحقيقة القريبة !

وبعد أن مضيت على وجهى طويلا في

الطرقات دون قصد ولا غاية .. أبت إلى

المنزل لأن السماء أرسلت وعودها وسيولها .

ودلفت من فوري إلى غرفة النوم . وأضأت

النور . رأيتها مستغرقة في النوم والطفل بين

ذراعيها تتجدي به الموت أن ينزعه منها .

بأكل من بيتى .. وينار منى ويحقد على ! ..

الطفل الذى تتربص بى أمه الدوائر كيما

تكهرنى على الإنفاق عليه ! كرهته كراهة

مرة .. !

عدده سارقا ! . مجرما ! . وكنت أشقى

الشقاء الكبير عندما أراه يركض في بيتى

على رغم إرادتى كما يركض الأطفال ، ويلهو

ويلعب كما يلهون ويلعبون !

حدث أيتها الأصدقاء ذات يوم ..

هذا الذى أنا بسبيل أن أقوله لكم ! بعثت

به إلينا جدته مصابا بالتهاب رئوى .

وتركت لأمه أن تسهر على برئه وعلاجه .

خيل إلى بادية الأمر أننى جردت نفسى

من نوازع الشر ، وأننى نسيت كراهيتى

لطفل برى لا يعمى ولا يعقل ! . فذهبت به

إلى الطبيب وأحضرت له الدواء وسهرت

أمه على حقنه بالمصل الشافى ! ..

سنة أيام أيتها الأصدقاء لم يغمض لي فيها

جفن ، حتى أشرفت على الهوس والجنون .

وهالنى في ظل مشاعرى الجديدة أن أرى

الطفل الذى كان بسبيل أن يموت فيخلو لي

الجو مع أمه وتصفو الحياة ؛ تشاء له الأقدار

المصرفة أن يبرأ من مرضه على يدي ..

وأن يتد به العمر ليكون الخطر المائل دائما

السمادنى وهنائى ! . مسح الله مابه . وزايله

المرض ...

وراحت الخواطر تتراكم في ذهني .. وفجأة
برزت من بينها خاطرة فذة ! خاطرة مجنونة !
إن الطفل ما زال في دور النقاهاة ! فلو
فتحت الآن نافذة الغرفة على مصراعها .
ونحيت الملابس والأغطية عن صدره المريض .
في هذا البرد القارس والمطر الهاطل لارتد
إليه المرض عنيفا قتالا !

أدرت هذه الخاطرة في ذهني طويلا وأنا
أنضو عنى ثيابي المخضلة بماء المطر . وما كدت
أفرغ من خلعمها وارتداء منامتي ومعطفي
المنزلى حتى استملت منها نظرة خاطفة .
فرايتها ما زالا مستغرقين في النوم !

نضيت في صمت وهدوء إلى النافذة
وفتحتها على مصراعها . أحسست بتيار
الهواء يندفع إلى الغرفة باردا قارسا مميتا !
ووقفت برهة ألتقط أنفاسي وأقفقف من
البرد . ثم مضيت في خطوات وانية . في
خطوات مخنوقة إلى الفراش . وفي خفة
ولطف نحيت الثياب والأغطية عن جسده ،
وفي لحظة كان صدره المتقصد المريض يتلقى
النفحات الأولى للبرد القاتل !

ومرت لحظات رهيبية راح بعدها الطفل
يسمل ، فاذا الزرقة تملوه ، وإذا أنفاسه

تتلاحق ..

كل شيء كان يسير وفق الفكرة الشيطانية
التي كانت تمشش في رأسي ! كل شيء ..
وينتهي الأمر !

أيها الأصدقاء لا ترموني بالوحشية
والقساوة . فقد رأيت كم هو رقيق ذلك
الحاجز الذي يفصل أشرف الناس وأكرمهم
عنصراً عن الجريمة .. لذلك لم أنجز العمل
الإجرامي الذي شرعت فيه !

استيقظ ضميري فجأة واستهولت أن
أكون قاتلا أثميا . فأتجهت من فوري صوب
النافذة فأغلقتها ، وإلى الطفل فأحكمت
تغطيته بالثياب والأغطية ! ثم هذا كله
في لحظات مرت كأنها الأبد ! ولما لم تكن
بي رغبة في النوم ولا قدرة عليه فقد دلفت
إلى غرفة مكنتي وظللت هناك مسهدا أرقا ...
أقلب وجوه الرأى وفي قلبي كتابة كبيرة !
وعندما طالعتني آخر الأمر بتباشير الصباح .
كنت قد أجمعت رأيي على فكرة واحدة هي
أن أفترق عن الطفل وأمه قبل أن يتمزق
ذلك الستار الرقيق الذي يفصلني كما يفصل
أي واحد منكم عن الجريمة

كمال رستم

وَأَخِيرًا اسْتَجِبتُ

نَقَلَ الأُسْتَاذَةُ زَيْنَةُ الْحَكِيمُ

لقد طالما أصغيت إلى الصدى المروع لوقع
خطواتي في المرايا الخالي ، إنه نغم محزن ،
يبعث في نفسي وحشة أستجير بها من
الوحدة ، فيزداد شجني

يا إلهي أعني على التغلب على هذه الوحدة
الموحشة . وأدركت وجهي نحو باب ملجأ
أبناء الشعب ، ورجوت الله تعالى أن أجد
رضيما هذه المرة لأتبناه ، فقد قرأت في وجه
زوجي « هانك هارت » الوسيم شدة ولعه
بالخلف عندما تركت المزرعة هذا الصباح ،
وقت أن هتف بي « مارجوري » وكأنما
عرف تماما ما انتويته فقال : إذا لم تجدي
رضيما هذه المرة أيضا ، فلا بأس من إحضار
طفل أكبر . ولكنه إذ صرح بهذا لم يقدر
أبدا شدة ولعي وتعطشي لضم رضيع بين
ذراعي ، كما لم يقدر تماما شعوري بالضياح
عندما تكبر المعجول التي في المزرعة ، ولم
تعد تحتاج إلى رعايتي لها . كم رغبت أن
يكون لي رضيع حتى ولو اشتريناه من
السوق السوداء ، كما فعلت أختي « ليلي »
ولكن يا إلهي ... هل نشترى رضيما

كما نشترى صغار المعجول / إلى إذا فعلت
ذلك ورضيت به فإن « هانك » يتأبى
وكرهت مجرد الفكرة أنا أيضا . ولكن
ليلا قد تبنت ابنا رضيما ، وعلقت أملا
كبيرا على أن يصون هذا التبنى حياتها
الزوجية ، وها قد رحلت موققة هي
وزوجها « ركس » من سنة مضت إلى
المدينة محل عمله ، وما زلت أنا وهانك بلا
ولد هنا ، نعم هنا بالريف الهادي

وقابلتني الوظيفة الشرفة بالملجأ مقابلة
لطيفة ، وأخبرتني في ظرف أن الأنسة
« شبرد » الرئيسة تنتظرني ، فهضت من
فوري ، ولم أحاول النظر طويلا إلى صف
الكراسي الذي طالما جلست عليه مع
مثيلاتي تنتظر الساعات الطوال ، وكانت
الكراسي خالية من الجليسات هذا الصباح
ماعدا بنية صغيرة جالسة ، يبدو عليها
الاستقامة والجد ، وترتدي ثوبا قطنيا جديدا
كانت توالى لمسه بأصابعها الدقيقة في حرص
وبينما تقرت على باب حجرة رئيسة الملجأ
رجاء لقائها ، كانت هذه الصغيرة أسرع من

البرق قد وقفت إلى جانب منصدة المشرفة وسمعت الطفلة تسر بالكلمات الآتية في أذنها : هل أنا هنا لأجد أما وأبا اليوم ؟ أرجو أن يكون ذلك ! وما زلت أسمع الطفلة تسأل هذا السؤال بعد أن دخلت غرفة الرئيسة وأغلقت بابها . وسألها إذا كان لديها بالملجأ رضيع أتبناه ؟ فنظرت إلى وابتمت ابتسامة ود ، وطلبت إلى الجالوس لأنها تريد أن تتحدث إلى — ثم أخبرني بأنه توجد أزمة بالنسبة للرضع الذين تطلبهم الأسرات للتبني ، كما توجد صعوبات جد خطيرة لعدم الثقة بإيجاد الوالدين الصالحين لتحمل المسؤولية ، وحدجتنى بنظرة فاحصة دقيقة ، نفحق قلبي وزاد نبضي ، ومضت قائلة : نعم نريد والدين يتبنيان أطفالا كبارا فتغلب على نفسي ملل شامل من جديد ، ولكن عيني الرئيسة اليقظتين ، ونظراتها الثاقبة فتحن طريقا لتفكيرى ، وبددت بأسى ، وفي يسر اختبرت نياتى ، وبلباقة فحست منزلنا العتيق بالزرعة عندما زارتنا ، ثم سألتنا فى تعجب لماذا يريد كل إنسان أن يتبنى رضيعا — فى حين يوجد أطفال اكبر ليس لهم أسر ولا والدون ! ثم قالت مخاطبة إياى : أريد مساعدتك ياسيدة (هارث) لأنى أعتقد أن الأسباب التى أبديتها تجعلك جديرة بأن تتبنى طفلا . وتعلمين

أنا مطالبون بما يحتاج إليه الأطفال ، ولذلك لا تطمئنى أبدا لإيداعهم بين يدى زوجين يريدان حماية زواجهما بتبنى الطفل فحسب ، أو على حساب أسباب أخرى أنانية ، ولكنى أعتقد أنك وزوجك تفكران فى الطفل ذاته وليس فى نفسيكما ، وعلينا أن نحميكما كذلك ، فسنعطيكما طفلا سليما عقلا وجسما ، وأن بعض النقائص لا تظهر فى الرضيع ، أما مع الطفل الأكبر فأنك تميزين ما ستواجهينه . هل رأيت البنية الصغيرة التى تجلس فى الخارج ؟ فقلت إنى آسفة يا آنسة شبرد فإنى لا أحتاج إلى الطفلة الكبيرة ، وشكرتها وأسرعت إلى الخروج ، وتذكرت قول شقيقتى لى بأنه لا فائدة من الحضور إلى هذا الملجأ ، ولا أمثاله من منظمات رعاية الطفولة ، وكان أجدى الطرق لتبنى رضيع هو شراؤه . وأمسكت بأكرة الباب ودفعته فانفتح بعنف ، وأحسست أنه خبط شخصا ، وقد وجدت فعلا جسما صغيرا فى ثوب أحمر وقد انكفأ على وجهه على الأرض الصلدة الملمعة ، فرفعت الطفلة ، وأوقفنها على قدميها ، واستفسرت عن سلامتها راجية ألا تكون قد أصيبت بأذى ، ولكنى لحظت أن فيها قد تورم واحتقن الدم حوله من السقطة على الأرض ، وبدأ كلامها يثقل

ولسكنها قالت وهي تتحسس ثيابها في اهتمام وقلق : « هل أتلّف ثوبى ؟ إن على أن يكون منظرى حسنا إذا كان لا بد أن أجد أما و - و » ثم توقفت عن الكلام متلعثمة وأجهشت بالبكاء ، وانتابها رعب نمت عنه عيناها عندما لست شفتيها التورمتين بأناملها الدقيقة ، ثم ولوت ... فى ؟ ماذا حدث لقمى ؟ ياويلتاه لن يقبل على الآن أحدا

ولم أكن مفكرة حينئذ ، وإنما كنت شاعرة بخيبة أمل الطفلة وكنت جائية بجوارها أواسيها ، ولم أتمالك أن قلت لها : هل تحبين أن تأتى معى لمنزلنا ؟ فانتشر على وجهها الدقيق شئ من التعجب كما لو كان شعاعا مضئاً خارجاً من قرارة نفسها فأضاءه وقالت الطفلة : أتقصدين بهذا أنك ستكونين أمى ؟ فقلت يا إلهى ماذا أقول لها الآن وما قصدت إلا أن أسرى عنها بزيارة للمزرعة فقط ؟ ولكنى قبل أن أجيئها بشئ .. سمعت صوت الأنسة شبرد خلفى ، قالت : كلا يا « جينى » وجذبت الطفلة إليها ، وضمت ما أصابها من رضوض فى رفق ، نعم كلا يا عزيزتى فإن السيدة (هارت) لا تعنى أنها ستبتلاك ، ثم التفتت إلى المشرفة وأمرتها بأن تأخذ الطفلة إلى الطابق الأسفل ، وأن تضع كيسا من الثلج على

شفتيها التورمتين ، وشهدت الإشباع ينطفئ ويتلاشى من عيني الطفلة ، ومشت كالدمية التى لا حراك فيها مع المشرفة ، ومرتا من الأبواب المتحركة ، ثم اتجهت إلى الأنسة « شبرد » وقالت : إنها يتيمة لا يعرف أبواها ، لقد كان قصدك حسنا ، ولكن كان من القسوة أن تمنى الطفلة ثم تخيبي أملها ، وشعرت السيدة « هارت » بما وقعت فيه من خطأ لما نمت عنه عينا « جينى » ، غير أنها خرجت من محاسبة نفسها شبه مقتصرة موضحة أنها إنما تتبنى طفلا لغرض حفظ الذكر ، وقد عاهدت نفسها وزوجها على أن يصبرا حتى يوفقا للطفل المناسب ، ولا ضرورة للمالة الطفلة : على أن هذا لا يمنع من جعلها تشعر بأن أنسانا يريدانها ، ويجب أن يعنى بأمرها وأخبرتني الأنسة « شبرد » عن الطفلة بأنها قد عاشت فى ملجأ اليتيمات مدة طويلة ، وتحتاج إلى تعود حياة المنزل ، ويجب أن تتعلم كيف تعيش فى أسرة تشعر بأنها عضو فيها ، وفرد من صلبها ، حتى لا يصعب عليها ذلك إذا ما سلمناها لمن يتبناها ، ثم ترددت ثانية ولسكنها قالت : لدى زوجان يريدان تبني طفلة كبيرة بعد عودتهما من المصيف ، فإذا رغبت يا سيدتى أن تضيفي جينى فى المزرعة حتى يعودا تكونين أسديت

معروفا كبيرا لها ، على أن تذكرها دائما بأنها معك في أشهر الصيف فقط ، فلم تمنع السيدة « هارت » وصحبته معها في سيارة المزرعة ، ولكن كان يشغل بالها ما قد ينشأ لدى زوجها من ولع بالطفلة ، وكيف يمكنها أن تثنيه عن ذلك ! وصحمت بينها وبين نفسها على أن تتبنى رضيعا قبل أن تقدم على تبني طفلة كبيرة ، وأنها ستسلك لذلك أى طريق

وكان اليوم عاصف الصباح بريح عاتية ، عندما أرسلت السيارة من الطريق الخلفى الموحش نحو المزرعة ، وقد تذكرت ذلك الصباح منذ ثلاث سنوات مضت ، وكنت عائدة من لندن الطبيب لأخبر زوجى عن تقريره الذى يشير إلى عتقى . نعم لم أنس شعور الألم المحض لحرمانى عاطفة الأمومة العملية ، ولن أنسى أبدا ذراعيه عندما احتويتانى ، فكأنما أدخلنى فى سويداء قلبه ، وغمرنى بمطفه ومواساته الصادقة ، بل لقد سرى عنى وهون الأمر بقوله : « سنتبنى رضيعا »

وصبرنا عامين كاملين لعلنا نحصل على الرضيع المناسب ، ولما لم نوفق أشار بأن نتبنى طفلا أكبر ، وحدث أن كنا فى العزبة نتفرج على عجل حديث الولادة ، وبفعل الفريزة وجدتنى أمر بيدي على وبره

الناعم وأقول لزوجى ألا تحب كل شئ صغير ؟ فقال فى بطاء : إني أفضل الصغير ، ولكنى لا أكره من زال بعض همهم ، وأحسست من هذا أنه كان يستدرجنى لأمر ما ، وثقل على الاصغاء

وقلت معترضة : كلاً ثم كلا إن وقت الرضاعة سيكون متاعا لكينا إذا ما وفقنا لرضيع قبل أن يبلغ بنا العمر مبلغا . لنذكر لذة ذلك الطور وآثاره العظيمة «ياهانك»

وماذا يضطرنا لأن نتعب أنفسنا فى تربية طفل كبير قد كون عادات خاصة ، ونشأ مع ناس فى بيئة تختلف عنا وعن وسطنا ؟ وأغضيت عما كان فى صوت «هانك» من نعمة توسل ، ولكنه قال : إن الرضيع لا يبقى رضيعا لمدة طويلة ، وإنما الزمن الطويل الذى يستغرقه اقتلاع ما اعتاده الطفل من عادات هو المهم ، وإن جعل الطفل يشعر بأنه محبوب وفى أمان ، ومعاونته على النمو الصحيح ، وتمييز نفسه الطيبة ، ثم مساعدته على الاستقلال والتحرر منا ، فهذا ما كان ينبغى أن يكون

واجب الوالدين الأول . هذا وإن الطفل فى مراحله الأولى يحتاج إلى الحب والمطف : أما الأطفال الأكبر فهم الذين يحسون كأنهم نبذوا من المجتمع ، وحرموا الاجتماع بقرنائهم ويشعرون بأنه لا سند لهم . قال

هذا « هانك » في سخط وتحد ، ثم أردف قائلا :

لنعمل على أن يكون الطفل رشيدا إلى حد ما ، بحيث يعرف ما سيكون مصيره قبل أن يميز له أبا ربما يكون وغدا لا تفوز الأسرة منه بخير كثير ولا قليل ، ولكني قلت لنفسى : لعله لم يكن جادا في تبني طفل أكبر ، ولكنه قد يكون عول على تبني واحد الآن ، وقد يفرح عندما يعرف في المستقبل أنى صممت على تبني رضيع ذكر ، ليكون ابنا ينمو هنا في المزرعة ، ويحب الأرض والماشية ، ويكون رفيقا صديقا لهانك ، ولنفخر به عندما تعرض مواشينا في المرض ، وليرثنا يوما بعد . وركبت سيارة المزرعة على الفور ، وأخذت معى بعض النقود لشراء الزبد والبيض ، كما أخذت الرسالة التى كتبها لشقيقتى ليلا لتساعدنى على إيجاد رضيع ، وسوف لا يعرف هانك شيئا عن ذلك إلا بعد أن يتم كل شئ .

وحير كنت اتجه إلى الشارع الذى خلف مزرعتنا لأصل إلى الطريق العام المحاذى للمزرعة نظرت إلى حينى وكانت تجلس فى سكون تام إلى جانبي ، وكانت أصابعها الدقيقة تلمس ثوبها الجديد فى فترات متقاربة وبحالة عصبية ، فالتصمت لها وقلت : لقد وصلنا إلى منزلنا مجتازين الشارع الجميل العامر

بالأشجار الباسقة ، فوقفت السيارة ، وظهر فى عينيها شئ من التعجب ثانية وقالت : إن هذا البيت يشبه المنزل الذى قرأت عنه فى بعض القصص ! وقابلنا هانك قرب العزبة وابتدرونا فقال : حسن يمارجيرى لقد وقتت . فقلت له مقاطعة : هذه جينى حضرت لزيارتنا . وقالت الطفلة : سأبقى معكم الصيف كله ، ونظرت إلى فلنسوة هانك الرمادية ثم قالت :

إن شعرك يقف كما يقف شعري أحيانا . فقال : إن هذا التشابه يجعلنا من مشرب متشابه بلاريب ، ثم قال مستفسرا : بربك أحبرينا ما الذى جعلك تظنين بأنا سنتركك تذهبين عندما ينتهى الصيف ؟ وكان فى صوته نوع من الشدة ، وابتعدت جينى عنه خطوتين فى قلق ، كما شعرت مارجيرى بغضب وعدم صبر فى نفسها جعلها تحنق على رئيسة الملجأ التى حملتها مسئولية جينى ولكنها على أية حال هدأت من روع الطفلة ، وطلبت من هانك أن يفرجها على صغار العجول ويلبها حتى تطهو دجاجة للغداء ، فصحب الطفلة كما أمرت زوجته بعد أن حدجها بنظرة ذات معنى ، ورفع الطفلة إلى كتفيه فسرهما ، وخرجا للمرعى . فلما تناول طعام الغداء ظهرت على وجه زوجته تلك النظرة .. نظرة الاتهام ، وطلب إلى الطفلة أن تذهب

لتكتشف الزرعة ، ثم قال لزوجته : لم يكن من العدل نحو هذه الطفلة أن تحضر هنا ، فبدأت مارجيرى توضح لماذا أحضرتها ، وأكدت أنها لا تستحسن فكرة رئيسة الملجأ ، فإنها إذ تعتمد على المعيشة معنا ، سيكون من العسير أن تنتزع لتعيش مع غرباء ، ولكنها أرادت أن تمر بها على الوجود في أسرة بحالة طبيعية قبل أن تبني

فقال هانك وكأنما لم يستمع لما قلت : إن الطفلة تألفنا بسرعة ؛ وقد لفت نظري هذا في اللحظة التي رأيته فيها لأول مرة ، كما حدث لي تماما عندما رأيته لأول مرة ، بل أكثر من هذا أراها تشبهنا ، لهذا يحسن أن نخبر الأنسة شبرد بأننا نريد أن تبناها . فارتج على مارجيرى ولم تدر ماذا تقول ، ولكنها صممت على عدم مفاتيحة الأنسة شبرد في الأمر . وعلى حين فجأة التمت نظرات هانك في عيني مارجيرى ، وقال : إذا كنت حقا تحبينني فلا تعرقليننا هذه الطفلة . وتمت مارجيرى ... إذا كنت أحبه ! عجباً لقد جملة شدة ولعله بأن يكون له طفل غير متزن التفكير ، وأكدت في نفسها قائلة : لا شك أنه سيصلح ، وسينسى جيني عندما يكون لنا رضيع أجمله يحبه ويحبنى أكثر ، وأسرعت بكتابة رسالة أخرى لأختي ليلي

لتعجل بمساعدتي على شراء رضيع كما فعلت . وجاءتني برجوع البريد ، في بضعة سطور أوضحت فيها أنها ستحضر لرؤيتنا أقرب مما تقدر ، وأنها ستساعدنا على الحصول على رضيع . ولم تذكر شيئاً أكثر من هذا ، مما جعلني أرتاب في أمرها لما قرأته من بين السطور غير المنتظمة ، وزاد قلقي عليها أنها لم تذكر شيئاً عن زوجها ريكس — يا لله ! هل يمكن أن يكون وجود الرضيع معهما قد وسع الهوة بينهما بدلاً من تضيقها ؟ حقا لقد أصابني قنوط وحسرة . ومزقت الرسالة حتى لا يراها هانك . . يا إلهي لقد أصاب شقيقتي ما أصابني ، وكنت مشفقة عليها منذ أحضرت جيني إلى منزلنا ، فقد انصرف عني زوجي كاية ، واكتفى بصحبته ، وأهملني إهمالاً مروعا شعرت معه بالوحدة المريرة ، وآلمني افتقاده عطفه كأنما يحول قلبه وبعد عني مسافات طويلة ، وشعرت بالوحدة أكثر وأكثر في الأسابيع التي أتت بعد ذلك ، فدرست الموقف ، وأدركت أن هذا التحول كله يرجع إلى وجود الطفلة جيني بيننا ، فقد التصقت به وتعلقت بصحبته بحيث أخرجت أنا جملة من الحساب ، بل لقد أغرمت به وتبعته في كل خطواته طوال اليوم ، ولكنها معي كانت لا تزال حية ،

على أنها أحبت الثياب الجديدة التي صنعتها لها ، والتي لا ترتديها إلا عندما تذهب إلى الكنيسة ، وتكتفى بالنظر إليها كل ليلة وتطمئن عليها قبل أن تلزم فراشها ، وتنظر إلى في الوقت نفسه ، كأنما تأمل في تضرع أن أزيد من حبي لها ، حتى تبقى معي .

وحدث ذات ليلة وأنا أودعها فراشها أن تعلقت برقبتي قائلة : إني أعجب كيف كان منظر أمي ! قالت هذا في نبرات متهدجة منخفضة ، فصعد الدم من قلبي وكاد يخنقني من شدة التأثر ، وأمسكت يدي ووضعتها على خدها وقالت : لا شك في أنها كانت تشبهك ، ففاض الدمع من عيني وأنا أقبلها وأحييها تحية المساء لتنام ، وأسرعت إلى الخروج من الحجرة ، ووجدت زوجي في الردهة ، وأعتقد أنه سمع كل شيء ، ولكنه لم يذكر لي شيئا عن ذلك حتى نزلنا إلى الطابق الأرضي حيث قال : إنه ليؤلمني كثيرا الطريقة التي تحاول بها جيني أن ترضينا . إنها تريد أن تكون منا ، وحقا سيكون من العسير على فراقها . وساد صمت عميق بيننا ونحن في طريقنا لنجلس في الشرفة . ولقد كانت مفاجأة غريبة أن نرى نوز عربة تشق الطريق بين أشجار السرو الباسقة ، وأدهشني أن رأيت شقيقتي ليلي تنزل من العربة حاملة الرضيع بين ذراعيها

عجبا لماذا لم تخبرنا بمجيئها حتى كنا نستقبلها على المحطة ؟ ولحظت على وجه هانك السؤال نفسه . وهو يحمل حقائبها إلى الطابق العلوي .

إنه كان يحب ليلي ويحترمها على الدوام ، ولكن نظرتة إليها في هذا الموقف كانت أشد تحفظا . وسألت على قائلة : أرجو العذرة من إزعاجك بهذا الشكل على غير موعد . وفي الحق أنني لم أفكر في شيء سوى سرعة مجيئي إليك . وظهر عليها شيء من الضعف والتحول ، وبعض المجز والمزينة ، كما ظهر عليها الوهن من حمل الرضيع المستغرق في النوم فأسرعت إليها وحملتته عنها ، وقلت : لا ينبغي أن تعتذري فأنت حرة تحضرين إلى متى شئت في أي وقت . وشعرت بأن الحمى تنتاب الرضيع وتشل حركته ، فضممته بشغف ، ففتح عيني ، ونظر إلى ثأبها ، ثم أغمضهما في ثقل ، ولكنه بقي مطمئنا بين ذراعي . كانت تنظر إلى « ليلي » في هذه الأثناء ؛ وعلى وجهها مسحة ألم ظاهر ، وسألتني في صوت خنون : أتجيبينه ؟ قلت : نعم ، إني أحبه لدرجة أنني أود لو تبنيته . قلت هذا ونظرت إليها في صمت ، فقالت في صوت عميق متهدج : هذا هو ما دعاني للحضور إليك لأعطيك ابني ، فأني وركس سنفترق ونقض شركة الزواج بيننا ، وكان

يحسن بنا ألا تبني ابنا ، فلم تكن نصلح أن نكون أبوين ، وقد كره زوجي أن يربطه أى قيد ، حتى لقد ضايقه الوقت الذى كنت أصرفه مع الولد مهما كان قصيرا . وعلى أية حال لقد قضى الأمر ، وأنا أفكر فى الطفل وحده الآن ، فقد حرمته من حق الوجود فى الأسرة التى يتحدد فيها الوالدان على حب الأبناء بإيثار ، فقد أحب أحدهما الآخر أول الأمر هذا الحب فقالت مارجورى : ولكنك تحبين الولد فلماذا لا تحتفظين به ؟ ولا سيما أن ركس سينفق عليكما ، أليس كذلك ؟ فقالت ليلي بتأثر : لا أعتقد أنى أستطيع الاعتماد عليه ، لشدة ولعه بلعب القمار فضلا عن أن هناك امرأة تنافقنى كلما تخلصت منها ، وإلى جانب هذا .. فان كل طفل يحتاج إلى أب فلا ترتاعى ، واطمئنى من جهتي فلن أطلبك به بعد الآن . ويمكنك أن تبنيه رسميا وهو لحسن الحظ صغير ، ولن يذكر أنى تبنيته تلك الفترة القصيرة فشعرت حين صرحت بهذا أن الحظ قد هبط علينا من السماء ، ولم أصدق أن هذا الرضيع الذى بين يدي حقيقة موجود ممي ، ولا أنه سيكون ابنا حقا ! ونظرت إليه وسالت دموعى شكرا لله ثم كانت عينا جينى على حين فجأة تنظران إلى فى حيرة وبأس ، وتذكرت قولها : لعمري

كيف كان شكل أُمى ! ولا إخالها إلا تشبهك . لقد شعرت بوهن شديد انتابنى فى صباح اليوم التالى ونحن نتناول طعام الإفطار عندما شاهدت جينى تلتهم كمية كبيرة من البيض المقلى والبسكوت الساخن ، ونظرت إلى فى جد قائلة : إنك طاهية ماهرة ، ولم أستطع مواجهة نظرات زوجي ، وقصرت مشاهداتى على قفزات الطفلة وحركاتها بعد الإفطار وهى بجانب هانك بقرب حظيرة الماشية وهو مشغول يسوس المعجول استعدادا ليوم المعرض ، وكان صوتها الذى ينع من طفولتها يملأ صدهاء هواء الصباح الصافى قائلة : ستفوز (بتشا) المعجلة اللطيفة بالجائزة ، فشعرت بألم ممض فى أعماقى عندما عدت إلى داخل المنزل وكانت شقيقتى ليلي والرضيع وأنا لا نزال بالطابق الأعلى ، واشتد انزعاجى عندما سمعت عربة الأنسة شبرد رئيسة الملجأ تقف أمام الباب ، وعندما ذهبت لاستقبالها وجدت زوجين فى منتصف العمر قد حضرا معهما ، امرأة نحيفة ضئيلة الجسم شعرها ذهبي فاتح ، ولها أنف دقيق ، ورجل نحيل متحفظ متردد ، وقف ساكنا ينتظر أن تبدأ زوجته الحركة الأولى . وأدت الأنسة شبرد مهمة التعريف : هذه السيدة « هارت » وهذان السيد باركر وزوجته ، اللذان سبق أن حدثتك عنهما . لقد حضرا لرؤية جينى

فأشفقت على الطفلة المسكينة ، ولكنى شعرت أنه ليس من واجبي أن أختار أبويها فإن الأنسة شبرد أعرف منى لهذه الأمور وأشد حرصا ، على أنه اتتأبنتى رجفة سرت فى جسمى على الرغم من وجود حرارة الشمس التى كنا عشى تحت أشعتها نحو الحظيرة ، حيث كانت تقف جينى إلى جانب بابها المفتوح ، تلعب وتمرح بحرية وانطلاق فى المزرعة ، وتداعب العجول برش الماء عليها بالفرشة من أناء كبير ، فلما وصلنا إلى الحظيرة قالت السيدة باركر : ما كنت أعلم أن لك ابنة ! وما رأيت قبل الآن طفلة شابهت أباهما مثل ابنتك هذه . فضحكت فى بساطة ولم أعلق بشئ ، وإنما عجبت لتطفلها ، ووثبت جينى فجأة كما لو باغتها إحدى الزواحف المضرة ، وأخذت تنظر إلى آل باركر بانفعال وروع طارىء على وجهها ، لعل المسكينة قدرت ما هناك ! وأوضحت الأنسة شبرد أن آل باركر حضرا ليريا جينى ونظرت السيدة باركر إلى زوجها نظرة ريب قائلة :

لست أدري ، وحسبى أن ينشأ مع أى طفلة كبيرة عادات رديئة تظهر فيما بعد ، وربما كانت هذه الطفلة من ذلك الطراز ، ولكنها ضغطت على كلماتها بعد أن فطنت إلى وجودى بجوارها ، وعادت فأوضحت استغناءها عن فكرة التبني ، فنظرت إلى

جسم الطفلة القوى الدقيق ، وتذكرت قول زوجى مرة ثانية « أن فراق «جينى» سيكون كما لو ضحيت بلحمى ودى . » وتأثرت أشد ما يكون التأثر من موقف السيدة باركر الذى أصابنى فى الصميم كالسهم المسموم ، وقلت : إن جينى ليست من بناتنا ، ولكننا نعاملها كابنتنا ، وأنى أعرف الآن كيف صدق قول « هانك » بأن مسئولية الأمومة ليس معناها مجرد حمل الرضيع بين الزراعين ، والشعور بمجزه واعتماده على غيره . إن الأمومة الحققة معناها معاونة الطفل على مساعدة نفسه ، وتهيئة الجو الملائم للصغير لينمو صحيحا عقلا وجسما واجتماعيا بما يتناسب وطبيعته ، وليكن بعد ذلك حرا

أن ابن « ليلي » فى حاجة إلينا أيضا وسيكونان ابنينا . وسألت الأنسة شبرد إذا كانت تأذن للطفلة أن تختار أبويها ! وراعتنى الطريقة التى حدتني بها ، ولكنى مع ذلك رأيت فى عينيها شيئا من الاطمئنان . وزاد عجبى من أمرها ، ولكنى ارتبت كثيرا فى أنها أحضرت آل باركر بقصد تسلم الطفل . وأغلب الظن أنها أرادت أن توقفنى شخصيا على حقيقة شعورى بالنسبة للطفلة ، فهى سيدة مجربة . ونسيت وجود آل باركر ، وكذلك وجود الأنسة

لوسى

لِلنَّصْنِيِّ الْإِنْجِلِيزِيِّ سِرْسَرْمُومِ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ عَبْدِ الْوَهَّابِ مِجْدِ

التهنئة الحرة

عاشت لوسى خمسة وعشرين عاما
فوجدتها طرازا من النساء فريدا ، ولونا
من الحسان طريفا ؛ فهي لا تعرف للعشرة
الطويلة قيمة ، ولا تحفظ للود حرمة ، وقد
كنت في نظرها رجلا غليظ القلب ، بليد
الإحساس ، سقيم الوجدان ، ساخرا بالدنيا ،
هازلا بالناس ، ولم يكن ليمجبنى ذلك
الرأى منها بقدر ما يمجبنى تعلقها بى ،
وانجذابها نحوى ، فهي لا تفكر مطلقا
أن تخلى بينى وبين نفسى ، ولكنها كانت
دائما تلاحقنى بدعواتها للغداء أو للعشاء
أو للشاي ، وفي بعض الأحيان كانت تهى

كانت ، إذا غبت عن مجلسها ،
لا تذكرنى إلا بلاذع القول ، وقارس
الكلم . وما كنت أستغرب ذلك منها .
فإن لوسى كانت تبغضنى وتضيق بى . وبرغم
ذلك كله كانت دائمة الاحتفال بى ،
شديدة الانشغال بأمرى . أما مصدر ذلك
الاحتفال ، وسبب ذلك الانشغال فقد كان
سدا مغلقا دونى . ولكن مزيدا من رقة ،
وفیضا من حياء كانا يمنعانها أن تصرح
أمامى برأىها فى . وحتى ذلك ما كان يحول
بينها وبين ما تهدف إليه من معنى وما تقصد
إليه من رأى ، فهي تصل إلى ما تريد
بالنظرة العاتبة أو الإيماء الرشيق أو

ذراعى . ونادتنى : أمى ، أمى ، فى صوت خافت
فرح ، وهكذا نادتنى لأول مرة ، بينما كان
هانك ينظر إلينا كأنما نقيم فى سويداء
قلبه . ولم استطع مغالبة دمعى الذى انهمر
من عيني ؛ ولكنها كانت دموع الفرح ،
كانت دموع السلام ، كانت دموع الاستجابة

زینب الحکیم

شبرد فى اللحظة التى جثوت فيها على ركبتى
بجوار جينى لأخفف من يأسها ، وأؤمن
خوفها ، وأطمئنها بأنها ابنتنا ، نعم ابنتنا
التي لن نسمح لأحد أن يأخذها منا ، إلا
إذا أبدت هى رغبة أخرى ؛ وقلت لها
ولسكنك تريدیننا أليس كذلك ؟ فحملت
الطفلة فى وجهى وابتهج وجهها كشروق
الشمس فى اليوم الصحو ، وارتعت بين

لى فى أجازة آخر الأسبوع برنابجا لطيفا فى بيتها الريفى الجميل

وأخيرا اكتشفت سر ذلك التعلق والانبجذاب ، ولم يكن غير الشك والظن : الشك القاتل الذى يقلق مضجعها فى أنى لم أكن أثق بها ، والظنة المبرحة التى تثير أعصابها أنى لم أكن أو من بها . وهذا الشك وهذه الظنة هما الشئ الذى كان يبغضنى إليها وفى الوقت نفسه يربطها بى . وكيف لها أن تريحنى أو تستريح منى وأنا الأوحدين بين الناس الذى لم يكن يرى فيها غير أضحوكة وملهاة ، وقد يصح أنها كانت تحس إحساسا خفيا أنى كنت أبصر وجهها الحقيقى وراء ذلك القناع التفكيرى الذى كانت تبدو فيه ، فما كان يقر لها قرار ، ولا يهدأ لها بال حتى ترى قد أخذت القناع على أنه الوجه ولكن هيهات لما تريد ! ما كنت لأجزم بأن لوسى كانت مدعية مفترية ولكنى كنت دائما أسائل نفسى : أفلحت هذه المرأة فى خداع نفسها كما خدعت الناس من قبل ، أم هى جذوة من دعاية وروح من فكاهة استقرت فى أعماقها تحبب إليها ما تفعل ، وتزين لها ما تقول ؟ وإذا صح ظنى هذا الأخير فربما كانت لوسى تنجذب إلى بوصفى صديقا لدودا لها يقاسمها سرا تخفيه عن الناس أجمعين !

وترجع صلتى بلوسى إلى ما قبل زواجها يوم كانت فتاة صغيرة هزيلة مرهقة رقيقة نحيلة وإنى لأذكر عينيها تينك الواسعتين الجميلتين وقد غشتها سحابة حزن تزيدها جمالا على جمال . وأذكر أن والديها كانا يفتنان فى تدليلها ورعايتها ، ويتنافسان على حبها ومرضاتها . وأذكر أن مرضا أصابها أغلب ظنى أنه الحمى القرمزية ، أورثها قلبا واهيا واهنا مضعضما ، وكان عليها أن ترفق به وترعاه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ولما جاءها (توم ميتلاند) خاطباروع والداها واضطربا ، فاعتقاذاها أن قلبها كان أضعف من أن يدبر بيتا أو يتحمل عبئا ، وأن جسمها كان أوهن من أن يقوم على زوج أو يسهر على ولد ؛ ولكنهما لم يكونا على سعة من العيش مثلما كان توم . ثم أن هذا قد أكد لها أنه مسخر نفسه وما تملك لإسعاد لوسى وإمتاعها ، فلم يجدا بدا من أن يجعلوها أمانة فى عنقه ، ووديعة بين يديه كان توم ميتلاند قويا جميلا ، وكان ضيخا طوالا ، وقد توله فى حب لوسى وتدله ، واعتقد كما اعتقد غيره من الناس أن عمر لوسى معه ، بقلبها ذاك الضعيف الواهن ، سيكون كعمر الزهر أو أقصر ، ولذا أمضى العزم على أن يجعل من أيامها القليلة معه رغدا وبراً وسعدا ، هجر توم أحب أنواع

الرياضة عنده ، ولم ترغب إليه لوسى فى ذلك
إذ أنه كان يسرها أن تراه يخرج للصيد أو
للجولف . ولكن نوبة القلب كانت
تغشاها كلما هم أن يتركها أو يبعد عنها ،
ففتنه ذلك فى رياضته وصده عنها

وقد يختلفان فى أمر من أمور الدنيا ،
أو فى مسألة من مسائل البيت فتكون لوسى
هى المذعنة الخاضعة ، فهى أطوع زوجة
يحلم بها رجل ولكنها ما تكاد تنصاع لما
يرى زوجها حتى يصرعها « القلب »
فتلازم فراشها أسبوعاً أو نحو أسبوع ؛ ثم
بعد ذلك يتجادلان فيما اختلفا فيه من قبل
جدلاً رفيقاً ، فما يقدر توم أن يصرفها عما
انصاعت إليه إلا بعد لآى شديد

شاركتها وتوم ذات مرة فى رحلة خلوية
قصيرة ! كانت إليها مشوقة ، وقد نعمت
بها وابتهجت ، ومشى فيها أميالاً ثمانية
ما ارتفع لها صوت بشكاة ، وفى ذلك
قلت لتوم :

« إنها أصلب عوداً مما تحسب ويحسب
الناس »

ولكن توم هز رأسه هزة من لا يوافق
وقال لى :

لقد عرضت على أربع أطباء القلب فى
العالم ؛ واتفقوا جميعاً على أن حياتها معلقة
بخط واه ولكن لها روحاً لا تقهر

وقد سمعت لوسى مقالتي تلك منه فقالت لى :
« غدا سأدفع الثمن غالياً ، وسوف
أذوق طعم الموت علماً »
ولكنى رددت عليها :
يقينى أنك دائماً قوية جداً لتنهضى بما
تريدى

وتلك حقيقة ، فقد كنت ألاحظ أنها
تغشى الحفلة الساهرة ، تروق لها فترقص
فيها وتمرح حتى الصباح . وتغشى الحفلة
الساهرة تظلم أمامها وتثقل عليها ، فتشعر
بأسقام الدنيا تبرح بها ؛ فيضطر توم
أن يعود بها إلى البيت مبكراً . أما ردى
عليها فأغلب ظنى أنه لم يقع فى نفسها
موقماً حسناً ، فقد رأيت فى وجهها ابتساماً
متكلفاً ورضا مصطنعاً . ولكن عينيها
الزرقاوين الجلياتين كانتا قد حان شرراً ، ثم
إنها لم تستطع أن تحكم نفسها أو تزجر
لسانها فانطلقت تقول لى :

« لكأننى بك تنتظر حتى أسقط مغشياً
على ، فأموت لتسر وترضى »

ولكن لوسى لم تسقط ، ولم يغش عليها
ولم تمت ، ولم أسر أو رض ، فقد عاشت
حتى وارت توم فى التراب

لاقى المسكين حنقه فى رحلة نهريّة اشتد
فيها الصقيع وقرس الماء ، واستأثرت لوسى
بالألحفة والأغطية من دونه . فراح توم

ضحية لنزلة ذلك البرد

مات توم وقد ترك لها ثروة طويلة عريضة
وظفلة صغيرة جميلة . ولا شك أنها رزئت
بموته، ولكنها استطاعت أن تغالب أحزانها
في صبر جميل . وكان أهلها وأصدقاؤها
جميعاً يرون أن لحاقها بزوجها أمر وقت
لا أكثر . فكانوا يرثون لأيريس طفلتها
تلك الصغيرة الجميلة . ولكنهم لا يلتفتون
في ذلك الوقت لأيريس بقدر ما يلتفتون
لأمها لوسى ، فهم جميعاً مشغولون بها ، فما
كان لها أن تحرك أصبعها أو تنشط قليلاً ،
وكيف لهم أن يخلوا بينها وبين الحركة
والنشاط وقد رأوها بأعينهم تسقط صريعة
نوبة القلب ، وتقف على شفة الموت كلما
أخذت نفسها بعمل فيه تعب

لقد أصبحت لوسى في حيرة من أمرها :
فلا ذراع قوية تنكس عليها ، ولا صدر
رحباً تسكن إليه ، وكيف يتأتى لها تربية
تلك الصغيرة أيريس وهي على ما هي عليه من
سقم . هكذا كانت تقول لمن حولها من الأهل
والأصدقاء ، فيسألها هؤلاء وهؤلاء : لم
لا تتزوجين ثانية ؟ فتجيبهم أن ذلك أمر
لا يمكن أن تفكر فيه . أو تفعله وهي في
مرض قلبها . وتزيد على ذلك بأن روح توم
المعز لا شك مباركة أمراً كذلك لو تم ،

وربما كان زواجها خيراً ورحمة بأيريس لو
أقدمت عليه . ولكن من يجرؤ أن يحمل
بنفسه مسئولية الزواج من امرأة ارمضت
جوانحها الآلام ؟

والغريب من الأمر أن أكثر من فتى
تقدم ليحمل تلك المسئولية الضخمة —
مسئولية الزواج من لوسى !

وبعد سنة من وفاة توم كانت صاحبتنا
تسرع الخطأ نحو مذبح الكنيسة لتعقد
قرائنها على جورج هوبهاوس

وكان جورج فتى رائع القوام ، سمح
المحيا . ولم أر رجلاً يقر بالفضل ويعترف
بالجميل كما كان جورج يفعل وهو يقترن
بتلك الأرملة الصغيرة الهزيلة . كانت
تقول له :

« سوف لا أعيش طويلاً يا جورج ،
وسوف لا أكلفك من أمرك رهقاً »

وكان جورج جندياً طموحاً . وكانت
لوسى في عنايتها بصحتها تقضى الشتاء في
مونت كارلو ، وتقضى الصيف في دوفيل .
وقد تردد جورج قليلاً أو كثيراً وهو بهم
بترك عمله . وكانت لوسى في بادئ الأمر
لا تسمع إليه وهو يعرض لحديث الاستقالة
ولكنها خضعت آخر الأمر ، كما كانت
تخضع دائماً ، واستقال جورج من الجيش
ثم أصبح ولا شغل له إلا راحة لوسى

وإسمادها !

وفي السنتين أو الثلاث التي أعقبت زواجها من جورج رأيت لوسى ، بالرغم من ضعف قلبها ، تزين في تبردج ، وتغشى الحفلات في مرج ، وتقامر في جنون ، وترقص في طرب ، وتداعب الشباب في دل وتيه

ولم يكن جورج هو بهاوس في قوة زوج لوسى الأول ؛ فكان يضطر من ساعة لأخرى أن ينمش نفسه بشراب قوى يعينه على عمله اليومي المضني ، بوصفه زوج لوسى .. الثاني ! وكان محتملا أن تتحكم عادة الشرب تلك في جورج فتغضب لوسى وتقلق . ولكن لحسن الحظ شبت نار الحرب ، فالتحق جورج بفرقته من جديد ولم تمض شهور ثلاثة حتى جاءها نعيه

فدحتها الصدمة . ولكنها استجمعت قواها وقررت ألا تستسلم للأحزان فتعصف بها الأحزان ، وألا تجتر الآلام فتصرعها ؛ ثم رأت أن تجعل من كرمها الصغيرة في مونت كارلو مستشفى يستقبل الضباط الناقهين ، ويشغلها عن دنياها تلك الخاوية الباكية ... وكان جميع أصدقائها يؤكدون لها أنها لا تقدر على كل تلك الجهود والاعباء ولكنها كانت ترد عليهم :

إنها ستقتلى . وأنا أعرف ذلك . ولكن ذلك لا يمكن أن يثنيني عن القيام بدوري مهما كان صغيرا

ولكن الجهود لم تضرها ، والأعباء لم تقتلها ، بل بقيت دائما كما كانت قبل أن تقرعها الخطوب . وعاشت عمرها كاملا وكان بيتها في مونت كارلو من أشهر بيوت النقاة في فرنسا ، وأوسعها صيتا ؛ وأبعدها ذكرا ، جمعت بها المصادفة مرة في باريس ، وكانت تتناول الغداء في مطعم بصحبة شاب فرنسي جميل ، وقد علمت منها أنها تزور باريس في شأن من شئون مستشفاها ، وذكرت لي فيما ذكرت أنها سميدة جدا مع ضباطها الناقهين ؛ فهم جميعا يعرفون قصتها فيشفقون على قلبها الضعيف ومزاجها الرقيق ؛ فما يدعونها ترهق نفسها بعمل مضني أو أمر ثقيل ؛ وكلهم يرعونها ويرثون لحالها ؛ كما لو كانوا جميعا أزواجها ! ذكرت لي ذلك ثم أعقبته بنهدة حري أرسلتها في الهواء ! ثم جعلت تقول : ما أتمسك يا جورج ! من كان يظن أنني بقلبي هذا الكسير الضعيف اللدن بالجراح ، يمتد بها الزمن حتى أواريك التراب ؟ فقلت لها :

وما أتمسك توم أيضا ! . ولا أعرف لم لم تسر لذكر توم . ولكنها قابلتني بالتهامة

صفراء باهتة. ثم رأيت عينيها الزرقاوين الجميلتين تسبحان بدمع سخين . ثم أخذت تقول لى : إنك تبدو كمن يحسدنى على الأيام القليلة التى أقدر أن أعيشها ! فرددت عليها قائلاً : ولكنى أظن أن قلبك تحسن . أليس كذلك ؟ فأجابتنى :

لن أصير إلى خير من ذلك مطلقاً . لقد كنت فى زيارة متخصص كبير هذا الصباح ، وقال لى يجب أن أكون مستعدة لأسوأ الظروف والمفاجآت ! فقلت لها : أجل ! لقد كنت مستعدة لذلك طيلة العشرين سنة الأخيرة ..

ولما وضعت الحرب أوزارها ، استقرت لوسى فى لندن . وكانت يومئذ فى أواخر شبابه وأوائل كهولتها ، شاحبة الخدين ، واسعة العينين ، نحيلة الجسم ، هزيلة الأعطاف ولكن سنهال لم تبد يوماً واحداً أكثر من الخامسة والعشرين

وكانت أيريس ابنتها فى ذلك الحين طالبة بالدرسة . قد اكتمل عودها وأمتلأ جسمها وقد جاءت لتعيش أمها . وكانت لوسى تقول : إنها سترعانى وتقوم على أمرى . وقد يثقلها أن تلازم سيدة عليلة سقيمة مثلى . ولكن أيامى معها لن تطول ، فسوف لا تبهرم بذلك أو تشقى .

كانت أيريس فتاة دمثة الخلق ، حلوة الطبع ، رقيقة الشعور ، وقد شبت وهى تسمع أن صحة أمها فى خطر دائم . وأن لاشئ مطلقاً يجب أن يكرصفوها أو يقلق خاطرهما وكانت لوسى تقول إنها سوف لا تسمح لفتاتها الصغيرة أن تضحى بنضرة شبابها وزهرة أيامها فى سبيل امرأة عجوز مثلها . ولكن قولها ذاك لم يجد عند فتاتها الطيبة أذناً صاعياً أو قلباً واعياً ، فالأمر عند أيريس لم يكن أمر دين تقى به لأمها ، ولم يكن أمر تضحية تبذلها لصحتها .. وإنما كان سعادة وفرحة ورضى تحسبها جميعاً وهى تسمى لتسعد أما عزيزة بأئسة كأمها

وبين التهديدات والزفات كانت لوسى تسمح بأن تضحى كثيراً ، وتضحى دائماً .. كانت لوسى تقول : أن أيريس تسركثيراً إذ ترى نفسها قد شبت عن الطوق ونضجت وصارت شيئاً كبيراً يعمل فينفع . وكنت أسألها :

ألا ترين أنه يحسن أن تعطى الصغيرة فرصة أكبر لتذهب هنا وهناك — تروح عن نفسها ، وتلعب مع لدااتها ، وتنعم بوقتها وشبابها ؟ فترد على لوسى :

ذلك ما أقوله لها دائماً . ولكنى قد عجزت أن أجعلها تسعد بأيامها ، وتنال من الحياة أطايبها وثمارها .. فأيريس لا تسمع لى

كلما . والله وحده يعلم ما إذا كنت أرغب
أن أرى أحدا يشق لأجلي أو يضحي بحياته
لحياتي . ولكنني عندما عاتبت أيريس على
مسلكتها ذاك قالت لي :

يا لأمي المسكينة ! إنها لترغب إلى أن
أزور صديقتي ومعارفي ، وأن أغشى السهرات
واشترك في الحفلات ؛ ولكنني ما أكاد أهم
بمغادرة البيت حتى يصرعها قلبها — ذاك
الليل . ولهذا فأنا أفضل دائما أن أبقى
بجوارها أقوم عليها وأرعى حالتها

وكانت سهام كيوييد قد عرفت طريقها
إلى قلب الصغيرة أيريس . وكان فارسها
شابا رقيقا من أصدقائي . ولما طلب إليها
أن تزوجه وافقت على ذلك وارتاحت إليه .
وقد اهتزت للنبا وطربت . فأيريس كانت
أثيرة عندي ، وكنت سعيدا جدا إذ أن زواجها
كان سيهيء لها حياة أسعد وأجمل من حياتها
مع أمها . ولكن صباحا أصبح وإذا بخطيبها
ذاك يأتيني محزونا كئيبا ليخبرني بأن زواجه
قد تأخر إلى أجل غير مسمى . إذ أن أيريس
قد شعرت بأنها لن تستطيع أن تتخلى عن
أمها . وبالطبع أن الأمر لم يكن أمري . ولكن
وجدت نفسي أقرع باب دار لوسي . وكانت
يومئذ قد تقدمت بها الأيام وبدأت عليها آثار
السنين ، وأحاطت نفسها بجماعة من الأدباء

والكتاب والفنانين يغشون ندوتها كل يوم
في الأصيل ، يتناولون أقداح الشاي
ويتجاذبون أطراف الحديث أشتاتا وألوانا
قلت لها بعد أن استقر بي المقام قريبا منها :
سمعت أن زواج أيريس لن يتم ! فقالت لي :
أنا لا أعرف من أمر ذلك شيئا . ولكن
أيريس تبدو كمن لا تريده قريبا . وقد توسلت
إليها ألا تفكر في أمري . ولكنها تصر
وتحرص على ألا تتركني وحيدة في محنتي
هذه ! فسألتها :

ألا ترين في ذلك سحقا لقلبها ، وعصفا
بجربها ؟ فأجابت :

صحيح ما تقول . ولكن الأمر لن يطول
فما هي غير شهور وأكون قد فارقت هذه
الدنيا . وشد ما يحزنني أن أرى أحدا يضحي
بشيء من أجلي . فقلت لها وقد عيل صبري :
عزيزتي لوسي ! لقد وارىت الثرى زوجين
ولا أرى ما يمنعك أن تلحقيهما بآتين آخرين !
فخدجتنى بنظرة ملؤها الخبث والمكر
وجعلت تقول : أترى في كلامك هذا مزحة
أو دعاية ؟

فقلت لها : ألا يدهشك يا لوسي أنك
ترغبين في الأمر فتندفعين إليه كالإعصار
لا تلوين على شيء حتى تؤديه كأحسن ما يكون
الأداء ! ألا يدهشك أن قلبك هذا الذي
ترمينه بالوهن والضعف لا يصدك إلا عما

تكرهين؟! فقالت لى :

آه . أنا أعرف سوء ظنك بى . إنك لا تكاد تفطن إلى أى مكروه يلم بى ولا إلى أى خطر يحيق بحياتى !

وهنا رميتها بنظرة قاسية ، وقلت لها :
أبدا . أبدا . أعتقد أنك تمثلين ولا تصدقين ، وتقومين بخدعة هائلة طيلة هذه الخمس والعشرين سنة الأخيرة . ويقىنى أنك أشد من عرفت من الناس أنانية وجشعا . لقد عصفت بشباب ذينك الرجلين اللذين رمت بهما الأقدار فى طريقك المشئوم ، وها أنت ذى اليوم تقيمين العقبات والسدود أمام سعادة ابنتك وهنائها . ولم أكن أستغرب لو سقطت لوسى بعد كلاتى تلك من إعياء قلبها وهبوطه . وكنت أنتظر أن يتجههم وجهها ، وتغلى مراحل سورتها ، ولكن شيئا من ذلك لم يحصل . بل إن ابتسامة عذبة رقيقة قد ارتسمت على ثغرها . ثم سمعتها تقول :

ستندم عن قريب على تقولك هذا على .
فقلت لها :

والآن هل قر قرارك ألا تزوج أيريس من ذلك الفتى ! فقالت لى :

لقد تضرعت إليها ما استطعت التضرع أن تزوجه ؛ وأنا أعرف أن هذه هى القاضية على . ولكنى لا أبالى بنفسى . إن أحدا لم

يعد يهتم بى . إن أحدا لا يربى لى . أنا الآن عبء على الناس قادح . ففضيت أسأها :
« وهل قلت لأبنتك إن زواجها ذاك قاض عليك ؟ » فأجابتنى :

« أجل . لقد اضطررتنى أن أقول لها ذلك . » فقلت لها :

« إنك تبدين كما لو أن أحدا استطاع يوما أن يملكك على شئ تكرهينه . » فردت على مغیظة :

« لأيريس أن تزوج فتاها اليوم أو غدا وإن كان ذلك قاتلى ، فلا ذهبن له ضحية وقربانا . » فقلت لها :

« أجل دعينا نخاطر بذلك . » فقالت لى معاتبة :

« أما فيك نحوى عاطفة أو رافة ؟ »
فقلت لها :

وهل يستطيع قلب أن يشفق على شخص يبعث فيه من التسلية والضحك والدعابة مثلما تبعثين ؟ » وهنا اربد وجهها وامتنع خداهما ، وإذ تكلف ثغرها الابتسام فلاشك أن قلبها كان يتميز غيظا . ثم أخذت تقول لى :

ستزف أيريس إلى عريسها فى بحر شهر ، وإذا ما أصابنى سوء أو مسنى ضر فأرحو الله أن يغفر لك ولأيريس كيدكما وبغيكما . وكانت صادقة الوعد فى ذلك :

الأعراس

إلى قصتي الزمان في فلكس ساريسين
رغم الأستاذ على كامل

فتعيش وقتا طويلا في هدوء واطمئنان دون
أن تقامى تلك المشاغل القاسية التي كانت
حتى اليوم تهز نفسها هذا عنيفا ، وكأنها
خرجت من خطر مميت

نعم . لقد أخرجتها جان ، " تلك الفتاة
الصغيرة ، بغنائها الساحر من هذه التماسه ،
من ذلك الظلام السحيق . فقد اقتحمت
جان طريق المجد بسرعة فائقة حتى بلغت
السما جاذبة وراءها أسرتها

ونعمت الأم قائلة : ابنتي !
ثم صمتت وقد انتابها فرح عظيم أمام
هذه السعادة وكأنها أمام معجزة ، وكل

كانت والدته جان واقفة أمام صوان
الملابس وقد تملكها منذ لحظة سرور عظيم
وهي تنعم النظر في تلك الكنوز المكسدة
بعناية . كانت تشعر بالراحة والسعادة
فابتدأت تغني

وأمسكت بأحد أقصص جان ، وعندما
نشرت أمامها استولى عليها التفكير وسكتت
عن الغناء . كانت تقول لنفسها : هذه
الدنثلا الفاخرة ، هذا القميص الصغير
المزركش كان بالنسبة إليها منذ سنوات قليلة
ثروة طائلة تجعلها في غنى عن الكد والعمل
وفي حماها وفلذات أكبادها من ألم الجوع

وفي يوم الزفاف ، وفي الساعة العاشرة
تماما سقطت لوسي صريعة قلبها . وفي صمت
كصمت القبور ، وسكون كسكون الليل ؟
أسلمت تلك المرأة الجهنمية روحها لبارئها ؛
وما نسيت أن تستغفر الله لتلك التي غدرت
بها وتزوجت !

عبد الوهاب محمد

فحدد للزفاف ميعات معلوم ، وصنع جهاز
للعرس رائع جميل ، وأرسلت الدعوات
للأهل والأصدقاء . وبدأت آيات البشر
وأمارات النبطة على محيا العروسين
السعيدين ، فكانا ينتقلان في خفة الطائر
المرح من هنا لهنالك ، يستعدان لليوم الموعود
والنعم المنشود

هذه السنين الأخيرة لم تكن في الواقع إلا سلسلة لا تنقطع من المعجزات ؛ لقد تفتح أمامهم عالم منير ، فهجرت الحجرة الضيقة المظلمة ، والشارع الصغير القذر الذي كانت تقطن فيه حتى ذلك الوقت حيث أخرجت إلى الدنيا أولادها وحيث رأتهم يشبون ويخطون بخطواتهم الصغيرة . كذلك استطاعت أن تهجر تلك المدينة الصغيرة التمسمة ، حيث كانت تحيا حياة خاملة بائسة سجيئة الهم واليأس ؛ وبفضل ابنتها وغنائها العجيب دخلت هذه الدنيا الباسمة خجولة طامعة وكأنها في حلم . كانت تقول لنفسها :

أيكفى الله هذه الأم كما كافأ ابنتها ؟
أيمكن أن ينمرها على الدوام بفضله وإحسانه ؟
لقد حصلت على أكثر مما كانت تتجرؤ أن تأمله . حصلت أولا على النجاح ثم على المجد ، ولم تحصل على المال الوفير فحسب ، بل إن أوربا بأسرها تشكلم عن ابنتها وأمريكا تستدعيها

وضحكت الأم والقميص ذو الدنتلا البيضاء لا يزال بين يديها . إن ابنتها جان ترتدى أنفخ الملابس كإحدى الأميرات ، وتحلى رقبته الصغيرة الجواهر التي لا يعرفها إلا الملكات

وتنهدت الأم من أعماق نفسها وابتدأت

تغنى الأغنية الرائعة التي نالت بها ابنتها النجاح المدوي في الليلة السابقة في دار الأوبرا ؛ فقد كانت القاعة تهتز من التصفيق الماصف . كانت الأم تحفظ عن ظهر قلب كل جزء من تلك الأغنية ، فقد سمعتها مئات المرات عندما كانت جان تحفظها بينما هي بجانبها تنصت إليها . وهاهي ذى الآن تغنى تلك الأغنية ؛ على أن ذلك لم يدم طويلا إذ قرع باب الغرفة قارع ...

فقلت : من القادم ؟ ادخل !
فأجاب الأستاذ برجير وهو يدخل :
— ها أنذا !

ونظر الرجل حوله دهشا ثم قال :
أين إذن الأنسة جان ؟

فقلت : ليست هنا
فقال : ليست هنا ! آه ! يا لأولئك الفاتنات العظيمات ! ونظر بعينه وقد بدا على وجهه ما يقصد ثم قال :
إنهن يغلقن أبوابهن في وجه المدير الفني دون أى حرج

فنظرت إليه الأم دون أن تفهم ما يريد وقالت :

أوكد لك يا أستاذ برجير أن ابنتي ليست بالمنزل

فقال الرجل ساخرا :

إذن من التي كانت تغنى منذ لحظة ؟

يكن عندى الوقت الكافى لأغنى . وقديما
عندما كنت أعانى ألم الفقر كنت كثيرا
ما أغنى لأنسى مشاغلى وهيمى
وانتسمت الأم قليلا ثم قالت :

نعم . فى ذلك الوقت كنت أصغر منى
الآن . كنت أغنى لأجلب النوم إلى عيون
أطعمالى . وكنت أغنى أثناء عملى المضى وأنا
جالسة أمام طست الغسيل الساعات الطوال
وضحكت ثانية وقد بدت على وجهها
علامى التفكير وهى تنظر إلى قميص جان
كان مدير المسرح أثناء ذلك يرمقها بعينه
ثم قال بصوت منخفض :

حسن ! آسف لأننى لم أحظ بمعرفتك
وسماع صوتك . ولو حدث ذلك لما قضيت
وقتا طويلا من حياتك أمام طست الغسيل
كان الرجل يمتحن تلك المرأة التى لفها
الشيخوخة فرآها صغيرة الجسم تشيع فى
وجهها بجعدات خفيفة . ذابلة اللون . ولكن
عينها الدالمتين كانتا تنبئان بأن هناك نارا
هادئة تستمر فى جوفها . فهز كتفيه وقال
وهو يخرج من الغرفة
يا للخسارة !

بعد ساعة مما حدث كانت جان جالسة
أمام المرأة ووراءها أمها تصفف شعرها
وتحدثها عن الحفلة التى ستذهبان إليها

فقلت : لم تكن جان ؛ وضحكت الأم ثم
أضافت : أنا التى كنت أغنى
وبدا على الأستاذ برجير الدهش وقال
وهو يهز رأسه :

أنت ؟ إنى لا أستطيع أن أصدقك !
وأكدت الأم له ما قالت وقد بدا عليها
الاضطراب

قال الأستاذ برجير :
إنى لا أحب منها أن تغلق الباب فى
وجهى إذا لم تكن تريد أن ترانى فى هذه
اللحظة . إنى مدير فى بلغت الشيخوخة
فأنا أعرف هذه النزوات الغريبة ؛ إنى
أعرف ذلك الصوت الذى سمعته ، وعلى
ذلك لا يستطيع أحد أن يخدعنى
فنظرت إليه الأم بعينها المادئتين وقالت
ببساطة :

إن جان ليست بالمنزل
وقد الرجل عناده وصمت مفكرا ثم
قال دون تردد :

إننى لم أسمعك قط تغنين . وكان يجب أن
أسمعك يوما ما مادمت كثير التردد على
هذا المنزل

فقلت : إننى لم أغن منذ طويل ؛ وفى
الأعوام التى كانت تدرس فيها جان كنت
أقنع بالإصغاء إليها . كان كل اهتمامى منصبا
على هذه الفتاة وعلى باقى أفراد الأسرة فلم

مما . قالت الأم :

سوف يكون هناك أرشيدوق وعدد من
الأمراء . ما أعظم ذلك !

وألقت الأم نظرة إلى جان فتملكها السرور
الغامر عندما رأت الدنتلا البيضاء كالماج
تحيط كتفى ابنتها بصورة فائنة . كانت تنعم
النظر في وجه ابنتها الدقيق في المرأة وقد
بدت عليها سعادة تخرج بها حشونة خفيفة .
كانت ترى عينيها السوداءين تلمعان تحت
جبينها الأبيض الضيق . كانت تملكها
السعادة وهي تشعر بحرارة شعر جان المنتمش
الحى تحت أناملها . وجأة غمرها السرور
والاعتراف بالجميل فابتدأت تغنى ثانية بينما
كانت جازجالسة كطفلة صغيرة ننصت لغناء
أمها وهي تصفف شعرها

ودخلت الخادمة فقالت :

إن رئيس فرقة العزف يريد مقابلة
الآنسة

فقالت جان : فلينتظر !

وعندئذ صرخ رئيس فرقة العزف من
الخارج قائلا :

كفى عن الغناء يا جان . لماذا تتعبين
نفسك وتغنين دون وزن ؟ !

فانقطعت الأم عن الغناء . ولم تجب جان
وسمع صوت رئيس فرقة العزف من الخارج
وهو يقول :

ومع ذلك فهذا غناء رائع يا جان . عندما
أسمع أى صوت من فمك لا أستطيع أن
أمنع نفسي من القول بأن هذا رائع
ورأت الأم في المرأة تغيرا على وجه جان
وقال رئيس فرقة العزف من الغرفة المجاورة
وهو دهش :

لماذا لا تجيئيننى !

فقالت جان غاضبة وقد نقد صررها :
أرجوك تتركنى وشأنى . إلتك تعرف
جيدا أننى لا أغنى
واستمرت ناظرة إلى الأرض دون أن
ترفع ناظرها

وأثناء هذه الثوانى ظهر بين المرأتين شئ
لا يمكن تفسيره . ظهر وكأن بين
الاثنتين فاصلا بعيدا . وفى الوقت نفسه
اندماج قوى جمع بينهما . وانتهت الأم عملها
بهدهوء وخرجت من الغرفة فى صمت

وفى المساء جلست الأم فى القاعة الفاخرة
التي سيدوى بين أرجائها صوت ابنتها .
وقريبا من القاعة كان الحديث يدور بين
المجتمعين فى غرف مضاءة بالألوان اللامعة
حيث جلست جان يحيط بها الحاضرون
يفغرونها بالمديح المتحمس والتملق الرخيص
كانت الأم جالسة مرتدية معطفا أسود
يحيط بها نسوة عجائز يتهاوسن . كانت
تستقبل كبار القوم الذين كانوا ينحنون

ولست ابنتها . رأت أمامها فتاة صغيرة في
ملابسها الرائعة تروح وتجي غير هيابة ومع
ذلك فهي هي نفسها

وتتممت الأم قائلة : « شبابي ! » وكأن
شيئا في داخلها قد تمزق وتحطم إلى ألف قطعة

وارتفع صوت جان واضحا كيوم من
أيام الربيع . منسجها حارا كضوء الشمس
وكانت الأم تصغي إلى صوت ابنتها بانتباه
أكثر من المعتاد وقالت لنفسها « هي أنا
هي أنا » وانتابها رعشة حين أحست
ذلك الاحساس الغريب وهو أنها تسمع
نفسها . فاضطربت أفكارها وأصبح لا يرن
في أذنها غير تلك الكلمة « يا للخسارة ! »
رأت الأم أمام عينيها غرفة صغيرة مظلمة
ينبعث منها الهواء الفاسد المخنوق الرطب
ورأت أطفالا صغارا . رأت أطفالها بين
الوسائد القذرة يصرخون وينادون أمهم
بأكين طالبين أن تدللهم . رأت نفسها
منحنية تحت فرن أسود يلفح وجهها بالبخار
المحرق المتصاعد من الطعام القذر الذي
تطهيه . رأت نفسها راكعة على ركبتها
تنظف أرض الغرفة وقد أكل الصابون
أصابعها . رأت نفسها واقفة على حافة النهر
رافعة طرف رداؤها تغسل الملابس بالماء القذر
الموحل وهي تنتفض من البرد القارس .

أمامها تحية وإجلالا ومد لها الأرشيدوق
يده وعلى فيه ابتسامة غامضة فردت عليه
تحيته . وقال لها أحد القادمين : كيف
لا تحسدين على أن لك بنتا كابنتك . ولقد
سئلت خمس مرات أو ستا : ألا تنمرك
السعادة الآن ؟ لقد كان هذا الإحساس
بالمجد يملؤها بالسعادة . كان كل ما تأمله أن
تمتلئ القاعة بالسامعين وكانت تقول لنفسها :
هل ستفوز جان بنجاح كبير ؟ وكانت كلما
خطرت بياها هذه الفكرة اضطربت قليلا
لأنها كانت ترغب رغبة حارة في أن ترى
نجاح ابنتها عظيما رائعا

بيد أن اضطرابا غريبا كان يزداد تدريجيا
في أعماق نفسها . كانت تتردد على سمعها
كدقات الساعة كلمة المدير الفني حين قال
عنها « يا للخسارة ! » وقول رئيس غرفة
العزف « هذا رائع ! »

وازدحمت القاعة بالوافدين وامتلائها . على
سمعتها بالسيدات الجميلات يزين أكتافهن
الفراء الفاخر مرتديات ملابس غالية الثمن .
واقتربت جان من البيان بينما كانت أمها تدنو
بنظراتها . كانت جان رشيقة متكبرة تتوهمها
فتنة الشباب . وكان شعرها الأسود وراها
الصغير ينعكسان على الواجهة المرآتية
البيضاء فيبدو منظرها جميلا ساحرا . فجأة
أحست الأم أنها هي التي على المسرح

رأسها أكليل المجد الذي أحرزته بقوة صوتها
الجميل وبدأت كأنها مغترة بفنها وعندئذ قالت
الأم لنفسها :

هل هي سلبتني حياتي ؟ هل هي انتزعت حياتي
بتلك الشراهة القاسية التي يبدوها الأبناء
نحو أمهاتهم ؟ أم هي قد ردت إلى ما افتقدته
وحفظت لي ما لم أهتم بحفظه ، وهي الآن تبني
من جديد حياة محطمة من أجل أن تسعدني ؟
وجأة أحست بأن عاملا خارقا قد ربطها
بابنتها التي كانت تغني أمامها برباط وثيق .
وفي الوقت نفسه شعرت بأن بينها وبين ابنتها
هوة سحيقة . وعندما دوى التصفيق في
القاعة كنهر حطم ما أمامه من سدود .
تملكت الأم عاطفة قوية فاندفعت تصفق
وأثناء ذلك جاء الأرشيديوق وانحنى
أمامها قائلاً :

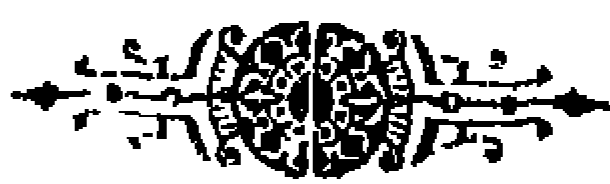
إنني أعرف جيدا ما يحول في هذه اللحظة
في قلبك كأم

ولكنه لم يكن يعرف !

على طاهر

رأت كل ذلك فرددت كلمة المدير الفني
« لو كنت مررت من هناك » ولكن
لم يمر أحد . نعم لم تسمح الظروف فلم
يسمعهما أحد تغني كما سمحت لابنتها جان
فاكتشفت موهبتها

كان اضطرابها يزداد فتشعر بأنها في حاجة
لأن تتعلق بمقعداتها . قالت لنفسها : حياتي .
حياتي . قالت هذه الكلمة بقوة لدرجة أنها
تلفتت حولها لترى إن كان قد سمعها أحد .
إن ما يحدث عنه هذا الجمع الحاشد بحماس
كبير ويعجب به بحرارة كانت تملكه هذه
المرأة المعجوز ولكنها جهلته بل أضاعته .
نعم أضاعته أثناء بؤس حياتها المضطربة .
أضاعته من أجل أن تقوم بأعمالها الحقةرة .
أضاعت نفسها وسط بخار الأطباق التعسة .
أما موسيقى نفسها الرائعة ، تلك الموسيقى
العظيمة التي كان سيسمعهما الناس بإعجاب
كبير فقد بعثرتها على أرض الغرفة القذرة
وبين أمواج النهر اللعين الموحلة
ورفعت نظرها إلى ابنتها فرأتها يعلو



البحر

للمصطفى الرضى بارىضان
بقلم الأديب ن. ب. نظاريان

على غطاء المائدة ، ويقلب صفحاته باستمرار
وهو يلقى من حين إلى حين نظرة عطف
وحنان على زوجته

وفجأة انطلقت منه حركة انزعاج وملل ،
فأغلق الكتاب ؛ وتحرك في جلسته بعد
تهدة أرسلها ، واستوى على الأريكة بكل
جسمه ملقيا رأسه إلى الخلف
— كفأك يا (سربوهي) ما اشتغلت ،

وبالأخص في الليل ؛ فكمثرة الشغل تؤذى
عينيك .. فلنتحدث قليلا

فرفعت زوجته رأسها دون أن تنصرف
عن شغلها اليدوي ، ونظرت إلى زوجها
بعينها السوداء الواسعتين نظرة عطف
وقالت :

— لا يمنع عمل من أن نتجاذب أطراف
الحديث . فإن على أن أفرغ من هذه السترة
قبل ساعة ، لأنها لولدتنا (هوسيبك) .
فقاطعها زوجها قائلا :

— حبيبى (هوسيبك) ! ثم أضاف :
تعرفين يا (سربوهي) أن ولدنا لم يتخط

كانت قطع من الأنسجة المحلاة بالرسوم
ترين داخل الغرفة بلونها الكستنائى ،
وتكسيها نظافة وأناقة . وكانت مائدة
مستديرة تغطيها سجادة خضراء تشغل
وسط الغرفة ، ومصباح مكلل بمظلة معدنية
تعكس النور الصافى الذى يوضح الأقسام
السفلى من الغرفة تاركا زواياها العليا في
ظلمة خفيفة رقيقة

وامرأة في الأربعين من عمرها كانت
جالسة قرب المائدة على أريكة تشغلها بجسمها
المتلى ، وعلى محياها قممات حلوة ، وبعض
الشعرات البيضاء تبدو بين خصلات شعرها
الكستنائى ، وقد اكتسبت شيئا من
الفتنة تحت نور المصباح ، ملتزمة كالفضة

وكان رجل في الخامسة والأربعين من
عمره جالسا قبالتها ؛ وقد التمت صلعة رأسه
كالمرمر ، وعلى قممات وجهه الهادئة يبدو
تهكم خفيف ، دون أن يغير هذا التهكم
شيئا من طيب خالقه ، وقوة عزيمته الباديتين
عليه . كان يتصفح كتابا منشورا بين يديه

ولكن ولد هم الصغير (أونيك) كان صبيًا في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره ممتلئًا بالحبث ومعروفًا بالحركة والنشاط . في كل مساء بعد عودتنا من المدرسة كنا نلعب ونلهو معًا على المرج الأخضر قرب دارنا مع لداننا من الأولاد . وكان (أونيك) يبدى ميلًا خاصًا نحوى ؛ فكان يأخذ أوضاع المدافع عني ؛ وهو يمنع الأولاد من العبث بي وتعذيبهم إياي ، بأسطًا حمايته على . أما أنا فبالرغم من ميله الشديد . ومظاهر المحبة الحارة نحوى ، كنت أشعر بعيل ضعيف نحوه . غير أن التي كانت تعذبني وتسبب لي الألم هي تلك العيون البراقة ؛ تلك الأحداق الخبيثة السوداء . وكم كنت مشتاقة لمعانته لتقبيلها . ولكني كنت أتهرب منه كلما أراد الاقتراب مني . فكأنني كنت أتدلل ، أو أريد أن أكون غالية الثمن عليه في دلالى

سوف تدهش من أن طفلة في الثامنة من عمرها كانت تستطيع أن يكون لها إحساسات دقيقة مرهفة . حقا إن تلك الإحساسات والشعور لا تكون عن معرفة صحيحة أو إدراك تام ؛ ولكن الغريزة كما تظهر شديدة عند الحيوانات تظهر كذلك عند تلك المخلوقات الآدمية الصغيرة . كنت أبذل جهدي لإبراز سحرى

بعد السادسة من عمره ، وهو يعامل هذه الفتاة الصغيرة التي تلعب معه بكل احترام وأدب . فكأنه يريد أن يغازلها ، أو يحب أن يدخل معها في دور غرامى . آه من الصبية في هذا العصر !

قالت : لا تتكلم هكذا يا عزيزى . إن الذكور مزودون دائما بتلك الإحساسات بصورة طبيعية . وإن لها علاقة متينة بتكوينهم الجثمانى ، فسرعة نمو الجسم ؛ وتبدل الشعور والإحساسات تكون سببا لهذه التصرفات . وكيف كنت أنت في صغرك ؟ فأجابها الزوج بشئ من السخرية الغامضة : قائلا لست في الحق أذكر شيئا من عهد الطفولة

وأنت ؟ هل كان لك حبيب (كهوسيبيك) في صغرك ؟

فانصرفت المرأة لحظة عن شغلها اليدوى وأخذت تحقق في نقطة مجهولة ، وعلى نظراتها تبدو حالة من يبدل جهدا لاسترجاع ذكريات قديمة جدا إلى ساحة ذهنه . ثم قالت : وأجفانها تكاد تنطبق بشئ من لذة غامضة ونشوة مجهولة :

— نعم ! كان لي حبيب (كهوسيبيك) عندما كنت في الثامنة من عمرى . كان أهله يسكنون على بعد عدة دور من دارنا . ولم يكن بين أهلينا اتصال ولا علاقة .

على رأسى وهو يقول : — يا حلوتى ! —
فكنت أرسل صرخة فى الفضاء وأفنت
من قبضته هاربة

والأمر الذى ما كان يقبل الشك هو أن
ذلك الصبي الصغير كان يشقى ويتألم ؛ ولكن
هو نفسه أيضا كان يجهل سبب شقائه
بدون شك

وفى ذات مساء بعد أن انصرفنا من
المدرسة ذهبت إلى ملعبنا المهود ، ولم أجد
هناك إلا (أونيك) وكان الأولاد الآخرون
قد تأخروا عن الحضور . أردت أن أعود
إلى الدار تاركة (أونيك) وحده . غير أنه
تقدم إلى وبين يديه قطعة من الورق مليئة
بالحلوى وقدمها إلى ، وكانت عيناه تلتصقان
أكثر من أى وقت مضى ، وهو يراقبنى
بشيء من الشوق والرغبة ، بينما كنت
ألثم الحلوى واحدة تلو الأخرى غير
شاعرة بتلك اللذة التى كنت أسببها له .
فكم كنت مشغولة بالتهام الحلوى حتى
أنى لم ألاحظ كيف أن الملعون قد اقترب
منى شيئا فشيئا . وفجأة شعرت بضغط
حول عنقى ، وإذا بشفاه ندية حارة قد
التصقت بخدى ، وسيل من القبلات
أخذ ينهمر عليه . ماذا حدث فى تلك
اللحظة ؟ أردت أن أصيح ، وأصرخ ،
لكنى لم أستطع حتى كدت أن أختنق ،

وجالى (لأونيك) للظفر بنظرات الإعجاب
منه . وعندما كنا نركض على الحشائش
ويطارد بعضنا بعضا كان يلاحقنى فأنجا
ذراعيه ، ويقبض على . فكنت أصرخ
بشدة وأصيح صيحات مثقطة رهيبة . كان
الصبي المسكين يقف متحيرا دهشا دون
أن يفهم سبب صيحاتى ولا سبب هربى
منه ومعاملتى له بهذا الشكل ...

وبينما كانت السيدة (سربوهى) غارقة
فى حديثها . كان زوجها يصغى إليها بكل
انتباهه ، وقد وضع مرققه على طرف
الأريكة وأراح ذقنه على كفه

وكانت المرأة تعمل بنشاط ورغبة
أكثر من ذى قبل متأثرة من استعادة
هذه الذكري الحلو البعيدة

واستأنفت قائلة : أحيانا عندما أنظر إلى ولدى
(هوسيبك) يخاطر على بالى (أونيك)
المسكين . أواه ! كأنه هو بالذات : بعينه
البراقتين الخبيثتين ، وبحركاته المليئة بالخفة
والنشاط . حقاً إننى الآن أؤنب نفسى على
تلك العاملة . وقلبي يتألم من تعذيبى
(لأونيك) المسكين . كان عندما
يحصل على بعض النقود يشتري بها
الحلوى ويقدمها إلى لألثمها . وكان يتألمنى
بلذة وفرح ؛ وأنا ألثم حلواه . وبعدئذ
كان يمد يده وهو يظن أنه كسبنى ليقبض

هذه الذكريات هي أحلى ذكريات طفولتي .
كانت عينا السيدة (سربوهي) السوداوان
النديتان بالدموع متجهتين نحو زوجها
بشيء من الحزن البادى على حياها .

وفي ذلك الحين نهض زوجها من مكانه
وقد أشرق وجهه بابتسامة حالية . وتقدم
نحو زوجته بعد أن أحنى رأسه أمامها
وهو يزيج الشعر عن قفاه ويقول :

أترين هذه العلامة البيضاء ؟
وبينا كانت الزوجة تحقق في العلامة
دهشة : قال زوجها :

إنها أثر ذلك الحجر الذى قدقنى به !

هـ . ب . نظاريان

فأخذت أحرك ساعدى لأفلت من ذلك
الضغط ، ومن تلك القبضة . وأخيرا تركنى
وانطلق يمدو . فالتهب الغيظ فى نفسى . ولم
أدر كيف أصنع . أخذت حجرا من الأرض
وشرعت فى مطاردته حتى اقتربت منه فقدفت
رأسه بالحجر فإذا بصرخة ألمية تنطلق منه .
وإذا به يقبض على رأسه بكلتا يديه
والدم يسيل . أما أنا فلم يكن منى إلا أن
أسرعت فى الهرب ، ولم تطأ قدماى ذلك
المكان بعد ذلك أبدا

وبعد مدة قصيرة من الزمن غادرنا تلك
القرية إلى مكان آخر . وحتى الآن لا تزال
صرخة حبيبي (أونيك) الألمية تدوى فى
أذنى ! فكم شتمنى ولعننى يا ترى ! ولكن

الأم فرتر

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى

للاستاذ أحمد حسن الزيات

ثمها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

فستان السراويل

للأديب محمد أبو المعاطي أبو النخا

عائلة ، فإن الإطار يتغير عن ذي قبل ، فتبدو تلك الابتسامة وادعة خاضعة ، ويمتد العنق المائل ليرتفع بالرأس الصغير في شرو صامت ، وبين لحظة وأخرى تطرف العيون الفاتنة بنظرات كأنها خجولة !

وكان لهذا الإطار المتغير دخل كبير في تقدير الثمن المناسب للصورة المهداة ... وانتهت خطواتها إلى مائدة منفردة تحديق بها عائلة صغيرة قوامها زوج وزوجة في نهاية العقد الثاني ، وطفل صغير !

ولم تكذب يديها بالصورة نحو الطفل الذي كان يشير إليها بيديه الصغيرتين حتى أخذها منها ثم هتف بعد أن نظر إليها قليلا ... الله ! ... الصورة دى زيك تمام ياماما ! ثم أدناها من فم في سداجة حلوة وقبلها بطريقة جعلت أبويه يفرقان في الضحك ! ولأول مرة لم تنسبه رجاء إلى ما تصنع بالقطعة الفضية التي أعطاه إياها الزوج ... لم تفكر فيما إذا كان ينبغي أن تأخذها كلها أو تعطيه فكتها ليعطيها هو ما يشاء من قروش ! لم تفكر في شيء من ذلك ، وإنما

كان الجمهور داخل السرك ينصت إلى الأغنيات الشعبية التي يصدح بها « الجرامفون » في فترات الاستراحة ... وكانت الموائد المجدقة بحلقة اللعب حيث يجلس الرواد المترفون لا تكاد تلقى بالهسا إلى هذه الأغنيات ، لأن من عاداتها كل مساء أن تستقبل في تلك الفترات خطوات « رجاء » فاتنة السرك وهي تطوف بها توزع صورها الجميلة لقاء ما ينفجها به الرواد من قروش ... وكانت رجاء الفتاة التي عرفت طبائع النفوس .. تحرص كل الحرص على أن تصنع لكل صورة إطارا نفسيا خاصا يختلف عادة باختلاف الرواد !

فحين تمر بمائدة يجلس عليها جمع من الشباب كان هذا الإطار يتألف من تلك الابتسامة الساحرة التي يظن كل من يراها أنها له ، ومن تلك الانحناء الرفيعة للعنق الماجي ، تلك الانحناء التي تستتبع عادة ميل حصيلات شعرها الأشقر الفاتن إلى جانب وجهها في دلال مشير !

وحين تنتقل إلى مائدة أخرى يجلس إليها

وضعها بلا وعى فى جيبها الخارجى ، وظلت
مشاعرها كلها موزعة حائرة كأنما كانت تحاول
أن تجمع من الفضاء نبرات ذلك الصوت
الصغير البرى لتسمعه من جديد !

ولأول مرة أيضا نسيت أن تقول كلماتها
التقليدية « مرسى ! » وإنما مدت يديها
لتجمع بينهما ذلك الوجه الصغير وتطبع على
وجنتيه قبلتين ذاخرتين !

ولأول مرة أيضا نسيت عددا من الموائد
كانت تمر برواده كل مساء ... وفى خطى
مذعورة كانت تسرع نحو حجرتها الخاصة
لتغير ثيابها التى تختلف باختلاف الأدوار !
وكان لا يزال هناك فسحة من الوقت
فاستلقت على مقعدها شبه مخدرة .. حتى هذه
اللحظة لم تكن تفهم حقيقة مشاعرها وإنما
كانت تحس كأن هناك أشياء خفية مهمة
تتجاذب تلك الشاعر بل وتصنع بها خيوطا
دقيقة متشابكة وتنثرها فى الفضاء .. كانت
تحس كأن قواها منسركة وموزعة على تلك
الخيوط الدقيقة المتشابكة ! ورويدا رويدا
بدأت هذه الخيوط تتقارب وتجتمع وتلقى
على خواطرها ظلالا واضحة المعالم
بارزة السمات !

ما أكثر ما كانت تسمع من همسات
الغزل وكلمات الإطراء ! وما أكثر ما كانت
ترى فى عيون النظارة من الوله المثير والهيام

الملح ! ولكنها مع هذا كله لم تكن تهتز ، بل
ولم تكن تختلج . كانت حتى فى اللحظات
الحاسمة حين تقف فوق هرم من الأجسام
الرياضية المفتولة لتؤدى ألعابها المثيرة ، كانت
حتى فى هذه اللحظات تقف لتواجه عيون
النظارة التى تكاد تخرج من محاجرها دون
أن تشعر بأدنى اضطراب ! فلما الآن لا تملك
أمر نفسها ولا تكاد تمسك زمام مشاعرها ؟
ولكن ، ولكن ماذا يار جاء ؟ وإنك
تكذبين على نفسك ، فما كانت همسات الغزل
ولا نظرات التودد جدرة بأن تنفذ من أذنيك
إلى قلبك حتى يخفق أويتهز . أنت تعرفين
إن عمر هذه الكلمات قصير ، كالتفاته
المذعور ... إنها تولد هنا فى السرك وتموت
هنا أيضا قبل أن يخرج الرواد ليهمس بعضهم
فى أذن بعض قائلين : لقد كانت سهرة عامرة
بالضحك حافلة بالطرائف حتى شعرت
برغبة فى العشاء مرة ثانية !

لا يار جاء ! إنها كلمات ميتة لا تهز قلب
عذراء ... عذراء ؟ ماذا قلت يار جاء ؟
أليست تلك مغالطة أخرى ؟ أين أنت من
العذارى يافتة ؟

لقد نزعنا من حولك تلك الأروية
اللطيفة الشفيفة التى ترفل فيها العذارى
دأما كما ترفل الورود فى غلائل شفاقة من
قطرات الندى الصافية !

هذه الأردنية التي تلف الطبيعة فيها عرائسها الصغيرة حتى تزفهن إلى العش السعيد . هناك حيث تمتد يد الرجل الموعود لتفك عروتها واحدة بعد واحدة !

الصمت الخجول .. الهمس المرتبك .. الحمرة الشفيفة .. البسمة المذراء .. كل هذه الأردنية يا رجاء تمزقت عنك ... مزقتها عيون الرواد منذ كنت صبيرة في الرابعة عشرة من عمرك !

لا ! لست عذراء لست امرأة ... من أنت يا رجاء ؟

وهنا فقط بدأت حياتها تدور على نفسها إلى الوراء ، كانت تعرض أمام عينيها كل ما أخفته في ظلالها الأيام ! كنت حبيبة صغيرة ذات يوم ، وكنت وقتذاك لاتكفين لحظة عن الضحك السعيد . كان يزهيك أن تنجح في أداء الأدوار برغم ما فيها من قسوة لا تلائم عودك النض وجسدك الرطيب ، مادمت ستسمعين أخيرا ذلك التصفيق المتواصل الذي تتعثرين في أصداؤه وأنت تجرين في مرج خارجة من الحلقة ، وأيضا مادمت ستناين نصيبك من تلك الهدايا التي يؤثر بها أبوك بين حين وحين ، وهي لا تخرج عادة عن النقود اللامعة أو الفساتين الجديدة أو العقود الغالية ثم ، ثم جاء اليوم الذي أصبحت فيه كما يقولون

عن أمثالك عروسا ! كان قلبك الصغير يفتح أبوابه لهذا الضيف الخالد الذي يحمل في يديه غذاء الأرواح ! وبدأت أوقاتك تمتلئ بالرؤية البهيجة والأحلام الخضراء ، وكانت أيامك تمضي وكأنها تترنح !

ومنذ ذلك الحين يارجاء بدأت تدركين أن في الدنيا أشياء أخرى جميلة غير النقود وغير الفساتين وغير العقود ، بل أدركت يا رجاء أن هذه الفساتين الجميلة والعقود اللامعة والعطور الفواحة ليست في ذاتها الأمل المرجو والحلم الكبير ... إنما هي درجات في السلم المرتفع الذي يعلو بنا إلى السماء الجميلة هناك ، حيث الرجل المنشود . الرجل الذي يضاعف من أعجابه جمال الفستان وعبير العطر وبريق المقد !

وهنا تعثرت خطوات أحلامك في نتوء الحقيقة الصلبة ... تلك الحقيقة التي عرفتها بفطنة المرأة وغريزة الأنثى ، وانتهيت منها إلى أن هذا الرجل المنشود لن يدخل حياتك إلا من هذا الباب المسحور .. باب الحلم والوهم والخيال ... لأن جميع الأبواب الأخرى موصدة . يقف خلفها ذلك الرجل الموهوب . ذو النظرات القاسية والشارب الغليظ والتقاطيع الصلدة . ذلك الرجل الذي يملك من أمر هذا السر لك كل شيء ، والذي

يقاديه كل أفراد الشرك يامعلم ، وتناديه أنت
 بيا ابن ! ترى هل تألت يارجاء لأنك
 تعرفين أن كل أب في حياة كل عذراء إنما
 يبذل قصارى جهده في تستر ولباقة ليظفر
 لابنته بالزوج المنشود ... ولأنك تعرفين
 أيضا أن هذا الرجل الموهوب إنما يبذل نفس
 الجهد في تستر ولباقة ليحول بينك وبين هذا
 الزوج المنشود !

إن انتقالك إلى بيت الزوجية معناه في لغة
 الواقع التي لا يجيد أبوك غيرها من اللغات ،
 معناه شئ واحد : هو أن ينتقل جميع أفراد
 الشرك وعماله وعلى رأسهم أبوك نفسه إلى
 الشارع ليؤدوا دورا جديدا على ناصيته ، هو
 التسكع والبطالة !

أجل تلك هي الحقيقة التي لا تغنى
 عنها أحلامك .. فهؤلاء الرواد جميعا إنما
 يحضرون هنا من أجلك ، من أجل عينيك
 يارجاء .. قومي وتأمل في المرأة عينيك ،
 تأمل في هذا الإشراق الساحر الذي ينبعث
 منهما ليندكر الناس بأيامهم الجميلة . تأمليه
 لحظة واحدة لأنه ليس بمقدورك أن تتأمليه
 أكثر من ذلك ! ثم .. ثم طوفى بنظراتك
 حول هذا الوجه الذي تصلى أهدابه في
 محراب العيون .. ثم تذكرى أنه ليست
 ممرأتك وحدها هي التي تضم صورته ، وإنما
 هناك مئات من المرايا الأخرى تعكس نفس

الصورة .. ولكن هنالك في قلوب الرواد
 ثم اهبطى بعينيك حول هذا القوام المشوق
 وتخيلي كيف يمكن أن يبدو وهو يتأود في
 خطوات مرتبكة داخل الطوق الحديدي
 الذي يبدو فوق سلك دقيق !

هذه الكنوز كلها يارجاء تجلب إلى أهلك
 مئات من الرواد ومئات ؛ ولكنها لا تستطيع
 أن تجلب إليك رجلا واحدا يمكنك أن تجلسي
 معه إلى مائدة واحدة وبينكما طفل صغير ..
 كهذا الطفل الذي قبل صورتك وهتف
 بصوت صغير برى :

— الله ! الصورة دى زيك تمام ياماما !
 آه يارجاء .. لقد لفحت هذه الكلمات
 مشاعرك كلها وهزت كيائك كله ونضرت
 أصداؤها الندية في أرض حياتك أوراق
 حلم ذابل !

آه يارجاء ! لقد تمنيت وقتذاك لو كنت
 مكان الصورة لتحسى وقع شفثيه النديتين
 على خدك ، وتركى وجهك لحظة لأنامله
 الصغيزة تعبت به كما تعبت بالأشياء !! ومع
 هذا كله فإن أباك يعتقد أنه أراح ضميره أمام
 الله حين عرض عليك أن تزوجي من أحد
 أفراد الشرك وبهذا لا يكون قد حال بينك
 وبين حقلك الطبيعي في الحياة !

أرأيت إلى منطق التجار يارجاء ؟ إن
 حقلك الطبيعي في نظره يتمثل في رجل ؛

مجرد رجل !! ولكن أنى لهذا الأب يار جاء
أن يسبر غور أحلامك ليعرف أنك لا تريد
مجرد رجل ؛ وإنما تريد حياة أخرى في
مكان آخر. هذه الحياة الأخرى التى يحلم بها
كل عذراء مهما كان نصيبها من الجمال ! هذه
الحياة التى ترفرف فى عشب صغير هادىء
بجناحي زوج وطفل ! هناك حيث تقضين
وجه النهار السعيد .. تغسلين الأطباق أو
ترتين الجوارب ثم تهينين للزوج الغائب
طعام الغداء ؛ حتى إذا عاد واحتواك بين
ذراعيه فى لفحة وشوق وقال بصوت تقطعه
القبيلات .. هل من الواجب يا عزيزتى أن
أشكر لك .. كل ذلك ! فأقول له : هذا إذا
كان من الواجب أن أشكر لك هذه القبيلات !
ولكن ... ولكن حسبك أحلاما
يار جاء ! فهناك حقيقة أخرى هائلة لن
تغنى عنها أحلامك ... !

حقيقة تلك الصفة التى عقدها أبوك
مع الجمهور يوم باع حياتك كلها وأعطاك
هذا الثمن المزيف ... المتناف .. التصفيق
... الإعجاب ... الشهرة ... كل هذه
الفقاقيع كانت هى الثمن .. ثمن القلب الذى
ضاع وضاعت أحلامه والعمر الذى اقفر
وإن سهرت حتى الصباح لياليه .. !

أتريد أن تصدق حقيقة هذه الصفة
يار جاء ، لتعلمى ماذا تقابل حياتك فى

حياة الناس ؟

إسمى يار جاء ... إن لكل فرد من
رواد السرك وزبائنه حياته الخاصة التى
يعيشها بملء حرية ويمضى فى أرجائها على
هواه ... حتى إذا أراد أن يلهو وأن يعبت
وأن يعيش جزءا فارغا من حياته جاء إلى
هنا حيث تقدمين له حياتك كلها .. !

أرأيت إذن إلى حقيقة الصفة ، بل إلى
حقيقة المهزلة . مهزلة حياتك يا فتاة .. !
هذى أنت يار جاء فهل عرفت أخيرا
من أنت ؟

وكانما أشقت عليها الأقدار من التمدى
فى تفكيرها هذا المر ... فاستوقف
خواطرها رنين حاد متواصل تعودت رجاء
أن تسمعه كلما اقترب ميعاد دورها
فى اللعب !

ومضت لحظات قصيرة كانت بعدها قد
لبست ما يلائم الدور الجديد من ملابس ،
ولم تنس وهى خارجة أن تستعيد لشقتها
ابتسامة إنسان سعيد ، ولحركاتها رشاقة ظني
ساح . ولم تكذب تظهر فى الحلقة حتى دوت
جوانب السرك بتصفيق حاد كان يتخلله
حشد من الكلمات النزلة والتجاسيا
الشعبية !

وشيئا فشيئا بدأت الأصوات تسكن
والحركات تهدأ والأعناق تشرئب والنظرات

تعب في صدق عما يضطرب في النفوس من
قلق ودهشة وإعجاب !

كانت رجاء إذ ذاك تؤدي حركاتها
البارعة وهي فوق سلم خشبي دقيق يرتكز
فوق قدمي رجل قد استلقى على ظهره ورفع
ساقيه في خطين متوازيين بعد أن ثنى وركبيه
فوق صدره !

وحين فرغت من أداء حركاتها المثيرة
كان عليها أن تقف لحظة كما تقضي قوانين
الملعب لتحكي الجمهور وهي هناك فوق السلم
الذي لا يعتمد على غير الله ... !

وبدون أن تشعر وجدت عينيها
تتصفح جان وجوه الجماهير بلمهة وشوق
وكأنها قارئ يقلب أوراق كتاب ليثر على
صفحة خاصة ... وأخيرا وقعت عيناها على
تلك الصفحة الخاصة كانت تحمل صورة
لأسرة صغيرة قوامها زوج شاب وزوجة في
نهاية العقد الثاني وطفل صغير ... !

ولا تدري لماذا أحست كأنه لا يوجد
في السركسواة .. ذلك الطفل الذي التفت
عيناها بعينه في نظرة عميقة ! شعرت رجاء
بعدها بأن كيانه كله يهتز وجسدها كله

ينتفض

و ... و ... ولم تعد بعد ذلك نشعر بشيء !

يا صديقي ... ترى هل أنت في حاجة
بعد إلى أن تسمع بقية القصة ؟ لا أعتقد
ولكن الوفاء للواقع يوجب أن تسمع تلك
البقية من أفواه الجماهير التي خرجت
وقتذاك ولا حديث لها سوى تلك البقية !
كان البعض يردد في أسي وأسف ...
مسكينة ! يبدو أنها كانت مرهقة من طول
ما تؤدي من أدوار ، ويبدو أن هذا هو الذي
جعلها تفقد توازنها في اللحظة الأخيرة !
وكان البعض الآخر يؤكد أنها قد
حسدت ، فما لا شك فيه أنها كانت مثار
إعجاب خطر ... !

وكان لا يزال هناك فريق آخر يبدو أنه كان
أكثر ذكاء من بقية الناس ؛ فقد كان هذا
الفريق بهز رأسه بغير اكتراث كما
يفعل الأذكاء ؛ وكان يقول بصوت خافت
مملوط : إنهم يفعلون ذلك عادة استجلابا
لعطف الجمهور !

محمد أبو المعاطي أبو التما

اعتراف القاتل

لحنى دى سرباسان
بقلم الأديب عبد اللطيف حسن الأرناؤوط

شاب فى العقد الثالث من عمره .. مربوع
القامة، أشقر الشعر .. أزرق العينين .. وقد
عرف بين أهل القرية أنه النجار الأمين
الذى يعمل فى حانوته بجد ونشاط دون
أن يعكر صفو أحد

فاندفع أمام قاضى التحقيق وقال :
سيدى القاضى : أنا المجرم .. أنا القاتل
الذى تفتشون عنه ، ولم تهتدوا إليه ، فانظر
ماذا تأمر ...

فدهش القاضى لهذه الجرأة .. فابتدعه قائلاً:
كيف تكون القاتل ، وهل سبق أن
عرفت القاتلين ؟

فأجابه الشاب دون وجل :
نعم .. لقد عرفت الرجل منذ عامين ..
أما المرأة فلم يعض على معرفتى إياها أكثر
من ستة أشهر ... كانا يترددان بين حين
وآخر على حانوتى ... يشتريان منى بعض
ما يحتاجان إليه ، أو يطلبان إلى أن أصلح
لها أثاث منزلها ...

فسأله القاضى : إذن لم أقدمت على قتلها ؟
فأجابه : قتلتهما لأن نفسى سولت لى

ارتاعت القرية .. وعقلت تفكير أهلها
حيرة خرساء ، فراحوا يتساءلون ، مشدوهين
مستفسرين عن الحادث الذى وقع ليلة أمس
إذ وجدوا صبا حاضيتين رجلاً وامرأة غدر
بهما مجهول ، فطعنهما بخنجر أرداهما قتيلين
وبعد التحقيق عنهما .. والكشف
عليهما .. تبين أنهما من كبار أغنياء المدينة
المجاورة للقرية ، ومن أولئك الرموقين بين
أهلها ، ولم يكن قد مضى على زواجهما عام
وذلك بعدما تزلزلت المرأة من زوجها الأول
وذهب اعتقاد الناس .. أن القاتل
رجل شغف بحب المرأة ، وهما وجدا بها ؛
فلما لم يحظ بها انتقم لنفسه بأرلحبه

وبالرغم من فرض الرقابة الشديدة ..
والتفتيش المستمر فى أنحاء القرية .. لم يعثر
على أى أثر للقاتل

مضت أسابيع كادت أن تخلص خلاصتها
تنطوى وتنسى إلى الأبد .. أن يعرف
القاتل أو يهتدى إليه .. ومن يرتع فى
ربوع الحياة دون أن يحس به

وفى أحد الأيام ، دخل مكتب التحقيق

أن أقتلها ...

وحاول القاضى أن يستفسر منه أكثر من ذلك ، ولكن الشاب امتنع عن الإجابة عن الأسئلة التى وجهت إليه

وتحروا ماضى الشاب فتبين لهم .. أنه جىء به إلى القرية وهو طفل صغير ، فتبنته إحدى المرضعات حتى كبر وشب وأتقن فى هذه المدة صناعة النجارة ، كما عرف بين الناس بخلقه القويم ، ونشاطه فى عمله ووداعته وانطوائه على نفسه حتى أطلقوا عليه لقب الزاهد

وثبتت التهمة عليه فأحيلت قضيته على محكمة الجنايات .. وأراد المحامى أن يتقذه من ورطته فوصمه بأنه معتوه ، فكان مما ذكره فى دفاعه عنه قوله :

من المستحيل أن يتصور عقل أن يقدم هذا الزاهد الأمين على القتل ، فيقتل بمجرد أن سولت له نفسه ذلك ، مع أن القتلين كانا من خير زبائنه .. وقد ربح منهما مبلغا يتجاوز ألفى فرنك

إن مثل هذا الرجل الذى لم يكر عيش أحد ، ولم يقدم يوما من الأيام على أذى أحد ، جدير أن نفكر فيه مليا ، ونرى أنه ليس من المعقول أن يقدم اليوم على قتل اثنين

وفرج المحامى من دفاعه ، فالتفت الرئيس

إلى المتهم ، وسأله : أليس ما تذكره ؟ فأومأ الشاب برأسه ، ووقف وراء قفص الاتهام وكانت الأنظار تنحو إليه فى تساؤل ، ورفع المتهم رأسه ، وقال بصوت جهورى ينبعث منه رنين الشجاعة والهمية ... :

سيدى الرئيس ... حضرات المحلفين .. والمستمعين ...

إنى لا أَرْضَى أن يحكم على بالعتة ، ولا أقبل هذه السفاهات التى يرددها بعضهم لتبرئة ساحتى على حساب تشويه سمعتى وامتهان كرامتى . أريد أن أعترف بالحقبة الواضحة ، وأجلى الشك من نفوس الناس كي لا يعتري أذهانهم أى لبس ولا أى استفهام ...

فأنا أفضل الموت فى ظلال العز والشرف ، على حياة ملؤها الحزى والمار . فأنصتوا إلى ، ثم انطقوا بالحكم الذى ترونه ووقف هنيئة يجيل الطرف فى الحضور كأنه يبعث من أعماق الذكرى حوادثه التى وأدها الماضى فى طياته ... والتفت إلى الرئيس وقال :

ما إن فتحت عيني للنور حتى دفعتنى أمى إلى إحدى مرضعات هذه القرية ، وأقصتني عنها ، وأبعدتني عن حنانها . ثم امتنعت عن أداء أجرة المربية . فأخذت هذه

ترعاني . و تتعهد ترينى إشفافا على . ورحمة
 بطفولتى المشردة . و قدمت لى المحبة والحنان
 اللذين حرمتها من أمى التى تنكرت لى
 وهكذا حتى كبرت وشبت فإذا بى
 بعدما أصغيت إلى صدى نفسى خالجنى
 إحساس مريب . وخامرنى شعور غريب
 هو أنى لست كامل الشرف والكرامة
 وأن الكلمة التى كان أصدقائى فى المدرسة
 يرددونها عنى ، ما تزال ترن فى أذنى ، فتثير
 كوامن الغيظ والألم فى نفسى ، تلك
 الكلمة هى - «لقيط» ، لكننى أعذرهم
 لأنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد ما تنطوى
 عليه هذه الكلمة من معان ، إلا أنى
 أشعر بسوء وقمها فى نفسى ، وقبح طالعها
 فى حياتى . غير أننى كنت أتجلد ولا أظهر
 غيظى وإن كنت قد أحسست فى ذلك
 الوقت أن تلك الكلمة قد نقشت فى
 سويداء قلبى ، فأخذت أعلم أننى ثمرة جنابة
 والذى اللذين أقدموا على الإثم ، فكنت
 ضحيتهما البريئة

إن الآباء ينتظرون بفارغ صبرهم أن يجنوا
 الثمرة التى تهبها الحياة لهم ، فهم يصيخون
 بنفوسهم إلى أصوات أبنائهم

إن الأمهات يقبلن على حياة الأمومة
 بقلوب مفعمة سرورا وجوارح تترقرق
 حبوراً ، ويهددن سرراً أطفالهن ، يناغيهن

أمل المستقبل ، ويداعبن رجاء الغيب
 وهن ينصتن إلى بكاء أطفالهن
 ولو كان حبهما - حب أبى وأمى -
 قائماً على حطام منزل زوج أمى الأول ...
 لسعدت بحياة غنية بالسعادة والهناء
 يكتنفها حنان الأمومة وتظللها رافة الأبوة
 ولكنهما اقتربنا على أنقاض حبهما الزائف
 فكنت الضحية البريئة ... وأصبحت فى
 هذه الحياة وحيداً شريداً طريداً

كان الواجب يقضى عليهما أن يحبانى -
 ولكنهما أبغضانى فنبذانى عنهما وأقصيانى .
 يقولون إن المرء مدين لوالديه بالحياة ، ولكن
 هل تعتبر حياتى ... حياة التشرد والهجر
 حياة ؟ وهل أدخلت فى نفسى غير العداوة
 والبغضاء لهذين اللذين تمنيا موتى ، فنبذانى
 وأنا طفل فى المهد ...

يا سادة

إذا هاجمك سارق ومد يده إلى جيبك
 وأراد أن يسلب منك مامعك فربما قاصصته .
 وإذا داهم بيتك أحد وشتمك ... لانتقم
 لنفسك . وإن خابك إنسان أو جردك من
 الشرف والحرية ... حاولت أن تأخذ حقلك
 السليب منه

أما أنا فقد جردنى والداى من شرفى
 وسلبا منى حريتى وعزنى ... وسرقا باسمى ثم
 أسقطا حياتى فنبذهما إياى وعدم اعترافهما بى

ألقى بالا إليه

وبعد أيام طلب مني أن أصنع له مقعداً .
ومما أدهشني أنه كان يدفع لي القدر الذي
أطلب منه دون أن يساومني ، كما كان يخاطبني
بلهجة ملؤها الرقة والحنان مما حفظت له
من أجل ذلك حباً في قلبي وأضمرت له إخلاصاً
في عملي

وبعد مدة جاءني برفقة امرأة قال إنها
زوجته . فما دخلت حانوتي واقتعدت مقعداً
حتى بدت علام الاضطراب تظهر جلية على
وجهها ، فاعتقدت أنها علية ؛ وكانت كل
نظراتها تصوبها نحوي ، وكنت كلما سألتها
عما أصنع لها وكيف أجابتنى : نعم . ولا تريد
على ذلك كلمة ، وبعد ان غادرا الحانوت ..
وانصرفا عني اعتقدت أنها مصابة بخجل
أفقدتها التفكير

وبعد أيام عادت تلك المرأة برفقة زوجها ،
وكانت في هذه المرة أثبت جراءة ، وأوفر
شجاعة من المرة الأولى . وجلست تسألني
أين قضيت مرحلة الطفولة ؛ وكيف كانت
حياتي ، ومن هما والداي .. و..

فرجوتها ألا تسألني عن والدي ..
ولا عن حياتي التمهية

فقلت : ولم ؟ هناك ما يمنحك أن
تحدثني عن والديك ؟

قلت : نعم ، فقد أجرما في حق ، ولذلك

لقد كنت مخدوعاً بشرفي من قبل ؛ أما بعد
ما تبقت أن جريمتها هي أشنع ما ارتكباه ،
وأن خطيئتهما لا يغتفرها أحد ، صممت على أن
أنتقم ؛ لأنني علمت أن حريتي المسلوقة تدفعني
إلى أن أنتقم لنفسي وأغسل بدمهما العار الذي
لطيخا به سمعتي

ربما تقولون ... إن قتل الوالدين جريمة
شنعاء ؛ لكن الوالدين اللذين ينبذان وليدهما
صغيرا ، ويشردانه في مجاهل الغيب طفلا ،
لا يحق لهما أن يكونا والدين !

لقد عاشا في كنف حبهما الرغيد ...
ونبذاني في بيداء الشقاء المتبدد ليمحوا عن
سجل القضاء عارهما بولادتي ... ولذلك
قررت أن أجازيهما بالمثل ... فأخو العار الذي
ألحقاه بي ، بأنني مجهول الأبوين . لقيط !
سادى

لقد كانت فكرة الصفح عنهما تخامر ذهني
فكنت على وشك العفو .. فأبادلتهما المحبة
والوئام ، وأشار كهما العيش والحياة ، دون أن
أبوح بسرهما ، ولكنني اضطررت إلى أن
أقصى هذه الفكرة عني .. وأن أقدم على
الانتقام

منذ سنتين جاءني رجل في الحانوت
ولم يسبق لي أن رأيته من قبل ، وطلب مني
أن أصنع له مائدتين ، وعلمت أنه استخبر عني
قسيس القرية قاستغربت أمره ، ولكنني لم

لا أريد أن أنكأ جروحي ، فهما في نظري
من المجرمين ولا ينفر جريمتيما الشنماء
إلا الانتقام . لقد نبذاني صغيرا وشرداني
طفلا دون أن يرقا لبرائي .

وما إن سمعت المرأة مني ذلك حتى اصفر
لونها وزاغ بصرها وانطرحت على المقعد
خائرة القوى مغشياً عليها ؛ فتملكتني دهشة
مما رايت ، فسألت نفسي أتكون هذه أمي تلك
التي هجرتني ، ولم تمطف علي ؛ بل انطلقت
وراء حبتها .. طائشة ؟

ولما أفاقت من إغمائها أسندتها زوجها
إلى ذراعه .. وانصرفا

جلست في الخانوت وحييا مفكرا في أمر
تلك المرأة وذاك الرجل . وانتهى بي التفكير
الطويل إلى أنهما والداي

فالمرأة هي أمي ؛ أما الرجل فهو أبي بعينه
وفي أحد الأيام عادا معا إلى الخانوت
فلمست الاضطراب والقلق في قسبات
وجه المرأة . وقبل مغادرتيما الخانوت قالت :
إنني أدعو لك بالتوفيق والتقدم المطرد
في أعمالك ؛ لأنني أملك فيك حسن الخلق
وطيب النفس وصفاء السريرة .. وها أنذا
أقدم إليك هذا المال الزهيد كي تقضى به
حوائجك ، ولتستعين بواسطته على تمهيد

طريق مزدهر لمستقبلك

وناولتني بضغ ورقات من المال بينما
كان نظري معلنا بها لا يحيد . ودون أن أشعر
صحت بها . أمي ! أنت أمي !

فارتاعت مني وابتعدت عني وجحظت
عينها ، وهمت بالبكاء ، بينما أسرع الرجل
إليها وأخذها بين ذراعيه وصاح في وجهي
أمعنوه أنت ؟ هل قدمت رشدا ؟

فأجبت بصوت خافت :

لا ، لست معنوها . لقد تيقنت أنك
أبي وهذه أمي ، فاعترفا بأكما والداي ، وإنني
أقسم لكما ألا أبوح بسركما ، ولا أخون
ودادكما ..

وسحب الرجل امرأته من يدها وهم
بالخروج ، ولكنني أسرعت إلى الباب
وأغلقتة . ثم التفت إليه وقلت : هل تنكر
أنها أمي ؟ انظر إلى حالتها وهي تبكي :
إن هذا لأكبر برهان على ذلك

فاغتاز الرجل مني ، وارتعدت فرائصه
وتجسست الجريمة التي اقترفها أمام ناظريه ؛
ورأى أن سره سيذبح ، وستلوكه ألسن
الناس ، فما عساه أن يفعل ؟

فصاح في وجهي : اسكت ! حقاً إنك
دنيء . تريد أن تتهمنا .. إليك . عني إنك
وغد لنسيم

فالتفتت إليه والدتي وقالت : لنخرج من
هنا فإني أشعر بضيق

فصاح الرجل بي : افتح الباب وإلا
أبلغت أمرك لرجال الأمن ليقبضوا عليك
ويودعوك السجن ليذيقوك المذاب الأليم .
ففتحت لهما الباب فأسرعا بالخروج ،
لا يلويان على شيء . وما إن غابا عن ناظري
حتى خيل إلي الشقاء الذي راقني في حياتي
فغمرتني الحزن والأسى فبكيت ..

لقد انقلبت عاطفتي نحوهما وحبى لهما إلى
بغض وكره .. فكانت نفسي تسول لي أن
أنتقم لشرفي الجريح ، وأنتصر لعزتي وأثأر
لكرامتي ، فأنتزع من حنايا صدريهما حياتي .
فهمت علي وجهي في سكون الليل وهدوئه
أسير بالقرب من الشاطئ ، أستمرض في
مخيلتي ذكريات طفولتي المحرومة التعميسة .
وبينما كنت في لجة التفكير لمحتهما عن
كثب فأسرعت نحوهما أسترق السمع ،
فكانت أمي تبكي وتنتحب بينما كان أبي
يخفف من لوعتها ويتول لها : أرايت الفاجعة
التي كادت تحل بنا فينكشف أمرنا ؟ لقد
قلت لك إن ما اقترفناه من ذنب وإثم ،
لا يسمح لنا أن نقدم على ذلك ، فنتبع أثره
وهرعت نحوهما ، ووقفت أمامهما باسماً
وخاطبت أبي قائلاً :

ألم أقل لك إنك أبي ، وهذه أمي ..
أنتم والدائي . لقد نبذتاني صغيراً فهل ترغبان

أن تطرداني ، وتتنكرا لي شاباً !

سيدى الرئيس ، سادتي المحلفين

أقسم لكم أن أبي رفع يده وأراد
ضربي ، ولكني أمسكت بها ورجوته إن
كنت أسأت إليه أن يغفر لي ، وليعفو عني .
ولكنه مد يده الأخرى إلى جيبه وأخرج
مسدساً وصوبه نحوي . عندئذ طار صوابي
وفقدت وعي وحن جنوني فأخرجت مديتي
وأغمدتها في عنقه .. و.. و.. وأحشائه ، فوقع
يتخبط على الأرض ويسبح في دمه

وأخذت أمي تستغيث ، ونستنجد
صائحة في وجهي ، وكانت تضربني بكلمات
يديها مما آلمني فثارت ثأرتي عليها فطعنيتها
في صدرها دون أن أعى ما أفعله وما أقترفه
من ذنب ..

ولما شاهدتهما جثتين لاحراك بهما
حملتهما وألقيتهما في النهر فحملتهما الماء إلى ...
هذه هي قصتي سرديتها على مسامعكم
دون أن أزيد فيها أو أنقص منها ، فانظروا
ماذا ترون ..

وجلس المتهم .. وأخذ يمسح العرق
الذي نضج من جبينه بينما كان الرئيس
يشير إلى تأجيل النظر في القضية ..
للجلسة القادمة .

دمشق عبر اللطيف حسين الزرناووط

التشريع

لِلْمُصَنِّفِ الْبَرَاءِ عَلَى أَوْجَعِ نَسَبٍ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ سَيِّدِ كَبْرِيَا ج

اشتهر (مللو) بمهارته في العزف على الرباب ،
ومساهمته في كل حفلة غنائية موسيقية يرصد
ويعمل لمعاهد البر والإحسان . وعندما كان
هذا الفنان يحتضن ربابه ، ويأخذ في مداغبة
أوتاره بتفنن ولباقة ، عازفا عليه أنشودة
شعبية ، أو كلاسيكية ، كان الرباب يئن بين
يديه بصورة مؤثرة تحرك أعشار القلب

وكان للملو مزرعة كبيرة في إحدى مناطق
هذه الولاية . فكان يقصد إليها من حين
إلى آخر ، تارة للاستراحة من ضوضاء
المدينة وجلبتها الصاخبة ، وطورا للإشراف
على أعمال الحصاد . وكان في مثل هذه
الأسفار يحمل ربابه معه للتسلي بالعزف عليه
في الليالي الموحشة

وفي ليلة من ليالي المزرعة ، بينما هو في قاعة
الطعام ، وقد استولى عليه الملل من وحدته
وانفراده ، تناول ربابه وراح يعزف عليه
نغما شجيا أودعه كل ما في نفسه من حساسية
الفن ، وما في قلبه من رقة العاطفة . وفيما هو
كذلك ، وقد غاب من عالم الحس ، وقع
نظره فجأة على رتيلاء سوداء اللون كبيرة
الرتيلاء من الهوام أنواع وهي منها العنكبوت

الحجم ، كثيرة القوائم ، هائلة المنظر ،
كانت على مسافة قصيرة منه ، وقد جمدت
في مكانها وكأنها تصنع إلى نغمات ربابه .
فأجفل لرؤيتها وتحفز من مكانه يريد سحقها
بقدمه . ولكنه ما كاد يتوقف عن العزف
وينقطع صوت الرباب ، حتى أبصرها تنسحب
مسرعة وتتوارى في شق كان بين الجدار
وأرض القاعة . فقبض على قطعة من الخشب
ولبث منتظرا ظهورها ثانية ليقضى عليها .
إلا أن الرتيلاء ظلت طول مدة انتظاره متوارية
في شقها المظلم . ولما عيل صبره عاد إلى
احتضان ربابه ومتابعة عزف ألحانه

وما كادت نغمات الرباب ترتفع في فضاء
القاعة ، حتى ظهرت ذات اللون الأسود ،
والقوائم العديدة ، والمنظر الخفيف ، وراحت
تتقدم نحوه ، حتى إذا صارت على بضعة
خطوات منه ، وقفت وعلاما الانسجار
بادية عليها . فلما أبصرها مللو توقف عن
العزف واستعد للقضاء عليها بضربة مسددة
من خشبته . ولكنه ما كاد يلقي الرباب من
يده ، ويتحفز للهجوم عليها ، حتى انسحبت

المساء . هو احتضان ربابه والعزف عليه
بفن وشغف قائلاً لنفسه: لئلا إذا كانت ستظهر
في هذه الليلة . وكان يعزف في هذه المرة
بشيء من التأثر البادى في اضطراب أعصابه
وخفقان قلبه كما لو كان يعزف على المسرح
أمام الجمهور . وكان يحرك بأنامله أوتار
الرباب وعيناه شاخصتان إلى الشق حيث
تبرز رتيلاؤه

لم تمر دقائق قليلة على ارتفاع نغمات
الرباب في فضاء القاعة ، حتى خرجت
الرتيلاء من شقتها وراحت تبدى انسجارها
بتقدمها البطيء . وأراد مللو أن يكمل تجربته
فتوقف عن العزف ليرى ما سيبدو منها .
ولما طال عليها السكوت انسحبت إلى شقتها
بصورة هادئة كثيفة

بعد تلك التجربة وثق مللو من انسجار
الرتيلاء بنغمات ربابه ، وأصبح العزف لها
في كل ليلة من أحب الأعمال إليه ،
وأصبحت رؤيتها من أجل المشاهد في نظره .
وبلغ من شدة شغفه بها أنه أهمل التفكير
في مغادرة المزرعة والعودة إلى المدينة .
ولكنه ما تحدث عنها أمام العمال والموظفين
وغيرهم من الزوار ، ذاع أمرها في كل تلك
الأنحاء ، وأخذ سكان الدن القريبة
يتوافدون إلى مزرعة مللو لرؤية ذلك الحيوان
الرخيف الذى يطرب لنغمات الموسيقى كسائر

بشيء من التردد ، وتوارت في شقتها . وبعد
قليل من الانتظار عاد مللو إلى مداعبة أوتار
ربابه ، وعزف ألحانه . وقد أعيد تمثيل هذا
الدور مرارا ، أى أن الرتيلاء كانت لا تكاد
تسمع صوت الرباب مرتقما في فضاء القاعة ،
حتى تبرز من مخبئها وتأخذ في التقدم نحوه
كأن فيه قوة خفية تجذبها إليه ، ولا يكاد
ينقطع الصوت حتى تعود إلى التوارى في شقتها
دهش مللو لأمر هذه الرتيلاء الغريب .
وبات لا يرى في منظرها ما يخيفه . وقد
ألف رؤيتها وأصبح مشوقا إلى معرفة ما إذا
كان لنغمات ربابه تأثير عليها . وأخيرا
انصرف إلى فراشه دون أن يخامره أقل
خوف أو قلق من وجود تلك الحشرة السامة
داخل بيته وعلى مقربة منه

قضى اليوم التالى بين مراقبة العمال والتجول
على ظهر جواده في كل أنحاء المزرعة . ولكنه
لم ينقطع لحظة عن التفكير في الرتيلاء
والتساؤل عما إذا كانت ستظهر في المساء
لدى سماعها نغمات الرباب كما ظهرت في الأمس ،
أو أن ما حدث في تلك الليلة كان من
قبيل الصدف

ما صدق مللو أن توارت الشمس وراء
خط الأفق ، ونشر الليل رداءه القاتم على
الكون ، حتى عاد مسرعا إلى البيت . وأول
عمل باشره ، بعد فراغه من تناول طعام

البشر . وكانوا يعجبون أكثر لبقائها بعد عزف أنشودة شعبية ، أو قطعة كلاسيكية ، جامدة في مكانها كأنها لا تزال سكرى من سماع تلك النغمات المتألفة والأنات المتوازنة . وكانت تطرب بنوع خاص لأعزوفة « كافوتاده تاريكا » فكان ملو ، وقد لحظ منها ذلك ، يودع هذه القطعة كل إحساسه الفنى وشعوره الفياض وقد بلغ من شدة هيام ملو بضيقته المسألة أنه اتخذها رفيقته ونديمته ومسليته فى وحدته . وكان كلما خرجت من شقتها للاستمتاع بسماع نغمات ربابه ، يصبح قائلاً كأنه يرحب بأعز الناس عنده : أهلا بك : وليس ذلك فقط بل إنه وضع لها اسما شاعريا كان يدعوها به تحبباً . حتى أن ألفتها قضت على ملل حياته فى تلك المزرعة النائية . فكان ورفيقته الصامتة الخرساء على تفاهم كلى ، وناخ عز نظيره حتى بين البشر

ولما حان ميعاد رجوعه إلى العاصمة استولى عليه الحزن وآله التفكير فى مغادرة تلك الرفيقة الأمينة ، والصديقة الصدوقة ، والوحشة التى ستمانيها وتشعر بها بعد انقطاعها عن سماع ألحان ربابه . واشتد به الحزن لدى تفكيره فى استحالة نقلها معه

وفيا هو على هذه الحال من الحزن والكآبة والتردد فى مغادرة المزرعة ، زاره أحد ممثلى شركات تصدير البن ، وحل ضيفا عليه . وفى المساء أخذ الضيف يقص على مضيفه أخبار سوق البن وإقبال موسم فى ذلك العام ، والأرباح الطائلة التى سيجنيها المزارعون من ارتفاع أسعاره فى البنادق الأجنبية . ومع ما لهذا الحديث من الأهمية فى نظر أصحاب مزارع البن ، فقد مله ملو لصرفه إياه عن العزف لصديقتة ورفيقته الليلية . لذلك اغتم فرصة توقف ضيفه عن الكلام ، وقبض على ربابه وراح يعزف عليه أحب الألحان إلى قلبه وقلب رتيلائه فما مرت بضع دقائق على ارتفاع صوت الرباب حتى برزت من شقتها ذات اللون الأسود ، والقوائم العديدة ، والنظر الخفيف ، وراحت تهادى فى سيرها كأنها فى حالة طرب ، فما إن وقعت عليها عينا الضيف حتى علت وجهه صفرة الخوف ، وبأسرع من أمج البصر تقدم منها وسحقها بحذائه الغليظ قبل أن يسمع صيحة الذعر تنطلق من فم مضيفه ، فالتفت إليه هذا وقال له : أنظرت أى خطر نجونا منه ؟

اسكندر كريباج

طبيعت الرجل

بطلب الأديب حسن فتحى خليل
بقلم الأديب حسن فتحى خليل

بالرغم من أن (كاثي) وجدت في (دان) الجمال من يوافق طبيعتها كمفتاح يتلاءم مع قفله إلا أنها اختارت (سلوين) بائع السمك في سوق القرية زوجها لها في النهاية . فقد قررت في ذات نفسها أن جسدها المتناسق وجلاها الأملس الناعم وشعرها الأصفر الذهبي وفمها الشهير بأسنانه اللامعة ، إنما يستحق كل هذا رجل أرقى من دان ، الذى يسكن كوخا حقيرا منفردا في طرف الغابة يبعد عن القرية بستة أميال ، وتتصاعد منه رائحة القتران والعفن

وفي الأمسية التى وطدت العزم فيها على ذلك ، ذهبت إلى كوخ دان الذى يسكنه وحيدا بعد أن توفى والده ونادته من الخارج ، وكانت نافذته مفتوحة :

« أخرج أيها الرجل الكسول واستمع إلى السيدة » وما إن ظهر أنفه المقوس من الباب حتى أضافت قائلة « أعد إلى الغطاء الذى عكفت على تطريزه بيدي في الشتاء الماضى لأنى إن أتزوجك أيها القوقعة ، وسأزف في الشهر القادم إلى سلوين السماك »

وأشارت بيدها نحو السوق . وحلق فيها دان وكان أشعث الشعر مغبره وبجانبه الوعاء الذى يستقبل نقط الماء المتساقطة من السقف ورفعها في لحظة خاطفة ثم ألقى الماء عليها ، ولكنها أسرعت تتفاداه ، وصاح فيها غاضبا « اذهبي وتزوجي ذلك السماك القذر ، أغربى عن وجهي » وعاد يلقى عليها الماء

فالتقطت قطعة من الحجر ورمته بها فأصابته في صدره ولكنها لم تكن قد غادرت مكانها بعد . وبقي هو واقفا على عتبة بابه وصدره يعلو وينخفض في ثورة . وقالت هى « سيعلمن عن زواجي يوم الأحد القادم وسيكون زواجا حافلا . يالك من أبله لا مطمح له ، كأنك أرنب جبلى » وداعب الهواء شعرها الأصفر فتناثر على جانبي رأسها . قال : وعيناه تقدحان شررا : « اذهبي وتزوجيه فأننا بيضتان تالفتان » فقالت في نشوة الانتقام « يالغيرة ! أعد إلى غطائي ، وأنصحك بأن تتزوج (مارى) العرجاء فهى خير زوجة تليق بك . »

وهكذا جملا يتبادلان السباب ولكنه لم يعطها ذلك الغطاء الأزرق المزركش بالطيور والزهور والذي سبق أن أهدهته إليه منذ زمن ليس بالبعيد ، قائلة أنها أعدته لفراش زواجهما وأنه يساوى مبلغا لا بأس به ، لو بيع في السوق

وأخيرا .. اضطرت أمام عناده وصلابته أن تغادره بعد أن صبت عليه جام شتاؤها وغيرته بفقره وحقارة كوخه وذكرت له كل مثالبه ، وصعدت الطريق نحو القرية . ولما اشتد الظلام أغلق دان باب كوخه وأشعل شمعة وصب غضبه على صرصور تحت قدمه فقتله شر قتلة

لقد كانت شكواها منه دائما هي السبب في تأخير زواجهما ، فهو رجل ريفي بطيء التفكير ، شديد الحرص على كل شيء ، ولطالما تردد هل يشتري سيارة نقل قبل زواجه ، أو يكتفى بالعربة والحصان المعجوز اللذين يعتز بهما . ولكن تعبير كآتي الدائم له بأنه عاجز غير طموح أوقعه في حيرة .. ولذلك كان يتأخر تأريخ زواجهما مرة بعد أخرى

كما أنها كانت تدفعه لأن يغادر ذلك الكوخ القديم الذي تملكه عائلته منذ مائتي عام وأن يذهب للسكن في قلب القرية حيث تزدهر حرفته بعد شرائه السيارة ، ولكنه

كان يكتفى بما لديه وكان قدميه قد تسمرتتا بكوخ أجداده حيث قضى أجمل سني حياته ودامت تلك العلاقة بينهما خمس سنوات وكانا يسيران جنبا إلى جنب في الغابة ويقضيان معظم الوقت يتشاجران كأنهما شيطانان لا يمكنهما الافتراق عن بعضهما .

وكانت هي تحلب البقر في مزرعة تريكوريل وتعيش من ذلك . وكان دان يعرف أن سلوين بائع السمك اعتاد أن يتابع كآتي بنظراته النهمة السكرى حين تسلك الطريق بالقرية دافعة صدرها إلى الأمام كأنه سلة من الخوخ

ولكنه فوجيء يومئذ أن تهديداتها كانت هذه المرة حقيقة ، فلقد تزوجت من السماك وأقامت معه فوق حانوته في القرية القديمة التي يحترقها نهر أزرق ويوجد بها قصر عتيق ودار للسسينا تعرض أفلامها ثلاث مرات في الأسبوع . وفي اليوم الذي تم فيه زواجهما مرت بكوخ دان وهي في طريقها إلى القرية على عربة حملت عليها كل متاعها ورأته خلف النافذة ولكنها لم تناديه ، ولم تطالبه بغطائها ، إنما كل ما فعلته هو أن سوت ثوبها الجديد ولعت أسنانها البيضاء ومرت عليه في أنفة وكبرياء .

وفي هذا المساء ذبح دان إحدى دجاجاته السمينة ونزع ريشها ثم حمرها على النار

وأكلها في نهم وشرب لترا من البيرة ، ولما
ثمل تصايح يغنى في ضوء الشمعة الهزيل
أغنيات تهزأ بالنساء وعواطفهن .

وقضت كاتى السنتين الأوليين من
زواجها في القرية تلبس الجوارب الحريرية
بعد أن لم يكن يمس قدميها وساقيها طيلة
حياتها سوى الجوارب القطنية فحسب

ولكن سرعان ما بهت لون شعرها
الذهبي وصار أشعث مهوشا فقد كان زواجها
غير موفق ، وزوجها سلوين كان غبيا لاعقل
له كأحدى سمكاته . وكانت أسعد لحظات
حياته هي التي يقضيها في احتساء الوسكى
في المشارب . ولكن لعل عدم التناسق في
حياته هو الذي كان يدفعه إلى تمضية
وقته في الخارج دائما حتى بارت تجارته

بينما كانت كاتى تحاول أن تنسى شقاءها
هذا ، وتدفن همها في تهيئة ملابس جديدة
لها ، وهي نعمة لم تكن تحلم بها . ولكنها
أصبحت كغراب يتألق ، بعد أن ذهب عنها
جمالها القديم . وأحيانا كانت لا تمالك
نفسها عن البكاء فهوى على سلوين بسبابها
وشتمها

وفي نفس الوقت كان دان وكأنه أراد
أن يثار لنفسه فإذا به يصعد درجات
النجاح قدما ، فقد اشترى سبيارة نقل على
أقساط ، ولكنه لم ينادر كوخه الظلم ، وما

زال يبدو دائما قاسيا صلبا ويقضى أوقات
فراغه يحفر على قطع الخشب أشكال
حيوانات مختلفة ، واشترى مصباحا زيتيا
وعدة سكاكين ، بل وتمادى في تبذيره
فاشترى لنفسه خاتما ذهبيا

ولكنه لم يهتم بأية امرأة : وأصبح يمر
بعربته على ست قرى يحمل منها وإليها
الخضر والبيض والطيور . وأما
ازدهرت أعماله حاول كثير من النساء
— بالرغم من قسوة مظهره — أن يشغلن
مكان كاتى في قلبه ولكنه ظل صلبا
كالحجر ولم يعرهن التفاتا

وحدث أن كان يمر بعربته يوما أمام
جانوت السمك فرأى كاتى وهي خارجة
من منزلها فوجه إليها الكلام قائلا :
« ما سمر السمك البائت اليوم يا سيدة
السمك ؟ » فوقفت تحمق بعينين متسمتين
دهشتين في السيارة التي أسرع في طريقها .
و ذات مساء عاصف من نوفمبر وبعد أربعة
أعيام من افتراقهما رفع وجهه في بطء عن
القطعة الخشبية التي كان يحفرها فلمح وجهها
تنظر إليه من خلف النافذة ، فزم شففيه
ونكس رأسه وهو يتابع عمله ، ونقرت هي
بإصبعها على خشب النافذة ونادت خلال
الريح : دعنى أدخل يا دان . . دعنى أدفئ
نفسى بجانب نار كوخك . فصاح فيها :

أعربني عنى وجهي . فقالت : إن الريح باردة
يادان ومعدني خاوية . فرفع نظره إليها مرة
أخرى ولمح ذقنها الهزيلة وعظام خديها
البارزة ثم أجابها : أعربني عنى .. عودي إلى
زوجك ولا تقني هكذا وإلا ناديت رجال
الشرطة . فضربت زجاج النافذة حتى هشمته
وسال الدم من يدها وهي تولول قائلة : إن
الليل قارس البرد .. أعدني في عربتك يادان .
ولكنه أطفأ المصباح واطمأن إلى أن الباب
مغلق جيدا وسمعته وهو يصعد إلى حجرة
نومه . وعادت من طريق الغابة تقطع الستة
أميال نحو القرية على قدميها ، لقد كانت
تحوم حول مراتع صباها وشبايها باكية
أيامها الخالية بعد أن تشاجرت مع سلوين
الذي كان ممعنا في شرايه

وعادت إلى الظهور بعد شهر وكانت
ترتمش وهي رثة الثياب ، وكان دان متجههم
الوجه حين أدلت إليه بأخبارها من النافذة
لأنه كان قد سمع بها من قبل . قالت : لقد
أفلس سلوين وأغلق الحسانوت اليوم ولا
مأوى لي ، كل ما أملكه الآن هو حشية
على الأرض .. دعني أدخل يادان . ولكنه
صاح فيها . إن المحيط العميق قد خلق للأسماء
تفوص فيه .. يمكنك أن تسيري على قدميك
في القرية بعد أن تغلق على أصابعك أجراسا
ولم يجرؤ على غلق النافذة حتى لا تكسر

أحد ألواحها فقد كلفه اللوح السابق ثمانية
عشر بنسا لإصلاحه . فقالت صارخه : إذن
اعطني غطاء المطرز فهو يساوي شيئا من
المال . فضحك منها ساخرا وهو يقول :
إنه يدفعني في زمهرير الليل . فتضرعت إليه
قائلة : سأطهو لك طعامك وأخيط ملابسك
وأغسلها وأنظف لك كوخك بدون أجر ،
وسأفترش حصيرا على الأرض . فقال
ضاحكا : هناك حفر دافئة على طول الطريق
ومرة أخرى قام فأغلق النافذة وسمعته

وهو يصعد السلم إلى حجرة نومه
فألصقت يدها بجائط الكوخ وكأنما تريد
أن تشمر بالدفع ، وعادت إلى الطريق
واختفى زوجها بعد أسبوع فاضطرت
لأن تقيم وتأكل في الكنيسة حتى تجد
عملا صغيرا في مطبخ فندق القرية . ولقد
أثرت فيها هذه الحالة المزرية التي أصبحت
عليها فهي ما زالت تذكر جسدها المتناسق
وشعرها الذهبي وملابسها الحريرية وصدرها
المترجرج ، وعادت ثانية إلى مطارح صباها
في ليلة قاسية البرودة من ليالي يناير ، وكانت
تسير متلصصة كأنها حيوان بلا مأوى ،
تقودها رغبة جارفة لا تقوى على مغالبتها .
وكانت الثلوج تغطي الطريق والأشجار
تهتز في عنف

وكان دان يعد تقود الشهر التي سيودعها

المصرف ، عدة أوراق مالية وقطع فضية كثيرة ، وكانت يدها السمر اوان تقبضان على النقود ، وخياشيمه تستقبل رأتحتها في لذة تفوق لذته لو شم رائحة جسدها . ولم يلتفت حين طرق سمعه صوت نقرها على النافذة ، بل رفع بعض القطع الفضية وتركها تتساقط في ضوء المصباح

فصاحت : دان ، إن كأتى تريد الدخول . أنا الآن في الثمانية والثلاثين وأنت في السادسة والثلاثين ، لا تدعنا نضيع سنوات أخرى عبثا ودع الأيام تتفتح لنا عن السعادة . أعد إلى رونق جسدى الذى فقدته واطرد البرد عن صدرى

ونقرت في رقة على خشب النافذة ، ولكنه لم يلتفت إليها بل كان يغنى قائلا : اذهبي وابحثى عن خوتك في قاع البحر فصاحت : سأنظف لك كوخك وسأطهى لك أشهى الطعام كل يوم ، وسنتخلى عن طباعنا الشرسة وأحزاننا . لقد خلقنا لبعضنا يادان ولا تنكر ذلك الآن . فوضع النقود في كيس جلدى وصاح فيها دون أن يلتفت إليها نظرة واحدة : أغربى عن وجهى يا ذيل السمكة فأنا لا أفكر فيك أبدا . فتضرعت إليه باكية وهى تقول : افتح الباب

ولكنه أطفأ النور وصعد السلم ووضع

كيس النقود تحت الوسادة ثم استغرق في سبات عميق ، تحت الغطاء الدافئ المزركش بالطيور والأزاهير ، ونام طيلة ليله كالخنزير . وفى الصباح فتح باب الكوخ الخارجى فسقط جسدها على قدميه ، كان وجهها شديد الزرقة ويدها مثل جيتين فأسندها إلى الجدار وأغلق الباب ثم ذهب في سيارته إلى مركز البوليس وقال لرجل الشرطة : أرى ما فعلته كأتى ؟ لقد ماتت على عتبة بابى . أرجو أن تسكلم رجال الكنيسة تليفونيا ليرسلوا عربة الأسعاف لحملها لأنى مشغول اليوم ، إذ لدى حملة بيض وطيور من مزرعة پاول

وباع الغطاء بعشرة شلنات في يوم السوق التالى ، حتى يمحو كل ذكرياتها ودفنت كأتى في أرض الصدقة

وبالرغم من أن دان قد طلا كوخه من الخارج بلون أحضر زاه ، واعتاد شرب اللبن يوميا واشترى حلة سوداء وساعة جديدة ، إلا أنه مع هذا كله كان يشعر أن هناك شيئا ينقصه ، فقد انطفأت لمعة عينيه ولم يعد يتمكن الحفر على الخشب كما كان من قبل ، وكان ينتقل من مكان إلى آخر وكأه ليس هناك فى الدنيا ما يعنيه ، وأحيرا فاجأه الموت شتاء وهو يقود سيارته فى وقت كان يجب أن يبقى فيه نائما فى فراشه ، فقد اصطدمت

الشملة

للطبيب الفرنسي أندريه مورو

بقلم الأستاذ حسن نديم

الأسف ، لكنني لم أعجب لموته ، فلم تكن تبدو عليه سيما الأحياء ولا أنه من أهل دنيانا . ومنذ ذلك العهد طالما قابلت خلال أسفاري في الأفطار المختلفة أصدقاء لريزنتال رجالا ونساء ، ملأ حياتهم ، وصاغ نفوسهم ، فأصبحوا اليوم بفضلهم أرق عاطفة وارهف حسا من سائر الخلق قال صاحبي : إني جدد مغتبط لما تقول ؛ لأنني كنت صديقا لريزنتال . لقد حظيت مثلك بلقاءه ذات يوم ولساعة من الزمان فلم أستطع بعدها نسيانه ، ثم مر يبلدني منذ أعوام ثلاثة ، فذكرني وكتب إلي ، وحل ضيفا بداري يوما كاملا . كان ذلك في مستقبل الخريف والجو ما زال باردا ، ولما كنت أقطن سفح جبل عال فقد عاني ريزنتال وهو العليل النحيل أشد العناء ، إذ لم يكن قد أوى معه بأثواب ثقيلة تدرأ عنه غائلة البرد ، فسألني والبسمة تملو شفتيه : هل لك أن تعيرني معطفا ؟ وأنا كما ترى أضخم منه وأطول . فذهبت من

سألني صاحبي : أتعرف الشاعر النمساوي الظريف « ريزنتال » ؟

فأجبت قائلا : لم أقابله غير مرة واحدة وأذكر أنه تحدث عن روسيا بمزيج شيق من البساطة والنعوض . كان يتراقص حول قصصه ضباب خفيف يضيئ على الأشخاص الذين يصورهم هالة مطلقة ، ويجعلهم خلقا آخر يسمو على دنيا الناس ، حتى صوته فقد كان غريبا في نبراته وكأنه ينطلق من وراء حجب . أجل ، لم أراه سوى مرة واحدة ؛ غير أنني أحببته منها أكثر مما أحببت كثيرا من الناس الذين عرفتهم طوال حياتي . لقد علمت بوفاته بعد هذا اللقاء القصير بزمان قليل ، فأسفت أشد

السيارة بإحدى الأشجار ...

لم يجدوا إنسانا يطالب بنقوده أو حتى يرث كوخه الموحش المقفر حيث تقفز الفيران لاهية على فراشه !

حسن فتحي خليل

فورى أبحث عن شملة سمراء اعتدت أن أرتديها كلما خرجت شتاء للصيد . أرانى ريزنتال وهو جذلان طروب أنه استطاع أن يلتف بالشملة لفتين فينعم بمزيد من الدفء . وهكذا تسنى له أن يتريض معى طويلا بين المروج والشجر

طاب له المقام عندى ذلك اليوم ، ففي خلال النهار راقه منزلى وحديثى والجبال المطلة عليها . وفي المساء لدله الاصطلاء بنار الخشب المستمرة فى مدفأتى ، فقرر أن يقضى معى يوما آخر . ونشر الشملة فوق الفراش ونام ليلته . وفى الصباح اشتمل بها كلباس منزلى ، حتى إذا أقبل المساء أخبرنى أنه لا ينبغي الرحيل فى الغد ، وصادف ما ارتآه هو موقعا من نفسى ، فلم أكن أتخى أكثر من أن أحتجز عندى هذا المخلوق الغريب أطول مدة ممكنة . وهكذا مرت الأيام تترى يوما فى إثر يوم ، حتى قضى أسبوعين كاملين كان خلالها مدثرا بشملتى . ثم سافر بعد أن ترك لى قصيدة فى ذكرى إقامته ، وبعد بضعة أشهر نبئت بوفاة

وحل الخريف التالى ، فخطيت زيارة أخرى لكاتب فرنسى يعجبني أسلوبه المصقول الشفاف . كانت صلتى به إذ ذاك لاتعدو المعرفة العابرة ، وعن له فى طريقه إلى فينا أن يقضى فى بلدتى الصغيرة يوما

واحدا . لقد جرى حديثنا خلال الغداء غسيرا جافا ، وخيل إلى أن الألفة التى كنت أنشد توثيق عراها بينى وبينه تفتت وتتداعى ، وأنا جد مختلفين كل منا عن الآخر ، وأيقنت أسفا أننا سنفترق دون أن يخلف أحدهنا فى نفس الآخر أثرا باقيا . وفرغنا من تناول الغداء ، ففضينا تحت الشجر المصفر تتريض ، ثم شكا برودة الجو ، فانطلقت أبحث له عن شملة ريزنتال إن ما حدث بعدئذ لغريب يثير الدهش والعجب ، فما إن وضع صاحبي الشملة على كتفيه حتى استحال شخصا آخر . بدت روحه التى خلقت صماء محدودة الأفق وقد تسربت لجأه بشغوف من الشعور الحزين فرقت حاشيته وانطلق لسانه بما يجيش فى نفسه . وما جن الليل حتى توطدت بيننا أواصر الصداقة ، وأنس كل منا إلى صحبة رفيقه ، وكما فعل ريزنتال من قبل ، وقضى ضيف الخريف عندى — وقد آنى ليوم واحد — أسبوعين كاملين

وبعد ، لقد أصبحت يا صاحبي أعتر كثيرا بهذه الشملة السمراء ، وأسند إليها — وإن كنت لا أعتقد كثيرا فى هذه الأمور — قوة روحية خيرة . ففي غضون الشتاء التالى تمشت فتاة نمسوية رائعة الحسن تدعى « انجبورج » ، تنحدر من

أسرة عريقة أناخ عليها الدهر ، مما ألجأها إلى أن تصيب قوتها بالعمل لدى أحد الناشرين .

عرضت عليها الزواج بى ، غير أنها كانت كعظم الفتيات اللاتي نشأن بعد الحرب تقشبت بالحياة الحرة الخالية من كل قيد ، وأجابتنى — وهى تمحرض على أن تشعرنى بأننى إلى نفسها قريب — قائلة : إنها لا تطيق مجرد فكرة الارتباط بوثاق الزواج . كنت لا أملك نفسى من الألم كلما شاهدتها طليقة فى مدينة كبيرة ، وشاهدت حولها نفرا من الذين ليس لهم من ضميرهم وأزع ، ولبثنا عدة أشهر مضنية على تلك الحال .

وفى نشوة الربيع رضيت أنجبورج أن تزورنى فى منزلى بوينزلاند ، وخرجنا إلى الحديقة بعد العشاء فى أول أمسية من

إقامتها عندى فقلت لها : هل لك أن تصنعى معى جيلا ، فتسمحى لى أن أضع على كتفك شملتى بدلا من معطفك ؟ إنى أعلم أنك لا تقيمين للمواطن وزنا ، ولا بد أن تبدو لك مثل هذه الرغبة سخيفة ، ولكن ماذا يضرك ؟ هذه أول أمسية تقضينها عندى ، فاستجيبى لرجائى من أجلى ناشدتك الله ! فضحكت ساخرة منى فى كثير من الفتنة والدلال ، ثم قبلت أن تشتمل شملتى أمسك صاحبى عن الكلام بغتة ، فقد كان يتهاذى نحونا من نهاية المشى فى غسق الليل شخص رائع الحسن عليه شملة سمراء

ثم قال لى : هلا عرفت زوجتى ؟

حسن نديم

وحى الرسالة فى ثلاثة أجزاء للاستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحات كل مجلد خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمان كل جزء أربعون قرشاً عدا
أجرة البريد

الرسالة

مجلة الأدب الرفيع والأسلوب العالي

تجددت

في الشكل ، والموضوع ، والتحرير ، والحجم
لتسائر العهد الجديد الذي بدأته مصر في الثقافة والحضارة

مردوها : وصل الجديد بالتقديم ، ورد هذا الشرف بالغريب على هدى وبتسيرة
أبوابها في ذلك ، وعلمنا بالفتوح ، وفيها لأدباء ، وسمة في ثقافتنا

نظير كل أحد من كل أسبوع

مطبعة الرسالة